

المركز القومي للترجمة

فردريك كوباستون

تاريخ الفلسفة

المجلد الثامن

من بنّام إلى رسل

ترجمة

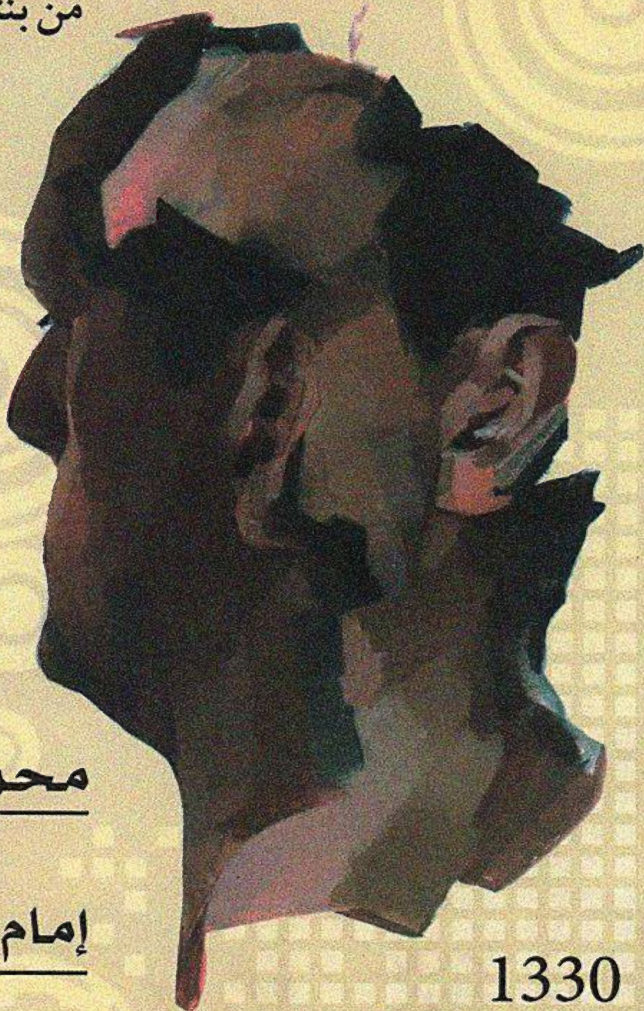
محمود سيد أحمد

مراجعة وتقديم

إمام عبدالفتاح إمام



المشروع القومي للترجمة



1330

المركز القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٣٣٠

- تاريخ الفلسفة مج ٨ (من بنتام إلى رسل)

- فردريك كوپلستون

- محمود سيد أحمد

- إمام عبد الفتاح إمام

- الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م

هذه ترجمة كتاب :

A History of Philosophy

Volume VIII

From Bentham to Russell

by : Fredrick Copleston

© Fredrick Copleston

تاريخ الفلسفة

المجلد الثامن

من ينتم إلى رسل

فردريك كوبلستون

ترجمة : محمود سيد أحمد

مراجعة وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون القومية

تاريخ الفلسفة (المجلد الثامن) من بتنام إلى رسل.
تأليف : فردريك كويلستون ، ترجمة : محمود سيد أحمد ، مراجعة
وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام
ط ١ - القاهرة - المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٩
٧٨٨ ص : ٢٤ سم
١- الفلسفة - تاريخ
٢- الفلسفة الغربية
(أ) أحمد ، محمود سيد (مترجم)
(ب) إمام ، عبد الفتاح إمام (مراجع ومقدم)
(ج) العنوان .
١٠٩

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٥٦٦٥
الترقيم الدولي 5 - 105 - 479 - 977 - 978 - I.S.B.N.
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تاريخ الفلسفة

المجلد الثامن

من ينتم إلى رسل

فردريك كوبلستون

ترجمة : محمود سيد أحمد

مراجعة وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠٩

الفصل الرابع: التجريبيون، والأدريون، والوضعيون:

ألكسندر بين وسيكولوجيا التداعى - أراء بين عن مذهب المنفعة -
ربط هنرى سد جويك مذهب المنفعة بالمذهب الحدسى - تشارلز
داروين وفلسفة التطور - توماس هنرى هكسلى، التطور، الأخلاق،
المذهب اللأدرى - المذهب المادى العلمى والمذهب اللأدرى: جون
تتدال و «لسلى ستيفن» - جورج جون رومانز - المذهب الوضعى
مجموعات كونت: جورج هنرى لويس، وليم كنجدون كلفورد، كارل
بيرسون - بنيامين كيد - ملاحظات ختامية

141

الفصل الخامس: فلسفة هربرت سبنسر

حياته وكتابات - طبيعة الفلسفة ومفاهيمها ومبادئها الأساسية -
القانون العام للتطور: تبدل التطور والانحلال - علم الاجتماع
والسياسة، الأخلاق النسبية والأخلاق المطلقة - ما لا يمكن معرفته
فى الدين والعلم - تعليقات ختامية

179

الجزء الثانى: الحركة المثالية فى بريطانيا العظمى

الفصل السادس: بدايات الحركة

ملاحظات تاريخية تمهيدية -- الرواد الأدباء: كوليردج وكارليل -
فرير وعلاقة الذات - الموضوع - هجوم جون جروت على المذهب
الظاهرى ومذهب اللذة - إحياء الاهتمام بالفلسفة اليونانية ونشأة
الاهتمام بهيجل: بنيامين جويت، وجيمس هتشسون سترلج

215

الفصل السابع: تطور المذهب المثالى:

موقف توماس هل جرین من المذهب التجريبي البريطانى والفكر
الألمانى - نظرية جرین فى الذات الأزلية، مع بعض التعليقات

تاريخ الفلسفة

المجلد الثامن

من ينتم إلى رسل

فردريك كوبلستون

ترجمة : محمود سيد أحمد

مراجعة وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠٩

أثر الفلسفة الاسكتلندية - رالف والدو إمرسون ومذهب العلو -
وليم تورى هاريس وبرنامجهم عن الفلسفة النظرية التأملية

الفصل الثاني عشر : فلسفة رويس :

ملاحظات على كتابات رويس السابقة على محاضرات جيفورد -
385 معنى الوجود ومعنى الأفكار - ثلاث نظريات غير كافية عن
الوجود - التصور الرابع للوجود - الذات المتناهية والمطلق؛ الحرية
الأخلاقية - الجانب الاجتماعى للأخلاق - الخلود - السلسلة
اللامتناهية وفكرة نسق الذات الممتدة - بعض التعليقات النقدية ...

الفصل الثالث عشر : المثالية الشخصية واتجاهات أخرى:

نقد هويسون لرويس لصالح مذهب الأخلاقى التعددى الخاص -
415 المثالية التطورية عند لى كونت - المثالية الشخصية عند جون -
المثالية الموضوعية عند كريتن - سيلفر موريس والمثالية الديناميكية -
ملاحظات على امتداد المثالية إلى القرن العشرين - محاولة
لتجاوز التعارض بين المثالية والمذهب الواقعى

الجزء الرابع : الحركة البرجماتية

الفصل الرابع عشر؛ فلسفة تشارلز ساندروز بيرس:

حياة بيرس - موضوعية الصدق - رفض منهج الشك الكلى -
437 المنطق، الأفكار والتحليل البرجمائى للمعنى - المذهب البرجمائى
والمذهب الواقعى - التحليل البرجمائى للمعنى والمذهب الوضعى -
الأخلاق النظرية والعملية - ميتافيزيقا بيرس ورؤيته للعالم - بعض
التعليقات على فكر بيرس

تاريخ الفلسفة

المجلد الثامن

من ينتم إلى رسل

فردريك كوبلستون

ترجمة : محمود سيد أحمد

مراجعة وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠٩

الفصل التاسع عشر: برتراند رسل (١) :

ملاحظات تمهيدية - حياته وكتاباتاته حتى نشر كتابه «برنكيبيا
ماثيماتيكاس»؛ المرحلة المثالية عند رسل ورد فعله ضدها، نظرية
الأنماط، نظرية الأوصاف، رد الرياضيات إلى المنطق - نصل
أوكام والتحليل الردي من حيث إنه ينطبق على الموضوعات
الفيزيائية وعلى الأذهان - المذهب الذري المنطقي وتأثير
قتجنشتين - الواحدة المحايدة - مشكلة مذهب الأنا وحيدة

611

الفصل العشرون: برتراند رسل (٢) :

مسلمات الاستدلال غير البرهاني وحدود المذهب التجريبي -
اللغة؛ تركيب اللغة وفكرة الترتيب الهرمي للغات، المعنى والدلالة،
الصدق والكذب - اللغة بوصفها مرشداً لبناء العالم

651

الفصل الحادي والعشرون: برتراند رسل (٣) :

ملاحظات تمهيدية - فلسفة رسل الأخلاقية الأولى وتأثير مور -
الغريزة - الذهن والروح - علاقة حكم القيمة بالرغبة - العلم
الاجتماعي والقوة - موقف رسل من الدين - طبيعة الفلسفة كما
تصورها رسل - بعض التعليقات النقدية المختصرة

673

خاتمة

705

توطئة بقلم المراجع

725

ملحق (أ) : جون هنري نيومان

727

ملحق (ب) مراجع مختصرة

751

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أما الفصل الخامس والأخير - فى هذا الجزء الأول - فهو يخصصه ليتحدث فيه عن فلسفة هربرت سبنسر من جميع جوانبها.

أما الجزء الثانى من بحثه الموسوعى هذا - فيدور حول الحركة المثالية فى بريطانيا العظمى فى خمسة فصول أيضاً؛ تبدأ من السادس حتى العاشر، يتحدث فى السادس عن بدايات الحركة الهيجلية بالرواد الأدباء كولردج، وكارليل، ونشأة الاهتمام بهيجل عند بنيامين جويت وسترنج، ثم ينتقل إلى الهيجلية الجديدة «توماس هل جرين»، والأخوين «كيرد»، و«وليم ولش»، وريتشى .. الخ ويقف قليلاً عند المثالية المطلقة فيعالج برادلى أولاً ثم بوزانكيت بعد ذلك فى الفصلين الثامن والتاسع، وينتهى الحديث عن المثالية فى إنجلترا - فى الفصل العاشر - المثالية التعددية عند مكتجارت والروحية التعددية عند جيمس وورد.

وفى الجزء الثالث يواصل المؤلف دراسته للمثالية، لكن فى الولايات المتحدة الأمريكية فى ثلاثة فصول فيتحدث فى ملاحظات تمهيدية (الفصل الحادى عشر) عن عصر التنوير فى أمريكا الذى مهد لظهور الهيجلية هناك، ويخصص الفصل الثانى عشر لدراسة جوزايا رويس.

أما الجزء الرابع فيجعله يدور حول الحركة البرجماتية الأمريكية فى ثلاثة فصول يخصصها لأعلام فلاسفة البرجماتية الثلاثة: تشارلز ساندروز بيرس، ووليم جيمس، ويضم إليه الفيلسوف الإنجليزي البرجمائى صاحب المذهب الإنسانى «شيلر» وينهى هذا الجزء بمعلق الفلاسفة الأمريكية «جون ديوى» ومذهب الذرائع فى الأخلاق والتربية والنظرية الاجتماعية، ويعود فى الجزء الخامس من أمريكا إلى إنجلترا ليعرض علينا الثورة على المذهب المثالى فى خمسة فصول ابتداء من الفصل السابع عشر حيث قاد الثورة ضد هيجل بمقاله الشهير فى مجلة مايند Mind «دحض المثالية» عام ١٩٠٣ ودعوتِهِ إلى الواقعية الحسية وممارسة التحليل.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الخامس^(١) . وما زال يبذل الجهد بعد الجهد ليقدم لنا هذه الروائع الفلسفية يثري بها المكتبة الفلسفية العربية أمدّه الله بالصحة والعافية لنظل تنعم بثمار علمه ..

كما أود أن أشكر الأخ والصديق الأستاذ الدكتور جابر عصفور صاحب الأفكار الرائدة وعلى رأسها المشروع القومي للترجمة الذي بلغ الألفية الأولى من عمره المديد، داعين لصاحب المشروع بالصحة والعافية ومشروعه بالتقدم والازدهار .
والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد،

الهرم في يونيو ٢٠٠٧

إمام عبد الفتاح إمام

(١) صدر عام ٢٠٠٣ رقم ٤٥٥ من المشروع القومي للترجمة، كما ترجم أيضاً مجلدين مهمين في الفلسفة السياسية: «تاريخ الفلسفة السياسية» لشتراوس المجلد الأول ٢٠٠٥ رقم ٨٠٩ والمجلد الثاني رقم ٨١٠ .

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

حيث إنه نظرية للمعرفة، فإننا نستطيع أن ننظر إليه في بعض النواحي على أنه مدّ التراث التجريبي إلى القرن العشرين، حتى لو أثره بأساليب جديدة من التحليل المنطقي. ومع ذلك، افترض فتجنشتين، بوضوح، تصوراً ثورياً عن الطبيعة، ووظيفة الفلسفة وميدانها. وهناك، بالتأكيد، فرق مهم بين الأفكار التي عرضها فتجنشتين في كتابه «رسالة» عن اللغة، وتلك الأفكار التي عرضها في كتابه «بحوث فلسفية»، لكن تصور الفلسفة لم يكن، في كلتا الحالتين، تصوراً تقليدياً. ولما كانت حدود الكتاب تستبعد إمكان ملاءمة المعالجة المتبحرة للتركيز على اللغة التي ترتبط باسم فتجنشتين، فقد قررت أن أحصر مناقشتي للموضوع في ملاحظات مختصرة في ملحق. ومع ذلك، يجب ألا تُفسر الواقعة بأنها حكم من أحكام القيمة إما على فلسفة رسل أو فلسفة فتجنشتين. فأنا أقصد، أن الواقعة التي تذهب إلى أنني خصصت ثلاثة فصول لرسل لا تعني أن فكره، هو ببساطة، من وجهة نظري، من مخلفات القرن التاسع عشر. ولا تعني الواقعة التي تذهب إلى أنني أنزلت فتجنشتين إلى مرتبة الخاتمة أو الملحق، ما عدا بعض الإشارات في الفصول المخصصة لرسل، أنني فشلت في تقدير أصالته وأهميته. ولكن كل ما في الأمر هو أننا لا نستطيع أن نقدم معالجة متبحرة لأفكار هذين الفيلسوفين.

وقد تكون أيضاً كلمة من كلمات التفسير ملائمة بالنسبة لمعالجتي لـ «كردينال نيومان». وسوف يتضح لأي قارئ فطن أنني استخدمت في تمييز تيارات التفكير في القرن التاسع عشر ألقاباً تقليدية مثل «مذهب تجريبي»، و«مذهب مثالي»... إلخ، لا يمكن أن ينطبق واحد منها على نيومان بصورة ملائمة. بيد أن استيعاده تماماً، بسبب صعوبة تصنيفه، هو خُلف واستحالة، لاسيما وأنني ذكرتُ عدداً كبيراً من مفكرين أقل تميزاً. ولذلك، قررت أن أقدم بعض الملاحظات القليلة عن بعض أفكاره الفلسفية في ملحق. وأنا على وعي تام، بالطبع، بأن ذلك لن يرضى المتحمسين لنيومان، غير أن الكاتب لا يستطيع أن يتكفل بإرضاء الجميع.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الجامعات، إذ إن هيوم نفسه لم يشغل على الإطلاق كرسيًا أكاديميًا، على الرغم من أن ذلك لا يرجع، والحق يقال، إلى تقصير من جانبه. وواصل المذهب التجريبي حياته، على الرغم من هجوم ريد وأنصاره، مع إن ممثليه الرواد لم يكونوا أساتذة أو محاضرين في الجامعة .

وقد يُقال إن المرحلة الأولى من المذهب التجريبي في القرن التاسع عشر، الذي عُرف بالحركة النفعية، نشأ مع «بنتام». لكن على الرغم من أننا نميل، بصورة طبيعية، إلى تصويره على أنه فيلسوف الجزء الأول من القرن التاسع عشر من حيث إن تأثيره كان ملموسًا، فإنه ولد عام ١٧٤٨، أى قبل وفاة هيوم بثمان وعشرين سنة. ونُشرت بعض أعماله في الحقب الثلاث الأخيرة من القرن الثامن عشر. ولذلك، لا داعى للدهشة إذا وجدنا أن هناك عنصرًا بارزًا من الاتصال بين المذهب التجريبي في القرن الثامن عشر، والمذهب التجريبي في القرن التاسع عشر. فمنهج التحليل الردي، مثلاً، أعنى الردي أى رد الكل إلى أجزائه، أو رد المركب إلى عناصره الأولى أو البسيطة، الذي مارسه هيوم، استمر عن طريق بنتام. وتضمن ذلك، كما يمكن أن نرى في فلسفة «جيمس مل»، تحليلًا ظاهريًا للنفس. وكان هناك استخدام لسيكولوجيا التداعى في بناء الحياة الذهنية من جديد من عناصرها البسيطة المفترضة، وقد طورها «ديفيد هارتلى»^(١)، مثلاً، في القرن الثامن عشر، الذي لم يتحدث عن استعمال هيوم لمبادئ التداعى، كما عبّر «بنتام» في الفصل الأول من كتابه «شذرة عن الحكومة» تعبيراً واضحاً عن إدانته لهيوم بسبب الضوء الذي انقض على ذهنه عندما رأى كيف هدم هيوم في كتابه «رسالة في الطبيعة البشرية» الفضيلة التى تقوم على المنفعة. كما أن بنتام تأثر أيضاً، بالتأكيد، بفكر عصر التنوير الفرنسى، وبصفة خاصة بفكر هلفيتيوس^(٢).

See Vol. V. of this History, pp. 191-3. (١)

See Vol. VI of this History, pp. 35-8. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

المتوسطة إلى أهمية التراث وأصحاب المصالح المكتسبة الذين يُطلق عليهم الآن، في الغالب، اسم المؤسسة الحاكمة Establishment. لقد أدت أعمال الشطط والطغيان التي ارتبطت بالثورة الفرنسية إلى رد فعل قوى في إنجلترا وجد تعبيراً ملحوظاً في تأملات إيدموند بيرك (1729-1797) (*) بتأكيدها الحراك الاجتماعي والتراث. غير أن حركة الإصلاح الراديكالي أصبحت بعد الحروب النابليونية أكثر قدرة، بسهولة، على أن تجعل تأثيرها أمراً ملموساً. وكان للمذهب النفعي أهمية تاريخية لا يمكن إنكارها في هذه الحركة. وإذا نظرنا إليه على أنه فلسفة أخلاقية، فإنه يكون بسيطاً للغاية، ويستهن باستخفاف بمسائل صعبة ومربكة. بيد أن طابعه البسيط للغاية، مع وضوح لأول وهلة على الأقل، يسهل استخدامه كوسيلة لكي يضمن إصلاحات عملية في الميدان السياسي والاجتماعي.

لقد مرت الفلسفة الاجتماعية في بريطانيا العظمى إبان القرن التاسع عشر بأطوار عديدة متتابة. أولها، كان هناك المذهب الراديكالي الفلسفي الذي ارتبط باسم بنتام، وعبر عنه في الحقب الأخيرة من القرن الثامن عشر. وثانيها، كان هناك مذهب بنتام الذي عدّله «جون ستيوارت مل» وأضاف إليه، وطوره، وثالثها، كانت هناك الفلسفة السياسية المثالية التي نشأت في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. ويشمل لفظ «مذهب المنفعة» الطورين الأولين، لكن لا يشمل، بالطبع، الطور الثالث. لقد كان مذهب المنفعة فردياً في الرؤية، حتى على الرغم من أنه كان يهدف إلى رفاهية المجتمع، في حين أن فكرة الدولة بوصفها كلاً عضوياً احتلت مركز الصدارة في النظرية السياسية المثالية تحت تأثير الفكر اليوناني والألماني.

وسأخصص هذا الفصل والفصول التالية لتفسير تطور المذهب النفعي ابتداءً من «بنتام» حتى «جون ستيوارت مل» بصورة شاملة. وسناقش نظريات

(*) إيدموند بيرك، سياسي بريطاني، كان زعيماً للمعارضة في البرلمان، وعُرف بعدائه للثورة الفرنسية. وقد هاجمها في كتابه «تأملات في الثورة الفرنسية» (المترجم).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولقد كانت هناك عناصر نفعية فى فلسفة هيوم، الذى أعلن، مثلاً، أن «المنفعة العامة هى الأصل الوحيد للعدالة»^(١). وكان «هلفتيوس»، الذى أثر، كما ذكرنا من قبل، فى «بنتام» بقوة، رائداً فى النظرية الأخلاقية النفعية، وفى تطبيقها على إصلاح المجتمع. ويمعنى آخر، لم يخترع بنتام مبدأ المنفعة: فما قام به هو أنه عرضها وطبقها بوضوح وبصورة كلية من حيث إنها المبدأ الأساسى للأخلاق والتشريع.

لقد اهتم «بنتام» فى البداية، بصورة أساسية، بالإصلاح القانونى والجنايى. ولم تدخل التغييرات الراديكالية فى الدستور البريطانى فى خططه الأصلية. ولم يكن متحمساً للديمقراطية من حيث إنها كذلك. أعنى أنه لم يؤمن بحق الشعب المقدس فى أن يحكم أكثر من إيمانه بنظرية الحقوق الطبيعية بوجه عام، التى نظر إليها على أنها لغو فارغ. لكن بينما يبدو أنه اعتقد فى البداية أن الحكام والمشرعين يبحثون، بالفعل، عن الصالح العام، مع أنهم قد يخطئون وسيئون فهم الوسائل الصحيحة لبلوغ هذه الغاية، فإنه أصبح فى النهاية مقتنعاً بأن المصلحة الذاتية تهيمن على الطبقة الحكومة. ولاشك أن عدم الاهتمام بخططه فى الإصلاح القانونى، والجنايى، والاقتصادى، ومعارضتها ساعدها على أن يصل إلى هذه النتيجة. ولذلك شرع فى الدفاع عن الإصلاح السياسى من حيث إنه مطلب ضرورى لتغييرات أخرى. واقترح فى نهاية الأمر إلغاء النظام الملكى ومجلس اللوردات، وإبعاد كنيسة إنجلترا عن شئون السياسة، وإدخال حق التصويت العام والبرلمانات السنوية. وقد يسرت واقعة تذهب إلى أنه لم يكن لديه توفير للتقاليد واحترامها من حيث هى كذلك، نقول يسر ذلك مذهبه الراديكالى السياسى. لكنه لم يشارك فى وجهة نظر «بيرك» عن الدستور البريطانى، وكان موقفه يشبه إلى حد كبير موقف فلاسفة التنوير الفرنسيين^(٢)، فى صجرهم من التراث، واعتقادهم أن كل شىء سيكون أفضل إذا ساد العقل فقط. غير أن لجوءه على

(١) An Enquiry Concerning the Principles of Morals, 3, 1, 145.

(٢) لقد أشرنا من قبل إلى تأثير كتابات هلفتيوس فى تفكير بنتام. وقد نضيف أنه اتفق مع دالمبير (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فى تأليفه كتابه «نظرية الثواب والعقاب» (١٨١١). أما كتاب «بنتام» فلم يُنشر فى نصه الإنجليزى لأول مرة إلا فى نشرة «بورنج» Bowring لأعماله (١٨٣٨-١٨٤٣).

ظهر كتاب «بنتام» «دفاع عن الربا» عام ١٧٨٧، وظهر كتابه «مقدمة لمبادئ الأخلاق والتشريع» عام ١٨٧٩^(١). وكان يهدف من هذا الكتاب أن يكون إعداداً وخطة لعدد من أبحاث أخرى. ولذلك يقابل كتابه «مقال عن أساليب السياسة» قسمًا فى هذا التخطيط. لكن على الرغم من أن جزءًا من هذا المقال أُرسِل إلى «الأب موريليه» Abbé Morellet عام ١٧٨٩، فإن العمل نُشر لأول مرة عن طريق «ديمون» عام ١٨١٦^(٢)، الذى نشر أيضاً بحثه «مغالطات فوضوية» الذى كتبه بنتام عام ١٧٩١ تقريباً.

نشر «بنتام» مشروعه للسجن النموذجى عام ١٧٩١، الذى أسماه السجن المرئى "Panopticon"^(٣). واتصل بالجمعية الفرنسية الوطنية أملاً أن تقيم هذا المشروع تحت رعايتها، وعرض خدماته المجانية كمشرف. لكن على الرغم من أن «بنتام» كان أحد الأجانب الذين منحتهم الجمعية لقب مواطن عام ١٧٩٢، فإنها لم تأخذ بمشروعه^(٤). وقام بمحاولات مماثلة لحث الحكومة البريطانية على تنفيذ مشروع السجن النموذجى ووعدته خيراً فى بداية الأمر. غير أن هذه المحاولات فشلت فى نهاية الأمر، وذلك - جزئياً على الأقل كما أراد بنتام أن يعتقد - بسبب مكائد الملك جورج الثالث. ومع ذلك، خصص البرلمان عام ١٨١٣، للفيلسوف مبلغاً كبيراً من المال تعويضاً له عن نفقاته على مشروعه عن «السجن المرئى Panopticon».

(١) طُبِعَ هذا العمل عام ١٧٨٨ (المؤلف).

(٢) ظهر جانب من هذا النص باللغة الإنجليزية عام ١٧٩١. (المؤلف)

(٣) «السجن المرئى» وهو سجن خاص أو إصلاحية تمَّ إعداده بطريقة خاصة يستطيع المراقب عن طريقها أن يرى كل سجين فى زنزانته دون أن يرى هو نفسه. (المراجع)

(٤) من الواضح أن المساجين الذين كانوا فى زمن بنتام ليسوا على الإطلاق من نوع المساجين الذين كانوا ضحايا فيما بعد للإرهاب فى عهد اليعاقة. لقد تحول إلى الجمعية الفرنسية الجديدة أملاً أن يكون عهد العقل الواضح قد بدأ أخيراً وأن تكون الفلسفة قد أثبتت وجودها. (المؤلف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ظهرت عام ١٨١٦، بينما نشر «جيمس مل» فى عام ١٨١٧ طبعته لكتاب بنتام «جدول بمصادر الأفعال»^(١)، الذى أهتم بتحليل الآلام والذات من حيث إنها مصادر للفعل. ونشر «برونج» كتاب بنتام «الواجب أو علم الأخلاق» غُفلاً عام ١٨٢٤ فى مجلدين؛ جُمع المجلد الثانى من مذكرات. وثمة إشارة قمنا بها من قبل إلى طبعة «برونج» لأعمال بنتام^(٢). ولا نجد مع ذلك طبعة كاملة ونقدية لكتابات الفيلسوف.

توفى «بنتام» فى السادس من يونيو عام ١٨٣٢، تاركاً وصايا وهى تشريح جثته لصالح العلم. وقد حُفظت فى كلية الجامعة بلندن. وقد أنشئت هذه الكلية عام ١٨٢٨، نتيجة ضغط من مجموعة من الناس كان بنتام واحداً منهم. وكان الهدف أن توسع فوائد التعليم العالى لأولئك الذين لم تتح لهم فرصة دخول الجامعتين الموجودتين (وهما جامعتا كمبريدج واكسفورد). وفضلاً عن ذلك، يجب ألا تكون هناك اختبارات دينية، كما كان فى جامعتي اكسفورد وكمبريدج.

٣- يرتكز مذهب بنتام على أساس مذهب اللذة السيكلوجى؛ أعنى النظرية التى تقول إن كل موجود بشرى يبحث بطبيعته عن تحصيل اللذة وتجنب الألم. وهذا المذهب ليس، بالطبع، مذهباً جديداً. فقد طرحه فى العالم القديم «أبيقور» بصفة خاصة، بينما دافع عنه فى القرن الثامن عشر كل من «هلفيتيوس» فى فرنسا، و«تيكر» فى إنجلترا^(٣).

(١) كُتب العمل فى فترة مبكرة نسبياً (المؤلف).

(٢) أدرج «برونج» فى الأعمال عدداً من الشذرات، لبعضها أهمية فلسفية. ولذلك يعيز بنتام فى الشذرة التى تأخذ عنوان «الأنطولوجيا» بين كيانات حقيقية وكيانات وهمية. الكيانات الوهمية، التى يجب ألا تقارن بكيانات خرافية، أى نتائج اللعب الحر للخيال، هى إبداعات لمقتضيات اللغة. فنحن، مثلاً، نحتاج إلى استخدام لفظ «العلاقة» حتى نستطيع أن نتحدث عن العلاقات. لكن على الرغم من أن الأشياء يمكن أن ترتبط، فإنه لا وجود لكيانات منفصلة تُسمى «بالعلاقات». وإذا سلمنا بهذه الكيانات عن طريق تأثير اللغة، فإنها تكون وهمية (المؤلف).

(٣) For Tucker see vol. v of this History. pp 193 - 94.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يبينا ما ينبغي علينا أن نفعله، كما ينبغي أن يحدد ما نفعله، فمقياس الصواب والخطأ، من ناحية، وسلسلة العلل والمعلولات، من ناحية أخرى، تثبت عرشهما^(١). ولذلك، إذا افترضنا أن اللذة، والسعادة، والخير، ألفاظ مترادفة، وأن الألم، والتعاسة والشر ألفاظ مترادفة أيضاً، فإن السؤال يثار مباشرة عما إذا كان هناك معنى لأن نقول إنه ينبغي علينا أن نسعى إلى ما هو خير، ونتجنب ما هو شر، إذا كانت هناك في الواقع حقيقة سيكولوجية تقول إننا نسعى باستمرار نحو الخير، ونحاول أن نتجنب الشر.

ولكى نتمكن من الإجابة عن هذا السؤال على نحو إيجابي، فإنه يتحتم علينا أن نفترض افتراضين: أولهما: عندما يقال إن الإنسان يبحث عن لذته، فإن ذلك يعنى أنه يبحث عن أكبر قدر من لذته، أو الكمية الممكنة الكبرى منها. وثانيهما: أن الإنسان لا يقوم بتلك الأفعال التي توصل في حقيقة الأمر، إلى هذه الغاية^(٢). فإذا افترضنا هذين الفرضين، وتجاوزنا عن الصعوبات التي تلازم أى أخلاق للذة، فإننا نستطيع أن نقول إن الأفعال الصواب هي تلك الأفعال التي تميل إلى زيادة المجموع الكلى للذة، في حين أن الأفعال الخاطئة هي تلك الأفعال التي تميل إلى تقليلها، وأنه ينبغي علينا أن نفعل ما هو صواب، ولا نفعل ما هو خطأ^(٣).

وهكذا نصل إلى مبدأ المنفعة، الذي يُسمى أيضاً مبدأ أعظم قدر من السعادة. ويحدد ذلك أعظم قدر من سعادة لكل أولئك الذين تكون مصلحتهم موضع اهتمام،

(١) Introduction, ch. 1, sect. 1.

(٢) قد يتجاهل الإنسان، مثلاً، تحت جاذبية لذة مباشرة واقعة تقول إن مجرى الفعل الذي يسبب هذه اللذة يؤدي إلى مجموع كلى من الألم يفوق اللذة (المؤلف).

(٣) إذا شئنا أن نتحدث بدقة، فإننا نقول إن الفعل الذي يميل إلى إضافة المجموع الكلى للذة هو فعل «صواب» بالنسبة لبتنام، بمعنى الفعل الذي ينبغي علينا أن نقوم به، أو على أية حال، الفعل الذي لا نكون مجبرين على أن لا نقوم به، أعنى، الفعل «الخاطئ». وقد لا يكون الأمر باستمرار أن إضافة إلى مجموع اللذة لا يمكن أن توجد إلا عن طريق فعلنا هذا والآن. ولذلك قد لا نكون مجبراً على أن أفعل، على الرغم من أنى إذا فعلت، فإن الفعل لا يكون خطأ بالتأكيد. (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن الفعل الذي يجب أن يؤدي هو الفعل الذي يوصل أعظم قدر ممكن من السعادة أو اللذة لأية جماعة تكون مصلحتها موضع اهتمامنا. وبمعنى آخر، إن مذهب المنفعة وحده هو الذي يستطيع أن يزود بمعيار موضوعي للصواب والخطأ^(١). ولبيان أن الأمر كذلك، لابد من تقديم البرهان الوحيد على مبدأ المنفعة المطلوبة.

ونستطيع أن نلاحظ، عابرين، أنه على الرغم من أن مذهب اللذة لا يمثل سوى عنصر واحد في نظرية لوك الأخلاقية^(٢)، فإنه قرر بوضوح أن «الأشياء لا تكون، بالتالي، خيراً أو شراً إلا في الإشارة إلى اللذة أو الألم. فما نسميه بالخير هو الذي يكون خليقاً بأن يسبب أو يزيد اللذة، أو الألم فينا... وعلى العكس ما نسميه بالشر هو الذي يكون خليقاً بأن يزيد أي ألم أو يقلل أية لذة فينا...»^(٣). إن الخاصية التي يسميها لوك هنا «بالخير»، يصفها بنتام بأنها «منفعة». لأن «المنفعة هي خاصية موجودة في أي موضوع، يميل بها إلى إنتاج منفعة، لذة، خير، أو سعادة، أو... منع حدوث ضرر، ألم، شر، أو تعاسة الجماعة التي تكون مصلحتها موضع اهتمام»^(٤).

وبالتالي، إذا كانت الأفعال صواباً من حيث إنها تميل إلى زيادة المجموع الكلي للذة الجماعة التي تكون مصلحتها موضع اهتمامها، أو تقليل المجموع الكلي لألمها،

(١) يصير بنتام على أن صواب الأفعال أو خطأها يتوقف على معيار موضوعي، ولا يتوقف، ببساطة، على التباث الذي أنجزته هذه الأفعال. إن «الباعث» و«القصد» يختلطان في الغالب، على الرغم من أنه ينبغي التمييز بينهما بدقة كما يرى بنتام. فإذا فهمنا «الباعث» على أنه ميل إلى الفعل عند تأمل لذة، أو علة لذة، بوصفها نتيجة فعل شخص ما، فلن يكون هناك معنى للحديث عن باعث سيء، لكن معيار الصواب والخطأ هو، على أية حال، معيار موضوعي أساساً، وليس معياراً ذاتياً (المؤلف).

see. vol. vof this History, pp. 123 - 7. (٢)

Essay, Bk. 2, ch. 20, sect. 2. (٣)

Introduction, ch. 1, sect. 3. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لقد قيل أحياناً إن حساب «بنتام» ليس له فائدة، ويمكن للمرء أن يستبعده تماماً بينما يبقى على نظريته الأخلاقية العامة. لكن يبدو لى أننا نحتاج إلى بعض التمييزات. فإذا اختار المرء أن ينظر إلى هذه النظرية على أنها لا تعبر أكثر من تحليل لمعنى ألفاظ أخلاقية معينة، فسيكون من الممكن، بلاشك، أن يثبت أن التحليل صحيح، ويغفل فى الوقت نفسه حساب اللذة. لكن إذا نظر المرء إلى نظرية بنتام الأخلاقية كما نظر إليها هو: أعنى ليس بوصفها، ببساطة، تحليلاً، وإنما بوصفها موجهاً للفعل أيضاً، فإن الأمر سيكون مختلفاً إلى حد ما. إننا نستطيع، بالفعل، أن نثبت، وبحق، أنه لا يمكن أن نقوم بإحصاء رياضى دقيق للآلام واللذات. فواضح إلى حد ما، أن الإنسان لا يستطيع، مثلاً، فى حالات كثيرة أن يقوم بإحصاء رياضى دقيق لكميات اللذة الخاصة التى تنتج من المسارات البديلة لفعل ما. وإذا كانت الجماعة هى التى تكون مصلحتها موضع اهتمامنا، فكيف نحصى المجموع الكلى المحتمل للذة عندما تكون واقعة رديئة تقول إنه فى حالات كثيرة ما يكون لاداً بالنسبة لشخص لا يكون كذلك بالنسبة لشخص آخر؟ وإذا سلّمنا، فى نفس الوقت، كما سلّم بنتام، باختلافات كمية فقط بين اللذات، وإذا نظرنا إلى أخلاق اللذة على أنها تقدم قاعدة عملية للسلوك، فإننا نحتاج إلى نوع ما من الإحصاء، حتى إن لم يكن دقيقاً. والناس يقومون، أحياناً، فى حقيقة الأمر بهذه الإحصاءات الجافة. ولذلك قد يسأل شخص ما نفسه عما إذا كانت هناك، بالفعل، قيمة عندما يتعقب مجرى معيناً لفعل لأن قد يتضمن نتائج مؤلمة معينة. وإذا لم يأخذ هذا السؤال مأخذ جد، فإنه يستخدم قاعدة من قواعد إحصاء بنتام. والسؤال عن علاقة هذا النوع من الاستدلال الذى يتصل بالأخلاق هو سؤال آخر. وهو يخرج عن الموضوع فى هذا السياق. لأن الافتراض هو أن مذهب بنتام الأخلاقى العام مقبول.

إن مجال الفعل الإنسانى أكثر اتساعاً، بصورة واضحة، من تشريع الحكومة وأفعالها. ومصلحة الفاعل الفرد من حيث هو كذلك هى التى تكون فى بعض الحالات موضع الاهتمام. ولذلك يمكن أن تكون لدى واجبات نحو نفسى. لكن إذا كان مجال

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وبطريقة لا يقللون بها سعادة الأفراد الآخرين، وهكذا يقل المجموع الكلى للسعادة فى المجتمع. ويكون واضحاً فى حقيقة الأمر، أن تحدث صراعات المصالح. ولذلك تكون هناك حاجة إلى انسجام المصالح من أجل تحقيق الصالح العام. وتلك هى وظيفة الحكومة والتشريع^(١).

لقد قيل، أحياناً، إن أى انسجام كهذا للمصالح يفترض إمكان العمل الفيرى من أجل تحقيق الصالح العام، وأن بنتام يقوم بالتالى بانتقال مفاجئ وغير مضمون من الباحث الأثنائى عن اللذة إلى الفيرى ذى الروح العامة. بيد أننا نحتاج إلى بعض التمييزات. فبنتام لا يفترض، من جهة، أن كل الناس غيريون أو أثنائيون بطبيعتهم بالضرورة بالمعنى الذى يفهم به هذان اللفطان بوجه عام. لأنه يعرف ميولاً اجتماعية كما يعرف مضاداتها. ولذلك يدرج فى قائمته الخاصة بالذات لذات الأريحية بين الذات التى يطلق عليها اسم الذات البسيطة، ويصفها (أى لذات الأريحية) بأنها «لذات تنتج من النظر إلى أية لذات نفترض أن الموجودات التى قد تكون موضوعات للأريحية تمتلكها؛ أعنى الموجودات الحساسة التى نعرفها»^(٢). كما أنه، من جهة ثانية، على الرغم من أن مذهب بنتام يفترض، بلاشك، أن الشخص الذى يأخذ لذة برهاناً على لذة شخص آخر يفعل ذلك أساساً لأنها لادة بالنسبة له؛ أى أنها تثير مبادئ سيكولوجيا التداعى لكى تفسر كيف يستطيع شخص ما أن يبحث عن خير الآخرين دون أى التفات إلى خيره الخاص»^(٣).

(١) كان بنتام وأنصاره مقتنعين، بالفعل، بأن التخلص من القيود القانونية فى مجال السوق الاقتصادى، وإدخال التجارة الحرة والمنافسة سيؤدى لا محالة، على المدى البعيد، إلى تحقيق أعظم سعادة للمجتمع. غير أننا سنقوم بإشارة إضافية إلى الاقتصاد عند بنتام فى القسم الأخير من هذا الفصل (المؤلف).

Introduction. ch. 5, sect. 10. (٢)

تشمل «الموجودات الحساسة» الحيوانات (المؤلف).

(٣) سنعالج هذا الموضوع عندما نتعرض لجيمس مل (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كبيراً لموضوع علم العقوبات، وتوقيع الجزاءات القانونية بسبب تقليل السعادة العامة أو الخير العام عن طريق التعدى على القوانين التى ينبغى أن تُسن من أجل منع الأفعال التى لا تطابق سعادة أعضاء المجتمع بوجه عام. إن الغرض الأساسى من العقاب، فى رأى بنتام، هو الردع، وليس الإصلاح. إذ إن إصلاح المجرمين ليس إلا هدفاً مساعداً فقط.

إن ملاحظات بنتام على قضايا عينية ملموسة كثيراً ما تكون معقولة، تماماً. وموقفه العام من الجزاءات القانونية مثال يؤيد ما نقوله. فكما لاحظنا توأ، الهدف الأساسى من العقاب هو الردع. بيد أن العقاب يتضمن إنزال الألم، أى تقليل اللذة بطريقة أو أخرى. ولأن كل ألم شر، فإنه ينجم عن ذلك أن كل «عقاب هو شرفى ذاته»^(١). والنتيجة التى يمكن أن نستنتجها هى أنه يجب على المشرع ألا يلحق بالتعدى على القانون جزاء جنائياً يفوق ما هو مطلوب بدقة لبلوغ الأثر المرغوب، صحيح أنه يمكن الشك فى أنه إذا كان الهدف الأساسى من العقاب هو الردع، فإن العقوبات الأكثر وحشية ستكون أكثر فاعلية. لكن إذا كان العقاب شراً فى ذاته، حتى ولو كان شراً ضرورياً فى الظروف الملموسة لحياة إنسانية فى مجتمع، فإن السؤال الذى له صلة بموضوعنا هو: ما القدر الأدنى للعقاب الذى يحدثه رادع ما؟ وعلاوة على ذلك، لا بد أن يضع المشرع فى اعتباره الرأى العام، مع أن ذلك عامل متغير بالفعل. لأنه كلما نظر الناس إلى جزاء قانونى ما على أنه مغالى فيه بإفراط أو غير ملائم، مالوا إلى عدم التعاون فى تنفيذ القانون^(٢). وفى هذه الحالة يقل الأثر الرادع، على ما اعتقد،

Introduction, ch. 13, sect. 2. (١)

(٢) لم يكن مجهولاً، بالتأكيد، للمطالع أنذاك رفض الحكم بثبوت الذنب حتى عندما كانوا على وعى تام بأن المتهم مذنب. وفضلاً عن ذلك، كانت عقوبة الإعدام تُستبدل بحكم أخف منها باستمرار. عندما يتم توقيعها على ما ننظر إليه الآن على أنه، نسبياً، جرائم خفيفة، وحتى على الأطفال. وبمعنى آخر هناك إفلاس كبير بين حالة القانون الفعلية ورأى مبنى على الخيرة فيما ينبغى فعله (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

حلها^(١). وبمعنى آخر، حمد مل لبنتام استخدامه الدقيق لتحليل ردئ، ونظر إليه، لهذا السبب، على أنه مُصلح فى الفلسفة.

لقد كان مل محققاً تماماً، بالتأكيد، بالنسبة لهذه الواقعة: فلقد رأينا، مثلاً، كيف طبق بنتام نوعاً من التحليل الكمى فى الأخلاق، وطبقه لأنه اعتقد أنه المنهج العلمى الوحيد الملائم. إنه المنهج الوحيد الذى يمكننا من تقديم معان واضحة لألفاظ مثل «الصواب» و«الخطأ». كما أن ألفاظاً مثل «مجتمع» و«مصلحة عامة» هى تجريدات بالنسبة لبنتام، وتحتاج إلى تحليل إذا أردنا أن نعطي لها قيمة نقدية Cash-Value. وإذا تصورنا أنها تعنى كيانات خاصة تفوق العناصر التى يمكن أن تُحلل إليها، فلا بد أن تضللنا اللغة فى التسليم بكيانات وهمية.

لكن على الرغم من أنه لا يمكن أن يكون هناك، بوضوح، اعتراض قبلى على اختبار منهج التحليل الردئ، فإنه جلى أيضاً أن بنتام مرُّ مرور الكرام على الصعوبات وعالج ما هو مركب كما لو كان بسيطاً. فمن المسلم به أنه يصعب، مثلاً، تقديم تفسير واضح لما عساه أن يكون الخير العام، إذا لم نرده إلى ألوان الخير الخاصة لأعضاء المجتمع الفرادى. بيد أنه يصعب أيضاً أن نفترض أن قولاً صحيحاً عن الخير العام يمكن رده باستمرار إلى أقوال صحيحة عن ألوان الخير الخاصة لأفراد. إننا لا نستطيع أن نسلّم، بصورة مشروعة، أن رداً كهذا أو نقلاً ممكن. إن إمكانه ينبغى أن يؤسس عن طريق تقديم أمثلة فعلية، كما يقول الأسكولانيون.

بيد أن بنتام يميل إلى أن يسلّم بالإمكان، ويستنتج دون انزعاج بأن هؤلاء الذين يعتقدون خلاف ذلك يقعون ضحايا لما يسميه «فتجنشتين» فيما بعد سحر اللغة. وبمعنى آخر، حتى إذا كان بنتام على حق فى تطبيقه التحليل الردئ، فإنه لم ينتبه بصورة

(١). Dissertations and Discussions, 1, pp. 339 - 40 (and edition, 1867).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وجلب له ذلك وظيفة فى شركة الهند الشرقية عام ١٨١٩، وقد خلصه النجاح فيما بعد، مع زيادة فى المرتب، من متاعب مالية.

قابل «مل» بنتام عام ١٨٠٨ وأصبح تلميذاً حميماً له. وأصبحت الكنيسة المشيخية المزعومة فى هذا الوقت لا أدريّة. كتب «مل» بضع سنوات «لمجلة أدنبرة Edinburgh Review»، لكنه كان راديكالياً حتى إنه لم يكسب ثقة المحررين الفعلية. فى عام ١٨١٦ - ١٨٢٣ كتب سلسلة من مقالات سياسية للحق دائرة المعارف البريطانية تبين وجهات نظر جماعة النفعيين^(١) وفى عام ١٨٢١ نشر كتابه «مبادئ الاقتصاد السياسى»، ونشر فى عام ١٨٢٩ كتابه «تحليل ظاهرة ذهن البشرى». وساهم بين هذين التاريخين، فترة ما، فى «مجلة وستمنستر» "Westminster Review"، التى أسست عام ١٨٢٤ كمجلة للراديكاليين.

توفى «جيمس مل» فى الثالث والعشرين من يونيو عام ١٨٣٦، بطلاً للمذهب النفعى حتى النهاية. ربما لم يكن، بصفة خاصة، علماً جذاباً. ولما كان رجلاً ذا عقل نشط، مع إنه لم يكن متسامحاً إلى حد ما، فإنه كان متحفظاً إلى حد كبير، ومجرداً، من الناحية الظاهرية، من أية حساسية شعرية، مع إنه لم يستخدم الانفعالات الحادة والعاطفة إلا قليلاً. وقد لاحظ ابنه أنه على الرغم من أنه تمسك بنظرية الأبيقوريين الأخلاقية (أى مذهب اللذة عند بنتام)، فإنه كان من الناحية الشخصية، رواقياً وربط الخصائص الرواقية بإغفال كلى للذة. غير أنه كان، بالتأكيد، رجلاً جاداً ومخلصاً إلى حد كبير، وكرس نفسه لنشر وجهات النظر التى اعتقد أنها صادقة.

ونجد عند «جيمس مل»، وعند بنتام، ربطاً لاقتصاد «دعه يعمل» بالحاجة المتكررة إلى الإصلاح السياسى. وطالما أن كل شخص يبحث بطبيعته عن مصلحته الخاصة،

(١) ضمت هذه الجماعة آخرين مثل: ديفيد ريكاردو الاقتصادى، و«ج. ر. ماك كولوش» J.R. McCulloch، و«ت. ر. مالتوس» T.R. Malthus الكاتب الشهير عن السكان، و«جون أوستن» J. Austin الذى طبق المبادئ النفعية على علم التشريع فى عمله «مجال علم التشريع المحدد» (١٨٣٢) (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أبحث، أصلاً، عن خير المجتمع إلا من حيث إنه وسيلة لخيرى الخاص، فإننى أستطيع، بالتالى، أن أبحث عن خير المجتمع دون أى التفات إلى لذتى الخاصة.

وإذا سلّمنا بوجهة النظر هذه، فربما يبدو غريباً أن «مل» انهمك فى كتابه «شذرة عن ماكنتوش»، الذى نُشر عام ١٨٣٥، بعد أن أوقف فترة ما، نقول انهمك فى هجوم شديد على «سير جيمس ماكنتوش» (١٧٦٥ - ١٨٣٢)، الذى كتب عن الأخلاق لدائرة المعارف البريطانية عام ١٨٢٩. لأن «ماكنتوش» لم يقبل مبدأ المنفعة فحسب، وإنما استخدم أيضاً سيكولوجيا التداعى فى تفسير تطور الأخلاق التى تأخذ السعادة العامة بوصفها غاية وهدفاً. غير أن سبب الهجوم واضح تماماً. فلو أن «ماكنتوش» قدّم نظرية أخلاقية تختلف عن نظرية بنتام وأنصاره، أى قدّم الأخلاق الكانطية على سبيل المثال، فمن المحتمل أن لا يغضب «مل». ولكن الحال هكذا، فإن جريمة «ماكنتوش» من وجهة نظر «مل» أنه أفسد مذهب بنتام عن طريق إضافة نظرية الحاسة الخلقية إليه، أى أنه استمد من «هاتشيسون» ومن المدرسة الاسكتلندية، إلى حد ما، نظرية رفضها بنتام بصورة حاسمة.

وعلى الرغم من أن «ماكنتوش» قبل المنفعة من حيث إنها معيار التمييز بين الأفعال الصواب والأفعال الخاطئة، فإنه أصر أيضاً على الطابع الخاص للعواطف الأخلاقية التى نختبرها فى تأمل هذه الأفعال، وبصفة خاصة، صفات الفاعلين من حيث إنها تتجلى فى هذه الأفعال. وإذا جمعنا هذه العواطف معاً من حيث إنها تكون الحاسة الخلقية، فإننا نستطيع أن نقول إنها تماثل الإحساس بالجمال. حقاً، إن صفات الإنسان الفاضل مفيدة، بالفعل، فى أنها تساهم فى الخير العام أو السعادة العامة. غير أن المرء يستطيع أن يستحسنها تماماً ويعجب بها دون أية إشارة إلى منفعة أكثر من المنفعة التى يعجب بها عندما يقدر صورة جميلة^(١).

(١) على نحو مشابه لا تتضمن العواطف التى نشعر بها فى تأمل صفات شخص سيئ، غير مرغوب فيها أية إشارة إلى نقص المنفعة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يفترض سلفاً استخداماً عاماً لمنهج التحليل الرديّ الذي يميز المذهب التجريبي الكلاسيكي، بصفة خاصة في فكر هيوم، ومارسه بنتام بصورة منظمة، ولذلك، حاول «مل» في كتابه «تحليل ظواهر ذهن البشري» أن يرد حياة الإنسان الذهنية إلى عناصرها الأساسية. وبوجه عام يتبع هيوم في التمييز بين الانطباعات والأفكار، والأفكار هي نسخ أو صور من الانطباعات، بيد أن مل يتحدث بالفعل عن إحساسات، ولا يتحدث عن انطباعات. ولذلك نستطيع أن نقول أيضاً إنه يتبع «كوندياك»^(١) في تصوير تطور الظواهر الذهنية بأنها عملية تحول الإحساسات. ومع ذلك، لابد أن نضيف أن «مل» يجمع الإحساسات والأفكار معاً تحت مصطلح «المشاعر». «لدينا مجموعتان من المشاعر: الأولى توجد عندما يكون موضوع الإحساس موجوداً، والثانية توجد بعد أن يختفى موضوع الإحساس. وأسمى المجموعة الأولى بالإحساسات، بينما أسمى المجموعة الثانية بالأفكار»^(٢).

وبعد أن رد «مل» ذهن إلى عناصره الأساسية، واجهته، بالتالي، مهمة بناء الظواهر الذهنية من جديد عن طريق مبادئ تدعى الأفكار. وقد عرف هيوم، كما يرى، ثلاثة مبادئ للتداعي؛ وهي الاتصال في الزمان، والعلية والتشابه. غير أن العلية يمكن، من وجهة نظر مل، أن تتوحد بالاتصال في الزمان، أي بنظام التتابع المنتظم. «إن العلية ليست سوى اسم للنظام الموجود بين سابق ولاحق، أي السبق الدائم للأول، وتتابع الثاني»^(٣).

يشمل عمل «مل» موضوعات مثل: التسمية، والتصنيف، والتجريد، والتذكر، والاعتقاد، والاستدلال، والإحساسات اللازمة والمؤلة، والإرادة والنوايا (المقاصد). ويشير

(١) See vol. v1 of this History, pp. 28 - 35.

(٢) Analysis, 1, p. 52.

(٣) Ibid, 1, p. 110.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويمكن وراء نظرية «دعه يعمل» هذه تأثير الفيزوقراطيين الفرنسيين، الذين أشرنا إليهم من قبل، على الرغم من أن العناصر مستمدة أيضاً، بالطبع، من كتاب إنجلين، لاسيما «أدم سميث»^(١). لكن المسألة ليست بوضوح، وببساطة، مسألة أخذ أفكار من كتاب سابقين. لأنه يمكن أن يقال إن اقتصاد «دعه يعمل» عكس احتياجات وطموحات النظام الرأسمالي والصناعي الواسع في هذا العصر. وبمعنى آخر، عكس مصالح الطبقة المتوسطة، سواء أكانت حقيقية أم مفترضة، التي اعتبرها «جيمس مل» العنصر الأكثر حكمة في المجتمع.

لقد وجدت النظرية التعبير الكلاسيكي عنها في كتابات «ديفيد ريكاردو» D. Ricardo (١٧٧٢ - ١٨٢٢)^(*)، بصفة خاصة في كتابه «مبادئ الاقتصاد السياسي»، الذي نُشر عام ١٨١٧. لقد نُقل عن بنتام أنه قال إن «جيمس مل» ابنه الروحي، وأن «ريكاردو» ابن جيمس مل الروحي. بيد أنه على الرغم من أن «ريكاردو» نشر كتابه «مبادئ الاقتصاد السياسي» نتيجة لتشجيع «مل»، فإن مل كان أكثر اعتماداً في نظريته الاقتصادية على ريكاردو من الطريق الآخر الملتف. وعلى أية حال، إن عمل «ريكاردو» هو الذي أصبح البيان الكلاسيكي لاقتصاد مل.

لقد كانت الخدمة الجليلة التي قام بها «ريكاردو»، من وجهة نظر تلميذه «ج. ر. ماك كلوش» (١٧٨٩ - ١٨٦٤) هي أنه صاغ بالتحديد نظرية علم القيمة. بمعنى أن قيمة السلع في سوق حرة تتحدد عن طريق كمية العمل المطلوب لإنتاجها. وبمعنى آخر، القيمة هي عمل مبلور.

وإذا كانت هذه النظرية صحيحة بالتالي، فإنه ينجم عن ذلك أن النقود التي نحصل عليها من بيع السلع تخص، في الحقيقة، أولئك الذين ينتج عملهم السلع التي

(١) See vol. v of this History, pp. 354 - 5.

(*) ديفيد ريكاردو (١٧٧٢ - ١٨٢٢)، عالم اقتصاد إنجليزي، مؤسس المدرسة الكلاسيكية في علم الاقتصاد، تأثر به مالتوس، ومل. من مؤلفاته «مبادئ الاقتصاد السياسي» و«فرض الضرائب» (المترجم).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن السعادة العامة تتحقق بأن يضمن كل فرد أكبر قدر ممكن من ثمار عمله الخاص، وأنه يجب على الحكومة أن تمنع القوى من أن يسرق الضعيف. بيد أن إيمان بنتام وأنصاره بقوانين اقتصادية معينة قيدت وجهة نظرهم عن إمكان فعل الدولة في الميدان الاقتصادي وإمكان الرغبة فيه.

ومع ذلك، فإنهم أحدثوا فجوات في الحائط التي أقاموها حول الميدان الاقتصادي عن طريق الإيمان بقوانين اقتصادية طبيعية. فاولاً، أثبت «مالتوس» أنه بينما تميل الأجور إلى أن تظل ثابتة، فإن الإيجارات تزداد مع زيادة خصوبة الأرض وإنتاجها. وتمثل هذه الأجور ربحاً بالنسبة للملاك الأرض مع إنهم لا يساهمون بشيء في الإنتاج. وبمعنى آخر، ملاك الأرض عالة على المجتمع. ولقد كان بنتام وأنصاره مقتنعين بأن قوتهم ستنهار. وثانياً، بينما اعتقد أولئك الذين تأثروا بتأملات «مالتوس» عن السكان بقوة، بأن الطريقة الوحيدة لزيادة الأرباح والأجور هي تقييد نمو السكان، وأن ذلك يتعذر تنفيذه، فإن الإقرار الخالص بالإمكان في مبدأ التدخل في توزيع الثروة يشجع بطريقة ما على استكشاف طرق أخرى لتحقيق هذا الهدف. ولقد وصل «جون ستيوارت مل» بالفعل، إلى تصور رقابة تشريعية، بصورة محدودة على الأقل، لتوزيع الثروة.

وبمعنى آخر، لو أن بنتام وأنصاره بدأوا بفصل الميدان الاقتصادي، الذي يهيمن فيه أسلوب «دعه يعمل»، عن الميدان السياسي، الذي نحتاج فيه إلى انسجام المصالح عن طريق تشريع، فإن الفجوة الموجودة في تطوير «جون ستيوارت مل» لمذهب المنفعة بين الميدان الاقتصادي والسياسي ستغلق. لقد أدخل «جون ستيوارت مل»، كما سترى حالاً، إلى الفلسفة النفعية عناصر لا تطابق مذهب بنتام الدقيق. لكن يبدو لي، على أية حال، أن «مل» عندما اقترح تدخل الدولة في المجال الاقتصادي من أجل تحقيق السعادة العامة، كان يطبق، ببساطة، مبدأ المنفعة بطريقة قد ينطبق فيها منذ البداية، إن لم يكن من أجل الإيمان باستقلال الميدان الاقتصادي، الذي تحكمه قوانينه الخاصة الصارمة.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فى عام ١٨٢٠ دُعى جون ستيوارت مل للإقامة فى جنوب فرنسا مع «صموئيل بنتام»، أختى جورج بنتام. ولم يدرس اللغة الفرنسية والأدب الفرنسى فقط أثناء إقامته فى الخارج، بل وواصل دراسة مقررات فى جامعة «مونتبلييه» فى الكيمياء، وعلم الحيوان، والمنطق، والرياضيات العليا، إلى جانب تعرفه على بعض الاقتصاديين والكتاب الليبراليين. وعندما عاد إلى انجلترا عام ١٨٢١ بدأ فى قراءة «كوندياك»، ودرس القانون الرومانى مع «جون أوستن» (١٧٩٠ - ١٨٥٩)، وأولى اهتماماً كبيراً بفلسفة بنتام. كما أنه مدَّ قراءته الفلسفية إلى كتابات مفكرين مثل: هلفتيوس، ولوك، وهيوم، وريد، ودوجالد ستيوارت. ودخل فى الجماعة النفعية عن طريق اتصال شخصى مع أناس مثل «جون أوستن»، وأخيه الأصغر «شارل». وأسس، بالفعل، فى شتاء عام ١٨٢٢ - ١٨٢٣ جماعة نفعية قليلة تخصصه هو، استمرت لمدة ثلاث سنوات ونصف تقريباً.

وحصل فى عام ١٨٢٢، عن طريق تأثير والده، على وظيفة فى شركة الهند الشرقية. وأصبح بعد ترقيات متتابعة رئيساً للمكتب عام ١٨٥٦ بمرتب كبير. ولم يحصل الأب أو الابن على وظيفة أكاديمية.

تتكون كتابات «مل» الأولى المطبوعة من بعض الخطابات التى نُشرت عام ١٨٢٢، التى دافع فيها عن هجوم ضد «ريكاردو» و«جيمس مل». وبعد تأسيس «مجلة وستمنستر» "Westminster Review" عام ١٨٢٤، أصبح يسهم فى هذه المجلة على نحو متكرر. وفى عام ١٨٢٥ تعهد بتحرير عمل بنتام «معقولية البيئة» فى خمسة مجلدات، وهو عمل شغل، كما يخبرنا، كل وقت فراغه تقريباً لمدة عام.

وليس هناك ما يدعو للدهشة أن عملاً مرهقاً ومطولاً، بلغ ذروته فى تحرير مسودات بنتام، يؤدى إلى ما يُسمى، عند أغلب الناس، إرهاقاً عصبيّاً فى عام ١٨٢٦. غير أن هذه المحنة الذهنية كان لها أهميتها الملحوظة عن طريق تأثيرها على وجهة نظر مل. ففى فترة اكتتابه، فقدت الفلسفة النفعية، التى تشربها عن طريق والده، سحرها بالنسبة له. والواقع أنه لم يهجرها؛ غير أنه وصل إلى نتيجتين. الأولى لا تتحقق

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فى عام ١٨٣٠ كتب مل خمس «مقالات عن بعض مسائل الاقتصاد السياسى النى لم تُحسم بعد»، على الرغم من أنها لم تُنشر حتى عام ١٨٤٤^(١). وفى عام ١٨٤٣ نشر كتابه الشهير «نسق المنطق»، الذى عمل فيه بضع سنوات. بالنسبة لجزء من العمل، وجد دافعاً فى كتاب «هول» Whewell «تاريخ العلوم الاستقرائية» (١٨٣٧)، وفى كتاب «سير جون هرشل» مقال عن دراسة الفلسفة الطبيعية» (١٨٣٠)، بينما وجد فى إعادة الكتابة الأخيرة للعمل مساعدة أخرى فى كتاب «هول» «فلسفة العلوم الاستقرائية» (١٨٤٠)، وفى المجلدات الأولى لكتاب «أوجست كونت» «دروس فى الفلسفة الوضعية»^(٢). بدأت مراسلاته مع الفيلسوف الوضعى الفرنسى الشهير، الذى لم يقابله أبدأ بالفعل، بدأت مراسلاته معه عام ١٨٤١. بيد أن هذه الصداقة عن طريق المراسلة فترت، بمرور الزمن، ثم توقفت. واستمر «مل» فى احترام كونت وتقديره، غير أنه وجد نفسه غير متعاطف تماماً مع أفكار هذا الفيلسوف الوضعى الأخيرة عن التنظيم الروحى للإنسانية.

فى عام ١٨٤٨ نشر «مل» كتابه «مبادئ الاقتصاد السياسى»^(٣). وفى عام ١٨٥١ تزوج «هاريت تيلر» التى كان على صلة صداقة حميمة بها منذ عام ١٨٣٠، وتوفى زوجها الأول عام ١٨٤٩. وفى عام ١٨٥٩، العام الذى تلا وفاة زوجته، نشر مقاله «عن الحرية»، ونشر فى عام ١٨٦١ مقاله «تأملات فى الحكومة النيابية»، ونشر فى عام ١٨٦٣ كتابه «مذهب المنفعة»^(٤). وظهر كتابه «دراسة لفلسفة سيروليم هاملتون»، والمجلد الصغير عن «أوجست كونت والمذهب الوضعى» عام ١٨٦٥.

(١) كُتب المقال الخامس من جديد، فى بعض منه، عام ١٨٣٣. (المؤلف)

(٢) نشر «أوجست كونت» (١٧٩٨ - ١٨٥٧) المجلد الأول من هذا العمل عام ١٨٣٠. (المؤلف)

(٣) Sub sequent edition appeared in 1849 and 1852. (٣)

(٤) ظهر هذا العمل القصير من قبل فى فصول فى «مجلة Fraser»، وقد ترجم إلى العربية مع كتاب الحرية وصدر بعنوان «أسس الليبرالية السياسية» للدكتور: إمام عبد الفتاح وزميله. (المترجم).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أما بالنسبة للمنفعة من حيث إنها تقابل الحق فإنها تعنى بوجه عام ما يخدم مصالح الأفراد من حيث إنهم كذلك، بون اعتبار للخير العام، مثلما تضحي كنيسة بمصالح بلدها لكي تحافظ على مكانتها^(١). فهذا السلوك لا يتفق بوضوح مع مبدأ أكبر قدر من السعادة. وعلى الرغم من أن «مل» كان شغوفاً ببيان أن مذهب المنفعة لا يستحق الاتهامات التي بدت لبعض الناس أن مذهب بنتام معرض لها، فإنه يقدم، في الوقت نفسه، أدلة كثيرة على أن تفكيره يتحرك داخل إطار بنتامى. ويمكن أن نرى ذلك بصورة كافية بسهولة إذا نظرنا إلى المعنى الذي يكون به مبدأ المنفعة قابلاً للبرهان^(٢). إن المسألة الأولى عند «مل» هي أننا نعرف، بصورة كلية وعامة أن السعادة خير. «فسعادة كل شخص خير له، والسعادة العامة خير، بالتالى، لجميع الأشخاص»^(٣). وتتضمن هذه الملاحظة قبولاً لتحليل بنتام لهذين اللفظين: «المجتمع» و«المصلحة العامة». ثم يمضى «مل» لكي يثبت أن السعادة ليست خيراً فحسب، بل هي الخير: فهي الغاية القصوى التي يرغبها الجميع ويبحثون عنها. صحيح، أنه يمكن الاعتراض على أن بعض الناس يبحثون عن الفضيلة أو المال أو الشهرة لذاتها، وأنه لا يمكن وصف هذه

(١) Ibid, p. 32.

يرى «مل» أن خدمة المصلحة الخاصة قد تعنى ما يكون مفيداً لضمان بعض المصالح المؤقتة عندما يتضمن ضمان هذه المصلحة مخالفة قاعدة ما «تكون ملاحظتها موافقة لقضاء القرض بدرجة أكبر» (نفس المرجع والصفحة). وواضح أنه ليس الفرد فقط، بل المجتمع أيضاً، من حيث إنه يتمثل في سلطة عامة، قد يبحث عن مصلحته المؤقتة المباشرة بهذه الطريقة. غير أن مل يثبت أن خدمة المصلحة الخاصة ليست «مفيدة»، بالفعل، على الإطلاق بهذا المعنى. فهي ضارة، ولذلك لا يمكن أن يكون سؤال عن اختيار وسيلة المصلحة الخاصة التي يبررها مبدأ المنفعة (المؤلف).

(٢) يتفق مل مع بنتام في أنه لا يمكن البرهنة على مبدأ المنفعة عن طريق استنباط أى مبدأ أو مبادئ قصوى. لأن موضع الخلاف هو الغاية القصوى للفعل الإنسانى. ولا تسمح مسائل القايات القصوى ببرهان، بالقبول العادى للفظ (مذهب المنفعة ص ٥٢). ومع ذلك، يمكن بيان أن كل الناس يبحثون عن السعادة، والسعادة فقط، من حيث إنها غاية الفعل. وهذا دليل كاف على القول بأن السعادة هي الغاية القصوى للفعل (المؤلف).

Utilitarianism, p. 53. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أخرى. ومن الخلف أن نأخذ الكيف وكذلك الكم عندما نقيم الذات، إذ يجب أن نفترض أن تقدير الذات لا يعتمد إلا على الكم فقط^(١).

ربما يكون «مل» محققاً تماماً على الرغم بأنه من الخلف عدم وضع الاختلافات الكيفية في الاعتبار عند التمييز بين الذات. غير أن الافتراض بأن معرفة الاختلافات الكيفية الذاتية يتطابق مع مذهب بنتام ليس له ما يبرره تماماً، والسبب في ذلك واضح. فإذا أردنا أن نميز بين لذات مختلفة دون أن ندخل أى معيار سوى اللذة ذاتها، فإن مبدأ التمييز لا يمكن أن يكون إلا كمياً، أيًا كان ما يقوله «مل» خلاف ذلك. وبهذا المعنى قبل بنتام الموقف الوحيد المتسق فقط. ومع ذلك، إذا كنا مضطرين إلى أن نعرف الاختلافات الكيفية بين الذات، فإنه يجب علينا أن نجد معياراً ما غير اللذة ذاتها. وقد لا يكون ذلك واضحاً بصورة مباشرة. غير أننا لو تأملنا ملياً فإننا نستطيع أن نرى أنه عندما نقول إن نوعاً من اللذة أسمى من نوع آخر من الناحية الكيفية، فإننا نعني، بالفعل، أن نوعاً من اللذة ينتج نشاطاً أسمى، من الناحية الكيفية، أو ذا قيمة أكبر من نوع آخر. وإذا حاولنا أن نفسر ماذا يعنى ذلك، فربما وجدنا أنفسنا تشير إلى مثال ما للإنسان، أى إلى فكرة عما ينبغى أن يكون عليه الموجود البشرى. فمن غير المعقول، مثلاً، أن نقول إن لذة النشاط البناء تفوق لذة النشاط الهدام من الناحية الكيفية إلا بالرجوع إلى سياق الإنسان في المجتمع. أو إن شئنا أن نضع المسألة ببساطة أكثر، ليس من المعقول أن نقول إن لذة الاستماع إلى «بيتهوفن» تكون أسمى من الناحية الكيفية عن لذة تدخين الأفيون، إذا لم نضع في الاعتبار اعتبارات غير اللذة ذاتها. وإذا لم نفعل ذلك، فإن المسألة الوحيدة التي لها صلة بموضوعنا هي أن أعظم الكمية التي لا تقاس، ببساطة، عن طريق الشدة فقط، وإنما تقاس أيضاً بناء على المعايير الأخرى لحساب بنتام هي اللذة العظمى.

ibid, pp. 11 - 12. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لكنها يجب أن تكون المنفعة بالمعنى الواسع: أى المنفعة التى تقوم على مصالح الإنسان الدائمة من حيث إنه موجود تقدمى ^(١). لم يتردد «مل» فى الرجوع إلى الملكات العليا للإنسان ^(٢)، التى تلازم الذات الأسمى أو الذات العليا. ويقتبس فى مقاله «عن الحرية»، بإعجاب، عبارة «فيلهم فون همبولت» ^(٣) التى تقول «غاية الإنسان هى التطوير الأقصى والأكثر انسجاماً لقواه إلى كل كامل ومتسق» ^(٤). صحيح، إن «مل» لم يقدم تفسيراً واضحاً وكاملاً لما يعنيه بالطبيعة البشرية. فهو يشدد، بالفعل، على تحقيق كمال الطبيعة البشرية وتطويرها، ويؤكد فكرة الفردية. ولذلك يقول، مثلاً، إن «الفردية هى نفسها التطور»، وأن «تهذيب الفردية وحده هو الذى ينتج، أو يمكن أن ينتج، الموجودات البشرية الأكثر تطوراً» ^(٥). غير أنه يوضح أن تطور الذات الفردية لا يعنى عنده الخضوع لأية بواعث يميل الفرد إلى اتباعها، وإنما يعنى بالأحرى التحقيق الفردى لمثال التكامل المنسجم لكل قوى المرء. إنها ليست مسألة اختلاف محض، بل هى مسألة وحدة فى التنوع. ولذلك لابد أن يكون هناك معيار للأفضلية، ولا نجد لذلك حلاً كاملاً. ومع ذلك، فإن المسألة التى لها صلة بموضوعنا فى هذا السياق ليست إخفاق «مل» فى وضع نظرية عن الطبيعة البشرية، بل هى بالأحرى الواقعة التى تذهب إلى أنه غرز فى مذهب بنتام نظرية أخلاقية ليس لها علاقة، أو لها علاقة ضئيلة، بتوازن الذات والالام وفقاً لحساب بنتام للذى، وأنه لم ير ضرورة إخضاع نقطة بدايته الأصلية لنقد دقيق ومراجعة دقيقة. لقد نقد، كما رأينا، ضيق الرؤية الأخلاقية عند بنتام. غير أنه يميل، فى أحيان أخرى، إلى أن يمر مرور الكرام على الاختلافات

(١) On Liberty, p. 9 (edited by R. B. Mc Callum, Oxford, 1946).

(٢) Utilitarianism, pp. 13 and 16.

(٣) فون همبولت (١٧٦٧ - ١٨٢٥) فيلسوف بروسى، وعالم فى اللغات، من أهم مؤلفاته: «أفكار حول حدود الدولة وفعاليتها»، و«أبحاث جمالية»، وحول مهمة المؤرخ (المترجم).

(٤، ٥) On Liberty, p. 50. وراجع ترجمتنا العربية السابقة من ١٨٧ (المراجع).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويمثل خط من خطوط الصجج التي استخدمها «مل» مذهباً بنتامياً معتدلاً «إن سعادة كل شخص خير بالنسبة له، ولذلك، تكون السعادة العامة خيراً لمجموعة الأشخاص كلهم»^(١). وإذا ارتبطت السعادة العامة بسعادتي كما يرتبط الكل بالجزء، في رغبة السعادة العامة فإنني أرغب في سعادتي الخاصة. وأستطيع أن أرغب السعادة العامة دون أن ألتفت إلى سعادتي الخاصة، عن طريق قوة تداعي الأفكار. وهكذا لا يمكن تفسير كيف تكون الغيرية ممكنة فحسب، وإنما كيف تكون الأنانية ممكنة أيضاً. لأن القول بأن الجميع يصلون إلى وجهة نظر غيرية ليس أكثر ضرورة من القول بأن كل أولئك الذين يرغبون المال بوصفه وسيلة لغاية يصبحون بؤساء، يبحثون عن المال لذاته.

وقد يكون ذلك صحيحاً إلى حد معقول. بيد أن التأمل المتعمق يبين صعوبة. فإذا لم تكن السعادة العامة، كما يرى بنتام، سوى المجموع الكلي الذي ينتج من جمع سعادة الأفراد، فلن يكون هناك سبب لماذا لا أستطيع أن أبحث عن سعادتي الخاصة دون أن أبحث عن السعادة العامة. وإذا تساءلت لماذا ينبغي على أن أبحث عن السعادة العامة، فإنه ليست هناك حاجة للرد بأنني أبحث عن سعادتي الخاصة. لأن هذه الإجابة إذا كانت تتصل بموضوعنا، فلا بد من افتراض أن السعادة العامة ليست، ببساطة، ناتج حاصل جمع، أي المجموع الذي ينتج من وضع السعادات الفردية بجانب بعضها، بل هي، بالأحرى، كل عضوي من نوع مؤداه أن من يحقق سعادته الخاصة، لابد أن يحقق السعادة العامة. لأنه يحقق بالفعل جزءاً مكوناً من كل عضوي. بيد أنه قلما يمكن بيان أن الأمر كذلك إذا لم يكن التأكيد منصباً على الطبيعة الاجتماعية للإنسان. لأن المرء يستطيع، بالتالي، أن يثبت أن الفرد لا يبلغ سعادته الفعلية الخاصة إلا من حيث إنه موجود اجتماعي، أي من حيث إنه عضو في المجتمع، وأن سعادته عنصر مكون في كل عضوي.

(١) Ibid

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

توضح علاقاتها، واختلافاتها عن إطار التفكير الذى بدأ به «مل» ولم يتخل عنه، بالفعل، على الإطلاق.

ومع ذلك، على الرغم من أن صعوبة الانتقال من الإنسان الذى يبحث عن سعادته الشخصية الخاصة إلى الإنسان الذى يبحث عن الخير العام تقل بمقدار التأكيد الذى ينصب على طبيعة الإنسان بوصفه كائنًا اجتماعيًا، فإن هناك اعتراضاً يمكن أن يوجه ضد النظرية النفعية عن الإلزام سواء فهم المذهب النفعى فى صورته الأصلية الموجودة عند بنتام أو كما طوره مل^(١). لأن أى شخص يقبل تقرير هيوم الشهير أننا لا نستطيع أن نستمد «ما ينبغى» مما هو «كائن»، أى لا نستطيع أن نستمد الجمل الخاصة بما ينبغى من جمل واقعية أو تجريبية خالصة، ربما يعترض على أن ذلك هو ما يحاول أن يقوم به النفعيون. أعنى أنهم أكدوا فى البداية أن الإنسان يبحث عن سعادته بالفعل، ثم استنتجوا أنه ينبغى عليه أن يودى تلك الأفعال المطلوبة والضرورية لزيادة السعادة، وينبغى عليه ألا يودى تلك الأفعال التى تقلل السعادة، أو تزيد الألم أو التعاسة.

ومن الطرق الممكنة لمعالجة هذا الاعتراض، الاعتراض على صحته، لكن إذا سلمنا بأننا لا نستطيع أن نستمد جمل «ما ينبغى» من جمل واقعية خالصة، فإنه يتحتم علينا، لكى ندافع عن المذهب النفعى، أن ننكر إمكان تطبيق الاعتراض فى هذه الحالة. إننا لا نستطيع، بوضوح، أن ننكر أن النفعيين يبدأون بجمل واقعية، أى أن كل الناس يبحثون عن السعادة، بيد أنه يمكن البرهنة على أن هذه الجمل الواقعية ليست هى الجمل الوحيدة التى تكون مقدمات. إذ يمكن البرهنة، على سبيل المثال، على أن حكماً من أحكام القيمة عن الغاية، أعنى نحو السعادة، يفهم بصورة ضمنية. أعنى

(١) هذا الخط من الاعتراض ليس مقتصرًا، بالطبع، على المذهب النفعى. إذ يمكن أن يوجه ضد أية صورة من الأخلاق الغائية التى تفسر الأمر الأخلاقى بما يسميه كانط بالأمر المشروط (انظر: vol. v1, of this History, pp. 321 - 3).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مذهب اللذة الضيق عند بنتام، وأن يفسر السعادة فى ضوء فكرة تطور الشخصية البشرية، نقول تفترض هذه الواقعة أننا لا نستطيع أن نفهم حياة الإنسان الأخلاقية إلا عن طريق أنثربولوجيا فلسفية. إن مذهب اللذة يميل بالتأكيد إلى التكرار فى تاريخ النظرية الأخلاقية. بيد أن تأملاً فيه يحث الذهن على أن يبحث عن نظرية للطبيعة البشرية أكثر كفاية من النظرية التى يفترضها بصورة مباشرة القول بأن كل الناس يسعون نحو اللذة. ويوضح تطوير «مل» لمذهب بنتام هذه الواقعة.

٣- تلعب فكرة «مل» عن التطور الذاتى للفرد دوراً محورياً فى تأملاته عن الحرية المدنية أو الاجتماعية. ولأنه يتبع هيوم وبنتم فى رفض نظرية «الحق المجرد، من حيث إنه شىء مستقل عن المنفعة»^(١)، فإنه لم يستطع أن يلجأ إلى حق طبيعى من جانب الفرد لأن يطور نفسه بحرية. غير أنه يصر على أن مبدأ المنفعة يتطلب أن كل إنسان يجب أن يكون حراً فى تطوير قواه وفقاً لإرادته الخاصة وحكمه، شريطة أن لا يفعل ذلك على نحو يصطدم مع ممارسة حرية مماثلة عن طريق الآخرين. إنه ليس من المصلحة العامة أن يُصب الجميع فى قالب واحد، أو يُتوقع أنهم يعملون بمقتضى نفس النموذج. فعلى العكس يكون المجتمع خصباً عندما يطور الأفراد أنفسهم بحرية. إن التطوير الحر للفردية هو أحد المواد الرئيسية للسعادة البشرية، والمادة الرئيسية العظيمة للتقدم الفردى والاجتماعى^(٢). ومن ثم فإنه ضرورة للحرية.

عندما يفكر «مل» فى قيمة التطوير الذاتى من جانب الفرد، فإنه لا يدفع، بصورة طبيعية، فكرة الحرية إلى المدى الكامل الذى يتسق مع وجود الانسجام الاجتماعى وتدعيمه. «لابد أن تكون حرية الفرد محدودة، بالتالى، إلى أقصى حد؛ فلا يجب

On Liberty, p. 9. All page reference to this essay to that On Representative Government are to the edition of the two essays in one volume by R. B. Mc callum (oxford, 1946).

Ibid, p. 50. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولذلك فإن موضوع «مل» العام هو أن الأساس الوحيد المشروع لممارسة القسر والإجبار على الفرد في مجتمع متحضر هو «منع الضرر عن الآخرين. فخير، سواء كان فيزيائياً أم أخلاقياً، ليس ضمناً كافياً»^(١). لكن أين يقع الحد بين ما يضر الآخرين وما لا يضرهم، بين سلوك يخص الذات وسلوك يخص الآخرين؟ لقد لاحظنا أن «مل» يقتبس باستحسان عبارة «فيلهم ثون همبولت» التي تقول إن غاية الإنسان هي «التطوير الأقصى والأكثر انسجاماً لقواه إلى كل كامل ومتسق»^(٢). ولقد كان «مل» مقتنعاً، بالطبع، بأن السعادة العامة تزداد إذا طُور الأفراد أنفسهم بهذه الطريقة، لكن ألا يكون هناك شك، بالتالي، في أن الضرر يلحق الآخرين، ويلحق المجتمع، إذا فعل الفرد بطريقة تمنع التكامل المنسجم لقواه ويصبح شخصية معوجة؟

لقد لاحظ «مل» نفسه هذه الصعوبة وناقشها بالطبع. وافترض طرقاً متنوعة لمعالجتها. ويوجه عام، فإن إجابته تسير، على أية حال، هكذا: يستلزم الخير العام ضرورة التسليم بالحرية للفرد بقدر المستطاع. وهكذا يجب تفسير إلحاق الضرر بالآخرين في أضيق الحدود الممكنة. وليست الأغلبية معصومة، على الإطلاق، في أحكامها عما يكون مفيداً للفرد. ومن ثم يجب ألا تحاول أن تفرض أفكارها عما هو خير وشر على الجميع. ويجب ألا يتدخل المجتمع في الحرية الخاصة إلا عندما «يكون هناك ضرر محدد، أو مخاطرة محددة بالضرر، سواء بالنسبة للفرد أو للامة»^(٣).

ولا يؤلف ذلك، بوضوح، رداً كاملاً على الاعتراض من وجهة النظر النظرية الخالصة. لأنه يمكن أن تثار أسئلة عما يؤلف «ضرراً محدداً» أو «مخاطرة محددة

Ibid, p. 8. (١)

Ibid, p. 50. (٢)

On Liberty, p. 73. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يعد موافقاً لحاجات المجتمع ومتطلباته المشروعة، فإنه لا يمكن أن يتغير أو يتطور أو يحل محله نظام آخر إلا عن طريق فاعلية الإرادة البشرية. غير أن ذلك يتطلب تفكيراً فيما هو مرغوب وقابلًا للتنفيذ، أى أنه يتطلب تفكيراً في أفضل شكل مثالي للحكومة. لأن «ليس من الضروري أن نقول إن أفضل شكل للحكومة المثالية لا يعنى، حكومة قابلة للتنفيذ أو مناسبة في كل حالات الحضارة، وإنما يعنى الحكومة التى يلزمها، في الظروف التى تكون فيها قابلة للتنفيذ ومناسبة، أعظم قدر من النتائج المفيدة، أى المباشرة والمرجوة»^(١).

إذا افترضنا أن مرحلة من مراحل الحضارة تم التوصل إليها تكون فيها الديمقراطية قابلة للتنفيذ، فإن أفضل شكل مثالي للحكومة هو عند «مل» الذى تكون فيه السيادة من حق المجتمع ككل، أى يكون فيها لكل مواطن صوت في ممارسة السيادة، ويطلب فيها من كل مواطن أن يكون له دور فعال في الحكومة، سواء أكانت محلية أم عالمية، بهذا القدر أو ذاك. لأن الفرد يكون، من جهة، أكثر أماناً من أن يلحق به الآخرون ضرراً بقدر ما يستطيع أن يحمى نفسه. ويستطيع أن يفعل ذلك بصورة أفضل في ظل الديمقراطية. ومن جهة ثانية، يشجع النظام الديمقراطي على تطوير نوع فعال من الشخصية، مزود بالمبادأة والنشاط. إن هذا الاعتبار له، بصورة جلية، أهميته بالنسبة للـ. فالنظام الديمقراطي من وجهة نظره هو الأكثر احتمالاً لتشجيع ذلك التطوير الذاتى الفردى الذى يشدد عليه كثيراً. وفضلاً عن ذلك، فإنه يحقق نمو الروح العامة في الفرد، والاهتمام بالصالح العام، في حين أنه من المحتمل أن يركز الأفراد، ببساطة، على مصلحتهم الخاصة في ظل نظام استبدادى أريحي، تاركين الاهتمام بالصالح العام للحكومة التى لا يكون لها فيه صوت أو مشاركة.

(١) Ibid. p. 141.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

من أن يخدم مصالح المجتمع كله. وقصارى القول، ما يسميه بنتام «بالمصالح الخبيثة» يمكن أن يؤثر فى الديمقراطية كما يؤثر فى أى مكان آخر.

يصر «مل» على أنه يجب أن تُمثل الاقلية بفاعلية، وذلك ضمناً ضد هذا الخطر. ولكي يضمن ذلك، فإنه يدافع عن نظام التمثيل النسبى، مشيراً إلى كتاب «توماس هير» «بحث فى اختيار الممثلين» (١٨٥٩)، وإلى كُتيب بروفسور هنرى فوست «إصلاح اللائحة القانونية المبسطة والمفسرة عند مستر هير» (١٨٦٠). بيد أن تدابير دستورية مثل حق التصويت العام، والتمثيل النسبى لا تكفى بدون عملية التربية التى ترسخ احتراماً حقيقياً للحرية الفردية، ولحقوق كل المواطنين، أيأ كانت جنسيتهم، ودينهم، ومكانتهم فى المجتمع.

وإذا سلمنا بإصرار «مل» على قيمة التطوير الذاتى الفردى والمبادأة، فإنه لن يكون هناك ما يدعو للدهشة أنه يستهجن أى ميل من جانب الدولة لأن تستولى على وظائف المؤسسات الإدارية، وتقوم بتسليمها لزام دولة بيروقراطية. «إن المرض الذى يصيب الحكومات البيروقراطية، والذى تموت منه باستمرار، هو الروتين. إن البيروقراطية تميل باستمرار إلى أن تصبح حكم المتحذلقين^(١). إن ميل أعضاء المجتمع الأكثر قدرة إلى الانغماس فى مراتب موظفى الدولة، أمر حتمى، أجلاً أو عاجلاً، للنشاط الذهنى وتقدم الجسم نفسه»^(٢).

ومع ذلك، لا يعنى هذا أن «مل» يزدري كل تشريع، وحكم الدولة ماعدا التشريع وحكم الدولة المطلوبين لتدعيم السلام والنظام فى المجتمع. إن يبدو صحيحاً أن نقول إنه كان مدفوعاً فى اتجاهين. فقد دفعه مبدأ الحرية الفردية، من جهة، لأن يستهجن أى تشريع أو ضبط من الدولة للسلوك يجاوز ما هو مطلوب لمنع الفرد أو رده من إلحاق

Idid, p. 179. (١)

Ibid, p. 102. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن تفسير «مل» لمبدأ منع الفرد من إلحاق الضرر بالآخرين رحب بصورة تدعو للدهشة. ولذلك يرى في مقاله «عن الحرية» أن القانون يمنع الزواج في بلد يكون فيه عدد السكان كبيراً، أو يهدد بأن يكون كبيراً، حتى إن الأجور تنخفض نتيجة لوجود عمل وافر، مما يرتب عليه أن الآباء لا يستطيعون أن يعملوا أطفالهم، نقول يمنع القانون الزواج إذا لم يستطع الطرفان أن يبينا أن لديهما وسيلة إعالة أسرة لا تفوق القوة المشروعة للدولة. حقاً، إن منفعة قانون كهذا هي مسألة خلافية. بيد أن القانون لا يشكل مخالفة للحرية. لأن هدفه هو منع الأطراف المعنية من إلحاق الأذى والضرر بالآخرين، أعني النسل المرتقب. وإذا اعترض أى شخص على القانون، ببساطة، لأنه يخالف حرية الطرفين اللذين يرغبان في الزواج، فلا بد أن يقدم دليلاً على فكرة ليست في محلها عن الحرية.

لقد شرع «مل»، بالفعل، في تعديل وجهة نظره التي تذهب إلى أنه لا يجب إجبار أى شخص على أن يفعل أو أن يكف عن الفعل بطريقة معينة، ببساطة، بسبب خيره الخاص. خذ حالة التشريع المقترح لتقليل ساعات العمل. نجد أن «مل» وصل إلى نتيجة تقول إن هذا التشريع مشروع تماماً، ومرغوب فيه أيضاً، إذا كان من أجل مصلحة العمال الحقيقية. والزمع بأنه يخالف حرية العمال لأن يعملوا لمدة ساعات كثيرة كما يحب هو زعم محال وغير معقول. صحيح بالفعل، وبصورة واضحة، أنه يختار أن يعمل مدة طويلة من الزمن، إذا كان البديل هو أنه يموت جوعاً. غير أنه لا ينجم عن ذلك، على الإطلاق، أنه لا يختار أن يعمل لمدة ساعات قصيرة، شريطة أن القانون هو الذى يجبر، بصورة كلية، على تقليل ساعات العمل. وعند سن هذا القانون، يعمل المشرع من أجل صالح العمال ووفقاً لرغبته الحقيقية.

وإذا سلمنا بإيمان «مل» بقيمة تداعيات إرادية ومبادأة لا تحكمها الدولة، إلى جانب عدم ثقته الراسخة بالبيروقراطية، فإنه قلما يتبنى عن طيب خاطر فكرة ما يُسمى برفاهية الدولة. كما أنه شرع في الوقت نفسه في سنواته الأخيرة في تصور قدر من تنظيم الدولة لتوزيع الثروة الذى كان على استعداد لأن يصفه، على أية حال، بأنه

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بصورة طبيعية، إلى معتقدات ديمقراطية. وقد شارك «مل» في هذه المعتقدات، غير أنه شدد على الكيف، وعلى تطوير الشخصية الفردية، وهي قيمة تأكدت أفضل ما يكون في مجتمع تأسس تأسيساً ديمقراطياً، وهذا التحول في التشديد، يتضمن تغييراً من مفهوم وحدة البحث عن اللذة وتجنب الألم إلى مفهوم الشخصية التي تبحث عن تطوير منسجم ومتكامل لكل قواها، ربما تكون هي الخاصية الأكثر بروزاً لتطوير «مل» للمذهب النفعي من وجهة نظر فلسفية. إن خاصية تفكير «مل»، من وجهة النظر العملية، أى من وجهة نظر المصلح، التي تلفت نظر الملاحظ باستمرار هي الطريقة التي تتميز بها الحركة المتزايدة نحو التشريع الاجتماعي، ويستحسنها من حيث إنه يشعر بأنه يستطيع أن يوفق بينها وبين إيمانه العميق بقيمة الحرية الفردية. بيد أن وجهتي النظر تسييران جنباً إلى جنب، كما نلاحظ. لأن استحسان «مل» المقيد للتشريع الاجتماعي يحث عليه، إلى حد كبير، اعتقاده أن هذا التشريع مطلوب لكي يخلق شروط التطوير الذاتي الكامل للفرد، عن طريق إزالة العوائق التي تقف في طريقه. وبمقدار ما يصور «مل» إزالة الدولة للعوائق أو العقوبات التي تقف في طريق الجميع للتمتع بحياة إنسانية كاملة، فإنه يقترب من وجهة نظر عرضها المثاليون البريطانيون في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. غير أن تبجيل الدولة بما هي كذلك، أعنى نوع التبجيل الذي أظهره هيجل، غاب تماماً من وجهة نظره. لقد ظل، بمعنى حقيقي تماماً، فردياً حتى النهاية. فما يوجد هو الفرد، على الرغم من أن الطابع الفردي والشخصية لا يمكن أن يتطورا تماماً بمعزل عن العلاقات الاجتماعية.

٤- إن موضوعي الحرية المدنية والحكومة مرتبطان بصورة واضحة. لقد ناقش «مل» حرية الإرادة بمعنى سيكولوجي في كتابه «نسق المنطق»، تحت عنوان عام هو: «منطق العلوم العقلية»، وفي كتابه «دراسة لفلسفة سيروليم هاملتون». لكن لما كان الاهتمام بمشكلة حرية الإرادة يدفع إليه بوجه عام علاقتها بالأخلاق، وبمسائل خاصة بالمسؤولية سواء أكانت أخلاقية أم قانونية، فإنه يبدو أنه من المسموح لنا

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بواسطتنا وبالنسبة لنا أيضاً»^(١). ويضيف في الوقت نفسه، ولا بد أن يضيف بالفعل أنه إذا كان يتحتم عليه أن يحافظ على الاتساق مع مقدمته عن العلية، فإن الإرادة التي تشكل سلوكنا تتشكل بالنسبة لنا. فتجربة نتائج مؤلة للسلوك، مثلاً، التي يمتلكها شخص ما، أو شعور قوى آخر، مثل الإعجاب، الذي يثار فيه، قد تسبب له رغبة في أن يغير سلوكه.

صحيح أنه عندما نتخلى عن إغراء طائش، مثلاً، فإننا نميل إلى تصور أنفسنا على أننا نستطيع أن نفعل بصورة مختلفة. غير أن ذلك لا يعنى، بالنسبة لمل، أننا نعى بالفعل أو نعى أننا نستطيع أن نفعل بطريقة مختلفة، فكل الأشياء الأخرى متساوية. إننا لا نعى حرية عدم الاكتراث بهذا المعنى، فما نعيه هو أننا نستطيع أن نفعل بصورة مختلفة إذا أثرنا أن نفعل ذلك، أعنى إذا لم تكن الرغبة في الفعل بالطريقة التي فعلنا بها أو أن الرغبة في الفعل بطريقة مختلفة تكون أقوى من الرغبة التي أثرت فينا، بالفعل، وأحدثت اختيارنا.

ولذلك، نستطيع أن نقول، إن شئنا، إن «مل» يعتنق نظرية عن حتمية السلوك. لكن على الرغم من أنه يتحدث، كما رأينا، عن مذهب الضرورة الفلسفية، فإنه لم يستسغ استخدام ألفاظ مثل: «الضرورة» و«الحتمية». فهو يبرهن بدلاً من ذلك، على أن إمكان التنبؤ بالأفعال البشرية من حيث المبدأ يطابق تماماً كل ما يثبتته معتنقو حرية الإرادة بصورة معقولة. إذ لم يجد بعض الميتافيزيقيين المتدينين، مثلاً، صعوبة في الزعم بأن الله يتنبأ بكل الأفعال البشرية، وأن الإنسان يفعل بحرية. وإذا طابق علم الله السابق الحرية البشرية، سيكون الأمر كذلك بالنسبة لأي علم سابق. وهكذا لا يمنعنا إقرار بإمكان التنبؤ من حيث المبدأ من القول بأن الإنسان يفعل بحرية. إنها، بالأحرى، مسألة تحليل ما نعيه بالحرية. فإذا أخذت لتعنى أنه عندما تواجهني مسارات بديلة

Ibid, 11, p. 426. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الأخرين، فإن العقاب لا يحتاج إلى دفاع سوى الذى يقدمه الحس المشترك، شريطة أن لا تحل معاناة لا داعى لها. وأياً كان الموقف الذى نقبله عن موضوع إرادة حرة، فإنه لا يمكن السماح للقتلة بأن يرتكبوا جرائمهم دون أن ينالوا جزاءهم، مثلما لا يُسمح لكلب ضال بأن يهيم فى الشوارع.

ويستطيع «مل» أن يستدل، بالطبع، بناء على بعض الشواهد التجريبية، أن جميع الأفعال البشرية يمكن التنبؤ بها من حيث المبدأ. فثمة حقيقة لانزاع فيها هى أنه كلما عرفنا شخصاً ما جيداً، شعرنا بثقة أكبر بأنه سوف يتصرف بطريقة ما فى مجموعة معينة من الظروف بدلاً من أن يتصرف بطريقة أخرى. وإذا لم يتصرف كما نتوقع، فإننا قد نستنتج أن سلوكه أقوى مما نظن أو أن هناك نقصاً خفياً فى سلوكه. وعلى نحو مماثل، إذا وجدنا أن أصدقاءنا مندهشون منا أن مقاومتنا، مثلاً، إغراء ما هو استغلال فرصة لكسب المال عن طريق وسائل مريبة، فإننا قد نعلق تماماً بالقول بأنه كان ينبغى عليهم أن يعرفونا أفضل من ذلك. لكن على الرغم من أنه يمكن أن توجد أمثلة كثيرة فى الحديث العادى تتضمن أن معرفة كاملة بسلوك شخص ما تساعد من يملك المعرفة على أن يتنبأ بأفعال الإنسان، فإنه يمكن أن توجد أيضاً أمثلة تفترض اعتقاداً عكس ذلك. ومع ذلك، هناك مناسبات نساء فيها من القول الذى يفترض أن جميع أقوالنا وأفعالنا يمكن التنبؤ بها كما لو كنّا آلات، عاجزة عن أية أصالة. ومع ذلك، يؤكد مل فى النهاية إمكان التنبؤ بكل الأفعال البشرية من حيث المبدأ بوصفه البديل للتسليم بأحداث جزافية لاسبب لها أكثر من أن يكون بوصفه تعميماً تجريبياً.

إذا افترضنا أن «مل» محق فى قوله إنه يجب علينا أن نختار بين هذين البديلين، وإذا لم نستعد لوصف الإرادات البشرية والأفعال بأنها صدفة أو أحداث جزافية تحدث دون أن يكون لها سبب، فحينئذ يثار التساؤل عما إذا كان الإقرار بأن كل الإرادات والأفعال البشرية التى يمكن التنبؤ بها من حيث المبدأ يتفق أو لا يتفق مع وصفنا لبعض الأفعال بأنها حرة. إنه بمعنى ما يطابق، بالتأكيد، وصفا لبعض الأفعال بأنها

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وعلى المدى البعيد ما الذى يمكن أن يعنيه القول بأن الإنسان يلعب دوراً فعالاً فى تشكيل سلوكه الخاص سوى أن علل سلوكه ليست، ببساطة، خارجية وتربوية، وبيئية فحسب، ولكن داخلية، وفسيولوجية، وسيكولوجية أيضاً؟ بيد أن ذلك قلما يناسب ما يعنيه الإنسان العادى بالزعم بأن الإنسان حر، وأنه ليس، ببساطة، نتاج بيئته، ولكنه يستطيع أن يلعب دوراً فعالاً فى تشكيل سلوكه بحرية. وهكذا إما أن يعتنق «مل» الحتمية ويؤكد، التى يحاول أن يتجنبها، أو يبين أنه يستخدم ألفاظاً مثل : «حر»، و«حرية» بمعنى معين خاص به، وهو ما كان لابد أن يسميه «بنتام» معنى «ميتافيزيقياً».

بيد أن الواقعة التى تقول إنه يمكن إثارة صعوبات حول موقف «مل»، لا يخلص، بالضرورة، أناساً آخرين من صعوباتهم. وقد يقال بسهولة إننا لا نستطيع أن نتجنب هذه الصعوبات إذا شاركنا فى منظور «مل» التحليلي، الذى يتحدث عن الفاعل، وسلوكه، وبواعثه كما لو كانت كيانات متميزة يؤثر بعضها فى بعض. إنه ينبغي علينا أن نجد بدلاً من ذلك طريقة للحديث، تقوم على تصور الشخص البشرى وفعله، لا يمكن أن نعبر عنها بالفاظ مل. وقد قام «برجسون» بمحاولة لتطوير هذه اللغة، أو على الأقل بيانها. وقد حذا آخرون حذوه. فنحن لا نستطيع أن نتحدث عن الله بلغة الفيزياء مثلاً. لأن مفهوم الله ليس مفهوماً من مفاهيم الفيزياء. ولا نستطيع أن نتحدث عن الحرية باللغة التى استخدمها «مل». وإذا أردنا أن نفعل ذلك، فإننا سنجد أن الحرية تُترجم إلى شيء آخر.

ليس هدف الملاحظات السابقة هو حل مشكلة الحرية، بل الإشارة، ببساطة، إلى بعض خطوط التفكير التى تنشأ منها مناقشات «مل» لهذا الموضوع. فبالنسبة لموضوع الحرية، هناك قدر كبير يفوق ما يمكن أن يقال بشأن منظور مل وطريقة تفكيره. لكن ليس مناسباً أن نكرس مساحة كبيرة للموضوع فى كتاب ليس الهدف منه أن يكون بحثاً فى الحرية البشرية، سواء بالمعنى المدنى أم بالمعنى السيكولوجي للفظ.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بيد أن هذا التعريف، كما يذهب مل، ضيق جداً حتى إنه لا يشمل كل العمليات المنطقية. وما هو أكثر أهمية، أن «ويتلى» نظر إلى الاستنباط القياسى على أنه معيار ونوع كل قياس علمى، ورفض التسليم بأن منطق الاستقراء يمكن أن يقدم صورة تشبه نظرية القياس. إنه لا يعنى، كما يوضح، أنه لا يمكن إرساء قواعد لبحت استقرائى. لكن لابد أن تظل هذه القواعد باستمرار فى رأيه غامضة نسبياً ولا يمكن أن تُركب فى نظرية علمية ملائمة عن منطق استقرائى. وعلى أية حال شرع «مل» فى بيان أن العكس هو الصحيح. لقد اهتم ببيان أنه لا يستخف بالقياس. ويعالج القياس الاستدلالي فى كتابه «نسق المنطق». غير أنه يشدد على طبيعة المنطق بوصفه «العلم الذى يعالج عمليات الذهن البشرى طلباً للحقيقة»^(١). أعنى أنه يشدد على وظيفة المنطق فى التعميم وتركيب القواعد من أجل تعيين الدليل والتقدم من حقائق معروفة إلى حقائق مجهولة بدلاً من أن يشدد على وظيفته من حيث إنه يقدم قواعد الاتساق الصورى فى البرهان. وهكذا فإن ما هو مطلوب، أساساً، لتطوير المنطق هو، بدقة، تحقيق المهمة التى لا يمكن أن تتحقق كما يرى ويتلى، أو على الأقل لا تتحقق بأية درجة من الدقة العلمية. أعنى تعميم «طرق البحث عن الصدق وتقييم البيئة، اللذين عن طريقهما جمعت قوانين كثيرة مهمة وغامضة عن الطبيعة، فى العلوم المختلفة، إلى حيلة المعرفة البشرية»^(٢).

بيد أن «مل» لا يهتم، ببساطة، بتطوير نظرية نسقية عن منطق استقرائى على نحو ما هو مستخدم فى العلم الطبيعى. بل إنه يهتم كذلك بتقديم منطق لما يسميه بالعلوم الأخلاقية، التى تضم علم النفس، وعلم الاجتماع. حقاً، لقد نظر بالفعل إلى هذا الموضوع قبل أن يجد نفسه قادراً على أن يكمل تفسيراً مرضياً لمنطق استقرائى كما

(١). Logic, 1, p. 4(1, introduction, 4).

(٢). Ibid, 1, p. vii (in the preface to the first edition).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بالمناهج العلمى أو المناهج العلمية، فإنه يتفق بالتأكيد مع لوك فى التمسك بأن التجربة تقدم مادة كل معرفتنا. وإذا كان ذلك هو معنى المذهب التجريبي، فإن «مل» فيلسوف تجريبي بدون شك. حقاً، لقد سلّم بالحدس بوصفه مصدراً للمعرفة. إن «الحقائق التى نعرفها عن طريق الحدس هى، بالفعل، المقدمة الأصلية التى نستدل منها كل الحقائق الأخرى»^(١). غير أن «مل» يعنى بالحدس الوعى، أى الوعى المباشر بإحساساتنا ومشاعرنا، وإذا كنا نعنى بالحدس «المعرفة المباشرة التى نفترض أننا نمتلكها عن أشياء خارج أذهاننا»^(٢)، فإنه ليس على استعداد لأن يسلم بأن هناك أى شىء كهذا. حقاً، إن كتاب «نسق المنطق» «يمدنا بما نفتقر إليه كثيراً، إنه نص عن المذهب المعارض - يستمد كل معرفة من التجربة، وكل الصفات الأخلاقية والعقلية من الاتجاه المعطى للتداعيات»^(٣).

إن اعتراض «مل» على ما يسميه بوجهة النظر الألمانية أو القبلية عن المعرفة البشرية، الموجودة فى فلسفة «كوليردج» وفى فلسفة «هويل» whewell إلى حد ما، تعقده واقعة تقول إنه نظر إليها على أن لها نتائج غير مرغوب فيها فى النظرية الأخلاقية والسياسية، أو حتى على أنها تحث على تدعيم اتجاهات ومعتقدات اجتماعية غير مرغوب فيها. «إن الفكرة التى تقول إن الحقائق الموجودة خارج الذهن يمكن معرفتها عن طريق الحدس أو الوعى، أى بصورة مستقلة عن الملاحظة والتجربة، هى، على حد قناعتى، الدعم العقلى العظيم فى هذه الأزمنة لمذاهب زائفة ونظم اجتماعية فاسدة - ليس هناك وسيلة كهذه تُخترع لتكريس كل الأحكام الجرافية الموضوعة بعمق»^(٤). ولذلك عندما يحاول كتاب «نسق المنطق» أن يفسر المعرفة الرياضية حصن

Logic, 1, p. 5 (1, Introduction, 4). (١)

Ibid, 1, Footnote (1, Introduction, 4). (٢)

Autobiography, p. 225. (٣)

Ibid, pp. 225 - 6. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

من تفكيره ونصفه بأنه فيلسوف تجريبي. غير أنه لا بد أن نتذكر أيضاً أنه يقبل، أحياناً، مواقف تتضمن وجهة نظر مختلفة. وعلى أية حال، لا يمكن أن نفهم المناحي المختلفة في تفكيره إلا عن طريق النظر فيما يقوله في موضوعات معينة.

٢- يرى «مل» أن المنطق يهتم باستدلالات من حقائق معروفة من قبل، ليس، بالتأكيد، بالمعنى الذي يزيد به المنطق معرفتنا بالعالم عن طريق تكوين استدلالات جوهرية بالفعل، وإنما بمعنى أنه يقدم الاختبارات أو المعايير لتحديد قيمة الاستدلال أو البرهان، وبالتالي قيمة الاعتقاد من حيث إنه يدعى أنه يقوم على البرهان. لكن الاستدلال «عملية تحدث باستمرار عن طريق كلمات، ولا يمكن أن تحدث بطريقة أخرى في حالات مركبة»^(١). ولذلك من المناسب أن نبدأ بدراسة نسقية للمنطق عن طريق نظر في اللغة.

ربما نتوقع أن يتجه «مل» مباشرة إلى القضايا. لأن القضايا هي التي يتكون منها القياس. لكن طالما أنه ينظر إلى القضية على أنها تؤكد أو تنكر، باستمرار، ارتباط محمول بموضوع، أى اسم باسم آخر كما يقول، فإنه يبدأ بالفعل بمناقشة الأسماء وعملية التسمية naming.

لا داعي لأن نذكر هنا كل التمييزات التي يقوم بها «مل» بين أنواع مختلفة من الأسماء، بيد أننا نستطيع أن نلاحظ هذه المسائل التالية. يرى «مل» أننا عندما نعطي اسماً لموضوعات لها معنى بالمعنى المناسب، فإن معناها يكمن فيما يشير إليه، ولا يكمن فيما «يدل» عليه. وكل الأسماء العامة العينية هي من هذا النوع. فكلية «إنسان» مثلاً، يمكن أن تدل أو تشير إلى عدد لا محدود من أشياء فردية تكون معاً فئة، غير أن معناها ينحصر فيما تشير إليه، أى أن معناها ينحصر في المحمولات التي تحمل عندما تنطبق كلمة «إنسان» على موجودات معينة. وينجم عن ذلك، بالتالي، أسماء

Logic, 1, p. 17 (1, 1, 1). (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نستطيع أن نقول إن وحيد القرن حيوان ذو قرن واحد، أو حتى لأننا نستطيع أن نقول إنه حيوان خيالي.

وعندما يناقش «مل» أهمية القضية أو معناها، فإنه يميز بين القضايا الواقعية، والقضايا اللفظية. في القضية الواقعية نؤكد أو ننكر موضوعاً لمحمول لا يشير إليه اسمه، أو واقعة Fact ليست متضمنة في دلالة اسم الموضوع. وبمعنى آخر، تنقل القضية الواقعية خبراً واقعياً، قد يكون صادقاً أو كاذباً، أي أنها تنقل خبراً جديداً بمعنى أننا لا نحصل عليه، ببساطة، عن طريق تحليل معنى الموضوع. وطالما أن أسماء الأعلام ليست ألفاظاً مشيرة، وليس لها معنى، إن شئنا أن نتحدث بدقة، فإن كل قضية مثل: «زيد متزوج» التي يكون موضوعها اسم علم، لا بد أن تنتهي بالضرورة إلى هذه الفئة. ومع ذلك تهتم القضايا اللفظية، ببساطة، بمعاني الأسماء: أي أننا نستطيع أن نحصل على المحمول عن طريق تحليل إشارة أو معنى الموضوع. فالمحمول في القضية التي تقول، مثلاً، «الإنسان موجود جسماً» هو جزء من إشارة أو معنى لفظ «إنسان». لأننا لا نسمى أى شيء إنساناً إذا لم يكن موجوداً جسماً. وهكذا تقول القضية شيئاً عن معنى اسم، أى عن استخدامه: أي أنها لا تنقل خبراً واقعياً بالمعنى الذي تنقل به القضية «زيد متزوج»، أو «متوسط بُعد القمر عن الأرض هو ٨٦٠ و ٢٣٨ ميلاً» خبراً واقعياً.

والتعريفات هي الفئة الأكثر أهمية من القضايا اللفظية؛ والتعريف هو «قضية إنشائية عن معنى كلمة ما: أي إما أن يكون المعنى الذي يحمله قبولاً مشتركاً، أو يقصد المتحدث أو الكاتب أن يلحقه به، من أجل الأغراض الخاصة لخطابه»^(١). وهكذا لا يستبعد «مل» استخدام الكلمات بطرق جديدة من أجل أغراض محددة. بيد أنه يصر على أننا نحتاج إلى تفسير الاستخدام العادي بدقة قبل أن نقوم بإصلاح

(١) Logic, 1, p. 151 (1,1,8,1).

طالما أن أسماء العلم ليس لها معنى، فإننا لا نستطيع أن ننكرها (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كما ينظر إليها مل، فإن ذلك يعنى أن صفات الإنسان يلزمها باستمرار صفة الموجود الغائى. ويعنى ذلك بمقتضى التحليل أن ظواهر معينة ترتبط بانتظام مع ظواهر أخرى. غير أننا نستطيع أن ننظر إلى القضية أيضاً على أنها مشروع لاستخدام عملى. وتعنى، بالتالى، أن «صفات الإنسان هى بيئة، أو علامة، الأخلاق»^(١). وبمعنى آخر، إنها تخبرنا بما نتوقعه. وهذه المعانى المختلفة، عند مل، متكافئة تماماً. أما فى الاستدلال العلمى فإن الجانب العلمى للمعنى، أى جانبه التنبؤى، هو الذى يكون له قيمة خاصة.

إن لدينا، بالتالى، تمييزاً بين قضايا لفظية، يكون فيها المحمول إما متطابقاً مع معنى الموضوع أو يكون جزءاً منه، وقضايا واقعية، لا يكون فيها المحمول متضمناً فى إشارة الموضوع. ويرى «مل» أن «هذا التمييز يناظر ذلك التمييز الذى قام به كانط وميتافيزيقيون آخرون بين ما يسمونه بالأحكام التحليلية والأحكام التركيبية؛ الأولى هى الأحكام التى يمكن أن تنشأ من معنى الألفاظ المستخدمة»^(٢). وقد نضيف أن تمييز «مل» يناظر أيضاً، بصورة أكبر أو أقل، تمييز هيوم بين قضايا تقرر علاقات بين الأفكار، وقضايا تقرر موضوعات الواقع.

إذا قصدنا بالصدق التناظر بين قضية والواقعة اللغوية الإضافية التى تشير إليها^(٣)، فإنه يترتب على ذلك، بوضوح، أنه لا يمكن وصف قضية لفظية خالصة، بصورة ملائمة، بأنها صادقة. إن تعريفاً يمكن أن يكون كافياً أو غير كاف؛ أى أنه يمكن أن يناظر أو لا يناظر استخداماً لغوياً. غير أنه لا يكون بذاته جملاً عن موضوعات واقعة لغوية إضافية. ومع ذلك، ينشأ السؤال عما إذا كانت هناك قضايا

(١). Logic, 1, p. 13 (1,1,6,5).

(٢). Ibid, 1, p. (29, Foot note (1,1,6,4, Foot note).

يميل «مل» إلى استخدام كلمة «ميتافيزيقا» بمعنى نظرية المعرفة (المؤلف).

(٣) لا ننكر، بالطبع، أنه يمكن أن تكون هناك قضايا صادقة تقرر موضوعات عن واقعة لغوية، أى قضايا عن اللغة الإنجليزية، مثلاً (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كما أن حقائق الرياضيات «لا ترتبط بقوانين العلية... فالقول بأنه عندما يقطع خطان مستقيمان كل منهما الآخر، فإن الزاويتين المتقابلتين متساويتان، يصدق على كل الخطوط المتساوية والزوايا المتساوية، أيًا كان السبب الذي تنتج بواسطته»^(١). كما أن البرهان الرياضي «لا يسمح لنا بأن ندخل، في أى من أجزاء البرهان، افتراضاً لا نقابله في شكل بديهية، مسلمة أو تعريف. وتلك ميزة يشترك فيها مع المنطق الصوري»^(٢).

ومع ذلك، عندما نشرع في البحث في نظرية «مل» العامة عن الرياضيات، فإن ثمة تعقيدات وصعوبات تنشأ. فلقد رأى «بوجالد ستيوارت» أن القضايا الرياضية لا تعبر عن موضوعات الواقع بل هي روابط بين فروض أو افتراضات ونتائج يقينية. كما أنه أثبت أيضاً أن المبادئ الأولى للهندسة هي تعريفات أقليدس، وليست المسلمات والبديهيات. ولأنه ينظر إلى التعريفات على أنها جزافية، فإنه وجد أنه من الصعب أن نفسر كيف يمكن تطبيق الرياضيات البحتة. إن القول بأن الرياضيات يمكن أن تناسب الواقع، إن جاز التعبير، وتُطبق بنجاح في الفيزياء يصبح بالنسبة له مسألة انطاق محض. ومع ذلك، لم يكن «مل» مقتنعاً بهذا الموقف، لقد أراد أن يقول إن القضايا الرياضية صادقة. ولذلك لم يستطع أن يسلم بأنه يمكن استنباط مبرهنات أقليدس من تعريفات. لأن «مل» أقر، كما رأينا، بأن التعريفات ليست صادقة ولا كاذبة. ولذلك، كان يتحتم عليه أن يثبت أن مبرهنات أقليدس تُستنبط من مسلمات، يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة. ويثبت أن أى تعريف أقليدى ليس سوى تعريف فقط. لأنه يتضمن أيضاً مسلمة. وبمعنى آخر، يمكن تحليل أى تعريف أقليدى إلى قضيتين، تكون إحداها مسلمة أو فرضاً عن موضوع من موضوعات الواقع، بينما تكون الثانية تعريفاً حقيقياً. وهكذا يمكن تحليل تعريف دائرة إلى القضيتين التاليتين: «شكل قد يوجد، يمتلك كل

Ibid. 11, p. 147 (11,3,24.3). (١)

Examination, p. 526. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الأشياء يساوى بعضها بعضاً، يصدق على الخطوط والأشكال في الطبيعة، كما يصدق على الخطوط والأشكال المتخيلة التي نفترضها في التعريفات»^(١). لكن المسلمات أو الفروض المتضمنة في تعريفات هندسة إقليدس «بعيدة عن أن تكون ضرورية، حتى إنها لا تكون حتى صادقة؛ فهي تبعد عمداً، إلى حد كبير أو قليل، عن الصدق»^(٢). فليس صحيحاً، مثلاً، أنه يمكن أن يوجد خط من حيث إنه مُعرف عن طريق الهندسة. غير أنه لا يترتب على ذلك أن عالم الهندسة يعاين كياناً رياضياً خاصاً. فعندما يعرف الخط بأن له طولاً وليس له عرض، فإنه يقرر، لأغراضه الخاصة، أن يتجاهل عنصر العرض، أى يطرحه عنه، ولا ينظر إلا إلى الطول. ولذلك تُستمد البديهيات والمسلمات من التجربة.

ويتضح أن «مل» عندما يصف المبادئ الأولى للرياضيات بأنها تعميمات من التجربة، فإنه لا يفترض أن معرفتنا بكل القضايا الرياضية هي، في الحقيقة، تعميم استقرائي. فما يقوله، في واقع الأمر، هو أن المقدمات النهائية البعيدة للبرهان الرياضى هي فروض تجريبية. ولذلك يجد نفسه متفقاً مع «دوجالد ستيوارت» ضد هوول، فهو كما سبق أن رأينا لا يوافق على اشتقاق ستيوارت للهندسة الإقليدية من تعريفات خالصة؛ غير أن هذا الاختلاف تقل أهميته عندما تكون المسألة خاصة بملاحظة اتفاقهما الجوهرى حول طبيعة الرياضيات. «إننى أتصور أن رأى دوجالد ستيوارت فيما يخص أسس الهندسة صحيح فى جوهره؛ لأنه يقوم على فروض»^(٣)، وكل ما يستطيع «هوول» أن يبينه، عندما يحتج على هذا الرأى، هو أن الفروض ليست جزافية. غير أن «أولئك الذين يقولون إن مقدمات الهندسة هي فروض، ليسوا ملزمين بأن يثبتوا أنها فروض ليس لها علاقة أياً كانت بالواقع»^(٤).

(١). Ibid, 1, p. 261 (1,2,5,1).

(٢). Ibid, 1,p. 263 (1,2,5,2).

(٣). Ibid, 1, p. 261 (1,2,5,1).

(٤). Ibid, 1,p. 263 (1,2,5,2).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أو التفسيرات، التي قدمها في كتابه «المنطق». غير أنه لا يمكن إنكار أنه قدم ملاحظات تتضمن تصوراً مختلفاً للرياضيات. ففي كتابه «دراسة لفلسفة سيروليم هاملتون» يخبر قُراءه بأن قوانين العدد هي الأساس الذي تقوم عليه قوانين الامتداد، وأن هذين النوعين من القوانين هما الأساس الذي تقوم عليه قوانين القوة، وأن قوانين القوة «هي أساس القوانين الأخرى للكون المادي»^(١). وعلى نحو مماثل، يرى مل في الخطاب الذي كتبه عام ١٨٦٦ إلى جامعة «سانت أندرو» أن الرياضيات تقدم لنا المفتاح إلى الطبيعة، عن طريق التعميم الاستقرائي من ملاحظة الظواهر التي هي في الواقع تبدو خلاف ما هي عليه مثل تلك الظواهر التي تكون على ما هي عليه بسبب قوانين رياضية يقينية. ويتضح أن ذلك لا يؤثر، بالضرورة، على الأطروحة التي تقول إننا نعرف حقائق رياضية على أساس التجربة، ولا نعرفها قبلياً. غير أنه يؤثر بالتأكيد على الأطروحة التي تقول إن ضرورة الرياضيات افتراضية خالصة.

وربما يمكن تلخيص الموقف على هذا النحو. يرى «مل» أننا لا نحتاج من أجل تطوير علم العدد أو الحساب إلا إلى بديهتين أساسيتين هما: «الأشياء التي تساوي نفس الشيء يساوي بعضها بعضاً»، و«المتساويات التي تضاف إلى متساويات تكون مجاميع متساوية»، مع تعريفات الأعداد المتنوعة^(٢). وقلما يمكن وصف هاتين البديهتين بأنهما فرضان تجريبيان، إذا لم يخلط المرء بعزيمة المسألة السيكلوجية الخاصة بالطريقة التي عرفنا بها هاتين البديهتين بمسألة حالتها المنطقية. ومع إن «مل» يتحدث عنهما بوصفهما حقيقتين استقرائيتين، فإنه يتحدث أيضاً عن «صدقهما المعصوم من الخطأ»^(٣) بأنه يُعرف «من مطلع التأمل»^(٤). وهكذا يكون من الممكن تماماً أن ننظر إلى

(١) Examination, p. 533.

(٢) Logic, 11, p. 150 (11, 3, 24, 5).

(٣) Ibid, 11, p. 149 (11, 3, 24, 4).

(٤) Ibid. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نعتقد فيها من قضايا أخرى. غير أن الاستدلال يمكن أن يكون من نوعين أساسيين. فنحن نستطيع، من جهة، أن نستدل على قضايا من قضايا أخرى أكثر عمومية. ونستطيع، من جهة أخرى، أن نستدل على قضايا من قضايا أخرى أقل عمومية من القضايا التي استدللنا منها عليها. في الحالة الأولى يكون لدينا ما نسميه بوجه عام بالاستدلال الاستنباطي، أو القياسي، بينما يكون لدينا في الحالة الثانية ما نسميه بالاستدلال الاستقرائي.

وبالتالي لا يكون هناك استدلال «واقعي» عند «مل» إلا عندما نستدل على حقيقة جديدة؛ أعني حقيقة لا تكون متضمنة من قبل في المقدمات. ويمكن أن يعد الاستقراء في هذه الحالة فقط استدلالاً واقعياً، من حيث إن «النتيجة أو الاستقراء يتضمن أكثر مما كان متضمناً في المقدمات»^(١). وعندما تكون النتيجة متضمنة من قبل في المقدمات لا يؤدي القياس إلى تقدم حقيقي في المعرفة. ويصدق ذلك على الاستدلال القياسي. لأنه «تم الإقرار بصورة كلية بأن القياس فارغ إذا لم يكن هناك أي شيء في النتيجة أكثر مما كان مفترضاً في المقدمات. غير أن ذلك هو القول بأننا لا نبرهن، أو لا نستطيع أن نبرهن، على شيء عن طريق القياس. لم يكن معروفاً، أو مفترضاً أنه معروف، من قبل»^(٢).

وإذا كان ذلك هو كل ما كان يجب أن يقوله «مل» في الموضوع، فمن الطبيعي أن نستنتج أن ثمة نوعين متميزين من المنطق عنده. فهناك، من جهة، استدلال استقرائي، نستدل فيه على قضايا أقل عمومية من قضايا أكثر عمومية. ولأن الاستدلال لا يكون صحيحاً إذا لم تكن النتيجة متضمنة من قبل في المقدمات، فإننا لا نستطيع أن نكتشف حقيقة جديدة بهذه الطريقة، ويستطيع البرهان القياسي أن يضمن الاتساق

(١) Logic, 1, p. 187 (1, 2., 1, 3).

(٢) Ibid, 1, p. 209 (1, 2, 3, 1).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

علينا أن نفسر كلمة «دائماً» على أنها تعنى «بالضرورة»، فإنه لن يكون هناك سبب مقنع للقول بأن الإنسان الذى يؤكد أن الصفات التى تكون إشارة كلمة «إنسان» يلزمها باستمرار صفة الفناء، لابد أن يعرف أن دوق ولنجتون فان. حقاً، إنه يمكن القول بأن التقرير الذى نتحدث عنه يتضمن أنه إذا كان هناك موجود يمكن أن يوصف بصورة ملائمة بأنه دوق ولنجتون، وله الصفات التى تكون إشارة كلمة «إنسان»، فإن هذا الموجود يمتلك أيضاً صفة الفناء. بيد أن الحقيقة تظل أن التأكيد لا يفترض بالضرورة أى معرفة بكل شىء عن دوق ولنجتون.

وقد يكون هناك اعتراض مؤداه أن «مل» لم يفسر كلمة «دائماً» بأنها تعنى «بالضرورة». فإذا فعل ذلك، فإن ذلك يجعل «كل الناس فانون» قضية جوهرية أو لفظية. لأن الفناء سيكون، بالتالى، صفة من الصفات التى تكون دلالة كلمة «إنسان». إن «مل» ينظر، بالفعل، إلى قضية «كل الناس فانون» على أنها قضية واقعية. ولذلك، فإن كلمة «أيضاً» لا تعنى كلمة «بالضرورة»، ولكن «بقدر ما تذهب إليه كل تجربة» وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن «مل» يتحدث أحياناً بطريقة تتضمن أو تفترض نظرية واقعية عن الكليات، فإنها حقيقة رديئة السمعة أنه يدعم نظرية اسمية عندما يناقش القياس. وبمعنى آخر، لابد أن تفهم عبارة «كل الناس» عن طريق الإشارة. فهى تعنى «كل الناس الجزئيين». وإذا عرفنا أن كل الناس الجزئيين فانون، فإننا نعرف أن أى إنسان جزئى يكون فانياً.

إن مقدمات هذه الحجة صحيحة. أعنى أن «مل» لا ينظر إلى القضية التى تقول: «كل الناس فانون» على أنها واقعية، وليست لفظية، ولا يتبنى موقفاً اسمياً فى مناقشته للقياس. غير أن نتيجة الحجة لا تنتج من المقدمات. لأنه وفقاً للنظرية الاسمية عند «مل» تكون القضية «كل الناس فانون» تسجيلاً لتجربة عن وقائع جزئية؛ أعنى تجربة عن وقائع مثل القول بأن كلا من سقراط، ويوليوس قيصر مات. ولو كان دوق ولنجتون شخصاً حياً، فإن وفاته لا تكون متضمنة بوضوح بين هذه الوقائع الجزئية. ولذلك، لا يمكن الزعم، بصورة معقولة، أن معرفة أن كل الناس فانون تفترض أو تتضمن

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فلقد لاحظنا في الماضي كثرة من روابط جزئية واقعية بين إنسان وكونه فانياً، ولأننا لا نستطيع أن نحملها كلها إلى عقولنا، فإننا نسجلها في نبذة مختصرة. غير أن التسجيل ليس، ببساطة، مذكورة تاريخية، لأنه يجاوز الدليل التجريبي الملاحظ في الماضي ويتنبأ بالمستقبل، ويخدم بوصفه مرشداً - أو صياغة - لتكوين استدلالات. وعلى الرغم من أنه يجب علينا أن لا نطرح برهاننا وفقاً للصياغة في الصورة القياسية، فإننا نستطيع أن نفعل ذلك. إن قواعد الاستدلال القياسي هي مجموعة من قواعد أو احتياطات لضمان الصحة والاتساق في تفسيرنا للصياغة؛ ونُقاس الصحة عن طريق هدفنا في تأسيس الصياغة؛ أعني تبسيط تكوين استدلالات مستقبلية وفقاً لاستدلالاتنا الماضية. ويصبح البرهان القياسي، بالتالي، النصف الأخير في العملية الكلية، كما يرى مل، للانتقال من مقدمات إلى نتائج، أي من جزئيات إلى جزئيات. وبمعنى آخر، تلاشت الفجوة بين الاستدلال القياسي والاستدلال الاستقرائي.

لكن هناك الكثير مما يمكن أن يقال. إن «مل» يسلم بأن هناك حالات يكون فيها الاستدلال القياسي العملية الكلية للاستدلال على نتائج من مقدمات. وتوجد هذه الحالات، مثلاً، في اللاهوت والقانون، عندما تُستمد المقدمة الكبرى من السلطة الملائمة، وليس عن طريق استدلال استقرائي من حالات جزئية. ولذلك قد يتلقى المحامي مقدمته الكبرى، في صورة قانون عام، من المُشرع، ثم يبرهن بعد ذلك على أنها تنطبق أو لا تنطبق في حالة جزئية أو مجموعة من الظروف. غير أن «مل» يضيف أن عملية الاستدلال الموجودة عند المحامي ليست، بالتالي عملية استدلال، بل هي عملية تفسير^(١).

ومع ذلك، لقد رأينا توأماً، أنه عند تشكيل الاستدلال القياسي النصف الثاني من مسار الاستدلال بأسره من المقدمات إلى النتائج، فإنه يكون، بالفعل، عملية تفسير

Ibid, 1, p. 223 (1.2.3.4). (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويتضح أن «مل» لا يفكر فيما يُسمى بالاستقراء التام، الذى تسجل فيه القضية العامة ما تمت ملاحظته على أنه صادق بالنسبة لكل عدد مفرد من فئة ما. لأن الاستقراء لا يمثل فى هذه الحالة أى تقدم فى المعرفة^(١). ولكنه يفكر فى استدلال يجاوز معطيات التجربة الفعلية ويبرهن، مثلاً، من الحقيقة المعلومة التى تقول إن بعض حالات (س) هى (ص) على النتيجة التى تقول إن أى شىء يمتلك فى أى وقت الصفات التى ننظر عن طريقها إلى آن حالات (س) هى أعداد لفئة ما، يمتلك أيضاً الصفة (ص).

إن الافتراض الأساسى الذى تتضمنه عملية تجاوز المعطيات التجريبية الفعلية إلى المعطيات التجريبية الفعلية إلى إعلان قضايا عامة هو، عند «مل»، مبدأ اطراد الطبيعة، الذى يقول إن كل الظواهر تحدث وفقاً لقوانين عامة. «إن القضية التى تقول إن مجرى الطبيعة مطرد، هو المبدأ الأساسى، أو البديهية العامة، للاستقراء»^(٢). ويمضى قائلاً إنه إذا وضعنا الاستدلال الاستقرائى على جزئيات من جزئيات فى صورة قياسية عن طريق تدعيم مقدمة كبرى، فإن هذا المبدأ نفسه يكونُ المقدمة الكبرى النهائية.

وبالتالى، إذا وصفنا مبدأ اطراد الطبيعة بأنه مبدأ رئيسى، أو بديهية، أو مسلمة للاستقراء، فإن ذلك قد يميل إلى افتراض أنه يتم تصور المبدأ بوضوح والتسليم به قبل أن يتم أى استدلال علمى خاص. غير أن ذلك ليس هو وجهة نظر «مل» على الإطلاق. فهو يعنى، بالأحرى، أن اطراد الطبيعة هو الشرط الضرورى لصحة الاستدلال العلمى، وأتينا نفترضه بصورة ضمنية، عندما نقوم بأى استدلال معين، حتى على الرغم من أننا

(١) إذا اكتشفت فى البداية، مثلاً، أن كل حوارى هو يهودى، ثم قلت «كل الحواريين يهود»، فإن هذه القضية العامة لا تمثل أى تقدم حقيقى فى المعرفة (المؤلف). [الحوارى أو «الرسول» Apostle أحد تلامذة السيد المسيح وكانوا جميعاً بالطبع من اليهود فى بداية حياتهم].

(٢) Logic, 1, p. 355 (1, 3, 3, 1).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولذلك، إذا أخذنا مبدأ اطراد الطبيعة على أنه يعنى أن مجرى الطبيعة مطرد باستمرار بمعنى أن المستقبل يعيد الماضى باستمرار أو يشبهه، فإن المبدأ بوصفه قضية كلية، لا يكون صادقاً بصورة كلية واضحة. وكما يلاحظ «مل» لا يتبع الطقس مجرى مطرداً بهذا المعنى، ولا يتوقع أى شخص أنه يفعل ذلك. غير أنه ما يُسمى باطراد الطبيعة «هو نفسه حقيقة مركبة، مركبة من كل صنوف الاطراد المنفصلة التى توجد بالنسبة إلى ظواهر مفردة»^(١)، وتُسمى هذه الصنوف المنفصلة من الاطراد، بوجه عام، قوانين الطبيعة. ولذلك، ربما يكون القول بأن الاستدلال العلمى يفترض اطراد الطبيعة، هو القول، ببساطة، إن البحث العلمى للطبيعة يفترض ضمناً أن هناك صنوفاً من الاطراد فى الطبيعة. وبمعنى آخر، إن شرط صحة الاستدلال العلمى هو أنه يجب أن تكون هناك صنوف من الاطراد فى السياق أو المجال الذى يهتم به الاستدلال. ويكون الاكتشاف التدريجى لصنوف من اطراد جزئى صحة الاستدلال العلمى التدريجى.

لقد قيل، فى الغالب، إن «مل» يحاول أن «يبرر الاستدلال العلمى من المجهول على المعلوم. وهذا ما يفعله بمعنى ما. لكن بأى معنى؟ إنه يخبرنا، بالفعل، أن «البرهان الحقيقى على أن ما يصدق على «زيد» و«عمرو»... إلخ، يصدق على كل بنى البشر، لا يمكن أن يكون سوى أن قضية مختلفة لا تتسق مع الاطراد الذى نعرف أنه موجود فى مجرى الطبيعة»^(٢). غير أننا لا نعرف مقدماً أن مجرى الطبيعة مطرد. إننا قد نفترضه، وإذا كان الفرض قاعدة، من بعض الوجوه، لتكوين استدلالات، فإن الاتساق يتطلب أننا نتبعه. بيد أن الاتساق وحده لا يمكن أن يكون برهاناً على الفرض. وإذا ركزنا انتباهنا، على أية حال، على الجوانب التجريبية من فكر «مل»؛ أى على إنكار المعرفة القبلىة، ووجهة نظره التى تقول إن كل استدلال هو من جزئيات على جزئيات،

(١) Ibid, 1. p. 364 (1, 3, 4, 1).

(٢) Ibid, 1. p. 357 (1,3,3,1).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

من جزئيات إلى جزئيات، وأن القضايا العامة، التي نصل إليها عن طريق تعميم استقرائي، هي صياغات لتكوين استدلالات، ولكنها ليست قضايا نستنبط منها نتائج. ويخبرنا بالتالي أن الدراسة العلمية للطبيعة تتضمن استنباط قوانين أقل عمومية من قوانين أكثر عمومية. وبوضوح، يظل القول بأنه لا يمكن استنباط الجزئيات من حيث هي كذلك من أية قضايا عامة صادقاً وصحيحاً. إذ إن القضية العامة تخبرنا بما نتوقعه، ثم يجب علينا أن نفحص بصورة تجريبية ما إذا كان التنبؤ مؤكداً أو زائفاً. كما يبدو في الوقت نفسه أن ثمة تغييراً في التشديد فعندما يناقش «مل» القياس، فإنه يقدم تفسيراً اسمياً لعملية الاستدلال. وعندما يتجه إلى الاستقراء يميل إلى قبول موقف أكثر واقعية. فهو يميل إلى افتراض أن للطبيعة بناءً ثابتاً يمكن تمثله في صرح العلم.

إن بعض القوانين أو صنوف الاطراد، مثل قضايا الهندسة، لا ترتبط بالتتابع الزمني. في حين أن قوانين أخرى، مثل قضايا الهندسة المعمارية، تنطبق على ظواهر متزامنة ومتواجدة معاً ومتتابعة. كما أن هناك قوانين أخرى لا ترتبط إلا بالتتابع الزمني. وقانون العلّة هو أكثر هذه القوانين أهمية. «إن الحقيقة التي تقول إن كل واقعة لها بداية لها علّة، تقتزن بالتجربة البشرية»^(١). إن معرفة قانون العلّة هي، بالفعل، «العمود الأساسى للعلم الاستقرائي»^(٢). أعني، أن العلم الاستقرائي يؤسس قوانين علّية، ويفترض أن كل حدث يحدث وفقاً لقانون. ولذلك، فمن الضروري عند تطوير نظرية للاستقراء تعريف فكرة العلّة بصورة واضحة بقدر المستطاع.

ينكر «مل» أية نية لأن يشغل نفسه بعزل قصوى بالمعنى الميتافيزيقي^(٣). وفضلاً عن ذلك، فلما كان ينوئ أن لا يحدد فكرة العلّة إلا من حيث إنه يمكن الحصول عليها

(١) Ibid, 1, p. 376 (1,3,5,1).

(٢) Ibid, 1, p. 377 (1, 3, 5, 2).

(٣) لأن «مل» قبل تمييزاً قام به «ريد»، فإنه يقول إنه لا يهتم إلا «بالعلل الطبيعية، ولا يهتم بالعلل والفاعلة» (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«أن يقتبأ بتاريخ الكون السابق كله، على الأقل إذا لم تتدخل إرادة جديدة لقوة تستطيع أن تنظم الكون»^(١).

لكن كيف نعرف أن قانون العلّية حقيقة كلية؟ لم يكن «مل» مستعداً، بالتأكيد، لأن يقول إنه قضية قبلية واضحة بذاتها، وليس مستتبهاً من أية قضية كهذه. ولذلك لابد أن يتمسك بأنه نتاج استدلال استقرائي. لكن ما نوع الاستدلال الاستقرائي؟ إن المنهج الذي يوصى به «مل» في التيقن من قوانين علّية معينة هو منهج الحذف، كما سنرى في القسم القادم. غير أن منهج، أو بالأحرى مناهج، البحث التجريبي عن طريق عملية الحذف يفترض صدق قانون العلّية. ولذلك قلما يمكن إثباته بذاته عن طريق هذه العملية. وهذا يعني أنه يجب علينا أن نلجأ إلى استقراء عن طريق إحصاء بسيط. أعني، أننا نجد في التجربة العادية أن لكل حدث علّة. وعندما نصل إلى دراسة علمية للطبيعة، فإننا نؤمن بإيجاد روابط علّية ونتوقع أن نجدها

يصعب في رأيي إنكار أن «مل» في موقف صعب نسبياً. فهو يريد، من جهة، أن يقول إن قانون العلّية حقيقة كلية وبقينية تثبت استدلالاً علمياً. ويثبت أن الاستقراء عن طريق إحصاء بسيط يصبح أكثر وأكثر يقيناً كلما اتسع مجال الملاحظة. ولذلك «تتم البرهنة على النوع الأكثر كلية من الحقائق، وقانون العلّية مثلاً. ومبادئ العند ومبادئ الهندسة، باقتناع وكما يجب، عن طريق ذلك المنهج فقط، ولا تقبل أي برهان آخر»^(٢). إن قانون العلّية «يقف على رأس كل صنوف الاطراد الملاحظة، من حيث الكلية، وبالتالي من حيث اليقين (إذا كانت الملاحظات السابقة صحيحة)^(٣). كما أن «قانون العلّة والمعلول يستطيع، لأنه يقيني، أن يفرض يقينه على كل القضايا الاستقرائية

(١). Logic, 1, p. 400 (1,3,5,8).

(٢). Ibid, 11, p. 102 (11, 3, 21, 3).

(٣). Ibid, 11, p. 103 (11, 3, 21, 3).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وإذا كان هناك اعتراض على أن «مل» يريد بوضوح أن ينسب لقانون العلّية يقيناً مطلقاً يساعده على أن يكون الأساس الأكيد المطلق لاستدلال علمي، فإنه يمكن التسليم بالاعتراض. «إن القول بأن كل واقعة توجد لها علّة . قد يؤخذ على أنه يقيني. فكل الوقائع الحالية هي النتائج الذي لا يخطئ لكل الوقائع الماضية، وبصورة أكثر مباشرة لكل الوقائع الموجودة في اللحظة السابقة. وهنا، من ثم، تتابع عظيم. نعرف أنه مطرد. وإذا تكررت الحالة السابقة كلها للكون من جديد، فإن الحالة الراهنة تتبعها مرة ثانية^(١)». لكن على الرغم من أن «مل» قد يؤمن بكلية قانون العلّية وعدم إمكان خطئه، فإن المسألة هي أنه ليس لديه، بناء على مقدماته، تبرير كاف لإيمانه. ويجد نفسه، كما رأينا، مضطراً إلى أن يعرف هذه الحقيقة.

٧- لقد كان «مل» بعيداً للغاية عن الاعتقاد بأن المذهب التجريبي، بمعنى الملاحظة المحض، يستطيع أن يفعل الكثير لكي تتقدم المعرفة العلمية. ولم يعتقد أن المذهب التجريبي المعمل، بمعنى إجراء تجارب منظمة، يكون المنهج العلي بأسره. لقد كان على وعي بأن وظيفة الفروض «هي وظيفة لا بد من الاعتماد عليها بصورة لا يمكن الاستغناء عنها على الإطلاق في العلم.. فنبون هذه الفروض لا يستطيع العلم أن يبلغ حالته الراهنة إطلاقاً؛ إنها خطوات ضرورية في التقدم إلى شيء أكثر يقيناً وتقريباً كل شيء هو الآن نظرية، كان من قبل فرضاً^(٢). ولم يغفل، بالتأكيد، دور الاستنباط. «إن العقل البشري مدين للمنهج الاستنباطي، الذي يتسم بالتالي بأجزائه الثلاثة التي يتكون منها وهي: الاستقراء، والقياس، والتحقق من الصدق، وذلك لانتصاراته الأكثر ظهوراً في بحث الطبيعة^(٣)». وكما أن هناك انتباهاً مركزاً بوجه عام على طرق البحث التجريبي عند «مل»، التي سنقدم لها تفسيراً مختصراً وموجزاً، فكذلك يجب أن ندرك منذ البداية

(١). Logic, 1, p. 437 (1, 3, 7, 1).

(٢). Ibid. 11, pp. 16- 17 (11, 3, 14, 5).

(٣). Ibid, 1, p. 538 (1, 3, 11, 3).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عندما نبحث عن علّة حدث معين، فإنه تواجهنا كثرة من علل صحيحة في ظاهر الأمر، أو كثرة من علل ممكنة، ولا يمكننا الملاحظة وحدها من أن نحدد العلة الصحيحة. ولا يمكننا التحليل العقلي الخالص أو البرهان من تحقيق ذلك. إن البرهان لا يمكن الاستغناء عنه بالفعل. لأنه يجب علينا أن نكون فروضاً في العلم، وأن نستتبع نتائجها. غير أن الفرض لا يمكن أن يتحول إلى قانون للطبيعة إذا لم يتم حذف إمكانات بديلة. ويتطلب ذلك طرق بحث تجريبي. إن كل ذلك يفترض، بوضوح، وجود أطراد موضوعي في الطبيعة، ووجود قوانين عليّة تنتظر الاكتشاف. وإذا سلّمنا بالنواحي التجريبية من تفكير «مل»، فإننا لا نستطيع، بالفعل، أن نبرهن على الأطراد العام للطبيعة إلا بصورة بعدية وتدرجية، من حيث إننا نكتشف روابط عليّة فعلية. بيد أن ذلك لا يغير الواقعة التي تقول إن «مل» مقتنع، بوضوح، بوجود هذه الروابط التي يجب اكتشافها. وهذا هو بدون شك السبب في أنه يميل إلى الحديث، كما رأينا، كما لو كان الأطراد العام للطبيعة يمكن معرفته قبل الاكتشاف العلمي لقوانين عليّة جزئية.

يقدم «مل» أربع طرق للبحث التجريبي. الطريقتين الأولىين هما، بالتحديد، الاتفاق والاختلاف. ويقرر المبدأ المنظم لطريقة الاتفاق^(*) أنه «إذا اشتركت حالتان أو أكثر من الظاهرة موضع البحث في ظرف واحد فقط، فإن الظرف الذي تتفق فيه فقط كل الحالات يكون علّة (أو معلول) الظاهرة المعطاة»^(١). وتقرر قاعدة طريقة الاختلاف^(**) أنه إذا نظرنا إلى حالة تحدث فيها الظاهرة موضع البحث، وحالة لا تحدث فيها، ووجدنا أن الحالتين تمتلكان كل الظروف بوجه عام ماعداً ظرفاً واحداً، لا يكون موجوداً إلا في الحالة الثانية، فإن هذا الظرف يكون المعلول أو العلّة، أو جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من العلّة، أي من الظاهرة موضع الاهتمام. وكلتا الطريقتين هما،

(*) تسمى طريقة الاتفاق أو التلازم في الواقع. (المترجم)

(١). (1.3. 8,1) Ibid, 1, p. 451

(**) تسمى طريقة الاختلاف أو التلازم في التخلف. (المترجم)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إنها طرق ممكنة للكشف. «إذا تمت اكتشافات عن طريق الملاحظة والتجربة بدون الاستنباط، فإن الطرق الأربع تكون طرقاً للكشف لكن حتى إذا لم تكن طرقاً للكشف، فإنها الطرق الوحيدة للبرهان؛ وبذلك الخاصة تكون حتى نتائج الاستنباط مسئلة عنها»^(١).

يعرف «مل» بالطبع، أن للتجريب ميداناً محدوداً من التطبيق. ففي علم الفلك لا نستطيع أن نقوم بالتجارب التي نقوم بها في الكيمياء. ويصدق ذلك بصورة كبيرة أو قليلة على علمي النفس والاجتماع. ولذلك فإن مناهج هذه العلوم «لكي تحقق أي شيء يستحق البلوغ، لابد أن يكون، إلى حد كبير، إن لم يكن في معظمه، استنباطياً»^(٢). غير أن هذا المبدأ العام هو أن «الملاحظة بدون التجربة (بافتراض عدم وجود مساعدة من الاستنباط) يمكن أن تؤكد ألواناً من التتابع والتلازم، لكنها لا تستطيع أن تبرهن على العلئية»^(٣). والطرق الأربع التي ذكرناها من قبل هي طرق البرهان، أي طرق تحويل أي فرض إلى قانون على مؤكد. ولذلك، لم يكن «مل» على استعداد لأن يقبل وجهة النظر، التي ينسبها إلى «هول»، التي تقول إنه يجب علينا أن نقتنع عند غياب التكذيب التجريبي بأن نسمح لأي فرض بأن يبقى حتى يقدم فرض أبسط نفسه، يتسق تماماً مع وقائع تجريبية. وفي رأيه ليس غياب التكذيب هو، على الإطلاق، البرهان الوحيد على القوانين الفيزيائية الذي يكون مطلوباً. ولهذا السبب يصر على استخدام طرق البحث التجريبي، كلما كان ذلك ممكناً من الناحية العملية.

هل نجح «مل» في تبرير الاستدلال الاستقرائي مما هو ملاحظ على ما هو غير ملاحظ، أي من المعلوم على المجهول؟ إذا ركزنا انتباهنا على تقريره الواضح بأن كل استدلال هو من جزئيات على جزئيات، وإذا فهمنا أن الجزئيات هي كل الكيانات

(١) Ibid, 1, p. 502 (1,3,9,6)

(٢) Ibid, 1, p. 443 (1, 3, 7, 3).

(٣) Ibid, 1, p. 446 (1, 3, 7, 4).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

اجتماعى وإصلاح، لا بد أن يدرج الإنسان الموجود فى مجتمع فى ميدان تأملاته الخاصة بمنهج علمى.

ويأخذ الكتاب السادس من كتاب «نسق المنطق» عنواناً هو «فى منطق العلوم الأخلاقية». ويعنى «مل» بالعلوم الأخلاقية تلك الفروع من الدراسة التى تعالج الإنسان، شريطة أن لا تكون معيارية بصورة دقيقة فى طابعها، ولا يمكن تصنيفها بوصفها أجزاء من العلم الفيزيائى. يستبعد الشرط الأول الأخلاق العملية أو «الأخلاق» أى الأخلاق من حيث إنه يتم التعبير عنها بصيغة الأمر. إن صيغة الأمر خاصة للفن، من حيث إنه يتميز عن العلم^(١) ويستبعد الشرط الثانى اعتبارات حالات الذهن من حيث إنه يُنظر إليها على أنها تحدث مباشرة عن طريق الحالات الجسمية. وتنتمى دراسة القوانين التى تحكم العلاقات بين حالات الذهن إلى علم النفس من حيث إنه علم أخلاقى، لكن دراسة القوانين التى تحكم الإحساسات التى يُنظر إليها على أنها تعتمد، تقريباً، على شروط فيزيائية إلى علم النفس، الذى يكون علماً طبيعياً. وإذا افترضنا أننا نحمل فى الذهن هذه المؤهلات، فإننا نستطيع أن نقول إن العلوم الأخلاقية تشمل علم النفس، وعلم السلوك، أو علم الأخلاق البشرية^(٢)، وعلم الاجتماع، والتاريخ، على الرغم من أن علم التاريخ جزء، بالفعل، من علم الاجتماع العام: أعنى علم الإنسان فى مجتمع.

إن ما هو مطلوب، من وجهة نظر «مل»، هو إنقاذ العلوم الأخلاقية من «المذهب التجريبي». أعنى، لا بد أن تتحول القوانين الوصفية التجريبية الخالصة إلى قوانين عليّة مفسّرة، مُستنبطة من هذه القوانين. إننا قد نلاحظ، مثلاً، أن الموجودات البشرية تسلك فى كل الحالات المعروفة بطريقة معينة فى ظروف معينة. ونصوغ، بالتالى، صورة عامة نقول إن الموجودات البشرية تسلك بهذه الطريقة. بيد أن ملاحظة محضاً لعدد معين

(١) Logic, 11, p. 546 (11, 6, 12, 1).

(٢) اقترح «مونشكيو»، مثلاً، كيف يتكون سلوك قومي (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

القوانين، وتقوم بالتالى بوصفها ألواناً من التحقق من هذه القوانين. وعلاوة على ذلك، حالما تؤسس قوانين علم الأخلاق الاجتماعية بدقة، لابد من فتح الطريق لتطوير الفن المناظر! أعنى فن القربية العملية، الذى يستطيع أن يستخدم المبادئ من أجل إنتاج معلولات مرغوب فيها، أو منع معلولات غير مرغوب فيها.

يدرس العلم الاجتماعى 'أى علم الإنسان فى المجتمع، «أفعال الجماهير الجمعية لبنى البشر، والظواهر المتنوعة التى تكوّن حياة اجتماعية»^(١). إنه يضم، بالطبع، دراسة السياسة. إن إجراء تجارب اصطناعية فى العلم الاجتماعى، أو علم الاجتماع، كما هى الحال فى علم الأخلاق الاجتماعية، أمر غير ممكن من الناحية العملية، فى حين أن التجربة المحض لا تكفى لإيجاد علم. كما أن المنهج الاستنباطى كما يُمارس فى الهندسة لا يقدم نموذجاً ملائماً. لقد حاول «بنتام»، بالفعل، أن يستنبط نظرية اجتماعية - سياسية من مبدأ واحد وهو أن الناس يبحثون باستمرار عن مصالحهم الخاصة، بيد أنه ليس صحيحاً، فى واقع الأمر، أن الناس تحكمهم باستمرار المصالح الأنانية فى أفعالهم. وكذلك الحال، ليس صحيحاً بصورة كلية أن الدوافع الغيرية هى التى تحكمها. وبوجه عام، إن الظواهر الاجتماعية مركبة جداً وهى نتاج عوامل متنوعة كثيرة جداً حتى إننا لا نستطيع أن نستنبطها من مبدأ واحد. وإذا بحث عالم الاجتماع عن نموذج المنهج، فإنه يجب عليه أن لا ينظر إلى الهندسة، ولكن إلى العلم الفيزيائى. لأن عالم الفيزياء يسمح بتنوع العلل التى تساهم فى إنتاج معلول، ويسمح كذلك بتنوع القوانين.

يشدد «مل» على المنفعة فى العلم الاجتماعى لما يسميه بالمنهج الاستنباطى العكسى، أو المنهج التاريخى. ففى استخدام هذا المنهج لا يستنبط عالم الاجتماع نتائج بصورة قبلية من قوانين، يتحقق منها عن طريق الملاحظة. إنه يحصل فى البداية على النتائج، من حيث إنها تعميمات تجريبية تقريبية، من التجربة، ثم يربطها «بمبادئ

(١). (11, 6, 6, 1). Ibid. 11, p. 464

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نستطيع أن ننسب المجال إلى المنهج الاستنباطي المباشر وعلى العكس، كلما نظرنا إلى الموقف على أنه أكثر تعقيداً وتركيباً، فإنه يجب علينا أن نتجه إلى المنهج الاستنباطي العكسي.

فى علم الاجتماع، يتابع «مل» «كونت» فى التمييز بين علم الاجتماع الاستاتيكي، وعلم الاجتماع الديناميكي. يهتم الثانى بالتيقن والتحقق من صنوف الاطراد للتواجد معاً فى مجتمع. أعنى، أنه يبحث الأفعال المتبادلة لظواهر اجتماعية متزامنة وريود أفعالها، يأخذ، بقدر الإمكان، من العملية المستمرة للتغير التى تعدل باستمرار، وبالتدريج، المركب الكلى للظواهر. إن علم الاجتماع الديناميكي، على أية حال، يدرس المجتمع منظوراً إليه على أنه كائن فى حالة دائمة من الحركة أو التغير، ويحاول أن يفسر ألوان التتابع التاريخى للظروف الاجتماعية. لكن على الرغم من أننا نستطيع أن نتيقن من قوانين عامة لتغير تاريخى أو تقدم، فإننا لا نستطيع أن نتنبأ بمعدل التقدم. لأننا لا نستطيع، من جهة، أن نتنبأ بظهور أولئك الأفراد الأفاض الذين يمارسون تأثيراً مميزاً فى مجرى التاريخ.

وفى هذه المسألة، يرجع «مل» إلى مقال «ماكولى» Macaulay عن «دريدن» Dryden، وينتقد وجهة نظر عدم الفاعلية النسبية لأفراد تاريخيين عظام، وهى وجهة نظر يعبر عنها المقال. فنحن لا نستطيع بصورة مشروعة، مثلاً، أن نفترض أنه بدون «سقراط» و«أفلاطون»، و«أرسطو» أن تتطور الفلسفة الأوربية كما تطورت، أو حتى أنها تتطور على الإطلاق. ولا نستطيع أن نفترض بصورة لها ما يبررها أنه إذا لم يعيش «نيوتن»، فإن شخصاً آخر كان سيبكر فلسفته الطبيعية بالفعل. إنه لخطأ جسيم أن نفترض أن الحقيقة التى تقول إن كل الإرادات البشرية والأفعال لها سبب، تستلزم النتيجة التى تقول إن الأفراد الموهوبين البارزين لا يستطيعون أن يمارسوا تأثيراً فذاً غير مألوف.

ومن الواضح أن تصور «مل» لعلم اجتماعى من حيث إنه يتضمن تفسير السلوك البشرى عن طريق قوانين عليّة يفترض مقدماً إمكان التنبؤ، من حيث المبدأ، بكل

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

٩- يفترض تصور «مل» الكلى للعلوم بوضوح، سواء العلوم الفيزيائية أو العلوم الأخلاقية، وجود العالم الخارجى. ويمكننا الآن أن نتقل إلى مناقشته لأسس إيماننا بهذا العالم، وهى مناقشة تتم، إلى حد كبير، داخل إطار فلسفة «سير وليم هاملتون».

لقد أثبت «هاملتون» أن لدينا فى الإدراك معرفة مباشرة بالأنا وبالأنا بالذات وبشئ موجود خارج الذات. ومع ذلك، بينما سلم «مل»، كما ادعى هيوم، بأن لدينا اعتقاداً طبيعياً بوجود عالم خارجى، فإنه حاول أن يبين كيف يمكن تفسير هذا الاعتقاد سيكولوجياً دون أن تكون هناك ضرورة لافتراض أنه يعبر عن واقعة أصلية للوعى. ويقدم مسلمتين: الأولى هى أن الذهن يستطيع أن يتوقع، والثانية هى صحة سيكولوجيا التداعى. ويبرهن بناء على هاتين المسلمتين على أن هناك ألوأناً من التداعى «لا تفترض حدساً بعالم خارجى يوجد فى الوعى، وتولد، لا محالة، اعتقاداً فى عالم خارجى دائم، وتجعلنا ننظر إليه على أنه حدس»^(١).

دعنا نفترض أن لدى إحساسات مرئية وملموسة تولد فى ذهنى تداعياً من أفكار، فعندما أخذ مقعدى فى دراستى، تكون لدى تلك الإحساسات المرئية التى أسميها برؤية المقعد، والإحساسات الملموسة التى أسميها باللمس أو الشعور بالمقعد. ويتكون تداع حتى إنه عندما يكون لدى إحساس مرئى من هذا النوع، يكون إحساس ملموس موجوداً كماكان. وعلى العكس، عندما لا يكون لدى سوى إحساس ملموس، عندما تكون الحجرة مظلمة تماماً مثلاً، يكون هناك إحساس مرئى كماكان. وفضلاً عن ذلك، عندما أفاذر الحجرة، وأدخلها بعد ذلك مرة ثانية، فإنه تكون إحساسات متشابهة. وهكذا يتكون تداع فى ذهنى من نوع حتى إننى عندما أكون خارج الحجرة، فإننى أكون مقتنعاً بأننى إذا اضطررت إلى أن أدخلها مرة ثانية فى أية لحظة، فإنه تكون

Examination, p. 192. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أنه لا يعتقد، مثل «كل أنصار باركلي» في المادة إلا بمعنى هذا التعريف؛ أعنى تعريفاً، يزعم، أنه يشمل كل المعنى الذي يعطيه الناس العاديون للفظ، مهما كان التعريف الذي يقدمه بعض الفلاسفة واللاهوتيين. ولذلك، ألزم «مل» نفسه، بوضوح بتقرير أنطولوجي.

ومع ذلك، فإن تعريف المادة بأنها إمكان دائم لإحساس، غامض. لأنه يفترض، بسهولة، فكرة أساس دائم لإحساسات ممكنة؛ أساس غير معروف في ذاته. وإذا كان ذلك هو ما يقصده، فإن صدعاً يدخل لا محالة بين عالم العلم والواقع الفيزيائي الأساسي. فالحقائق العلمية ترتبط بالظواهر، ولا ترتبط بالأشياء في ذاتها. لكن على الرغم من أنه يرى في مكان آخر أن «كل المادة ماعدا مشاعر الموجودات الحساسة ليس لها سوى وجود افتراضي وغير جوهري؛ فهي فرض محض لتفسير إحساساتنا»^(١)، فإنه يبين أنه لا يقصد أن يؤكد صحة هذا الفرض.

إذا فسرنا «مل»، بالتأكيد، بناء على الخطوط التي يُفسر بها «باركلي» في الغالب؛ أعنى القول ببساطة أن الأشياء المادية هي ببساطة ما ندركه، ونستطيع أن ندرك أنها موجودة، ولا وجود لحامل غير معروف كما يسلم به لوك، فإن طبيعة العلم، كما يصورها «مل»، لا تبدو أنها تتأثر. بيد أنه على الرغم من أن ذلك جزء مما يعنيه مل بلاشك، كما يبينه اقتناعه بأنه بتعريف المادة كما يعرفها، يكون في صف الإنسان العادي، فإن الحقيقة تظل أنه يتحدث عن الأشياء المادية بوصفها «إحساسات». ومن ثم يقول، مثلاً، إن «المخ، مثله مثل الوظائف الذهنية تماماً هو، كالمادة ذاتها، مجموعة من

(١) ibid

لا داعي للقول بأن «مل» لا يقبل النتائج الأنطولوجية التي استمدها «باركلي» من نظريته عن الأشياء المادية بوصفها «أفكاراً». لكنه ينظر إلى تحليله لما يعنيه بقوله بأن هناك أشياء مادية تستمر في الوجود حتى عندما لا ندرك، على أنه بصورة أساسية، هو نفس التحليل الذي قدمه الأسقف الطيب (باركلي) (المؤلف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

دراسة للعلاقات بين إحساساتي. لكن هل يُصدّق أحد أنه إذا نظر عالم التشريح إلى المخ البشري، فإن موضوع فحصه يكون، ببساطة، مجموعة من حالاته الذاتية الخاصة، الفعلية والممكنة؟ باختصار، إن النتيجة المنطقية لتعريف الموضوعات عن طريق الإحساسات، عندما يُفهم الإحساس على أنه حالة ذاتية، هي مذهب «الأنا وحدي». ولا أحد يعتقد، بالفعل، أن هذا المذهب صحيح.

قد يُعترض على أن «مل» لم يقصد مطلقاً أن يقول إن العلم يهتم، ببساطة، بحالات ذاتية بأى معنى مألوف للفظ. والاعتراض صحيح بصورة واضحة. واضح تماماً أن «مل» لم تكن لديه نية لأن يثبت أن العالم الفيزيائي كله يتكون من إحساساته (إحساسات مل) بمعنى ذاتي. لكن يجب علينا، بالتالي، إما أن نجعل الإحساسات أشياء؛ أى نحيلها إلى موضوعات فيزيائية عامة، أو يجب علينا أن نفترض أن القول بأن موضوعاً فيزيائياً هو إمكان دائم لإحساس يعنى القول بأن موضوعاً فيزيائياً هو ذلك الذى يستطيع أن يسبب إحساسات فى ذات حساسة. البديل الأول سيكون موضوعاً خاصاً للغاية، بينما يميل البديل الثانى لأن يدخل مفهوم الأشياء فى ذاتها من جديد، ويكون هناك صدع بين عالم العلم والواقع الفيزيائى الذى أشرنا إليه من قبل.

حقيقة الأمر هى أن «مل» بعد أن بيّن، حسب اقتناعه هو على الأقل، كيف يمكن تفسير اعتقادنا فى العالم الخارجى من جهة أصله عن طريق تداعى الأفكار، انزلق إلى تأكيدات أنطولوجية دون أن ينظر بالفعل إلى مضامينها بالنسبة لطبيعة العلم الفيزيائى. ويبدو جلياً، لكاتب هذه السطور، على أية حال، أن تحليل «مل» التجريبي للموضوع الفيزيائى لا يطابق، بالفعل، التصور الواقعى للعلم الذى يكمن خلف نظريته عن القوتين العلية.

١٠- لقد استهوى التراث التجريبي «مل» بوضوح فجعله يقدم تحليلاً مماثلاً لمفهوم الذهن. «ليس لدينا مفهوم عن الذهن ذاته، كشئ يتميز عن تجلياته الواعية. فنحن لا نعرفه ولا نتصوره، إلا من حيث أنه تتابع المشاعر الكثيرة التى يسميها

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وفيما يتعلق بتحليل مفهوم الذهن، فإن «مل» يثير مسألة «الأنا وحيدة». ويلاحظ «ريد»^(*) أنني لا أملك دليلاً مطلقاً على وجود ذوات أخرى إذا لم أكن سوى سلسلة من مشاعر، أو خيط من الوعي. إن وعي المزعوم بذوات أخرى هو ببساطة وعي بمشاعري الخاصة. غير أن هذا الخط من الحجة، كما يرى مل، هو «أحد أخطاء ريد الأكثر وضوحاً»^(١). لأنه، من جهة، حتى إذا اعتقدت أن ذهني الخاص هو سلسلة من مشاعر، فإنه لا شيء يمنعني من تصور أذهان أخرى من حيث إنها سلسلة متشابهة من مشاعر. ومن جهة أخرى، لدى دليل استدلالى على وجود أذهان أخرى غير ذهني، كما يبين الخط التالى من التفكير.

إن تصورات فى الإمكان الدائم للإحساسات التى أسميها بجسمى تثير فى إحساسات فعلية وحالات ذهنية تكون جزءاً من السلسلة التى أسميها بذهني. غير أنى أعى وجود إمكانات دائمة أخرى لإحساسات لا ترتبط بحياتى الذهنية بهذه الطريقة. كما أنى أعى فى الوقت نفسه أفعالاً وعلامات خارجية أخرى فى هذه الإمكانيات الدائمة لإحساسات أو أجسام، يكون لدى الحق فى أن أفسرها بأنها علامات أو تعبيرات عن حالات ذهنية داخلية تماثل حالاتى الخاصة.

إن وجهة النظر التى تقول إننا نعرف وجود أذهان أخرى عن طريق الاستدلال من السلوك الجسمى العلنى هى وجهة نظر شائعة بما فيه الكفاية. ومع ذلك، فإن المشكلة هى أن «مل» حلل الأجسام عن طريق الإحساسات. ويتضح، أنه لم يقصد، على الإطلاق، أن يقول، أو يلمح، أن جسم شخص آخر هو، ببساطة و فقط، مجموعة من إحساساتى، الفعلية أو الممكنة. غير أنه كان مضطراً، على أية حال، إلى أن يواجه اعتراضاً هو أنني لا أعى جسم شخص آخر إلا عن طريق إحساساتى، وإذا عرفنا

(*) توماس ريد (١٧١٠ - ١٧٩٦) فيلسوف اسكتلندى. مؤسس مدرسة الحس المشترك من أهم مؤلفاته:

«مقالات فى القوى النظرية للذهن»، و«مقالات فى القوى العملية للذهن» (المترجم)

Ibid, p. 207. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن الدليل الأنطولوجي في صورته الديكارتية «لا يرضى أى شخص هذه الأيام»^(١). ولأنه نظر إلى العلاقة العلّية على أنها علاقة أساسية بين الظواهر، فإنه ليس هناك ما يدعو إلى الدهشة أنه يبرهن مع هيوم وكانط على أن «دليل العلّة الأولى ليس ذا قيمة فى ذاته لتأسيس مذهب التّاليه»^(٢). غير أنه كان على استعداد لأن يعطى اعتباراً جاداً للدليل من التدبير والتخطيط فى الطبيعة، من حيث إن ذلك «دليل ذو طابع علمى بالفعل، لا يتقلص من الاختبارات العلمية، لكنه يزعم أنه يُحكم عليه عن طريق المبادئ الراسخة للاستقراء. إن برهان التدبير والتخطيط يقوم، أساساً، على التجربة»^(٣). وما إذا كان أى دليل على حقيقة تجاوز الظواهر يمكن أن يُسمى، بصورة ملائمة، «دليلاً علمياً» هو مسألة خلافية. بيد أن هدف «مل» الأساسى هو أنه حتى إذا كان الدليل من التدبير والتخطيط فى الطبيعة ينتهى بإثبات وجود موجود إلهى يجاوز فى ذاته مجال البحث العلمى، فإنه يقوم على وقائع تجريبية بطريقة تُفهم بسهولة وتكون استدلالاً، تكون صحته موضع مناقشة معقولة.

إن الصورة الموجودة عند «بالى» للدليل لا تفى. صحيح أننا إذا وجدنا ساعة فى جزيرة صحراوية، فإننا نستدل بالفعل على أن موجوداً بشرياً قد تركها هناك. غير أننا نفعل ذلك ببساطة لأننا عرفنا من قبل عن طريق التجربة أن الموجودات البشرية صنعت ساعات. ومع ذلك، لا تكون لدينا تجارب سابقة عن موضوعات بشرية خلقها الله. إننا نبرهن عن طريق المماثلة. أعنى، أننا نبرهن من المماثلات بين ظواهر عرفنا من قبل أنها نتاجات تخطيط بشرى وظواهر أخرى، ثم ننسبها إلى العمل المنتج لعقل (ذكاء) علوى.

ومع ذلك، لا بد أن يُضاف أن الدليل من التدبير والتخطيط فى الطبيعة يقوم على مماثلة خاصة؛ أعنى عمل عوامل متنوعة معاً من أجل غاية مشتركة واحدة. فالدليل يستدل، مثلاً، على عمل عقل علوى من تنظيم أجزاء متعددة من الأجهزة المرئية وبنائها

(١) Three Essays on Religion, p. 70.

سوف تشير إلى هذا الكتاب فيما بعد باسم «ثلاث مقالات».

Ibid, p. 67. (٢)

Ibid, p. 72. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«دين مانسل» Dean Mansel أن لفظ «خير» هو صفة لله عى سبيل المماثلة، وليس بنفس المعنى الذى يُستخدم به بالنسبة للموجودات البشرية. لأن ذلك يساوى، بالفعل، القول بأن الله خير بأى معنى يمكن أن نعطيه للفظ. وعلى الرغم من ذلك، إذا أردنا أن تثبت أن الله خير، فإنه يجب علينا أيضاً أن نقول إن قوته محدودة أو متناهية.

لقد كان «مل» على استعداد لأن يسلم بمعقولية الاعتقاد بأن الله يرغب فى سعادة الإنسان. لأن ذلك تفترضه واقعة هى أنه يبدو أن اللذة (السعادة) تنتج من قيام الموجود البشرى بوظيفته العادية، وينتج الأكم من عدم قيامه بهذه الوظيفة. كما أننا قلما نستطيع، فى الوقت نفسه، أن نفترض أن الله خلق الكون كى يجعل الإنسان سعيداً فحسب. فالظواهر تفترض أنه إذا كان هناك خالق عاقل، فستكون له دوافع أخرى إلى جانب سعادة البشر، أو سعادة الموجودات الحساسة بوجه عام، وأن هذه الدوافع الأخرى، أياً كانت، ذات أهمية بالنسبة له.

ويعنى آخر، لا ينقلنا اللاهوت الطبيعى بعيداً جداً. فمن غير المعقول، على الأقل فى الحالة الراهنة للدليل، أن نؤمن بموجود إلهى عاقل ذى قدرة محدودة. غير أن الاتجاه المناسب لقبوله هو ما يسميه «مل» بنزعة شكية عقلية، تكون أكثر من لا أدريّة محض، لكنها أقل من قبول تام.

وقد يكون ذلك حسناً للغاية إذا كان أولئك الذين يهتمون، بالفعل، بمسألة وجود الله يهتمون ببساطة، ويهتمون فقط، بإيجاد افتراض تفسيري. لكنه من الواضح تماماً أنهم لا يهتمون بذلك. لأن الإيمان الدينى الشخصى لا يشبه تماماً الإيمان الذى يقول إن مهندس كاتدرائية القديس بولس هو «سير كرسطوفر رن»^(١). ويرى «مل» أن ذلك هو،

(١) سير كرسطوفر رن Sir Christopher Wren (١٦٣٢ - ١٧٢٣) مهندس إنجليزى وأستاذ فى علم الفلك وعضو بالجمعية الملكية، كرس نفسه للهندسة المعمارية حوالى عام ١٦٦٣، وضع خططاً لإعادة بناء مدينة لندن بعد الحريق الهائل عام ١٦٦٦، كما وضع تصميمًا جديداً لكاتدرائية القديس بولس عام ١٦٧٥. (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الناس أكثر سعادة وقدرة على أن يستمدوا السعادة من فعل غير أناني، فإن الموجودات البشرية، كما يعتقد «مل» «تهتم قليلاً وقليلاً بهذا التوقع الذي يستحق المدح والثناء»^(١). ومع ذلك، إذا أدرجنا في ديانة البشرية ذلك الإيمان بوجود إله ذي قوة محدودة، ذلك الإيمان الذي يبرره اللاهوت الطبيعي بوصفه حقيقة محتملة، فإنها تزيد على الدوافع الأخرى التي تعمل من أجل رفاهية أقراننا الاقتناع بأننا «قد نتعاون مع الموجود اللامرئي الذي ندين له بكل ما هو ممتع في الحياة»^(٢). ولذلك حتى إذا تم إنكار أن الديانة البشرية هي ديانة المستقبل، فإن ذلك لا يستبعد بالضرورة الإيمان بالله.

وهكذا يتفق «مل» مع «أوجست كونت» في أن الديانة البشرية هي ديانة المستقبل، على الرغم من أنه لا يتعاطف مع اقتراحات «كونت» الجذابة لتأسيس هذه الديانة. كما أنه لا يبطل الإيمان بإله متناه يمكن أن يتعاون معه الإنسان. وعلى الرغم من أن فكرته عن الدين لا ترضى كثيراً، بوضوح، كيركجور، أو أي شخص يفهم الدين بأنه يتضمن تقييد الذات بمطلق شخصي، فإنه لا يعتقد، مثل بعض التجريبيين من قبله، أنه يمكن التخلص من الدين عن طريق تفسير سيكولوجي للطريقة التي يمكن أن ينشأ فيها الاعتقاد الديني، أو بتوجيه الانتباه إلى الشرور التي تحدث باسم الدين. ومع أن مقدماته التجريبية تحدد، بالفعل، تقييمه لقوة الأدلة على وجود الله، فإنه يحاول أن يكون ذا عقل منفتح. وعلى الرغم من أن مل نظر إلى الدليل على أنه لا «يصل إلا إلى الدرجات الأدنى من الاحتمال»^(٣)، عندما نُشرت «المقالات الثلاث عن الدين» غُفلاً عام ١٨٧٤، فإن بعض الدوائر الوضعية قد انتابتها الدهشة بسبب القدر الذي تسامح به مع مذهب التآليه. لقد تجاوز، على أية حال، النقطة التي وقف عندها والده.

(١) Ibid, p. 54

يبرهن «مل» على أنه بينما لا يمدنا العلم بأي دليل مقنع ضد الخلود، فإنه لا وجود لدليل إيجابي لصالحه (المؤلف).

(٢) Ibid, p. 108.

(٣) Three Essays, p. 102.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ذلك خصوصاً، بربط العمليات السيكلولوجية بأسسها الفسيولوجية، وبذلك واصل اهتمام «هارتلى» أكثر من اهتمام «جيمس مل» و«جون ستيوارت مل»^(١). ومع ذلك، بينما ظل تفكيره داخل الإطار العام لسيكلوجيا التداعي^(٢)، فإن عناوين أعماله الرئيسية: الحواس والذهن (١٨٥٥)، والانفعالات والإرادة (١٨٥٩) تبين أنه مدّ ميدان الدراسة من الإحساس والنشاط الذهني إلى الانفعال والجوانب الإرادية من الطبيعة البشرية^(٣). وقد مكّنه التحول من التشديد على هذا أن يتغلب، إلى حد ما، على ميل علماء سيكلوجيا التداعي إلى تصوير حياة الإنسان الذهنية بأنها نتاج عملية آلية خالصة.

يظهر تشديد «بين» على النشاط البشري، مثلاً، في تفسيره لأصل الاعتقاد في عالم مادي خارجي، فإذا كنا، ببساطة، موضوعات لإحساسات سلبية خالصة، أي لإحساسات أو انطباعات؛ أعنى منظوراً إلينا بمعزل عن أي نشاط، أو إظهار طاقة من جانبنا، فإن حالة وعينا اليقظة تشبه حالة الحلم. ومع ذلك، «الإحساس بداخلنا ليس، في حقيقة الأمر، سلبياً تماماً، وبوجه عام العكس هو الصحيح إلى حد كبير. وفضلاً عن ذلك، يوجد الميل إلى الحركة قبل دافع الإحساس، وتعطى الحركة طابعاً جديداً لوجودنا المدرك الكلي^(٤). إن الانطباعات التي نستقبلها من الخارج تثير حركة ونشاطاً، وإظهار طاقة أو قوة، وفي ممارسة القوة لا بد أن نبحث عن الشعور الخاص بتخارج الموضوعات»^(٥). ففي حالة اللمس، مثلاً، تكون الحاسة هي أول شيء يجعلنا

(١) على الرغم من أن جون ستيوارت مل لم يغفل، بالتأكيد، أهمية البحوث الفسيولوجية، مثل والده، فإنه اهتم أساساً بسيكلوجيا الوعي وأهميتها الفلسفية (المؤلف).

(٢) ومع ذلك، أدخل «بين» تعديلات كثيرة جيدة إلى سيكلوجيا التداعي كما أخذ من أسلافه (المؤلف).

(٣) وهكذا يوصف الذهن من البداية «بأنه يمتلك شعوراً»، «وأنا أدرج في هذا اللفظ ما يسمى بوجه عام الإحساس والانفعال. فالذهن يستطيع أن يفعل وفقاً للشعور. ويمكن أن يفكر» The senses and the Intellect, p. 1 (1st edition).

(٤) The Senses and Intellect, p. 371.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الطبيعى للجهاز العضوى، وتناسب قوته قوة «الإرادة». فالمخلوق الذى يريد بقوة يعتقد بقوة فى أصل حرفته^(١). وما تقوم به التجربة هو أنها تحدد الصورة الخاصة التى يأخذها دافع أولى لا يتولد. والعامل الأكثر أهمية فى تأسيس اعتقاد صحيح هو غياب التناقض، أو إمكان الثبات الواقعى للتتابع بين التوقع وتحققه.

ولذلك، إذا افترضنا أن استجاباتنا الغريزية تؤثر فى اللذة والألم، فإننا نستطيع أن نقول إن التجربة، مع الاستدلالات التى تترتب عليها، هى العامل الأسمى فى ترسيخ الاعتقاد. بيد أنها ليست بالتأكيد العامل الوحيد الذى يؤثر فى تكوين اعتقادات خاصة. لأنه على الرغم من أن الشعور والانفعال لا يغيران الوقائع الموضوعية، فإنهما قد يؤثران، وفى الغالب يؤثران، على طريقتنا لرؤية الوقائع وتفسيرها. إن الدليل والشعور: أى «بطبيعة الموضوع، وخاصية الذهن الفردى، تحددان ما ينبغى أن يهيمن، غير أنهما لا يكونان السيد الوحيد فى حياتنا هذه»^(٢).

وإذا أراد المرء أن يستمد نتيجة عامة عن موقف «بين» الفلسفى، فإنه يستطيع أن يصل إلى نتائج مختلفة من مجموعات مختلفة من العبارات. فمن جهة، قد يفترض تشديده على العلاقات الفسيولوجية للعمليات السيكلوجية موقفاً مادياً. ومن جهة أخرى، قد يفترض موقف من مثالية موضوعية عندما يتحدث، مثلاً، «عن الإدراك المقترض لعالم خارجى مادى ومستقل»^(٣)، ويضيف أن ما «نفترض هنا أنه يُدرك هو وهم ملائم، يجاوز بطبيعة الحال كل تجربة ممكنة»^(٤). ومع ذلك، يحاول «بين» فى حقيقة الأمر أن يتجنب الميتافيزيقا ويكرس نفسه لعلم نفس تجريبي، وراثى، حتى وإن كان لبعض عباراته مضامين فلسفية.

Ibid, p. 538. (١)

Ibid, p. 548. (٢)

Ibid, p. 585. (٣)

Ibid, (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بوافع أنانية؛ وهي نظرية اتهمت بسوء تفسير الوجدان والتعاطف «الأساسان الرئيسيان للنزاهة»^(١). ولاشك أن هذين الدافعين ينتميان إلى الذات. ولكن لا ينجم عن ذلك أنه يمكن وصفهما بصورة صحيحة بأنهما «دافعان أنانيان». إن الأنانية ليست، في واقع الأمر، هي الأساس الوحيد، على الإطلاق، لأفكار الإنسان عما هو صحيح. وهي ليست، بالتأكيد، الأساس الحالى الوحيد لمعتقدات الإنسان الأخلاقية. وقد أدرك النفعيون ذلك، وهم الذين ربطوا فكرة المنفعة بفكرة الخير أو الصالح العام.

ولا يستطيع المذهب النفعي في الوقت نفسه أن يشكل الحقيقة كلها عن الأخلاق؛ وذلك لأنه ينبغي علينا أن نفسح المجال للتمييز بين «منفعة تكون ملزمة، والمنفعة التي تترك حرة»^(٢). ومع ذلك، هناك أفعال كثيرة مفيدة ونافعة للمجتمع، لكن لا يُنظر إليها على أنها ملزمة. كما أنه واضح، من جهة أخرى، أن القواعد الأخلاقية التي تهيمن في معظم المجتمعات تقوم على العاطفة، ولا تقوم فقط على فكرة المنفعة. ولذلك، حتى على الرغم من أن مبدأ المنفعة هو خاصية جوهرية للأخلاق، فإنه يجب أن نضيف العاطفة والعرف أيضاً، «الذي يكون التأثير المستمر للمنفعة أو للعاطفة»^(٣). أعنى، أنه لا بد أن نضيفهما إذا أردنا أن نقدم تفسيراً شاملاً لممارسات أخلاقية موجودة.

ولذلك، لم يهتم «بين» بتقديم نظرية قُبلية للأخلاق. لقد اهتم ببيان الأسس التجريبية للأخلاق كما هي موجودة. إنه يقرب الأخلاق كثيراً من وجهة نظر عالم النفس. وإذا وضعنا هذا التقريب في أذهانتنا، فإننا نستطيع أن نفهم معالجته الوراثة للضمير والشعور بالإلزام. وفي مقابل وجهة نظر «دوجالد ستيوارت» التي تقول إن

Ibid, p. 258 (١)

يلاحظ «بين» أيضاً أنه يمكن أن يكون لدينا ألوان من التقمص الوجداني، وألوان من النفور والاشمئزاز التي تخلق من الغرض (المؤلف).

Ibid, p. 274. (٢)

Ibid, p. 277. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

العملية التشريعية. وحالما تكتمل، توجد السلطة الخارجية التى تشكل الضمير والإحساس بالواجب فى الفرد.

وكان «بين» يفعل خيراً لو أنه تأمل إقراره الخاص بأن الأفراد البارزين يستطيعون من جديد صياغة النظرة الأخلاقية لمجتمع ما. أعنى! أنه يجب عليه أن يسأل نفسه عما إذا كان هذا الإقرار يتسق، بالفعل، مع أخلاق الضغط الاجتماعى. لقد استنتج البعض أن هناك مجالاً لقيم موضوعية تكون فيه درجات مختلفة من الاستبصار ممكنة، بينما اعتقد «برجسون» أنه لا بد أن نميز بين ما يسميه «الأخلاق المنغلقة» و«الأخلاق المفتوحة». غير أنه يبدو أن المشكلة لم تؤرق «بين»، حتى على الرغم من وجود معطيات إثارة المشكلة فى تفسيره للأخلاق.

٢- وثمة تغيير جذرى كبير فى الأخلاق النفعية قام به «هنرى سد جويك» (١٨٣٨ - ١٩٠٠)، زميل «كلية ترنتى»، بكمبريدج، الذى اختير لكرسى فلسفة الأخلاق فى هذه الجامعة عام ١٨٨٣. قامت شهرته، أساساً، على كتابه «مناهج الأخلاق» (١٨٧٤). وتشمل كتابات أخرى كتابه «مجل تاريخ الأخلاق للقراء الإنجليز» (١٨٨٦)، وكتابته «محاضرات فى أخلاق جرين، وسبنسر، ومارتنىو» الذى نُشر عُقلاً عام ١٩٠٢.

يرى «سد جويك» فى تفسيره لتطور الآراء الأخلاقية، الذى طُبِع فى الطبعة السادسة (١٩٠١) من كتاب «مناهج الأخلاق» أن «تمسكى الأول بمذهب أخلاقى محدد كان بمذهب مل النفعى»^(١). غير أنه سرعان ما رأى تبايناً بين مذهب اللذة السيكولوجى، الذى يرى أن كل إنسان يبحث عن لذته الخاصة، ومذهب اللذة الأخلاقى، الذى يرى أنه يجب على كل إنسان أن يبحث عن السعادة العامة. وإذا أخذ مذهب اللذة السيكولوجى ليعنى أن كل إنسان يبحث، فى حقيقة الأمر، عن لذته الخاصة فقط، فإن القضية تكون موضع خلاف وجدال، أو تكون، بالأحرى، كاذبة. لكن لا يمكن، على أية

The Methods of Ethics, p. x v (6th edition). (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

من حيث إننا موجودات عاقلة أن نعامل الآخرين بالطريقة التي نعتقد أننا ينبغي أن نعامل بها، إذا لم يكن هناك فرق «يمكن صياغته كأساس معقول لفرق المعاملة»^(١). وهذا هو مبدأ العدالة. وواضح أيضاً وضوحاً ذاتياً أن خير أى فرد، من وجهة نظر الكون، ليس أكثر أهمية من خير أى شخص آخر، وينبغي على من حيث إتنى موجود عاقل أن أستهدف الخير العام، بقدر ما يمكن تحقيقه عن طريق مجهوداتى. ويمكن أن تستتبط من هاتين القضيتين مبدأ الأريحية، أعنى؛ «أن كل شخص ملزم بأن ينظر إلى خير أى شخص آخر كما لو كان خيره الخاص، إلا من حيث إنه يحكم عليه بأنه أقل، عندما ينظر إليه بدون محاباة، أو على أنه يستطيع أن يعرفه أو يبلغه بصورة أقل بالتأكيد»^(٢).

يتضمن مبدأ التروى أو مبدأ «الأناية العاقلة»، كما ذكرناه سابقاً، أنه ينبغي على الإنسان أن يبحث عن خيره الخاص. و«سد جويك» مقتنع، فى حقيقة الأمر، مع بطر، بأن هذا إلزام واضح جلى. ومع ذلك، فإن مبدأ الأريحية العاقلة يقرر أنه ينبغي علينا أن نبحث عن خير الآخرين، وفق شروط معينة على أية حال. وإذا ربطنا هذين المبدأين، نكون ملزمين بأن نبحث عن خير الجميع، بما فى ذلك خيرنا الخاص، أو نبحث عن خيرنا الخاص من حيث إنه جزء مكون من الخير العام. لأن الخير العام يتكون من ألوان الخير الفردية. ولذلك، فإن الخير العام يمكن أن يساوى السعادة الكلية، شريطة أن لا نفهم أن السعادة هى، ببساطة، لذات الحس، وشريطة أن لا نقصد أن نشير إلى أن السعادة يتم بلوغها باستمرار عن طريق استهدافها مباشرة. وإذ ذلك «فإننى أصل فى النهاية إلى نتيجة هى أن المنهج الحدسى الذى يطبق بشدة ينتج

The Methods of Ethics, p. 380. (١)

قد يكون الفرق ظرفاً من الظروف أو بين الأشخاص الذين نتحدث عنهم. ولا نعتقد بالضرورة أنه من الصحيح أن نعامل مطلقاً بالطريقة التي نرى أنه ينبغي أن نعامل بها (المؤلف).

Ibid, p. 382. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وعلى الرغم من أن استعانتة بحقائق واضحة بذاتها قد لا تبدو مقنعة للغاية، فإن اهتمامه بتحليل الوعي الأخلاقي العادى وتوضيحه يذكّر المرء بالحركة التحليلية المتأخرة فى الفلسفة البريطانية.

٤- توجد جذور سيكولوجيا التداعى، والمذهب الظاهرى عند جون ستيوارت مل، والأخلاق النفعية، فى القرن الثامن عشر. ومع ذلك، سرعان ما بدأت، بعد منتصف القرن التاسع عشر، فكرة جديدة تصبغ تيار التفكير التجريبي. وهذه الفكرة هى فكرة التطور. ولا نستطيع، بالفعل، أن نركز على تاريخ معين ونقول إنه بعد هذا التاريخ أصبح المذهب التجريبي فلسفة للتطور. بدأ «هربرت سبنسر»؛ فيلسوف التطور العظيم فى القرن التاسع عشر، نشر كتابه «نسق الفلسفة» قبل أن ينشر جون ستيوارت مل عمله عن «هاملتون»، وواصل «بين» الذى توفى فى نفس السنة التى توفى فيها سبنسر، التراث الذى مثله «جيمس مل» و«جون ستيوارت مل». وفضلاً عن ذلك، فإن قضية الحركة التجريبية من حيث إنها كل جاء تحت هيمنة فكرة التطور أقل من هيمنة الفكرة التى أصبحت بارزة فى ممثلي معينين للحركة. ومع ذلك، نستطيع أن نقول إنه فى النصف الأول من القرن غزت نظرية التطور ولم تحتل الأجزاء التى لها صلة بالميدان العلمى فصسب، بل احتلت أيضاً جزءاً ملحوظاً من ميدان الفلسفة التجريبية.

لم تكن فكرة التطور البيولوجى، بالتأكيد، اختراعاً من اختراعات منتصف القرن التاسع عشر. فقد ظهرت هذه الفكرة من حيث إنها فكرة نظرية حتى عند اليونان القدماء. وقد أعدّ «جورج لويس دى بوفون» Georges- Louis de Buffon (١٧٠٧ - ١٧٨٨)^(١) لهذه الفكرة الطريق فى القرن الثامن عشر، بينما اقترح «جان باتيست بيير

(١) الكونت جورج لويس بوفون : كاتب وعالم طبيعى فرنسى أشهر آثاره كتاب «التاريخ الطبيعى العام والخاص» وهو يقع فى ستة وثلاثين مجلداً (١٧٤٩-١٧٨٩). (المراجع).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«الجمعية اللينة»^(١) بلندن. كان إسهام «ولاس» بحثاً عن «ميل التنوعات إلى الانتقال بصورة لا محدودة من النوع الأصلي»، بينما كان إسهام «دارون» اختصاراً لأفكاره الخاصة.

نُشر عمل دارون الشهير عن «أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي، أو حفظ الأجناس المفضلة في الصراع من أجل الحياة» في نوفمبر عام ١٨٥٩، وبيعت جميع النسخ في أول يوم نُشر فيه. وتلا هذا العمل عمل آخر في عام ١٨٦٨ وهو «تنوع الحيوانات والنباتات في ظل عملية الاستئناس». وشهد عام ١٨٧١ نشر كتابه «سلالة الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس». ونشر دارون عدداً من أعماله الأخرى، لكنه نال الشهرة بكتابه «أصل الأنواع» و«سلالة الإنسان».

ولأن دارون كان عالماً طبيعياً، فقد تفرغ للتأمل الفلسفي، وكرس نفسه، في البداية، لإيجاد نظرية عن التطور تقوم على دليل تجريبي متاح. لقد فسر الأخلاق، بالفعل، بأنها تنشأ من غرضية الغريزة الحيوانية، وبأنها تتطور عن طريق تغيرات في المعايير الاجتماعية التي تضيف القيمة الباقية على المجتمعات. وقد كان على وعى تام، بوضوح، بالإخفاق الموجود في بناءات اللاهوتيين الذي أحدثته نظريته في التطور، لاسيما في تطبيقها على الإنسان. كتب عام ١٨٧٠ أنه بينما لم يتمكن من أن ينظر إلى الكون على أنه نتاج الصدفة العمياء، فإنه لم يستطع أن يرى دليلاً للتدبير والتخطيط، ومع ذلك قليلاً من التدبير المفيد، عندما شرع في النظر إلى تفاصيل التاريخ الطبيعي. وعلى الرغم من أنه كان مسيحياً في الأصل، فإنه وصل مع مرور الزمن إلى تعليق لا أدرى للحكم. ومع ذلك، مال إلى تجنب التورط الشخصي في جدال لاهوتي.

(١) نسبة إلى عالم النبات السويدي «كارلوس لينوس» (١٧٠٦-١٧٧٨) الذي يعتبر مؤسس علم النبات الحديث. فقد كان أول من قسم النباتات إلى فصائل وأنواع وجعل لكل نوع اسماً مؤلفاً من لفظين جنسه ونوعه، ثم طبق ذلك على الحيوان ابتداءً من ١٧٥٨. (المراجع).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وفضلاً عن ذلك، فإن الانطباع الذي لم يقدمه أعلام الفكرة فحسب، بل قدمه أيضاً بعض نقادها، هو أن نظرية دارون تُعد نظرية لا داعي لها، أو بالأحرى، يستبعدا أي تفسير غائي للعملية الكونية. فقد كتب «توماس هنري هكسلي»، مثلاً، «الآتي» إن ما يعترى الكاتب الحالي بقوة عند تصفحه الأول لكتاب «أصل الأنواع» هو الاقتناع بأن الغائية، كما تُفهم بوجه عام، لقيت ضربة قاتلة على أيدي دارون»^(١). إن الأنواع التي تبقى هي الأكثر صلاحية للصراع من أجل الوجود؛ غير أن التنوعات التي تجعلها أكثر ملائمة هي تنوعات عرضية.

إن اهتمامنا هنا ينصب على أثر نظرية التطور على الفلسفة وليس على الجدل والخلاف اللاهوتي الذي أحدثته. إن «هربرت سبنسر»، الفيلسوف الأول للتطور في القرن التاسع عشر، يستحق أن نكتب عنه فصلاً، أما الآن، فيكفي أن ننظر باختصار إلى كاتبين أو ثلاثة ساهموا في ذبوع فكرة التطور، وتطوير بعض النظريات الفلسفية التي تقوم على هذه الفكرة، أو ترتبط بها، ومع ذلك، تجدر الملاحظة إلى أنهم كانوا علماء انجرفوا إلى الفلسفة، ولم يكونوا فلاسفة محترفين. وبوجه عام، لقد انحاز فلاسفة أكاديميون أو يعملون بالجامعة عن الموضوع وأخذوا موقفاً متحفظاً، وبالنسبة لسبنسر، فإنه لم يشغل مطلقاً وظيفة أكاديمية.

٥- الاسم الذي يقترح نفسه مباشرة في هذا السياق هو اسم «توماس هنري هكسلي» T. H. Huxley (١٨٢٥-١٨٩٥)^(*). كانت لديه فرصة، من حيث إنه طبيب بحار، كان على متن سفينة «الأفعى المججلة»، لدراسة الحياة البحرية للبحار الاستوائية،

(١) Lectures and Essays (The people's Library edition) pp. 178 - 9.

كان هكسلي يعلق على مقال كتبه أستاذ هو Kolliker of Wurzburg الذي وصف دارون بأنه غائي وانتقده لهذا السبب (المؤلف).

(*) هكسلي، توماس هنري (١٨٢٥ - ١٨٩٥) عالم بيولوجي بريطاني. قام بدراسات في علم التشريح، وفي موضوع التطور، أيد مذهب دارون وواقع عنه، وعمل على تعريف الجمهور به (المترجم).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

حاد بين العملية التطورية وحياة الإنسان الأخلاقية. إن أولئك الذين قدموا أخلاقاً للتطور، التي وفقاً لها تكون حياة الإنسان الأخلاقية استمراراً للعملية التطورية، ربما هم على حق في إثبات أن ما نسميه بالعواطف الأخلاقية تطورت مثل الظواهر الطبيعية الأخرى. غير أنهم أغفلوا أن العواطف اللاأخلاقية هي أيضاً نتاج التطور. فاللص والقاتل يتبعان الطبيعة مثلهما في ذلك مثل الإنسان الذي يحب الخير لبنى البشر^(١).

ومع ذلك، تتضمن الأخلاق معارضة للعملية التطورية. ففي الصراع من أجل الوجود يميل الأقوى والأكثر تأكيداً لذاته إلى احتقار الضعيف، بينما «التقدم الاجتماعي» يعنى ضبط العملية الكونية في كل خطوة واستبدالها بأخرى، قد تسمى بالعملية الأخلاقية^(٢). إن المجتمع البشرى ربما يكون، أصلاً، نتاج ضرورة عضوية مثل مجتمعات النحل والنمل. لكن في حالة الإنسان، يتضمن التقدم الاجتماعي تقوية رابطة التعاطف المتبادل، والاعتبار والأريحية، والقيود التي تفرضها الذات على ميول ليست اجتماعية. صحيح أن هذه العملية، من حيث إنها تجعل مجتمعاً ما أكثر ملاءمة للبقاء بالنسبة للطبيعة أو بالنسبة لمجتمعات أخرى، تنسجم مع التقدم الكوني لكن من حيث إن القانون والقواعد الأخلاقية تقيد الصراع من أجل الوجود بين أعضاء مجتمع معين، فإن العملية الأخلاقية تناقض، بوضوح، العملية الكونية. لأنها تهدف إلى إنتاج صفات مختلفة أتم الاختلاف. ولذلك نستطيع أن نقول إن «التقدم الأخلاقي للمجتمع لا يعتمد على محاكاة العملية الكونية، ليس في الفرار منها، وإنما في مقاومتها»^(٣).

(١) Evolution and Ethics and other Essays, p. 80. the discourse on Evolution and Ethics was originally given at Oxford as the second Romanes Lecture.

Ibid, p. 81. (٢)

Ibid, p. 83. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الكون سوى المادة والقوة، بينما لا تنكر نظرية الطبيعة الظاهرية للوعى حقيقة الوعى، ولا توحد بينه وبين العمليات الفيزيائية التى يعتمد عليها^(١). بيد أن «هكسلى» يستمر فى ملاحظة، بعدم توقع جذاب نسبياً، أن «الحجج التى يستخدمها ديكارت وباركلى لبيان أن معرفتنا اليقينية لا تتجاوز حالات وعينا، تبدو لى على أنها قاطعة الآن كما كانت عندما عرفت لأول مرة منذ نصف قرن مضى... إن يقيننا الوحيد هو وجود العالم الذهنى، ويهبط وجود «القوة والمادة»، فى أحسن الأحوال، إلى منزلة فرض محتمل بدرجة عالية^(٢)». وفضلاً عن ذلك، إذا انحلت الأشياء المادية إلى مراكز للقوة، فإن المرء يتحدث جيداً عن المذهب اللامادى مثلاً يتحدث عن المذهب المادى.

وربما لا يكون من السهل جداً أن نفهم كيف أن النظرية التى تقول إننا لا نستطيع، على الإطلاق، أن نفعل، بالفعل، أى شىء ييقن سوى أن حالات وعينا يمكن أن تنسجم مع النظرية التى تقول إن الوعى وظيفة من وظائف المخ. بيد أن النظرية الأولى تساعد «هكسلى» على أن يقول إنه «إذا كنا مجبرين على أن نختار بين المذهب المادى والمذهب المثالى، فإننى أختار المذهب المثالى»^(٣).

ومع ذلك، لا بد أن يُضاف أنه لم تكن لدى «هكسلى» نية لأن يدع نفسه مجبراً على أن يختار بين المذهب المادى والمذهب المثالى. وينطبق الشىء نفسه على قضية الاختيار بين مذهب الإلحاد ومذهب التأليه. وقد جاهر «هكسلى» بأنه لا أدري، وعبر فى عمله عن «ديفيد هيوم» عن الاتفاق مع تعليق الفيلسوف الأسكتلندى للحكم على مشكلات

(١) فالفيلسوف الماركسى، مثلاً، لا ينكر، حقيقة الذهن. ولا يوجد بين العمليات السيكلوجية والعمليات الفيزيائية. لكنه ينظر إلى نفسه، على الرغم من ذلك، على أنه فيلسوف مادى. وهكذا يكون مادياً بالوعى الميتافيزيقى (المؤلف).

(٢) Evolution and Ethics, and Other Essays, p. 130

هو عنوان لكتاب مشهور جداً، مؤلفه هو الفيلسوف المادى الألمانى «دفيج بوخنر» (المؤلف) See vol. vii of this History, pp. 352 - 3.

Ibid. p. 20. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

اللاعضوية، لاسيما بموضوع الحرارة الإشعاعية، وكان أقل ميلاً من «هكسلي» من الانجراف إلى ميدان الفلسفة. غير أنه لم يتردد في أن يعلن بوضوح ما أسماه «بالمذهب المادى العلمى».

ومع ذلك، لم يكن المذهب المادى العلمى الذى قبله «تندال» مثل المذهب المادى الذى رفضه «هكسلي». لأنه كان يعنى بمقدار كبير بالفرض الذى يقول إن حالة الوعى ترتبط بعملية فيزيائية فى المخ. ولذلك يرى تندال فى خطابه إلى الجمعية البريطانية فى عام ١٨٦٨ عن «مجال المذهب المادى وحدوده» أنه «فى التأكيد أن نمو الجسم آلى، وأن التفكير، كما نمارسه، يرتبط بفيزياء المخ - فى هذا التأكيد اعتقد أن موقف «الفيلسوف المادى» يتقرر بمقدار ما يمكن التمسك بهذا الموقف»^(١). وبعبارة أخرى، يؤكد الفيلسوف المادى أن مجموعتين من الظواهر، العمليات الذهنية والعمليات الفيزيائية، ترتبطان، على الرغم من أنه «يجعل تماماً»^(٢) الرابطة الحقيقية التى توحد بينهما. ويؤكد «تندال»، بالفعل، فى خطابه المسمى «خطاب بلفاست» Belfast^(*)، الذى ألقاه أمام الجمعية البريطانية عام ١٨٧٤، نقول يؤكد تندال مراراً أن الإنسان الموضوع ينفصل عن طريق هوة لا يمكن عبورها عن الإنسان الذات. ليست هناك طاقة آلية (حركية) فى الذهن البشرى يحملها، دون انقطاع منطقى، من ذهن إلى آخر^(٣).

(١) Fragments of Science for Unscientific People, pp. 121-2 (2nd edition).

(٢) Ibid, p. 122.

(*) بلفاست هى عاصمة أيرلندا الشمالية (المراجع)

(٣) Lectures and Essays, p. 40 (Rationalist Press Association edition, 1903).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن المذهب المادى العلمى عند «تندال» ليس مقيداً، بالتالى، بوجهة نظر منهجية يفترضها بحث علمى. فهو لم يقل، ببساطة، مثلاً، إن عالم النفس العلمى يتعقب أبحاثه فى العلاقة بين الذهن والجسم بافتراض أننا نجد علاقة بين أية ظاهرة ذهنية معينة وعملية فيزيائية. إنه يقول إنه بقدر ما تهتم المعرفة، فإن العلم قادر على كل شىء، والمشكلات التى لا يستطيع أن يجيب عنها العلم هى مشكلات ليس لها حل من حيث المبدأ. إن الدين، مثلاً، فى مأمن من الدحض والإنكار طالما أنه يُنظر إليه، ببساطة، على أنه تجربة ذاتية^(١). لكن إذا نظرنا إليه على أنه يزعم مد معرفتنا وتوسيعها، فإن زعمه يكون زائفاً. وبالتالى، فإن «تندال» وضعى، بالمعنى العام للفظ. لكن بتسليمه بمجال للمذهب اللأدرى، أى بأسرار أو ألغاز، لا يمكن حلها، فإنه لا يجزم بأن الوضعيين المناطقة قد قبلوا الموقف فيما بعد. بيد أن ذلك لا يغير الحقيقة التى تقول إن المذهب المادى العلمى شمل بالنسبة له وجهة نظر وضعية عن قدرة العلم فى ميدان المعرفة.

(٢) كما أن «سير ليسلى ستيفن» S. L. Stephen (١٨٣٢ - ١٩٠٤)، كتب مجلدين عن «تاريخ التفكير الإنجليزى فى القرن الثامن عشر» (١٨٧٦)، وثلاثة مجلدات عن «الفلاسفة النفيعيون الإنجليز» (١٩٠٠)، تقول إنه دعم وجهة النظر التى تقول إن المذهب اللأدرى ليس هو الموقف الوحيد الذى ينسجم، بالفعل، مع الروح العلمية الحقيقية. كان ستيفن فى البداية قسيساً، وقع تحت تأثير «جون ستيوارت مل»، و«دارون» و«سبنسر»، وفى عام ١٨٧٥ تولى، نهائياً، عن موقفه الكهنوتى.

أكد «ستيفن» فى مناقشة عن طبيعة المذهب المادى أنه «يمثل وجهة نظر الباحث الفيزيائى. فالإنسان يكون مادياً طالما أنه لا يتعامل إلا مع ما تلمسه، وتتناوله، ونراه،

(١) أن اعتقد أنه لا يمكن لأى استدلال إلحادى أن ينتزع الدين من القلب البشرى. ولا يستطيع المنطق أن يحرمنا من الحياة، والدين هو الحياة بالنسبة للمتدين. ومن حيث إنه تجربة للوعى، فإنه يجاوز هجوم المنطق، نفس المرجع السابق، ص ٤٥. (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولا داعى للقول بأنه لا يُنظر إلى المذهب المادى العلمى والمذهب اللاأدرى على الإطلاق بأنهما يستلزمان رفض القيم الأخلاقية. لقد أصر «تندال» على أن القيم الأخلاقية مستقلة عن العقائد الدينية، وأنه يجب ألا يُفهم المذهب المادى العلمى بأنه يتضمن أو يستلزم التقليل من شأن المثل الإنسانية العليا. لقد حاول «سير ليسلى ستيفن»، فى كتابه «علم الأخلاق» (١٨٨٢) أن يواصل ويطور محاولة «سبنسر» لإقامة الأخلاق على التطور. إن وظيفة الأخلاق، إذا نظرنا إليها نظرة مجردة، هى تدعيم صحة الكائن الحى الاجتماعى وحيويته. أما إذا نظرنا إليها من الناحية التاريخية، فإن المبادئ الأخلاقية تعترىها عملية الانتخاب الطبيعى، وتهيمن تلك المبادئ التى تكون أكثر فاعلية فى تدعيم خير الكائن الحى الاجتماعى على تلك المبادئ الأقل فاعلية. أعنى أن المجتمع الذى نتحدث عنه يستحسنها. وهكذا، حتى الأخلاق تخضع لقانون البقاء للأصلح، ويتضح أن وجهة نظر «ستيفن» تختلف عن وجهة نظر «توماس هنرى هكسلى».

٧- ليس المذهب اللاأدرى، بالتأكيد، هو الموقف الوحيد الذى قبله أولئك الذين اعتنقوا نظرية التطور. فقد حاول «هنرى دريموند» H. Drummond (١٨٥١-١٨٩٧) مثلاً، وهو كاتب وجدت كتبه شعبية كبيرة، أن يوفق بين العلم والدين، ومذهب دارون والمسيحية، عن طريق عمل قانون التطور المستمر. ومع ذلك، فإن ما يدعو إلى الاهتمام بصورة أكبر، هو دعوى «جورج جون رومانز» (١٨٤٨-١٨٩٤)، وهو بيولوجى ومؤلف عدد من الأعمال عن التطور، الذى انتقل من الاعتقاد الدينى المبكر إلى المذهب اللاأدرى، ومن المذهب اللاأدرى عن طريق مذهب وحدة الوجود مرتداً فى اتجاه مذهب القائله المسيحى.

نجد تعبيراً عن الفترة اللاأدرية من تفكير «رومانز» فى كتابه «فحص منتصف لمذهب القائله»، الذى نُشر عام ١٨٧٨، تحت اسم منتحل هو «الفيزياء». يرى أنه لا يوجد دليل حقيقى على وجود الله، على الرغم من أنه ربما يكون صحيحاً، بالنسبة لكل ما نعرف، أنه لا يوجد كون إذا لم يكن هناك إله. ومع ذلك،

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عما إذا كان يجب على المرء أن ينظر إلى النظام العلوي الكلي على أنه تعبير مستمر عن الإرادة الإلهية أو أنه واقعة طبيعية، هو سؤال لا يمكن حسمه عن طريق الفهم البشري وحده. إن العلم يمد بأساس تجريبي، من حيث إنه كذلك، للرؤية الدينية عن العالم، غير أن الانتقال إلى هذه الرؤية يتطلب فعلاً من أفعال الإيمان، صحيح «ليس لأحد الحق في أن ينكر إمكان ما قد يُسمى أداة التمييز الروحي»^(١)، الذي يتجلى في الوعي الديني؛ «ويخبرني العقل نفسه أنه ليس معقولاً أن أتوقع أن القلب والإرادة يجب أن يرتبطا بالعقل في البحث عن الله»^(٢). إن الطريق لأن تصبح مسيحياً هو أن تفعل بوصفك واحداً، و«إذا كانت المسيحية صحيحة، فإن التحقق لا يكون، بالفعل، بصورة مباشرة عن طريق أي مجرى للعقل النظري، وإنما يكون بصورة مباشرة عن طريق الحدس الروحي»^(٣). كما أن الإيمان، أي التزام الذات المحدد بوجهة نظر دينية عن العالم، يتطلب في الوقت نفسه «مجهوداً عتيقاً للإرادة»^(٤)، مجهوداً لم يكن «رومانز» نفسه على استعداد لأن يقوم به.

وبالتالي فمن الخطأ أن نقول إن «رومانز» ألزم نفسه بصورة محددة بموقف تأليهي. فهو، بمعنى ما، لا يبدأ بالمذهب اللاأدري فحسب، بل ينتهي إليه أيضاً. وهناك، في الوقت نفسه، فرق ملحوظ بين المذهب اللاأدري الأول والمذهب اللاأدري الأخير. لأنه بينما كان «رومانز» مقتنعاً في فترة ما من حياته بأن الضمير العلمي يتطلب منه موقفاً لا أدرياً، فإنه أصر في سنوات متأخرة على أنه يمكن تبرير وجهة النظر الدينية عن العالم، على الرغم من أنها تُبرر عن طريق شيء من طبيعة الحدس الروحي. ليس للأدري حق في أن يعلن بطلان هذا الإمكان، أو أن يقول إن مغامرة الإيمان هي

Ibid. p. 140. (١)

Ibid. p. 132. (٢)

Ibid. p. 168. (٣)

Ibid. p. 131. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

خاصاً بها عام ١٨٨١. وكان «بردجز» هو الرئيس الأول للجنة الجديدة (من عام ١٨٧٨ حتى ١٨٨٠)، وخلفه «هاريسون». وقاد «كونجريف» المجموعة الأصلية. وفي عام ١٩١٦ اتحدت المجموعتان من جديد^(١).

(ب) لقد كان المفكرون المستقلون، بوضوح، أكثر أهمية من المفكرين الذين انشغلوا بنشر الكلمة الخالصة لمذهب كونت. وكان من بين هؤلاء المفكرين المستقلين «جورج هنرى لويس» (١٨١٧-١٨٧٨)، مؤلف المجلدين اللذين كانا شعبيين في فترة ما، لكنهما نُسخا من مدة طويلة، هما «التاريخ البيوجرافى للفلسفة» (١٨٤٥-١٨٤٦). كان «لويس» فى سنواته الأولى متابعاً متوقفاً لكونت، ونشر فى عام ١٨٢٢ كتابه «فلسفة كونت عن العلوم الوضعية». لكن على الرغم من أنه ظل وضعياً بمعنى التمسك بأن الفلسفة تكمن فى التعميمات الأكثر اتساعاً من نتائج العلوم الجزئية، وتمتنع عن أية معالجة لما هو وراء التجربة، فإنه ارتحل بعيداً عن «كونت»، ووقع تحت تأثير «سبنسر». فى عام ١٨٧٤-١٨٧٩ نشر خمسة مجلدات بعنوان «مشكلات الحياة والذهن».

ميز «لويس» بين الظاهرة التى يمكن فهمها، ببساطة، عن طريق عواملها المكونة، والظاهرة التى تنشأ من عواملها المكونة بوصفها شيئاً جديداً: أى الحداثة. تُسمى الظاهرة الأولى «بالنتائج»، بينما تُسمى الظاهرة الثانية «بالناشئ». ولم تكن فكرة هذا التمييز من اختراع «لويس»، لكن يبدو أنه صك مصطلح «الناشئ» الذى لعب دوراً بارزاً فيما بعد فى فلسفة التطور.

(ج) ومن الأعلام الأكثر أهمية «وليم كنجودوم جلفورد» (١٨٤٥-١٨٧٩)، الذى كان أستاذاً للرياضيات التطبيقية فى «الكلية الجامعية»، بلندن، منذ عام ١٨٧١.

(١) تأسست المجلة الوضعية بلندن "The Positivist Review" عام ١٨٦٤. غير أن النشرة الدورية توقفت عام ١٩٢٥، بعد أن سميت «بالإنسانية» أثناء الستين الأخيرتين من حياتها (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وبالنسبة لموضوع الدين، كان «جلفورد» متعصباً إلى حد ما، فهو لا يتحدث فقط عن رجال الدين بوصفهم أعداء للبشر والمسيحية من حيث إنها نقمة، وإنما يهاجم، أيضاً، الإيمان بالله. ولذلك، فإنه يقترب من كُتّاب عصر التنوير الفرنسيين أكثر مما يقترب من اللادريين الإنجليز في القرن التاسع عشر، الذين كانوا، بوجه عام، مهذبين فيما قالوه عن الدين وممثليه الرسميين. ولا يُقَارَن بصورة غير لائقة بنيتشه، وأعلن، في الوقت نفسه، ديناً بديلاً، هو دين البشرية، مع إنه نظر إلى تقدم العلم على أنه يؤسس مملكة الإنسان أكثر من أن يؤسس أية منظمة على الخطوط التي افترضها كونت. إن جلفورد يتحدث، بالفعل، عن «الانفعال الكوني» الذي يستطيع الإنسان أن يشعر به بالنسبة للكون، لكن لم يكن قصده أن يحل مذهب التوحيد محل مذهب التآليه. فقد اهتم، بالأحرى، باستبدال الإنسان مكان الله؛ لأنه اعتقد أن الإيمان بالله يعادى التقدم البشرى والأخلاق.

(د) ومن الذين خلفوا «جلفورد» في كرسى الرياضيات التطبيقية «كارل بيرسون» K.Pearson (١٨٥٧-١٩٣٦)، الذي أصبح فيما بعد (١٩١١-١٩٣٣) أستاذ «جالتون» في علم تحسين النسل بجامعة لندن^(١). نجد في كتابات «بيرسون» عرضاً واضحاً للروح الوضعية. فلم يكن الإنسان الذي نظر بعين عطوفة إلى أفكار كونت عن العقيدة الدينية، بل كان مؤمناً صارماً بقدرة العلم. ويشبه موقفه من الميتافيزيقا واللاهوت إلى حد كبير الموقف الذي طوره فيما بعد الوضعيون الجدد.

إن وظيفة العلم، فيما يرى «بيرسون» هي «تصنيف الوقائع، ومعرفة تتابعها ودالاتها النسبية»^(٢)، في حين أن البناء العلمى للذهن هو عادة تكوين أحكام غير

(١) سير فرنسيس جالتون (١٨٢٢-١٩١١)، ابن أخ دارون، هو مؤسس علم تحسين النسل، وتصور التطبيق المتروى لمبدأ الانتخاب الذي يعمل ألياً في الطبيعة على المجتمع البشرى (المؤلف).

(٢) The Grammar of Science, p. 6 (2nd. edition, revised and enlarged, 1900).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وينتهي، أيضاً، بها، بمعنى أننا نختبر نتائج استدلال ما عن طريق عملية التحقق. ومن حيث إن العلم هو مجموعة من قضايا، فإنه بناء عقلي، غير أنه يرتكز في النهاية، إذا شئنا أن نقول، على انطباعات حسية.

ولابد أن يؤخذ التقرير بأن العلم بناء عقلي بصورة حرفية. فعلى مستوى التفكير قبل - العلمى، يكون الموضوع الفيزيائى الدائم، كما رأينا، بناءً عقلياً. وعلى مستوى التفكير العلمى تكون القوانين والكيانات العلمية بناءات عقلية. إن القوانين الوصفية للعلم^(١) هى صياغات عامة تكونها من أجل الاقتصاد فى التفكير، و«لا يجد الإنسان المنطقى فى الكون سوى انعكاس للمكته الخاصة بالاستدلال»^(٢). وبالنسبة لكيانات مُسلَّم بها مثل الذرات، فإن لفظ «ذرة» لا يشير إلى موضوع ملاحظ ولا إلى شىء فى ذاته. «فعالم الفيزياء لا يرى، مطلقاً، ذرة فردية، ولا يشعر بها. فالذرة والجزئى هما تصوران عقليان يصنف عن طريقهما علماء الفيزياء الظواهر، ويصوغون العلاقات بين تتبعها»^(٣). وبمعنى آخر، لا يكفى إبطال الميتافيزيقا من حيث إنها مصدر ممكن لمعرفة بالأشياء فى ذاتها. فالعلم ذاته يحتاج إلى أن يُنقى من خرافاته، ومن الميل إلى الاعتقاد بأن مفاهيمه المفيدة تشير إلى كيانات أو قوى خفية.

لقد شدد «بيرسون» بقوة على الآثار الاجتماعية المفيدة للعلم. فبالإضافة إلى التطبيق التكنولوجى للمعرفة واستخدامها فى أقسام خاصة مثل علم تحسين النسل، هناك الأثر التربوى العام للمنهج العلمى. «إن العلم الحديث، من حيث إنه تدريب للذهن

(١) يصير «بيرسون» على أن العلم وصفى بصورة خالصة، وليس تفسيريًا. فالقوانين العلمية «تصف»، ولا تفسر، مطلقاً، نمطية إدراكاتنا، والانطباعات الحسية التى نعكسها على «عالم خارجى» (المؤلف)

Ibid, p.99.

Ibid, p. 91 (٢)

لا يمكن أن يكون، بالتالى، دليل «التدبير والتخطيط» على وجود الله صحيحاً (المؤلف).

Ibid, p. 95. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

العلم يوسع، باستمرار، حدود المعرفة البشرية، وإذا كان هناك أى شىء لا يكون فى متناول العلم، فإنه لا يمكن معرفته. إن الميتافيزيقا واللاهوت يزعمان إصدار أحكام صحيحة عما هو وراء ما هو ظاهرى، غير أن زعمها زائف.

وبعبارة أخرى، يلزم تطور الرؤية العلمية الصحيحة، بالضرورة، تطوراً للمذهب اللأدرى. وينتمى الاعتقاد الدينى إلى طفولة الجنس البشرى، ولا ينتمى، بحق، إلى عقلية ناضجة. إننا لا نستطيع، بالفعل، أن نبرهن على أنه لا وجود لحقيقة واقعية وراء الظواهر، ويدرس العالم العلاقات الموجودة بينها. إن العلم يهتم بالوصف ولا يهتم بتفسيرات بعيدة. وقد يوجد، على حد علمنا، هذا التفسير، حقاً، كلما رُدت الظواهر إلى إحساسات أو انطباعات حسية، يصعب تجنب مفهوم الحقيقة الواقعية المجاوزة لما هو ظاهرى. بيد أنه لا يمكن، على أية حال، معرفة حقيقة واقعية من هذا النوع. ويقبل الذهن الناضج، ببساطة، هذه الحقيقة ويعتق المذهب اللأدرى.

لقد وصل المذهب اللأدرى مع «رومانز» ليعنى، بالفعل، شيئاً أكثر من تسليم صورى محض بعدم إمكان البرهان على عدم وجود الله. لكن مع المفكرين ذوى العقلية الوضعية، أفقد الدين، بقدر ما يهم الإنسان الناضج، المضمون العقلى. أعنى أنه لم يضم الإيمان بصدق القضايا الخاصة بالله. ومن حيث إن العقل الناضج يمكن أن يحافظ على الدين ويبقى عليه، فإنه يُرد إلى عنصر انفعالى. بيد أن الموقف الانفعالى يتجه إلى الكون، من حيث إنه موضوع الانفعال الكونى أو الشعور، أو إلى البشرية، كما فى ديانة البشرية المزعومة. ومع ذلك، يفصل العنصر الانفعالى فى الدين عن مفهوم الله، ويتجه إلى مكان آخر من جديد، أى أن الديانة التقليدية هى شىء يتم الشعور به متأخراً فى مسيرة المعرفة العلمية إلى الأمام.

وبالتالى، نستطيع أن نقول إن عدداً كبيراً من المفكرين، الذين تناولناهم فى هذا الفصل، كانوا مبشرين بإنسانى اليوم العلميين، الذين ينظرون إلى الاعتقاد الدينى على أنه ينقصه الدعم العقلى، ويميلون إلى تأكيد الأثر المزعوم الضار للدين على التقدم البشرى والأخلاق. ويتضح أنه إذا كان المرء مقتنعاً بأن الإنسان يرتبط، أساساً، بالله

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بالتأكيد، بأن هذا الرد يفترض مسبقاً أن ممارسة العقل النقدي تكفل التقدم، في حين أن تطور جوانب الإنسان الانفعالية والوجدانية تكفل، في رأيه، التقدم، ولا يكفل تطور العقل التقدم، ذلك التطور الذى يكون هداماً وليس بناء. ومع ذلك، يبدو جلياً أنه على الرغم من أن الجوانب الانفعالية للإنسان أساسية وجوهرية بالنسبة لطبيعته، فإن العقل يحافظ على النظام ويبقى عليه. وإذا لم يكن للدين ضمان عقلى على الإطلاق، فإنه يكون مريباً بالضرورة. وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن التأثير الذى تمارسه الأديان على المجتمعات البشرية حقيقة لامراء فيها، فإنه لا ينجم عن ذلك، بالضرورة، أن هذا التأثير مفيد باستمرار. فنحن نحتاج إلى مبادئ عقلية للتمييز.

ومع ذلك، هناك اعتقاد أساسى يشترك فيه «كيد» مع أولئك الذين هاجموه؛ وهو أن مبدأ الانتخاب الطبيعى يعمل أثناء الصراع من أجل الوجود بصورة آلية من أجل التقدم^(١). وهناك شك فى عقيدة التقدم هذه فى القرن العشرين. وبالنظر إلى الأحداث الجامعة لهذا القرن، قلماً نستطيع أن نبقى على ثقة مطمئنة بالآثار المفيدة للانفعال الجمعى. غير أننا نجد، على السواء، أنه يصعب أن نفترض أن تقدم العلم، مأخوذاً بذاته، يرادف التقدم الاجتماعى. فهناك مسألة الأغراض التى تبلغها المعرفة العلمية وهى المسألة الأكثر أهمية. واهتمام بهذه المسألة يجاوز ميدان العلم الوصفى. وواضح أننا نتفق جميعاً على أنه يجب استخدام العلم فى خدمة الإنسان. غير أن السؤال يُثار وهو: كيف يجب علينا أن نفسر الإنسان؟ وإجابتنا عن هذا السؤال تتضمن الميتافيزيقا، سواء بصورة واضحة أم بصورة ضمنية. إن محاولة تجاوز الميتافيزيقا أو استبعادها تتضمن، فى الغالب، فرضاً ميتافيزيقياً خفياً، أى نظرية عن الوجود غير مُسلم بها. وبمعنى آخر، الفكرة التى تقول إن التقدم العلمى يبعد الميتافيزيقا عن الصورة هى فكرة خاطئة. فالميتافيزيقا تظهر، ببساطة، من جديد فى صورة فروض خفية.

(١) توماس هنرى هكسلى هو كما رأينا، استثناء، من حيث إنه يعتقد أن التقدم الأخلاقى يسير ضد عملية التطور فى الطبيعة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عنها. ولا يُقرأ سبنسر هذه الأيام إلا قليلاً. ولم تصبح فكرة التطور عملة شائعة، ولم تعد تثير إعجاباً كبيراً. إذ نجد، بالأحرى، أنه بعد تحديات القرن العشرين القاسية أنه يصعب كيف يمكن أن يقدم الفرض العلمى للتطور، مأخوذاً بذاته، أساساً كافياً لذلك الإيمان المتفائل بالتقدم البشرى الذى كان، إن شئنا أن نتحدث بوجه عام، خاصية أساسية لتفكير سبنسر. لقد غير المذهب الوضعى، من جهة، طابعه، وابتعد عن رؤى العالم الواضحة والشاملة. ومن جهة أخرى، استعان أولئك الفلاسفة الذين اعتقدوا أن منحى التطور مفيد، بمعنى حقيقى، للإنسان بنظريات ميتافيزيقية غريبة على ذهن سبنسر. وفضلاً عن ذلك، بينما عالج «مل» مشكلات كثيرة لا يزال فلاسفة بريطانيون يفحصونها، بل يعالجونها أيضاً بطريقة لاتزال ذات صلة وثيقة بها، فإن سبنسر شهير باكتشافه واسع المدى لفكرة رائدة بالنسبة لأية تحليلات مفصلة. ومع ذلك، على الرغم من أن تفكير سبنسر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعصر الفكتورى حتى إنه قلماً يمكن وصفه بأنه تأثير حى اليوم، فإن الحقيقة تظل قائمة وهى أنه واحد من الأعضاء الرواد الممثلين للقرن التاسع عشر. ولذلك، لا يمكن تجاوزه بعدم الحديث عنه.

ولد هيربرت سبنسر فى «دربى» فى السابع والعشرين من أبريل عام ١٨٢٠. وبينما بدأ «مل» بتعلم اللغة اليونانية فى سن الثالثة من عمره، فإن سبنسر يعترف بأنه لم يعرف شيئاً فى سن الثالثة عشرة من عمره يستحق الذكر عن اللغة اللاتينية أو اليونانية. ومع ذلك، حصل معرفته ما بالرياضيات فى سن السادسة عشرة، وبعد شهور قليلة أصبح، بوصفه معلماً فى «دربى»، مهندساً مدنياً عينته سكة حديد «برمنجهام» و«جلوكستر». وعندما أكتمل الخط فى عام ١٨٤١، تم إعفاء سبنسر من وظيفته. «إننى سعيد للغاية، لقد طُردت من الوظيفة» كما يذكر فى مذكراته اليومية. لكن على الرغم من أنه انتقل إلى لندن فى عام ١٨٤٣ ليتولى عملاً أدبياً، فإنه عاد بعد فترة وجيزة إلى خدمة السكك الحديدية، كما جربَ يده فى اختراعات.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عدد من الموضوعات التي لم يدرسها على الإطلاق. وكان عليه أن يجمع معطياته من مصادر متنوعة، ثم يفسرها في ضوء فكرة التطور. لم يعرف إلا قليلاً عن تاريخ الفلسفة، إلا من مصادر ثانوية. قام، بالفعل، بأكثر من محاولة لقراءة كتاب كانط «نقد العقل الخالص»، غير أنه عندما وصل إلى ذاتية المكان والزمان، ترك الكتاب. لم يكن لديه سوى تقدير قليل أو فهم لوجهات النظر ماعدا وجهة نظره الخاصة. ومع ذلك، إذا لم يمارس ما قد نسميه باقتصاد التفكير الشديد، فمن غير المحتمل أن لا يكمل مهمته المفروضة بذاتها.

ويمكن أن نذكر من مؤلفات سبنسر الأخرى كتابه «التربية» (١٨٦١)، وهو كتاب صغير، لكنه ناجح جداً، وكتابته «الإنسان في مقابل الدولة» (١٨٨٤)، وهو كتاب خلافي بقوة ضد ما نظر إليه المؤلف على أنه عبودية مهددة، وكتابته «سيرة حياتي» (١٩٠٤) الذي ظهر بعد وفاته. ونشر سبنسر في عام ١٨٨٥ كتابه «طبيعة الدين وحقيقته» في أمريكا عام ١٨٨٥، وهو يضم مناظرة بينه وبين المفكر الوضعي «فردريك هارسون». غير أن العمل منع، كما احتج «هارسون» ضد نشر مقالاته من جديد بدون تصريح، وبصفة خاصة لأن المجلد اشتمل على مدخل يؤيد فيه «بروفسور يومانز» موقف سبنسر.

رفض سبنسر كل درجات الشرف، ماعدا عضوية «نادي أثينيوم» Athenaeum (١٨٦٨). وعندما دُعي ليشغل كرسي فلسفة الذهن والمنطق «بالكلية الجامعية» بلندن، رفض، كما أنه اعتذر عن قبول عضوية الجمعية الملكية. ويبدو أنه شعر بأنه عندما يحتاج، بالفعل، إلى هذه العروض، فإنها لا تتم، وعندما تتم، فإنه لم يعد بحاجة إليها، إذ إن شهرته قد رسخت من قبل. وبالنسبة لدرجات الشرف التي قدمتها الحكومة، فإن معارضته لتمييزات اجتماعية من هذا النوع منعت من قبولها، ناهيك عن ضجره من إخفاء العروض.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وعلى الرغم من أن كل علم، من حيث إنه يتميز عن معرفة غير متناسقة بوقائع جزئية، فإنه يتضمن تعميماً، حتى على الرغم من أن أكثر هذه التعميمات اتساعاً جزئية إذا قارناها بتلك الحقائق الكلية للفلسفة التي تخدم في توحيد العلوم «وهكذا فإن لحقائق الفلسفة نفس الصلة بالحقائق العلمية العليا، حتى إن كل حقيقة من هذه الحقائق لها صلة بحقائق علمية أدنى... إن معرفة النوع الأدنى ليست معرفة موحدة؛ فالعلم هو معرفة موحدة Unified من بعض الوجوه، أما الفلسفة فهي معرفة موحدة بصورة كاملة^(١).

يمكن النظر إلى الحقائق الكلية للفلسفة أو تعميماتها الأكثر اتساعاً في ذاتها على أنها «نتاج للاستكشافات»^(٢). ونحن عندئذ نهتم بالفلسفة العامة. أو يمكن النظر إلى هذه الحقائق الكلية بناء على دورها الفعال بوصفها «أدوات للاستكشاف»^(٣). أعني، أنه يمكن النظر إليها على أنها حقائق نبحت على ضوئها المناطق المحددة المختلفة للظواهر؛ مثل معطيات الأخلاق وعلم الاجتماع. ثم نهتم بالفلسفة الخاصة. ويخصص سبنسر كتابه «المبادئ الأولى... للفلسفة العامة، بينما تعالج مجلدات لاحقة من كتابه «نسق الفلسفة التركيبية» أجزاء الفلسفة الخاصة.

يميل تفسير سبنسر للعلاقة بين العلم والفلسفة عن طريق درجات التوحيد إلى افتراض أن المفاهيم الأساسية للفلسفة مستمدة، من وجهة نظره، عن طريق التعميم من العلوم الجزئية. بيد أن المسألة ليست كذلك. لأنه يصر على أن هناك مفاهيم أساسية وفروضاً متضمنة في كل تفكير. دعنا نفترض أن فيلسوفاً يقرر أن يأخذ إحدى المعطيات الجزئية على أنها نقطة البداية لتأملاته، وأنه يتخيل أنه لا يكون بالفعل

(١) First Principles, p. 119 (6th. edition).

(٢) Ibid, p. 120

(٣) Ibid

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بعضها بعضاً، ولا يشبه بعضها البعض الآخر، بأنه حكم صحيح»^(١). فالوقوف، مع ذلك، تعقده الواقعة التي تقول إن سبنسر يقبل فكرة القبلي النسبي: أعنى فكرة المفاهيم والفروض التي تكون، من وجهة النظر الوراثية، نتاج التجربة المتراكمة للجنس البشرى^(٢)، لكنها تكون قبلية بالنسبة لذهن فردي معين، بمعنى أنها تأتي إليه مع قوة «الحدوس».

لا بد أن تؤخذ الفروض الأساسية لعملية التفكير، مؤقتاً، على أنها ليست مسألة خلافية. إذ يمكن تبريرها، أو التحقق من صحتها عن طريق نتائجها فقط، أعنى بيان الاتفاق أو المطابقة بين التجربة التي تؤدي بنا الفروض، بصورة منطقية، إلى قبولها، والتجربة التي تكون لدينا بالفعل. حقاً «إن التأسيس الكامل للمطابقة يصبح نفس الشيء مثل التوحيد الكامل للمعرفة التي تصل فيها المعرفة إلى هدفها»^(٣). وبالتالي، توضح الفلسفة العامة المفاهيم والفروض الواضحة، في حين أن الفلسفة الخاصة تبين اتفاقها مع ظواهر فعلية في ميادين مميزة أو مناطق للتجربة.

وبالتالي، فإن المعرفة، كما يرى سبنسر «هي تصنيف، أو فهم المتشابه، وفصل المختلف»^(٤). ومن حيث إن التشابه والاختلاف علاقتان، فإننا نستطيع أن نقول إن كل تفكير هو تفكير يتصل بعلاقة relational، أو علائقي وأن العلاقة هي الصورة الكلية للتفكير^(٥). ونستطيع أن نميز، مع ذلك، بين نوعين من العلاقات: علاقة التتابع، وعلاقة التلازم^(٦). وتحدث كل علاقة فكرة مجردة. «فمجرد كل ألوان التتابع هو الزمان. ومجرد

(١) Ibid, p. 123.

(٢) قد يكون الأصل البعيد لبعض هذه المفاهيم والفروض في تجربة الحيوان (المؤلف).

(٣) First Principles, p. 125.

(٤) Ibid, p. 127.

(٥) Ibid, p. 145.

(٦) فكرة التلازم مستمدة، من وجهة نظر سبنسر، من فكرة التتابع. من حيث إننا نجد أن ألفاظ العلاقات المعينة للتتابع يمكن أن تتمثل بسهولة في نظام عكسي. ولا يمكن أن يكون التلازم معطى أصلياً من معطيات وعى يكمن في حالات متتابعة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إنه مبدأ يمتلك مبادئ الطريفة، أى بقاء العلاقات بين القوى، من حيث إنه نتيجته الطريفة.

وقد يُعترض على أن هذه المبادئ مثل مبدأ عدم فناء المادة تنتمى إلى العلم لا إلى الفلسفة. بيد أن سبنسر يرد بقوله إنها «حقائق توحد ظواهر عينية تنتمى إلى كل تقسيمات الطريفة، ولا بد أن تكون، بالتالى، عناصر لذلك المفهوم الشامل للأشياء والذي تبحث عنه الفلسفة»^(١).

وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن كلمة «قوة» تعنى بوجه عام «الوعى بالتوتر العضلى»^(٢)، فإن الشعور بالجهود الذى يكون لدينا عندما نجعل شيئاً يتحرك، أو نقاوم ضغطاً هو رمز للقوة المطلقة. وعندما نتحدث عن بقاء القوة، «فإننا نعنى، بالفعل، بقاء علة ما تجاوز معرفتنا وتصورنا»^(٣). وكيف نستطيع بصورة معقولة، أن نصف بقاء حقيقة لا يمكن معرفتها، فإن هذا أمر ربما لا يكون واضحاً بصورة مباشرة. لكن إذا كان تأكيد بقاء القوة يعنى، بالفعل، ما يعنيه سبنسر، فإنه يصبح بوضوح مبدأ فلسفياً، حتى بغض النظر عن الحقيقة التى تقول إن طابعه من حيث إنه حقيقة كلية يؤهلها لأن ينضم إلى حقائق الفلسفة وفقاً لتفسير سبنسر للعلاقة بين الفلسفة والعلم.

٢- ومع ذلك، على الرغم من أن هذه المبادئ العامة مثل عدم فناء المادة، واستمرار الحركة، وبقاء القوة، عناصر للتأليف (التركيب) الذى تسعى الفلسفة إلى تحقيقه، فإنها، حتى عندما تؤخذ معاً، تكون هذا التأليف (التركيب). لأننا نحتاج إلى صياغة أو قانون يحدد مجرى التحولات التى تعتري المادة والحركة، ويخدم، بالتالى، فى توحيد كل عمليات التغير التى يتم فحصها فى العلوم الجزئية المتعددة. أعنى: أننا إذا افترضنا أن

Ibid, p. 249. (١)

Ibid, p. 175. (٢)

Ibid, p. 176. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كان «سبنسر» حريصاً على أن يتجنب بعناية الزعم بأننا نستطيع، بصورة مشروعة، أن نقدّر عن طريق الاستدلال أن ما يصدق على نسق مغلق نسبياً يصدق على الأشياء كلها، أى على الكون من حيث إنه كل. فنحن لا نستطيع، مثلاً، أن نبرهن بيقين على تعطيل الكون، مثلاً، من تعطيل مجموعتنا الشمسية. ومن الجائز، بالنسبة لكل ما نعرفه، أنه عندما تفنى الحياة على كوكبنا عن طريق تبدد حرارة الشمس، أنها تكون فى مرحلة التطور فى جزء آخر من الكون. صحيح، أنه ليس لنا حق فى أن نبرهن على أن ما يحدث لجزء ما «لا بد» أن يحدث للكل.

وإذا كان هناك، فى نفس الوقت، تبدل للتطور وتبدد فى الأشياء كلها، فإنه يجب علينا أن «نفكر فى مفهوم التطور الذى ملأ ماضياً ليس له حد، والتطورات التى ستتملأ مستقبلاً ليس له حد»^(١). وإذا كان ذلك يمثل رأى «سبنسر» الشخصى، فإننا نستطيع أن نقول إنه قدم صيغة حديثة جداً لألوان مبكرة يونانية من علم الكون، مع أفكارها عن عمليات دائرية. وعلى أية حال، هناك انتظام للتطور وتبدد فى الأجزاء، حتى إذا لم نستطع أن تصدر توكيدات دجماطيقية عن الكل. وعلى الرغم من أن سبنسر يتحدث فى البداية عن قانون التطور بأنه قانون التقدم، فإن إيمانه بتبذلات التطور والتبدد يضع، بصورة واضحة، حدوداً لنزعة التفاولية.

٤- يتطلب المثل الأعلى عند «سبنسر» للمركب الفلسفى الكامل احتواء معالجة نسقية للعالم غير الحى على ضوء فكرة التطور. ويرى أنه لو أن هذا الموضوع عولج فى كتاب «نسق الفلسفة»، «لاحتل مجلدين؛ مجلداً يعالج علم الفلك، ومجلداً آخر يعالج علم تركيب الأرض»^(٢). ومع ذلك، يحصر سبنسر نفسه، فى واقع الأمر، فى فلسفة خاصة، أى فى علم الحياة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأخلاق. إنه يشير، بالتأكيد، إلى

(١) Ibid, p. 506.

(٢) The Principles of Sociology, 1, p. 3.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

المؤثرات المرتبطة بطبيعته الذاتية، وبيئته، فكلاهما لا عضوى وعضوى. كما أن كل مجتمع بشرى «يكشف عن ظواهر يمكن أن تُنسب إلى طابع وحداته وإلى الشروط التى يوجد وفقاً لها»^(١).

صحيح، بالفعل، أن المجموعتين من العوامل، الداخلية والخارجية لا تظلان استاتيكية (ساكنة). فقوى الإنسان، مثلاً، الفيزيائية، والانفعالية، والذهنية، تتطور فى مجرى التاريخ، بينما ينتج تطوير المجتمع تغيرات ملحوظة فى بيئته العضوية واللاعضوية. كما أن نتائج تطوير المجتمع، أغنى مؤسساته وإبداعاته الثقافية، تحدث مؤثرات جديدة. وفضلاً عن ذلك، كلما تطورت المجتمعات البشرية، فإنها تؤثر بعضها فى بعض، حتى إن البيئة العضوية الأسمى تحتل مكانة ذات أهمية عظيمة. لكن على الرغم من التعقيد المتزايد للموقف، فإنه يمكن تمييز تفاعل مماثل للقوى، داخلية وخارجية، فى جميع المجالات.

ومع ذلك، على الرغم من أن هناك تواصلاً بين المجال العضوى، والمجال اللاعضوى، والمجال العضوى الأسمى، فإن هناك أيضاً انقطاعاً بين هذه المجالات. فإذا كان هناك تشابه، فإن هناك أيضاً اختلافاً. انظر، مثلاً، إلى فكرة مجتمع ما على أنها كائن عضوى. إن تقدم المجتمع يلزمه تنوع متزايد للبنى، التى ينتج عنها تنوع متزايد للوظائف، تماماً كما فى حالة جسم عضوى بالمعنى الملائم. بيد أن مسألة التشابه هذه بين الجسم العضوى والمجتمع البشرى هى، أيضاً، مسألة اختلاف بينهما وبين الجسم اللاعضوى. لأنه لا يمكن النظر إلى أفعال الأجزاء المختلفة لشيء لا عضوى، فيما يرى سبنسر، على أنها وظائف. وفضلاً عن ذلك، فإن هناك اختلافاً مهماً بين عمليات التمايز فى جسم عضوى وعمليات التمايز فى كائن عضوى اجتماعى. لأننا لا نجد فى الكائن العضوى الاجتماعى ذلك النوع من التمايز الذى يؤدى فى الجسم

The Principles of Sociology, 1, pp. 9-10. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن الموقف، فى واقع الأمر، هو على هذا النحو. لقد أدى إصرار سبنسر على أن يستخدم فكرة التطور فى كل مجالات الظواهر، إلى أن يتحدث عن المجتمع السياسى، والدولة من حيث إنهما كائن عضوى أسمى. لكن لأنه يظل ثابت العزم من أبطال الحرية الفردية ضد مزاعم الدولة وتناولها، فإنه يحاول أن يجرّد مماثلة مغبتها هذه ببيان الاختلافات الجوهرية بين الجسم العضوى والجسم السياسى. وقد قام بذلك بإثبات أنه بينما يكون التطور السياسى عملية تكامل، بمعنى أن المجموعات الاجتماعية التى تصبح إرادات أكبر وفردية تندمج معاً، فكذلك الانتقال من التجانس إلى الاختلاف، حتى إن الاختلاف يميل إلى أن يزيد. فمع تقدم الحضارة نحو الدولة الصناعية الحديثة، مثلاً، تميل تقسيمات الطبقة لمجتمع أكثر بدائية نسبياً، كما يعتقد سبنسر، إلى أن تصبح أقل عنفاً وقسوة وإلى أن تضعف وتتهار. وتلك علامة من علامات التقدم.

تعتمد وجهة نظر سبنسر، من جهة، على زعمه بأن «حالة التجانس ليست حالة ثابتة، وحيثما يكون هناك تجانس ما من قبل، فإن الميل يكون نحو تجانس أعظم»^(١). وإذا سلمنا بفكرة حركة التطور هذه، فإنه ينجم بوضوح أن مجتمعاً يكون فيه الاختلاف والتمايز أكبر نسبياً، يتطور أكثر من مجتمع يكون فيه اختلاف وتمايز أقل نسبياً. وواضح فى الوقت نفسه أن وجهة نظر سبنسر تعتمد أيضاً على حكم من أحكام القيمة؛ أعنى أن المجتمع الذى تتطور فيه الحرية الفردية بصورة أكبر، يكون، فى طبيعته، أكثر إعجاباً ويستحق المدح، أكثر من مجتمع تكون فيه حرية أقل. حقاً، إن سبنسر يعتقد أن المجتمع الذى يجسد مبدأ الحرية الفردية يمتلك قيمة - بقاء أكبر من المجتمعات التى لا تجسد هذا المبدأ ويمكن فهم ذلك بأنه حكم واقعى خالص. غير أنه يبدو جلياً لى، على أية حال، أن سبنسر ينظر إلى النوع الأول من المجتمع على أنه يستحق البقاء بصورة أكبر بسبب قيمته الذاتية العظيمة.

The Principles of Sociology. 11. p. 288. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وتطورها، فإن تطور الحضارة يجعل الحرب أمراً غير ضروري بصورة متزايدة. ومن ثم يصبح النوع الحربى من المجتمع لا يناسب الظروف التاريخية، ويكون الانتقال مطلوباً إلى ما يسميه سبنسر بالنوع الصناعى للمجتمع. وهذا لا يعنى أن الصراع من أجل الوجود يتوقف. لكنه يغير صورته، ويصبح «الصراع الصناعى من أجل الوجود»^(١)، الذى يكون فيه ذلك المجتمع ملائماً بصورة أفضل للبقاء الذى ينتج «العدد الأكبر من أفضل الأفراد - أى الأفراد الذين يلائمون بصورة أفضل الحياة فى الدولة الصناعية»^(٢). ويحاول سبنسر بهذه الطريقة أن يتجنب اتهاماً هو أنه عندما وصل إلى مفهوم النوع الصناعى من المجتمع، أغفل فكرتى الصراع من أجل الوجود وبقاء الأصلح.

إنه لخطأ جسيم أن نفترض أن سبنسر يعنى، ببساطة، بالنوع الصناعى من المجتمع مجتمعاً ينشغل فيه المواطنون، فقط أو بصورة مهيمنة، بالحياة الاقتصادية الخاصة بالإنتاج والتوزيع. لأن مجتمعاً صناعياً بهذا المعنى الضيق يطابق تنظيمًا دقيقاً للعمل عن طريق الدولة. وذلك هو بدقة عنصر الإكراه الذى يهتم سبنسر باستبعاده. على المستوى الاقتصادى، يشير سبنسر إلى مجتمع يهيمن عليه مبدأ «دعه يعمل». ولذلك، تكون الدول الاشتراكية والشيوعية، من وجهة نظره، بعيدة للغاية عن تمثل ماهية النوع الصناعى من المجتمع. إذ إن وظيفة الدولة هى تدعيم الحرية الفردية والحقوق الفردية، والفصل فى المزايم المتصارعة، عندما يكون ذلك ضرورياً. ليست مهمة الدولة أن تتدخل، بصورة إيجابية، فى حياة المواطنين وسلوكهم، إلا عندما يكون التدخل مطلوباً من أجل تدعيم السلام الداخلى.

The Principles of Sociology, 11, p. 610. (١)

Ibid, (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويتضح فى هجوم سينسر العنيف على «العبودية القادمة» أنه لم يستطع أن يلجأ، ببساطة، إلى العمل الآلى لأى قانون من قوانين التطور. فكلماته مستوحاة بوضوح عن طريق اقتناع حماسى بقيمة الحرية الفردية والمبادأة، وهو اقتناع يعكس شخصية ومزاج إنسان لم ينحن أبداً فى أية فترة من حياته أمام سلطة قائمة، ببساطة لأنها سلطة. وإنها لواقعة شهيرة أن سينسر واصل هجومه على ما نظر إليه على أنه انتهاكات الدولة للحرية الخاصة إلى درجة أنه ندد بتشريع المصنع، والفحص الصحى عن طريق موظفى الحكومة، وإدارة الدولة للبريد، والتخفيف عن الفقراء عن طريق الدولة، وتعليم الدولة. ولاداعى للقول بأنه لم يندد بالإصلاح من حيث هو كذلك، أو العمل الخيرى، أو إدارة المستشفيات والمدارس. بيد أن إصراره كان باستمرار على التنظيم التطوعى لهذه المشروعات، من حيث إنه يعارض عمل الدولة، وإدارتها، وتنظيمها. وباختصار، كان مثله الأعلى هو مجتمع يكون فيه الفرد كل شىء، ولا تكون الدولة فيه شيئاً، فى مقابل النوع الحربى للمجتمع الذى تكون فيه الدولة كل شىء ولا يكون الفرد شيئاً.

من المحتمل أن يخطر ببالنا أن مساواة سينسر النوع الصناعى من المجتمع بالمجتمع المحب للسلام، وضد القوة العسكرية، أنها مساواة عرضية، إذا لم نجعل المساواة حقيقية عن طريق التعريف المحتمل أن دفاعه المتطرف عن سياسة «دعه يعمل» يبدو غريباً، أو على الأقل أنه صورة بالية من رؤية عفا عليها الزمن. إنه لا يبدو أنه فهم، كما فهم مل، على الأقل من جهة، وكما فهم فيلسوف مثالى بصورة أكثر كمالاً مثل «توماس هل جرين»، أن التشريع الاجتماعى والتدخل المزعوم عن طريق الدولة قد يكون مطلوباً وضرورياً لحماية الحقوق المشروعة لكل مواطن فرد لكى يحيا حياة بشرية كريمة.

ويجب ألا يعمينا، فى الوقت نفسه، عداؤ سينسر للتشريع الاجتماعى الذى تسلم به الأغلبية الساحقة من المواطنين هذه الأيام فى بريطانيا العظمى، عن واقعة هى أنه رأى، مثل مل، أخطار البيروقراطية وأخطار أى إعلاء من شأن سلطة الدولة ووظائفها

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

هـ - لقد نظر سبنسر إلى نظريته الأخلاقية على أنها تتويج لمذهبه. ففي تصديره لكتابه «معطيات الأخلاق» يرى أن مقاله الأول «المجال المناسب للحكومة» (١٨٤٢) يشير بغموض إلى مبادئ معينة عامة للصواب والخطأ في السلوك السياسي. ويضيف قائلاً: «إن هدفى الأقصى، من الآن فصاعداً، ذلك الهدف الذى يكمن وراء كل الأهداف القصوى، هو إيجاد أساس علمى لمبادئ الصواب والخطأ فى السلوك بوجه عام»^(١). إن الإيمان بسلطة تفوق الطبيعة من حيث إنها أساس للأخلاق أمر ضرورى. ولذلك يصبح من الضرورى إعطاء الأخلاق أساساً علمياً، مستقلاً عن المعتقدات الدينية. ويعنى ذلك، بالنسبة لسبنسر، تأسيس أخلاق على نظرية التطور.

يتكون السلوك بوجه عام، بما فى ذلك سلوك الحيوانات، من أفعال تلائم غايات^(٢). وكلما ارتقينا فى سلم التطور، وجدنا دليلاً أكثر وضوحاً على أفعال مفيدة تتجه إلى خير الفرد أو خير النوع. غير أننا نجد أيضاً أن نشاطاً غائياً من هذا النوع يشكل جزءاً من الصراع من أجل الوجود بين أفراد مختلفين من نفس النوع، وبين أنواع مختلفة. أعنى أن مخلوقاً يحاول أن يحافظ على ذاته على حساب مخلوق آخر، ويدعم أحد الأنواع نفسه عن طريق اقتراس نوع آخر.

هذا النوع من السلوك الذى يكون له هدف معين، يستسلم فيه الأضعف، هو سلوك متطور تماماً عند سبنسر. فى السلوك المتطور تماماً: السلوك الأخلاقى بالمعنى الملائم، يحل التعاون والمساعدة المتبادلة محل المشاحنات والخلافات بين مجموعات متنازعة وبين الأعضاء الأفراد لمجموعة ما. ومع ذلك، لا يمكن أن يتحقق السلوك المتطور تماماً إلا عندما تتخلى المجتمعات الحربية عن مكانها لمجتمعات مُسالمة على

(١) The Data of Ethics, p. vi (1907 edition) this preface is reprinted in the first volume (١) of the Principles of Ethics. The reference being to p. vii (1892 edition).

(٢) الأفعال التى ليس لها غرض تُستبعد من «السلوك» (المؤلف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يقبل سبنسر الأخلاق النفعية؛ بمعنى أنه يأخذ السعادة لأن تكون الغاية القصوى الحياة، ويقيس صواب الأفعال أو خطاها عن طريق علاقتها بهذه الغاية. إن «التطور التدريجي لأخلاق نفعية هو أمر حتمى بالفعل»^(١) فى رأى سبنسر. صحيح، أن هناك من البداية مذهباً نفعياً فى طور النشأة، بمعنى أننا نشعر باستمرار بأن بعض الأفعال مفيدة وبعضها ضار لنا وللمجتمع. غير أن القواعد الأخلاقية ارتبطت فى المجتمعات الماضية بسلطة نوع ما أو آخر، أو بفكرة سلطة إلهية وجزاءات مفروضة إلهياً، فى حين أن الأخلاق أصبحت بمرور الزمن مستقلة بصورة تدريجية عن المعتقدات اللاأخلاقية، وتطورت رؤية أخلاقية تقوم ببساطة على إمكان التيقن من النتائج الطبيعية للأفعال. وبمعنى آخر، أصبح اتجاه التطور فى المجال الأخلاقى نحو تطور المذهب النفعى. ومع ذلك، لابد أن نضيف أنه يجب فهم المذهب النفعى بطريقة هى أنه لابد أن يفسح مجالاً للتمييز بين أخلاق نسبية وأخلاق مطلقة. حقاً، إن فكرة التطور تفترض التقدم نحو حد مثالى. ولا يمكن أن ينفصل التقدم فى الفضيلة أثناء هذا التقدم عن التقدم الاجتماعى. «إن التعايش بين إنسان مثالى ومجتمع غير كامل هو أمر مستحيل»^(٢).

ولما كان سبنسر ينظر إلى المذهب النفعى على أنه الأخلاق التى تقوم على العلم، فمن المفهوم أنه يريد أن يبين أنه ليس، ببساطة، مذهباً بين مذاهب كثيرة يستبعد غيره، وإنما يمكن أن يفسح مجالاً للحقائق التى تحتوى عليها المذاهب الأخرى. ويثبت، بالتالى، على سبيل المثال، أن المذهب النفعى، عندما نفهمه فهماً صحيحاً، يفسح المجال لوجهة النظر التى تصر على مفهوم الصواب، والخطأ، والإلزام، بدلاً من أن تصر على بلوغ السعادة. ربما اعتقد بنجام أنه يجب استهداف السعادة مباشرة، عن طريق تطبيق حساب الذات. غير أنه كان مخطئاً. إنه على حق، بالفعل، إذا لم يعتمد بلوغ السعادة

(١) The Principles of Ethics, 1, p.318.

(٢) The Data of Ethics, p. 241.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وعلى نحو مماثل، يستطيع مذهب المنفعة أن يعرف الحقيقة جيداً في الزعم بأن كمال طبيعتنا هو الموضوع الذي يجب أن نبحث عنه. لأن اتجاه التطور يكون نحو ظهور الصورة العليا للحياة. وعلى الرغم من أن السعادة هي الغاية الأسمى، فإنها تكون «الملازم لتلك الحياة الأسمى التي تضعها كل نظرية عن التوجيه الأخلاقي بصورة واضحة أو بصورة غامضة في اعتبارها»^(١). وبالنسبة للنظرية التي ترى أن الفضيلة هي غاية السلوك البشري، فإن ذلك، ببساطة، طريقة ما للتعبير عن المذهب الذي يقول إن هدفنا المرشد لا بد أن يكون تحقيق شروط بلوغ الصورة الأسمى من الحياة التي تميل إليها عملية التطور. وإذا تحققت هذه الشروط، فإن السعادة تنتج.

ولا داعي للقول بأن سينسر لم يستطيع، على نحو معقول، أن يزعم إقامة نظريته الأخلاقية على نظرية التطور دون التسليم بتواصل بين التطور في الميدان البيولوجي والميدان الأخلاقي. ويثبت، مثلاً، أن «العدالة البشرية لا بد أن تكون تطوراً أبعد لعدالة أدنى من العدالة البشرية»^(٢).

ويسلم سينسر، في الوقت نفسه، في التصدير، وقد تم حذفه فيما بعد، للجزأين الخامس والسادس من كتابه «مبادئ الأخلاق» بأن نظرية التطور لا تقدم توجيهاً إلى الحد الذي نرجوه. ومع ذلك، يبدو أنه لم يفهم مطلقاً، بوضوح، أن عملية التطور، منظوراً إليها على أنها واقعة تاريخية، لا تستطيع أن تؤسس بذاتها أحكام القيمة التي يستعملها في تفسيره. فحتى إذا افترضنا، مثلاً، أن التطور يسير نحو ظهور نوع معين من الحياة البشرية في مجتمع، وأن هذا النوع يظهر، بالتالي، أنه الأكثر صلاحية للبقاء، فإنه لا ينجم عن ذلك أنه النوع الأكثر إعجاباً من الناحية الأخلاقية. فكما يرى «توماس هنري هكسلي» أن الصلاحية الفعلية للبقاء في الصراع من أجل الوجود والسمو الأخلاقي ليسا هما بالضرورة نفس الشيء.

Ibid, (١)

Justice (The Principles of Ethics, part iv) p. 17. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

خارجياً هو الذى خلق العالم، فإنه لا يمكن الدفاع عنه أيضاً. ويصرف النظر عن الواقعة التى تذهب إلى أنه لا يمكن تصور خلق المكان، لأنه لا يمكن تصور عدم وجوده، فإن فكرة خالق موجود بذاته لا يمكن تصورها من حيث إنها فكرة عن كون موجود بذاته. إنه لا يمكن تصور الفكرة الخالصة عن الوجود الذاتى. «إنها ليست مسألة احتمال، أو صدق، بل هى مسألة إمكان تصور»^(١).

صحيح أنه، كما يسلّم سبنسر، إذا بحثنا فى العلة القصوى أو علل المعلولات التى تُقدم إلى حواسنا، فإن ذلك يؤدى بنا لامحالة إلى فرض علة أولى. وستجد أنفسنا منساقين إلى أن نصفها بأنها لا متناهية ومطلقة. بيد أن «مانسل» Mansel^(٢) يبين أنه على الرغم من أن فكرة علة أولى متناهية وغير مستقلة تتضمن ألواناً من التناقض الواضحة، فإن فكرة علة أولى تكون لا متناهية ومطلقة لا تخلو من التناقضات، حتى إذا لم تكن واضحة بصورة مباشرة. ولذلك، لا نستطيع أن نقول أى شيء معقول عن طبيعة فكرة قوة لا نعرف ماهيتها.

ومع ذلك، إذا بدأنا من جانب العلم، فإننا نكون أيضاً وجهاً لوجه مع ما لا يمكن معرفته. لأن العلم لا يستطيع أن يحل لغز الكون. لأنه لا يستطيع، من جهة، أن يبين أن الكون موجود بذاته؛ لأن فكرة الوجود الذاتى، كما رأينا، لا يمكن تصورها أو هى فكرة غير معقولة. ومن جهة أخرى، الأفكار القصوى للعلم ذاتها «كلها تمثل حقائق لا يمكن فهمها»^(٣). فنحن لا نستطيع، مثلاً، أن نعرف ماذا عساها أن تكون القوة «فى ذاتها».

(١) طور هنرى مانسل (١٨٢٠-١٨٧١)، الذى أصبح رئيس كاتدرائية القديس بولس، نظرية سيروليم هامتلون عن اللامشروط الذى لا يمكن معرفته، وقدم محاضرات «بامبتون» عن «حدود التفكير الدينى» (١٨٥٨) التى اقتبس منها سبنسر فى تدعيم مذهبه اللاأدرى الخاص (First Principles. pp 33-6).

(٢) First Principles, p. 55.

(٣) Ibid, p. 57.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الشككية. وقد تميل هذه الواقعة بالقارئ غير الحذر إلى أن ينسب إلى النظرية أهمية أساسية. ومع ذلك، عندما يكتشف أن المطلق الذي لا يمكن معرفة ماهيته، أو قوة الدين، يمد، من الناحية العملية بقوة، منظوراً إليها في ذاتها، فإنه قد ينقاد إلى أن يستنتج أن النظرية ليست أكثر من قطعة خبز يقدمها، بأدب، شخص ليس مؤمناً بالله، وتُدفن، أو بالأحرى تُحرق، بدون أية مراسم دينية، إلى عقل متدين. ومن السهل، بالتالي، فهم كيف حذف بعض الكتاب الجزء الأول من كتاب «المبادئ الأولى» بوصفه شيئاً زائداً غير سعيد. ويعالج سبنسر ما لا يمكن معرفته بتفصيل ملحوظ. بيد أن النتيجة العامة ليست مؤثرة في النفس من وجهة النظر الميتافيزيقية، لأن الحجج ليست مستنبطة جيداً، بينما العالم قد يعارض الفكرة التي تقول إن أفكاره الأساسية تتجاوز كل فهم.

ومع ذلك، تظل الحقيقة وهي أن سبنسر يعرف لغزاً معيناً في الكون. إن حججه على وجود «ما لا يمكن معرفته» غامضة إلى حد ما. فهو أحياناً يعطي انطباع قبول مذهب ظاهري، والبرهنة على أن التعديلات التي تُقدم إلى حواسنا لا بد أن يسببها شيء يجاوز معرفتنا. ويبدو، في أحيان أخرى، أن لديه في ذاكرته خطأ كائنيّاً من التفكير بصورة كبيرة أو قليلة، مستمداً من «هاملتون» و«مانسل». إن الأشياء الخارجية ظواهر بمعنى أنها لا تُعرف إلا من حيث إنها تطابق طبيعة التفكير البشري. ولا يمكن معرفة الأشياء في ذاتها أو النومين؛ لكن لأن فكرة النومين تلازم فكرة القنومين (الظواهر)، فإننا لا نستطيع أن نتجنب التسليم بها^(١). كما أن سبنسر يعتمد، مع ذلك، على ما يسميه الواقعة الأكثر أهمية، أعني أن وعياً لا محدوداً لا يمكن صياغته يوجد إلى جانب الوعي «المحدود»^(٢). فلا يمكن أن يكون لدينا، مثلاً، وعي محدد بالمتناهي

(١) يستخدم سبنسر، بالفعل، مصطلحات كائنية (المؤلف)، وهذا واضح في فكرة «النومين» أو «الشيء في ذاته» عند كانط، وهو أيضاً لا يمكن معرفته (المراجع)

First Principles, p. 74. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إننا نعني «بالحقيقة دواماً وثباتاً»^(١) في الوعي، فإن هناك خلافاً في أن ذلك تقرير ميتافيزيقي. فنحن قد نحاول، مثلاً، أن نفسره بأنه، ببساطة، تعريف أو بأنه إعلان الاستخدام العادي للكلمات. غير أننا عندما نُخبر بأن «الدوام هو معيارنا النهائي للحقيقي سواء من حيث إنه يكمن تحت صورته غير المعروفة، أو تحت الصورة التي نعرفها»^(٢)، فمن المعقول أن نصنف ذلك بأنه تقرير ميتافيزيقي.

ويتضح أنه يمكن وصف سبنسر بأنه ميتافيزيقي إذا كنا نعني بذلك فيلسوفاً يأخذ على عاتقه أن يكشف طبيعة الحقيقة النهائية. لأنها لا يمكن أن تنكشف من وجهة نظره. وعلى الرغم من أنه ميتافيزيقي، إلى حد تقرير وجود ما لا يمكن معرفته، فإنه يكرس نفسه، بالتالي، لبناء تفسير موحد شامل لما يمكن معرفته، أعنى للظواهر، غير أننا إذا أردنا أن نسمى هذا التفسير العام «ميتافيزيقاً وصفيّة»، فإننا أحرار، بالطبع، لأن نفعل ذلك.

يتمسك «سبنسر» بالتراث التجريبي لكي يطور هذا التفسير. صحيح أنه يتوق إلى التوفيق بين وجهات من النظر متصارعة، لكنه عندما يهتم ببيان أن فلسفته الخاصة تستطيع أن تعرف الحقيقة في نظريات ليست تجريبية، فإن منهجه في البحث لا بد أن يقدم تفسيراً تجريبياً للمعطيات التي تقوم عليها النظريات. وكما ذكرنا، فإنه على استعداد تام لأن يسلم بأن هناك ما يمكن أن يُسمى بالحدوس الأخلاقية. لأن الفرد قد يشعر تماماً باستحسان شبه غريزي، أو عدم استحسان لأنواع معينة من الفعل، وقد «يرى»، كما لو كان حدسياً أو بدون أية عملية للبرهان، أن هذه الأفعال صواب أو خطأ. لكن الحدوس الأخلاقية، من وجهة نظر سبنسر، هي بهذا المعنى «نتاج تجارب متراكمة

First Principles, p. 143. (١)

Ibid, pp. 143-4. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وقلماً يمكن الزعم بأن نزعة سبنسر المعمارية، أى ميله إلى التركيب، يلزمها موهبة بارزة لتحليل دقيق، أو البيان الدقيق لمعناه. غير أن صحته الضعيفة والعقبات التى واجهها فى تحقيق رسالته التى فرضها على نفسه، لم تنح له الوقت أو الطاقة لأن يحقق، فى واقع الأمر، أكثر مما استطاع أن يحققه. وعلى الرغم من أن بعض القراء قد يجدون كتاباته كثيية إلى حد كبير، فإن طموحاته ومحاولته العنيدة لتوحيد معرفتنا بالعالم والإنسان، ووعينا الأخلاقى والحياة الاجتماعية أيضاً، على ضوء فكرة واحدة شاملة كل الشمول، تتطلب التنويه بإعجابنا. لقد ارتد إلى المنطقة الفكتورية، وليست هناك مقارنة، كما لوحظ، بين «سبنسر» و«جون ستيوارت مل» من جهة التأثير الفعال. لكن على الرغم من أن فلسفة سبنسر يغطيها الغبار، فإنها تستحق شيئاً أفضل من موقف الازدراء الذى اتخذته نيتشه، الذى نظر إليها على أنها تعبير نمطى عن العقلية المملة والمحدودة للطبقة المتوسطة الإنجليزية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فى مبدأ واحد نهائى روحى. وبالتالي، فإنها مسألة مذهب مثالى موضوعى، وليست مذهباً مثالياً ذاتياً^(١).

وهكذا يمثل المذهب المثالى البريطانى فى القرن التاسع عشر إحياء لميتافيزيقا واضحة^(٢)، هى تجل لروح يمكن أن تعرفه الروح البشرية من حيث المبدأ. والعالم كله تجل للروح. والعلم، ببساطة، أحد مستويات المعرفة، أى أنه جانب من المعرفة الكاملة التى يميل إليها الذهن حتى إن لم يستطع تماماً أن يجعل مثالها فعلياً. وتسعى الفلسفة الميتافيزيقية إلى أن تكمل التركيب.

وبالتالى، كانت الميتافيزيقا المثالية ميتافيزيقا روحية؛ بمعنى أن الحقيقة النهائية بالنسبة لها روحية بمعنى ما. وينجم عن ذلك أن المذهب المثالى كان معارضاً بشدة للمذهب المادى. ومن حيث إن أنصار مذهب الظواهر مالوا، بالفعل، إلى تجاوز النزاع بين المذهب المادى والمذهب الروحى عن طريق رد الأذهان والموضوعات الفيزيائية إلى ظواهر لا يمكن وصفها، بصورة ملائمة، بأنها روحية أو مادية، فإننا لا نستطيع، بصورة مشروعة، أن نطلق عليهم اسم «الفلاسفة الماديين». بيد أن هذه الظواهر هى، بصورة واضحة، شىء يختلف تماماً عن الحقيقة الروحية الواحدة الموجودة عند الفلاسفة المثاليين. وعلى أية حال، نرى أنه فى الجانب الأكثر وضعية من الحركة التجريبية، ظهر على الأقل، مذهب مادى منهجى، يُطلق عليه اسم المذهب المادى العلمى؛ وهو خط من التفكير لم يتعاطف معه الفلاسفة المثاليون.

(١) تكون الملاحظات السابقة تعميماً تعرض لنقد من جانب عدد من النبلاء. لكن فى هذه الملاحظات التمهيدية يجب على المرء أن يسقط من حسابه الاختلافات بين المذاهب المثالية المتنوعة (المؤلف).

(٢) للمذهب التجريبى، بالفعل، ميتافيزيقاه الخاصة ضمنية. ونادراً ما يستخدم الفلاسفة التجريبيون، لفظ «ميتافيزيقا» بالنسبة لبعض أفكارهم، لكن من حيث إن الميتافيزيقا تتضمن محاولة للكشف عن طبيعة الحقيقة القصوى، فإنه يمكن القول، بصورة مشروعة، إن المذهب المثالى يمثل إحياء للميتافيزيقا (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بمقتضاها يستطيع الأفراد أن يطوروا إمكاناتهم من حيث إنهم أشخاص. ولأن الفلاسفة المثاليين مالوا إلى تفسير خلق هذه الظروف بأنها تخلص من العقبات، فإنهم استطاعوا، بالتأكيد، أن يتقفوا مع الفلاسفة النفعيين في القول بأن الدولة تتدخل قليلاً بقدر المستطاع في حرية الفرد. لم تكن لديهم رغبة في أن يجعلوا الحرية محل العبودية، لكن لأنهم فسروا الحرية بأنها حرية جعل إمكانات الشخصية الإنسانية فعلية، وبأنها التخلص من العقبات التي تقف في طريق الحرية بهذا المعنى الذي يتضمن في رأيهم قدراً كبيراً من التشريع الاجتماعي، فإنهم كانوا على استعداد لأن يدافعوا عن معيار لنشاط الدولة لا يجاوز أى شيء يتأمله المتمسكون المتحمسون بسياسة «دعه يعمل» وبالتالي، نستطيع أن نقول إن النظرية المثالية الاجتماعية والسياسية في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر كانت أكثر اتفاقاً مع الحاجات المدركة للوقت من الموقف الذي دافع عنه «هيربرت سبنسر». لقد قام مذهب بنتام أو المذهب الراديكالي الفلسفي، بدون شك، بمهمة مفيدة في الجزء الأول من القرن التاسع عشر. بيد أن الليبرالية المعدلة التي قدمها الفلاسفة المثاليون مؤخراً في هذا القرن لم تكن «رجعية» على الإطلاق. إذ إنها نظرت إلى الأمام بدلاً من أن تنظر إلى الخلف.

قد يبدو أن الملاحظات السابقة تفترض أن المذهب المثالي في القرن التاسع عشر في بريطانيا العظمى كان، ببساطة، رد فعل طبيعي على المذهب التجريبي وعلى النظرية الاقتصادية «دعه يعمل» وعلى النظرية السياسية. ومع ذلك، فقد مارس الفكر الألماني، لاسيما فكر كانط وهيغل تبعاً، تأثيراً مهماً على تطوير المذهب المثالي البريطاني. لقد أثبت بعض الكتاب، وبصفة ملحوظة ج. هـ. مورهد^(١)، أن الفلاسفة المثاليين البريطانيين في القرن التاسع عشر هم ورثة تراث أفلاطوني تجلى في تفكير أفلاطوني كمبريدج في القرن السابع عشر، وفي فلسفة باركلي في القرن الثامن عشر.

(١) In The Platonic tradition in Anglo- Saxon philosophy (1931).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

في فكر «هاملتون» كان بارزاً بصورة كبيرة في مذهبه عن حدود المعرفة البشرية، وفي مذهبه اللاأندري فيما يتعلق بالحقيقة النهائية.

ومن بين الفلاسفة المثاليين البريطانيين، قد يقال إن تأثير كانط قد شعر به بصفة خاصة: «توماس هل جرين»، و«إدوارد كيرد». بيد أنه كان مختلطاً بتأثير هيجل. وبصورة أكثر دقة، تم النظر إلى كانط على أنه يستشرف هيجل، أو أنه قرئ عن طريق وجهات نظر هيجلية. فبالفعل تم الدفاع بوضوح في كتاب «جيمس هتشسون سترلنج» «سر هيجل» (١٨٦٥) عن وجهة نظر مؤداها أن فلسفة كانط، إذا فُهِمَتْ وقيِّمَتْ بصورة ملائمة، فإنها تؤدي مباشرة إلى الهيجلية. ولذلك، على الرغم من أننا نستطيع أن نقول، بحق، إن تأثير هيجل أكثر وضوحاً في المذهب المثالي عند «برادلي»، و«بورانكيت» من التأثير في فلسفة «جرين»، فإنه لا مشاحة لافتراض أننا نستطيع أن نقسم الفلاسفة المثاليين البريطانيين إلى فلاسفة كانطيين وفلاسفة هيجليين. فقد شعر بعض الرواد على حدة بتأثير هيجل منذ بداية الحركة. وبالتالي ليس من المعقول تماماً أن نصف المذهب المثالي البريطاني، كما يتم ذلك في الغالب، بأنه حركة غير هيجلية، شريطة أن يفهم على الأقل أنه لا مشاحة في استقبال نوافع من هيجل أكثر من متابعتها في علاقة التلميذ بالاستاذ^(١).

كانت الحركة المثالية البريطانية تتميز في الحقب الأولى بتركيز ملحوظ على علاقة الذات بالموضوع. ويمكن القول، بهذا المعنى، إن للمذهب المثالي أساساً أبستمولوجياً، من حيث إن علاقة الذات بالموضوع أساسية في المعرفة. ولم تكن ميتافيزيقا المطلق غير موجودة بالفعل. لأنه تم النظر إلى الذات والموضوع على أنهما مؤسستان في حقيقة قصوى واحدة روحية، وهما تجليان لهذه الحقيقة. بيد أن نقطة الانطلاق أثرت على

(١) ناقشنا هذا الموضوع مناقشة مستفيضة في كتابنا «الهيجلية الجديدة في إنجلترا» (الرواد) لاسيما الفصل الأول «عقبات على الطريق». (المراجع).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

المطلق بأنه مذهب الذوات المتناهية. لكن على الرغم من أن هذه الفترة من المذهب المثالي الشخصي ذات أهمية، من حيث إنها تمثل مقاومة الذات المتناهية لوجود يبتلعه مطلق غير شخصي، فإنها تنتمي إلى فترة عندما كان المذهب المثالي في بريطانيا يمهّد الطريق لتيار جديد من التفكير، سوف يرتبط باسم «جورج إدوارد مور»، و«برتراند رسل»، ثم «لدفيج فتنجنشتين».

٢- بقدر اهتمام الجمهور العام المثقف، كان تأثير الفكر الألماني ملموساً في البداية في بريطانيا العظمى عن طريق كتابات الشعراء وأعلام الأدب مثل: كوليردج وكارليل.

(أ) يبدو أن «صموئيل تيلور كوليردج» (١٧٧٢-١٨٣٤) عرف الفلسفة في البداية عن طريق كتابات فلاسفة الأفلاطونية الحديثة، عندما كان تلميذاً في مبرة المسيح Chirst's Hospital. وعلى أية حال، تبع هذا الإعجاب المبكر بفلسفة «أفلوطين» الصوفية، فترة إعجاب بفلسفة «فولتير»، كان أثنائها شاكاً في الدين لفترة قصيرة. ثم طوّر في كمبردج حماساً ربما يكون مثيراً للدهشة إلى حد ما لديفيد هارتلي وسيكولوجيا التداعي الموجودة عنده^(١). ويزعم «كوليردج»، بالفعل، بأنه أكثر اتساقاً من هارتلي. لأنه بينما لم يؤكد «هارتلي»، عندما أثبت أن العمليات السيكلوجية تعتمد على ذبذبات في المخ وتلازمها، جسمية التفكير، فإن كوليردج كتب إلى «سوذي Southey في عام ١٧٩٤ أنه يعتقد أن التفكير جسمي؛ أي أنه حركة. وربط كوليردج، في نفس الوقت، حماسه لهارتلي بإيمان ديني^(٢). وغداً يعتقد أن الفهم العلمي لا يكفي أن يكون مفتاحاً للحقيقة، ويتحدث عن دور الحدس وأهمية التجربة

(١) أعتى، أنه من الدهش إلى حد ما أن نجد من وجهة نظر واحدة أن الشاعر الرومانسي متحمس باستمرار لهارتلي دون غيره غير أنه كان يُنظر إلى سيكولوجيا التداعي، بالتالي، على أنها علم «مقدم»، وساعد ذلك، بلا شك، على أن يوصى بها لطالب جامعة نشط عقلياً (المؤلف).

(٢) كان هارتلي، في الحقيقة، مؤمناً مندياً (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تلقى كوليردج فى تطويره هذا التمييز دافعاً من كتابات كانط، التى بدأ يدرسها باختصار بعد زيارته إلى ألمانيا عام ١٧٩٨ - ١٧٩٩^(١). غير أنه يميل إلى التحدث كما لم يحدد كانط فقط مجال الفهم بمعرفة الواقع الظاهرى، وإنما تصور أيضاً وعياً حدسياً بحقائق روحية عن طريق العقل، فى حين أن كوليردج افترق عن الفيلسوف الألمانى عندما نسب، فى حقيقة الأمر، هذه القوة إلى العقل، موحداً إياه فضلاً عن ذلك بالعقل العملى. لقد وقف على أرض راسخة عندما زعم وشائج قريى مع ياكوبى^(٢) فى القول بأن العلاقة بين العقل والحقائق الروحية تشبه العلاقة بين العين والموضوعات المادية.

ومع ذلك، لا يرغب أى شخص فى تأكيد أن كوليردج كان كانطياً. فالمسألة هى مسألة مثير، وليست مسألة تلمذة. وعلى الرغم من أنه أدرك أنه مدين لمفكرين ألمان، وبصفة خاصة كانط، فمن الواضح أنه نظر إلى فلسفته الخاصة على أنها أفلاطونية، أساساً، من حيث الإلهام. فهو يؤكد فى كتابه «معينات على التفكير» أن كل إنسان يولد إما أفلاطونياً أو أرسطياً. لقد كان أرسطو، الأستاذ العظيم للفهم، مقيداً بالأرض إلى حد كبير، «فقد بدأ بما هو محسوس، ولم يستقبل مما هو فوق الحواس، إلا ما كان مضطراً إليه، إلا من حيث إنه الفرض الباقى فقط»^(٣). أعنى أن أرسطو لم يسلم بحقيقة روحية إلا من حيث إنها الملجأ الأخير، عندما اضطرت الحاجة إلى تفسير الظواهر الفيزيائية إلى أن يفعل ذلك. ومع ذلك سعى أفلاطون إلى الحقيقة المجاوزة للحس التى تنكشف لنا عن طريق العقل وإرادتنا الأخلاقية. وبالنسبة لكانط، يصفه كوليردج،

(١) لقد نشطت كتابات حكيم كونجسبرج الشهير، مؤسس الفلسفة النقدية، أكثر من أية كتابات أخرى، فهيمى ونظمته (المؤلف).

Biographia Literaria, p. 76 (Every man.s Library edition).

See vol. vi. of this History. pp. 146 - 8. (٢)

Philosophical Lectures, edited by K. Coburn, p. 186. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

سابق، ونحاول أن نستنبط الطبيعة؟ يرد كوليردج بأننا لا نستطيع أن نفعل هذا ولا ذاك. إذ يجب أن نبحث عن المبدأ الأقصى في هوية الذات والموضوع.

ولكن أين توجد هذه الهوية؟ «لا توجد هوية الموضوع وهوية التمثل المطلوبة إلا في الوعي الذاتى بالروح»^(١). لكن إذا كانت الروح، أصلاً، هي كيان الذات والموضوع، فلا بد أن تنحل، بمعنى ما، هذه الهوية لكي تصبح واعية بذاتها بوصفها موضوعاً. وبالتالي، لا يستطيع الوعي الذاتى أن ينشأ إلا عن طريق فعل الإرادة، ولا بد من افتراض الحرية بوصفها أساساً للفلسفة، ولا يمكن أن نستنبط منها مطلقاً^(٢). إن الروح تصبح ذاتاً لا تعرف نفسها بوصفها موضوعاً إلا عن طريق «فعل بناء نفسها بنفسها بصورة موضوعية»^(٣).

ويبدو ذلك كما لو كان كوليردج يبدأ بإثارة نفس التساؤل الذى سأل شلنج، ثم يستمد إجابة شلنج؛ وهى أنه ينبغي علينا أن نسلّم بهوية أصلية للموضوع والذات، ويتحول أخيراً إلى فكرة فشته عن الأنا من حيث إنها تشكل نفسها بوصفها ذاتاً وموضوعاً عن طريق فعل أصلى. غير أن كوليردج لم تكن لديه نية لأن يقف عند الأنا بوصفها مبدأه الأقصى، خاصة إذا كنا نعنى بها الأنا اللامتناهية. إنه يسخر، بالفعل، من «مذهب الأنا» عند فشته^(٤)، ويصر، بدلاً من ذلك، على أن يصل إلى هوية الذات والموضوع؛ هوية المثالى والواقعى، من حيث إنها المبدأ الأقصى ليس للمعرفة الإنسانية فحسب، بل لكل وجود يجب علينا أن «نرفعه فوق تصورنا للذات المطلقة، الخالد الأعظم

(١) Ibid, p. 145.

(٢) Ibid, (٢)

(٣) Ibid, p. 144.

(٤) لم يجعل فشته، بالتأكيد، الأنا المتناهية أو الذات مبدأه الأقصى ويميل كوليردج إلى أن يصور تفكيره تصويراً هزلياً (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كان كوليردج محافظاً في ميدان النظرية الاجتماعية والسياسية، بمعنى أنه عارض أعمال الراديكاليين، وأراد المحافظة على القيم الموروثة في المؤسسات التقليدية وتحققها بالفعل. وأحياناً جذبته، بالفعل، الأفكار التي ألهمت الثورة الفرنسية، مثله في ذلك مثل «وردزويرث» و«سوثي». بيد أنه قام بهجر راديكالية شبابه، على الرغم من أن مذهبه المحافظ الذي أتى فيما بعد لم ينشأ من أية كراهية للتغيير من حيث هو كذلك، وإنما من اعتقاد هو أن المؤسسات التي خلقتها الروح القومية في مسار تاريخها جسدت قيماً حقيقية حاول الناس أن يحققوها. وكما يرى «مل»، أراد بنتاجم «أن تندثر المؤسسات والعقائد الموجودة حتى الآن، في حين أن كوليردج أراد أن «يكون لها وجود حقيقي»^(١).

(ب) ينتمي «توماس كارليل» T. Carlyle (١٧٩٥ - ١٨٨١) إلى جيل متأخر عن جيل كوليردج، غير أنه كان أقل نسقية بشكل ملحوظ في تقديم أفكاره الفلسفية، واليوم هناك، بلاشك، أناس كثيرون يجدون أن الكتاب النثرى الفاتن «سارتور رزارتوس» (أو الخياط يرفو) تتعذر قراءته تماماً. ومع ذلك، كان كارليل أحد القنوات التي عن طريقها جذب الفكر الألماني والأدب انتباه العامة البريطانيين.

لم يكن رد فعل «كارليل» على الفلسفة الألمانية في البداية إيجابياً تماماً، فقد سخر من غموض كانط ومن ادعاءات كوليردج في أن معاً. غير أنه في كراهيته للمذهب المادى، ومذهب اللذة، ومذهب المنفعة، بدأ يرى في كانط الخصم المتألق لعصر التنوير وحركاته الفرعية. ولذلك يثنى في مقاله عن «حالة الأدب الألماني» (١٨٢٧) على كانط؛ لأنه بدأ من الداخل ثم انتقل إلى الخارج بدلاً من أن يتابع طريق لوك الذي يبدأ من التجربة الحسية، ويحاول أن يبنى فلسفة على هذا الأساس. إن طريقة كانط، فيما يرى كارليل، ترى أن الحقائق الأساسية تُفهم عن طريق حدس موجود في طبيعة الإنسان

Dissertation and Discussions, 1, p. 436. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يجب على كل إنسان أن يكون له دور فيه، وأن يقوم باختيار كامل، فإنه شعر، بصورة طبيعية، بإعجاب بالاهتمام الأخلاقي عند فشته، وجهة نظره عن الطبيعة من حيث إنها، ببساطة، الميدان الذي يكتشف فيه الإنسان مهمته الأخلاقية، أي ميدان العقبات، إن جاز التعبير، التي يجب على الإنسان أن يتغلب عليها أثناء بلوغه غايته المثالية.

وتساعد وجهة النظر هذه على تفسير اهتمام كارليل بالبطل، كما يتجلى في محاضراته عام ١٨٤٠ «عن الأبطال، عبادة البطل والبطولة في التاريخ». يضع في مقابل المذهب المادي، ومما يطلق عليه اسم «ربح وخسارة في الفلسفة»، أفكار البطولة، والمهمة الأخلاقية، والولاء الشخصي. لقد كان على استعداد، بحق، لأن يؤكد أن «نفس حياة كل المجتمعات ليس سوى سيلان عبادة البطل، إعجاب مستكين بالعظيم حقاً. إن المجتمع يقوم على عبادة البطل»^(١). كما أن التاريخ الكلي، تاريخ ما حققه الإنسان في العالم، هو في أساسه تاريخ الأشخاص العظام الذين يعملون هنا»^(٢).

يشبه كارليل هيجل في إصراره على دور «الأشخاص العظام» في التاريخ، ويستبق نيتشه في بعض النواحي، على الرغم من أن عبادة البطل في الميدان السياسي هي فكرة ربما ننظر إليها هذه الأيام بمشاعر مختلطة. ومع ذلك، يتضح أن ما أعجب كارليل بصفة خاصة في أبطاله هو اهتمامهم وجديتهم وتكريس أنفسهم، وتحررهم من أخلاق تقوم على حساب اللذة. فعندما أدرك كارليل، مثلاً، عيوب روسو وأخطاء سلوكه، التي جعلته «بطلاً منقبضاً حزينا»^(٣)، فإنه أصر على أن هذا مرشح غير محتمل للقب، يمتلك «الخاصية الأولى والرئيسية للبطل: وهي أنه يكون جاداً بحق. إذا كان الإنسان جاداً باستمرار؛ حتى وإن لم يكن واحد من هؤلاء الفلاسفة الفرنسيين جاداً»^(٤).

On Heroes, Lecture, p. 193 (London, Chapman and Hall. (١)

Ibid, p. 185. (٢)

(٣) ومع ذلك، نظر هيجل إلى «أفراده في تاريخ العالم» على أنهم أدوات لعالم الروح (المؤلف).

On Heroes, Lecture, v, p. 323. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عندما قال «فريير» إن فلسفته اسكتلندية في صميمها، فإنه كان يعنى أنه لم يأخذها من الفلاسفة الألمان. وعلى الرغم من أنه لم يُنظر، نادراً، إلى مذهبه على أنه هيكلى، فإنه يزعم أنه لم يستطع مطلقاً أن يفهم هيكل^(١). لقد عبر، بالفعل، عن شكه فيما إذا كان الفيلسوف الألماني استطاع أن يفهم نفسه. وعلى أية حال، يبدأ هيكل بالوجود، بينما يأخذ مذهبه المعرفة بوصفها نقطة انطلاق^(٢).

دافع «فريير» الأول هو البحث عن نقطة البداية المطلقة للحيثافيزيقا في قضية تقرير الخاصية الأولى الثابتة والاساسية في كل معرفة، ولا يمكن إنكارها دون وقوع في التناقض. وهذا يعنى أنه «بالإضافة إلى ما يعرفه العقل، لابد أن يكون لديه معرفة بذاته، من حيث إنها أساس أو شرط معرفته»^(٣). إن موضوع المعرفة عامل متغير. بيد أنني لا أستطيع أن أعرف أى شيء دون أن أعرف أنني أعرف. وإنكار ذلك هو كلام ليس له معنى. وتأكيدُه يعنى التسليم بأنه ليست هناك معرفة دون وعى بالذات، أى دون وعى ما بالنفس.

وينجم عن ذلك أن «فريير» يبرهن على أنه لا يمكن أن نعرف شيئاً إلا في علاقة بذات أو بنفس ما. وبمعنى آخر، موضوع المعرفة هو، في أساسه، موضوع من أجل ذات ما. ويستنتج «فريير» نتيجة تقول إنه لا يمكن التفكير في شيء إلا في علاقة بذات. وينجم عن هذا أنه لا يمكن التفكير في الكون المادى من حيث إنه موجود دون أية علاقة بذات.

(١) لم يمنع هذا «فريير» من كتابة مقالات عن شلنج وهيكل لـ Imperial Dictionary of Universal Biography (المؤلف).

(٢) ليس في استطاعتنا أن نستبعد كل تأثير للفكر الألماني على ذهن «فريير». لكنه على حق، بلا شك، في الزعم بأن مذهبه من إبداعه الخاص، وليس نتاج استعارة (المؤلف).

(٣) Institutes of Metaphysics, 1, prop. 1, p. 79. (works, 1,3rd edition), this work will hence forth be referred to simply as Institute.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أننا نجهل المطلق، فإنه يترتب على ذلك أنه يمكن معرفة المطلق. ولذلك، لا يمكن الدفاع عن لأدرية «هاملتون».

لكن ماذا عساه أن يكون المطلق، أو الوجود المطلق، كما يعبر فرير؟ إنه لا يمكن أن يكون مادة بذاتها ولا ذهنًا بذاته. لأنه لا يمكن تصور كل من المادة بذاتها والذهن بذاته. ولذلك، لابد أن يكون مركبًا من الذات والموضوع. ومع ذلك، ليس هناك سوى مركب واحد ضروري. لأنه على الرغم من أنه لا يمكن تصور وجود كون إلا من حيث إنه موضوع من أجل ذات، فإننا رأينا من قبل أنه يمكن فصل الكون، أو فصله عن أية ذات متناهية معينة. ولذلك، هناك وجود واحد مطلق، وليس هناك سواء، يكون ضروريًا بصورة حاسمة، وهذا الوجود هو عقل أسمى، ولا متناه، ودائم، ويتحد مع كل الأشياء^(١).

وعلى سبيل التعليق، ليس من المناسب أن نلفت الانتباه إلى الواقعة الواضحة نسبيًا، وهي أن العبارة التي تقول «لا يمكن أن تكون هناك ذات بدون موضوع، ولا موضوع بدون ذات» صادقة من الناحية التحليلية، إذا فهم لفظا «ذات»، و«موضوع» بمعناهما الاستمولوجي. وصحيح أيضاً أنه لا يمكن تصور شيء مادي إلا من حيث إنه موضوع لذات، إذا قصدنا بذلك أنه لا يمكن تصور شيء مادي إلا عن طريق تكوينه («بصورة مقصودة» كما يقول الفينومولوجيون) من حيث إنه موضوع. لكن يبدو أن ذلك لا يساوي أكثر من القول بأننا لا نستطيع أن نتصور شيئاً إذا لم نتصوره. ولا يترتب على ذلك أنه لا يمكن لشيء أن يوجد إذا لم نتصوره. ويستطيع فرير، بالتأكيد، أن يرد بالقول إنه ليس في إمكاننا أن نتحدث، بصورة معقولة، عن شيء من حيث إنه يوجد مستقلاً عن كونه متصوراً. لأننا نتصوره عن طريق الواقعة المحض

Institute, 111, prop. 11, p. 522. (١)

يجب أن نلاحظ أن المطلق عند فرير ليس هو الله فحسب، بل هو مركب الله والعالم أي مركب الذات اللامتناهية وموضوعها فهما يرتبطان بعضهما ببعض (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يمكن توضيح نقد «جروت» لمذهب الظواهر بهذه الطريقة. من الخصائص الرئيسية لمذهب الظواهر أنه يرد في البداية موضوع المعرفة إلى مجموعة من الظواهر، ثم ينتقل إلى تطبيق تحليل ردى مشابه إلى الذات! أى الأنا أو النفس. ولذلك، تُرد الذات، بالفعل، إلى موضوعها الخاص. أو، إذا فضلنا، تُرد كل من الذات والموضوع إلى ظواهر يُفترض أنها الواقع الأساسى، أى الكيانات القصوى التى يستطيع التفكير أن يشكل منها من جديد زواتاً وموضوعات فيزيائية. بيد أنه يمكن بيان أنه لا يمكن الدفاع عن رد النفس أو الذات هذا. فمن جهة، الحديث عن الظواهر ليس معقولاً إلا بالنسبة للوعى. لأن ما يظهر، يظهر لذات داخل نطاق، إن شئنا أن نقول، الوعى. إننا لا نجاوز الوعى، ويبين تحليله أنه يتضمن، أساساً، علاقة الذات - الموضوع. إن الذات والموضوع موجودان، بصورة حقيقية أو غامضة، فى وعى أولى، ويتميزان بصورة تدريجية فى تطور الوعى حتى ينشأ هناك وعى واضح جلى بعالم الموضوعات من جهة، وعالم النفس أو الذات من جهة أخرى، ويتطور هذا الوعى بالذات عن طريق تجربة الجهد بصفة خاصة. وبالتالي، طالما أن الذات موجودة منذ البداية بوصفها إحدى الأعمدة الرئيسية حتى فى وعى أولى، فإنه لا يمكن ردها، بصورة مشروعة، إلى الموضوع، إلى أية ظاهرة. كما أن التفكير فى البناء الأساسى للجوهر يبين، فى نفس الوقت، أننا لا نوجد مع أنا مغلقة على ذاتها، يجب علينا أن نجد منها جسراً، كما هى الحال فى فلسفة ديكرت، إلى اللأنا.

ومن جهة ثانية من المهم أن نلاحظ الطريقة التى يغفل فيها الظاهريون الدور الفعال للذات فى بناء كون معقد. إن الذات أو النفس توصف بنشاطها الفائق؛ فهى تمتلك غايات. وتبنى فى سعيها إلى غاياتها ألواناً من الوحدة بين الظواهر، ليس بمعنى أنها تفرض صوراً قبلية على مجموعة من معطيات غير مترابطة، وغير منظمة^(١)، ولكن بالأحرى، بمعنى أنها تبنى عالمها بطريقة تجريبية عن طريق عملية

(١) يرى جروت أن الذات، فى بنائها لعالم معقد، تكتشف أو تدرك مقولات فى الطبيعة، تكون تعبيرات عن عقل إلهى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يزودنا به سوى مراجعة جذرية لمفهوم الإنسان الذى ورثه بنتام من كُتَّاب مثل «هلفتيوس». إن مذهب اللذة لا يستطيع، من وجهة نظر جروت، أن يفسر الوعى بالإنزام. لأن ذلك ينشأ عندما يشعر الإنسان، أثناء تصور المثل الأخلاقية العليا، بالحاجة إلى إخضاع طبيعته الدنيا لطبيعته العليا.

٥- يمكننا أن نرى بصورة ملحوظة ارتباطاً بين إدراك الفلاسفة المثاليين لعدم كفاية وجهة نظر بنتام عن الطبيعة البشرية، وإحياء الاهتمام بالفلسفة اليونانية الذى حدث فى الجامعات، لاسيما فى جامعة «أكسفورد»، إبان القرن التاسع عشر. لقد رأينا من قبل أن «كوليردج» نظر إلى فلسفته على أنها أفلاطونية، أساساً، فى الإلهام والطابع. بيد أنه يمكن ربط إحياء الدراسات الأفلاطونية فى أكسفورد باسم «بنيامين جويت» Benjamin Jowett (١٨١٧ - ١٨٩٣) بصفة خاصة، الذى أصبح زميلاً فى «باللول كوليج» Balliol College فى عام ١٨٣٨، وشغل كرسي اللغة اليونانية من عام ١٨٥٥ حتى عام ١٨٩٣. ولسنا هنا بصدد التعرض للأخطاء الموجودة فى ترجمته الشهيرة لمحاورات أفلاطون. فالمسألة هى أنه أثناء مهنة تدريسه الطويلة، ساهم بقوة فى إحياء الاهتمام بالفكر اليونانى. والقول بأن «توماس هل جرين» و«إدوارد كيرد»، وكلاهما مشهوران فى الحركة المثالية، كانا تلميذين له فى وقت ما، له أهميته ودلالته. لقد مال الاهتمام بأفلاطون وأرسطو، بصورة طبيعية إلى الانصراف عن مذهب اللذة، ومذهب المنفعة إلى أخلاق كمال الذات Self-Perfection، التى تقوم على نظرية عن الطبيعة البشرية داخل إطار ميتافيزيقى.

وقد لازم إحياء الاهتمام بالفكر اليونانى تقدير متزايد للفلسفة المثالية الألمانية. فقد اهتم «جويت» نفسه بهذه الفلسفة، لاسيما بفكر هيجل^(١)، وساعد على الحث على

(١) عندما عرف «جويت» بوضوح الدافع الذى أخذه من هيجل، فإنه انتقل بالتدريج ليكون أكثر قرباً من الهيجيلية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بتطوير خلود النفس. وعلى الرغم من أن هناك دليلاً ضئيلاً على أن هيجل شعر
باهتمام كبير بهذه المسألة، فإنه يمكن رؤية تفسير سترلنج بأنه يمثل التشديد الذي
وضعه المثاليون الأوائل على الذات الروحية المتناهية؛ تشديداً ينسجم مع ميلهم إلى
الاحتفاظ برؤية إلهية كبيرة أو قليلة^(١).

(٢) راجع دراسة مفصلة عن سترلنج: جهوده وفلسفته كتابنا «الهيكلية الجديدة في إنجلترا» من ص ١٨١
حتى ص ٢٣٨. (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يرى جرين أنه منذ لوك فصاعداً، افترض المذهب التجريبي أن مهمة الفيلسوف هي رد معرفتنا إلى عناصرها الأولية؛ أي إلى المعطيات الأصلية، ثم بناء عالم التجربة العادية من جديد من هذه المعطيات الذرية. ومع ذلك، بصرف النظر عن الواقعة التي تقول إنه لم يتم تقديم تفسير مقنع للطريقة التي يمكن أن يجاوز فيها الذهن علاقة الذات - والموضوع، ويكتشف المعطيات الأولية التي يُفترض أن كلاً من الأذهان والموضوعات الفيزيائية تتكون منها، فإن البرنامج التجريبي يؤدي بنا إلى خلاف مستحكم. فمن جهة، لكي نبني عالم الأذهان والموضوعات الفيزيائية، يجب على الذهن أن يربط المعطيات الذرية الأولية؛ أي الظواهر المنفصلة. وبمعنى آخر، يجب أن يمارس الذهن نشاطاً وفاعلية. ومن جهة ثانية، لا يمكن تفسير نشاط الذهن بناءً على مبادئ تجريبية، لأنه هو نفسه يترد إلى مجموعة من الظواهر. وكيف يستطيع أن يبنى نفسه؟ وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن المذهب التجريبي يزعم تفسير المعرفة البشرية، فإنه لا يفعل شيئاً، في واقع الأمر، في هذا النوع. لأن عالم التجربة العادية يُفسر من حيث إنه بناء ذهني من انطباعات منفصلة، وليست لدينا طريقة لمعرفة أن البناء يمثل حقيقة موضوعية على الإطلاق. وبمعنى آخر، يؤدي مذهب تجريبي متسق، لا محالة، إلى نزعة شكية.

لقد كان هيوم نفسه، كما يرى جرين، مفكراً شهيراً نبذ المساومة، وسار بمبادئ المذهب التجريبي حتى نتيجتها المنطقية. «لأنه بعد أن قبل مقدمات لوك ومنهجه، فإنه خلّصها من كل ألوان الملازمة غير المنطقية للاعتقاد العادي، وقام باختيارها على أساس معرفة معترف بها... ويبين بناءً على التجربة، والمنهج، الذي يبدأ بادعاء تفسير المعرفة، أن المعرفة غير ممكنة»^(١). ولقد كان هيوم نفسه يعرف هذه النتيجة تماماً، لكن يبدو أن أتباعه في إنجلترا واسكتلندا لم يستطيعوا إلى حد كبير أن ينظروا إليها خجلاً^(٢).

Introductions, 1, 2-3. Green and Grose of Hume's Treatise, 1, p.2. (١)

Ibid, 3. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن أسم هيجل لا يلوح، فى حقيقة الأمر، فى الأفق كثيراً فى كتابات جرين. فاسم كانط أكثر ظهوراً. غير أن جرين يرى أنه عن طريق قراءة هيوم فى ضوء ليبنتس، وقراءة ليبنتس فى ضوء هيوم، استطاع كانط أن يخلص نفسه من فروضهما الخاصة. ويمكننا أن نقول، بصورة صائبة، إن فكر جرين استمد قدراً كبيراً من الدافع من كانط؛ فقد قرأه فى ضوء اقتناعه بأن الفلسفة النقدية تحتاج إلى تطوير ما، على الرغم من أنها لا تحتاج بدقة إلى نفس التطوير كالذى لقيته بالفعل على أيدي الفلسفة الليتافيزيقيين الألمان، على أيدي هيجل بصفة خاصة.

٢ - يشير «جرين» فى مدخل كتابه «مقدمة إلى علم الأخلاق»، الذى نُشر غُفلاً عام ١٨٨٣، إلى الميل إلى معالجة الأخلاق كما لو كانت فرعاً من العلم الطبيعى. والواقع أن هذا الميل يمكن فعله. لأن التطور فى المعرفة التاريخية، وتطور نظريات التطور تفترض إمكان تقديم تفسير طبيعى خالص وراثى لظواهر الحياة الأخلاقية. لكن ما الذى يصبح، بالتالى، من الأخلاق منظوراً إليه على أنه علم معيارى؟ الإجابة هى أن الفيلسوف الذى «لديه شجاعة مبادئه، بعد أن يرد الجزء النظرى منها (أى مذاهبنا الأخلاقية) إلى علم طبيعى، يجب عليه أن يلغى الجزء العلمى من الأخلاق»^(١) ومع ذلك، فإن الواقعة التى تقول إن رد الأخلاق إلى فرع من العلم الطبيعى تتضمن إلغاء الأخلاق من حيث إنها علم معيارى، تجعلنا ننظر من جديد إلى فروض أو شروط المعرفة الأخلاقية والنشاط الأخلاقى. هل الإنسان طفل للطبيعة فقط؟ أو هل هناك مبدأ روحى فيه يجعل المعرفة ممكنة، سواء كانت معرفة بالطبيعة أو معرفة أخلاقية؟

ولذلك يجد «جرين» أنه من الضرورى أن تبدأ ببحثه فى الأخلاق بميتافيزيقا للمعرفة. ويبرهن، فى المقام الأول، على أنه حتى إذا كان يتحتم علينا أن نقرر لصالح الفلاسفة الماديين كل المسائل الخاصة بالوقائع الجزئية التى تشكل موضوع الجدل

Prolegomena to Ethics, p. 9 (First edition) This Work will be referred to hence for (١) as Prolegomena.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

من أنه يمكن القول بأن كل ذهن متناه يشكل الطبيعة من حيث إنه يتصور نسق العلاقات، فإنه يجب علينا أن نفترض أيضاً أن هناك مبدأ روحياً وحيداً، أى وعياً دائماً، يشكل، بصورة قصوى، أو ينتج الطبيعة.

وينجم عن ذلك أنه يجب علينا أن نتصور الذهن المتناهي بأنه يساهم فى حياة وعى دائم، أو عقل «ينتج ذاته فينا من جديد بصورة تدريجية، ينقل بصورة تدريجية، ولكن فى تلازم متصل، الفهم والوقائع المفهومة، التجربة والعالم الذى نخبه»^(١). ويرادف ذلك القول بأن الله ينتج، بالتدريج، معرفته الخاصة فى الذهن المتناهي من جديد. وإذا كان الأمر هكذا، فماذا نقول عن الوقائع التجريبية التى ترتبط بأصل المعرفة وتطورها؟ لأن هذه الوقائع قلماً تفترض أن معرفتنا يفرضها الله. ورد «جرين» هو أن الله ينتج معرفته الخاصة من جديد فى الذهن المتناهي عن طريق استخدام، إن شئت فقل، الحياة الحساسة للكائن الحى الإنسانى واستجابته لدافع ما. وبالتالي ثمة جانبان للوعى الإنسانى. فهناك الجانب التجريبي، الذى وفقاً له يبدو أن وعينا يتمثل فى «تعديلات متتالية للكائن الحى الحيوانى»^(٢). وهناك الجانب الميتافيزيقى، الذى وفقاً له نرى أن هذا الكائن الحى يصبح بصورة تدريجية «أداة لوعى كامل منذ الأزل»^(٣).

وهكذا يشارك «جرين» الفلاسفة المتألمين الأوائل فى الميل إلى اختيار نقطة انطلاق إبستمولوجية، أعنى علاقة الذات - الموضوع. ومع ذلك، يصور الذات، تحت تأثير كائن، بأنها المؤلف بنشاط لكثرة الظواهر؛ أى بأنها الشكل لنظام الطبيعة عن طريق ربط المظاهر أو الظواهر. إن عملية التأليف (التركيب) هذه هى عملية تدريجية تتطور

(١) Ibid, p. 38.

(٢) Ibid, pp. 72-3.

(٣) Ibid, p. 72.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

العالم إنتاج ذاتها، عن طريق عمليات معينة من العالم، من حيث إنها روح البشرية، أو من حيث إنها الذات الجزئية لهذا الإنسان أو ذلك الذي تؤثر فيه الروح البشرية. إننا لا نستطيع أن نقول سوى أنها تفعل ذلك أيضاً، بناءً على التحليل الأفضل الذي نقوم به لتجربتنا^(١).

فى إبقاء جرّين على فكرة ذات أزلية «تنتج نفسها من جديد» فى ذوات متناهية، ولا يمكن، بالتالى، أن تتوحد بها، لا يكون من غير المعقول أن نرى الانشغال بمسائل دينية؛ أى الاهتمام بفكرة إله نعيش فيها، ونتحرك، ونملك وجودنا. بيد أن ذلك ليس، بالتأكيد، السبب الواضح، أو الشكلى، للتسليم بذات أزلية. لأنه مُسلّمُ بها بوضوح من حيث إنها الفاعل المؤلف الأقصى فى تكوين نسق الطبيعة. ويبدو أن «جرّين» فى جعله ذلك مُسلّمة، يعرض نفسه لنفس النوع من الاعتراض الذى وجهناه ضد «فريير». لأنه إذا افترض، على الأقل من أجل الدليل، أن نظام الطبيعة يشكله النشاط المؤلف أو الرابط لعقل ما، فإنه يكون واضحاً أننا لا نستطيع أن أنسب هذا النظام إلى عقل أزلى، أو ذات، إذا لم أتصوره أنا فى البداية، وأشكله بالتالى. ويصبح، حينئذ، من الصعب أن نرى كيف أستطيع، بمصطلحات فريير، أن أفصل نسق العلاقات المتصور عن النشاط المشكّل لذهنى الخاص، وأربطه بآية ذات أخرى، أزلية أو خلاف ذلك.

وقد يُعترض على أن هذا الخط من التفكير، مع إنه ربما يكون صحيحاً فى حالة فريير، فإنه لا يكون كذلك فى حالة جرّين. لأن جرّين ينظر إلى الذات المتناهية الفردية على أنها تشارك فى حياة روحية عامة؛ أى فى الحياة الروحية للبشر، التى تتشكل بصورة الظواهر فى تقدمها نحو الهدف المثالى لمعرفة كاملة؛ أى معرفة ستكون هى نفسها النظام المشكّل للطبيعة. ولذلك لا مشاحة فى فصل تشكلى عن

(١) Prolegomena, pp. 103-4.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الدقيق في الغالب لفلاسفة آخرين يرتبط بتأمل غامض ومبهم سبب للمذهب المثالي الميتافيزيقي سوء السمعة^(١).

٣- أهاب «جرين» في فلسفته الأخلاقية بتراث أفلاطون وأرسطو؛ بمعنى أن مفهوم الخير عنده، وليس مفهوم الإلزام، أولى. وتستدعي فكرته عن الخير بالنسبة للإنسان، بصفة خاصة، من حيث إنه يتمثل في التحقق الفعلي لإمكانات الشخص الإنساني في حالة وجود منسجمة وموحدة، نقول تستدعي هذه الفكرة أخلاق أرسطو. لم يتحدث «جرين»، بالفعل، عن «رضا النفس»، من حيث إنها غاية السلوك الأخلاقي، لكنه يبين أن رضا النفس يعني بالنسبة له «تحقيق الذات» بدلاً من اللذة. ولا بد أن نميز بين «مطلب رضا النفس الذي يتمسك به كل نشاط أخلاقي على أنه صحيح، ومطلب اللذة الذي لا يكون نشاطاً خيراً» من الناحية الأخلاقية^(٢). ولا يعني ذلك أن اللذة تُستبعد من الخير بالنسبة للإنسان. بيد أن التحقق الفعلي المنسجم والمتكامل لإمكانات الشخص الإنساني لا يمكن أن يتوحد بالبحث عن اللذة. لأن الفاعل الأخلاقي ذات روحية، وليس، ببساطة، كائنًا حيًا حساسًا. واللذة، على أية حال، ملازمة للتحقيق الفعلي لقوى المرء، وليست هذا التحقق الفعلي.

وبالتالي، من المؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق نفسه إلا عن طريق الفعل؛ بمعنى التحقق الفعلي لإمكاناته وتطوير شخصيته نحو الحالة المثالية لتكامل منسجم لقواه. كما أنه يتضح أيضاً أن كل إنسان يفعل، بالمعنى الملائم لهذا اللفظ، يكون مدفوعاً إلى الفعل. فالفعل يؤدي من أجل غاية أو هدف مباشر. غير أنه من المشكوك فيه أن دوافع الإنسان تحددها شخصيته الموجودة، مرتبطة بظروف أخرى، وهذه

(١) من الواضح أن الفلاسفة المثاليين الميتافيزيقيين ليسوا هم على الإطلاق الفلاسفة الوحيين الذين يشكل تقدمهم لخصومهم تثيراً أكبر من إسهاماتهم الخاصة الإيجابية للفلسفة. إن التكرار الذي يحدث به هذا الموقف يثير مشكلات عامة عن الفلسفة. غير أنه لا يمكن مناقشتها هنا (المؤلف).

(٢) Prolegomena, p. 169.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الناحية الأخلاقية إلا عندما تفترضها، من حيث إنها كذلك، الذات الواعية بذاتها، أعنى عندما تُمارس فى وحدة الوعى الذاتى، وتتحول إلى دوافع. إنها تصبح، بالتالى، مبادئ داخلية للفعل، وتصبح، من حيث هى كذلك، مبادئ لفعل حر.

ومن الصعب أن نقول إن هذه النظرية، التى تذكرنا فى بعض الجوانب بنظرية «شلتنج» عن الحرية، واضحة جلية. بيد أنه من الواضح على الأقل أن «جرين» يريد أن يسلم بالمعطيات التجريبية التى يمكن أن يلجأ إليها الفيلسوف الحتمى بصورة ملحوظة^(١). ويسلم فى الوقت نفسه بإثبات أن هذا الاعتراف يتطابق مع تأكيد الحرية الإنسانية. وربما نستطيع أن نقول إن السؤال الذى يسأله هو هذا السؤال: إذا سلمنا بكل الوقائع التجريبية الخاصة بالسلوك الإنسانى، فهل لا نزال نستخدم كلمات مثل: «حرية» و«حر» فى ميدان الأخلاق؟ إن إجابة جرين قاطعة وحاسمة. إن أفعال ذات تعى ذاتها، منظوراً إليها بدقة من حيث هى كذلك، يمكن، بصورة ملائمة، أن يقال إنها أفعال حرة. والأفعال التى تكون نتيجة قسر فيزيائى، مثلاً، لا تنتج من الذات التى تعى ذاتها من حيث إنها كذلك. فهى ليست، بالفعل، أفعاله الخاصة؛ لأنه لا يمكن أن يُعتبر صاحبها الحقيقى. ولابد أن نميز بين أفعال من هذا النوع، وتلك الأفعال التى تكون تعبيراً عن الإنسان نفسه، منظوراً إليه لا على أنه فاعل فيزيائى فقط، وإنما أيضاً من حيث إنه ذات تعى نفسها، أو كما يقول البعض، من حيث إنه فاعل عاقل.

إن ذكر الواقعة التى تقول إن تحقيق الذات هو غاية السلوك الأخلاقى قد تفترض أن نظريته الأخلاقية فردية. لكن على الرغم من أنه يشدد، بالفعل، على تحقيق الفرد لذاته، فإنه يتفق مع أفلاطون وأرسطو فى الخطر إلى الشخص الإنسانى على أنه اجتماعى فى طابعه أساساً. وبمعنى آخر، ليست الذات التى يجب أن تتحقق ذاتاً ذرية،

(١) من الواضح أن الفلاسفة المثاليين الميتافيزيقيين ليسوا هم على الإطلاق الفلاسفة الوحيديين الذين يشكل تقدمهم لخصومهم تأثيراً أكبر من إسهاماتهم الخاصة الإيجابية للفلسفة. إن التكرار الذى يحدث به هذا الموقف يثير مشكلات عامة عن الفلسفة. غير أنه لا يمكن مناقشتها هنا (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أو الدولة، بالإضافة إلى الأسرة. لكن لا ينجم عن ذلك مطلقاً أن الدولة غاية في ذاتها. فوظيفتها، على العكس، هي خلق ظروف الحياة الخيرة وتدعيمها، أعنى الشروط التي تستطيع فيها الموجودات البشرية أن تطور نفسها جيداً، وتعيش بوصفها أشخاصاً، كل شخص يعرف الآخرين بوصفهم غايات، لا بوصفهم وسائل. وبهذا المعنى، فإن الدولة وسيلة وليست غاية في ذاتها. ومن الخطأ، حقاً، أن نقول إن الأمة أو المجتمع السياسى هو مجرد تجمع من أفراد. لأن استخدام كلمة «مجرد» تبين أن المتحدث يغفل واقعة هي أن قدرات الفرد الأخلاقية لا تتحقق بالفعل إلا فى علاقات اجتماعية عينية. ويستلزم ذلك أن الأفراد يستطيعون أن يمتلكوا صفاتهم الأخلاقية والروحية ويحققوا مهمتهم الأخلاقية بصرف النظر تماماً عن علاقة المجتمع. كما أن المقدمة التي تقول إن الأمة أو الدولة ليست «مجرد» تجمع من أفراد لا تستلزم النتيجة التي تقول إن الأمة أو الدولة نوع من كيان قائم بذاته فوق الأفراد الذين يكونونها. إن حياة الأمة ليس لها وجود حقيقى إلا من حيث إنها حياة الأفراد الذين يكونون الأمة»^(١).

ولذلك، فإن «جرين» على استعداد تام لأن يسلم بأن هناك، بمعنى ما، حقوقاً طبيعية تفترضها الدولة. لأننا إذا تساءلنا ما السلطات التي يجب أن تكفل للفرد لكي يحقق غايته الأخلاقية، فإننا نجد أن للفرد حقوقاً معينة يجب أن يعرفها المجتمع. صحيح أن الحقوق، بالمعنى الكامل لهذا اللفظ، لا توجد حتى تطابق تنظيماً اجتماعياً. إن لفظ «صحيح» فى معناه الكامل، يكون له، بالفعل، معنى ضئيل أو لا يكون له معنى بمعزل عن المجتمع^(٢). وإذا كنا نعنى فى الوقت نفسه بالقول إن هناك حقوقاً

ibid, p. 193. (١)

يستطيع هيجل أن يقول، بالتأكيد، نفس الشيء. لأن الكلى لا يوجد، من وجهة نظره إلا فى الجزئيات ومن طريقها. كما أنه عند الحديث عن الدولة، لا يستخدم جرين الصفات السامية التي يستخدمها الفيلسوف الألمانى (المؤلف).

(٢) لا يعنى المجتمع فى هذا السياق الدولة بالضرورة. فأعضاء الأسرة، مثلاً، يتمتعون بحقوق. والمسألة هي أن «الحق» إذا شئنا أن نقول، لفظ اجتماعى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فرد معين قد لا يميل إلى متابعة ما يحقق الرفاهية أو الصالح العام. ولذلك، هناك حاجة إلى قواعد أخلاقية أو إلى قوانين أخلاقية في المجال الأخلاقي. وهكذا يربط «جرين» الإلزام الأخلاقي بالإلزام السياسي بصورة وثيقة. إن أساس الالتزام بطاعة قانون الدولة ليس الخوف أو المنفعة المحض، وإنما التزام الإنسان الأخلاقي بتجنب تلك الأفعال التي لا تتطابق تحقيق غايتها الأخلاقية، وأداء تلك الأفعال المطلوبة لتحقيقها.

ويترتب عن ذلك أنه لا يكون هناك حق في عصيان الدولة أو التمرد عليها من حيث هي كذلك. أعني «أنه بقدر ما تحقق القوانين في أي مكان أو أي في أي وقت بكامل قوتها فكرة الدولة، فإنه لا يمكن أن يكون هناك حق في عصيانها»^(١). بيد أن الدولة الفعلية، كما يسلّم هيجل، لا تكون، مطلقاً، المعيار الذي نقيس به باستمرار فكرة الدولة، أو المثال الأعلى للدولة؛ وقد لا يتطابق قانون معين مع المصلحة الحقيقية، أو الخير، للمجتمع كله. ولذلك يمكن تبرير العصيان المدني باسم الصالح العام، أو الرفاهية العامة. ويتضح أنه يجب على الناس أن يضعوا في الاعتبار واقعة هي أنه يجب طاعة القوانين من أجل المصلحة العامة. ويؤثر زعم هذه المصلحة العامة دائماً العمل من أجل إلغاء القانون الذي يكون عرضة للاعتراض بدلاً من عصيان صريح له. وفضلاً عن ذلك، يجب على الناس أن ينظروا ما إذا كان عصيان قانون يكون عرضة للاعتراض قد ينتج عنه شر أسوأ، مثل الفوضى. غير أن الأساس الأخلاقي للإلزام السياسي لا يستلزم النتيجة التي تقول إن العصيان المدني لا يُبرر مطلقاً. ويضع «جرين» حدوداً ضيقة نسبياً لمجال العصيان المدني بالقول بأنه لكي نبرر ممارستنا له، ينبغي أن تكون لدينا القدرة على أن «نشير إلى مصلحة عامة، تُعرف بوجه عام من حيث هي كذلك»^(٢). لكن لا يبدو مما يقوله، بالتالي، أن الشرط «المعروف بوجه عام من حيث هو كذلك» لا يعني

Ibid. p. 147. (١)

Ibid. p. 149. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

والموظفين المنتظرين في المستقبل لكي يفعلوا ما يشاؤون دون نظر إلى الصالح العام. لكن لا يقر «جرين» بأي لجوء إلى الحرية بهذا المعنى من الصالح العام. ومع أن المصالح الخاصة، والطبقية قد تتنكر تحت لجوء إلى الحرية الخاصة، فإنه لا يمكن السماح لها بأن تقف في طريق خلق الدولة للشروط التي يكون فيها لكل مواطنيها الفرصة لأن يطوروا أنفسهم من حيث إنهم موجودات بشرية، وأن يعيشوا حياة إنسانية بحق.

وبالتالي، يكون لدينا، عند جرين، مثال واضح لمراجعة الليبرالية وفقاً للحاجة التي نشعر بها لزيادة في التشريع الاجتماعي. فهو يحاول أن يفسر، يمكننا أن نقول، المثال الأعلى للفعال لحركة تطورت أثناء الحقب الأخيرة من القرن التاسع عشر. وقد تكون صياغته لنظرية عرضة لنقد ما. غير أنها مفضلة ليست لدجماطيقية مبدأ «دعه يعمل» فحسب، بل إنها مفضلة أيضاً لمحاولات الإبقاء على هذه الدجماطيقية من حيث المبدأ عند وجود تنازلات لا تتطابق معها.

والخلاصة هي أنه تجدر الملاحظة أن «جرين» لم يغفل واقعة تقول إن تحقيق مهمتنا الأخلاقية عن طريق أداء واجبات «وظيفتنا» في المجتمع قد يبدو مثلاً ضيقاً نسبياً وغير كاف، لأنه «قد يكون هناك سبب للتمسك بوجود قدرات للروح البشرية لا يمكن تحقيقها في أشخاص في ظل ظروف أي مجتمع نعرفه، أو نستطيع أن نتصوره تصوراً إيجابياً، أو قد يكون لديه القدرة على أن يوجد على الأرض»^(١). وبالتالي، إذا لم نحكم على أن المشكلة التي تتمثل عن طريق قدرات لم تتحقق بأنها غير ممكنة الحل، فإننا قد نعتقد أن الحياة الشخصية التي تُعاش على الأرض في ظروف تمنع تطورها الكامل تستمر في مجتمع يستطيع الإنسان أن يبلغ كماله التام فيه. «أو قد تقنع أنفسنا بالقول بأن الوجود الشخصي الذي يعي ذاته، الذي يأتي من الله، يستمر إلى

Prolegomena, p. 195. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أجبنى على أنها وضع شيء في غير محله^(١). إنه من العبث أن تفترض أن ما كان يرضى جيلاً ماضياً في ألمانيا، سيرضى جيلاً لاحقاً في بريطانيا العظمى. لأن الحاجات العقلية تتغير مع الظروف المتغيرة.

نرى في العالم الحديث، كما يذهب كيرد، العقل التأملى يشك في ضروب اليقين التلقائية لدى الإنسان، ويفصل العوامل التي كانت مرتبطة من قبل. فهناك، مثلاً، الافتراض بين نقطة الانطلاق عند ديكارت، أعنى الأنا التي تعي ذاتها، ونقطة الانطلاق عند الفلاسفة التجريبيين، أى الموضوع من حيث إنه معطى في التجربة. وقد ازدادت الفجوة بين التراثين بدرجة واسعة حتى أنه يقال لنا إن علينا أن نرد الفيزيائى إلى السيكلوجى، أو السيكلوجى إلى الفيزيائى. وبمعنى آخر، يقال لنا إن علينا أن نختار بين المذهب المثالى والمذهب المادى، لأننا لا نستطيع أن نوفق بين مزاعمهما المتصارعة. كما أن هناك فجوة تطورت بين الوعى الدينى والإيمان من ناحية، والنظرة العلمية من ناحية أخرى، وهى فجوة تستلزم أن علينا أن نختار بين الدين والعلم، لأنه لا يمكن التوفيق بينهما.

وعندما تنشأ التناقضات والصراعات من هذا النوع في حياة الإنسان الثقافية، لا نستطيع، ببساطة، أن نعود إلى غير المنقسم، وإنما إلى الوعى الساذج لفترة مبكرة. ولا يكفى أن نستعين بمبادئ الحس المشترك مع المدرسة الاسكتلندية. لأن هذه المبادئ هى، بدقة، المبادئ التي وُضعت موضع شك، من جانب النزعة الشككية وهيوم. ولذلك فإن العقل التأملى (النظري) مجبر على أن يبحث عن مركب يمكن أن تتفق فيه وجهات نظر متعارضة في مستوى أعلى من مستوى الوعى الساذج.

On this Subject see Caird's preface to Essays in philosophical criticism, edited (١) by a. seth and R. B. Handle (1883).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بعضهما عن بعض بصورة أساسية، بل وحتى يعارض كل منهما الآخر^(١). ومع ذلك، فإنهما يرتبطان في الوقت نفسه بعضهما ببعض على نحو لا نستطيع أن نتصور الواحد منهما دون الآخر^(٢). ونحن «مضطرون أن نبحث عن سر وجودهما في مبدأ أعلى، يكون تجليات لوحده في فعلهما ورد فعلهما، يفترضانه من حيث إنه بدايتهما، ويشيران إليه من حيث إنه غايتهما»^(٣).

إن نشأة الوحدة، التي توصف بعبارات أفلاطونية بأنها «مصدر وجود كل الأشياء الموجودة، ومصدر معرفة كل الموجودات التي نعرفها» هي فرض سابق لكل وعى، وهي التي نطلق عليها اسم الله. ولا ينجم عن ذلك أن «كيرد» يصمر على أن كل الناس يمتلكون وعياً واضحاً بالله من حيث إنه الوحدة القصوى للوجود، وللمعرفة، وللموضوعية والذاتية. إن وعياً واضحاً هو بطبيعة الحال نتاج عملية طويلة من التطور. ونستطيع أن نرى في تاريخ الدين المراحل الأساسية لهذا التطور^(٤).

تسود المرحلة الأولى، أعنى مرحلة «الدين الموضوعى» عن طريق وعى بالموضوع، لا بوصفها، في حقيقة الأمر، الموضوع بالمعنى المجرد للفظ، وإنما في صورة الأشياء الخارجية التي يجد الإنسان نفسه محاطاً بها. في هذه المرحلة لا يستطيع الإنسان أن يشكّل فكرة عن أى شيء «لا يستطيع أن يجسدها بوصفها وجوداً في مكان وزمان»^(٥). إننا نستطيع أن نفترض أن لديه وعياً غامضاً بوحدة تضمه هو والأشياء الأخرى، غير أنه لا يستطيع أن يشكّل فكرة عن الإلهى إلا عن طريق تموضعها في الآلهة.

(١) يصدق ذلك بوضوح بالنسبة للفظ «الذات» و«الموضوع» (المؤلف).

(٢) The Evolution of Religion, 1, p. 67.

(٣) Ibid, 1, p. 68.

(٤) تناظر الحالات الثلاث عند كيرد بصورة قليلة أو كبيرة المراحل الثلاث الموجودة عند هيجل وهي: الدين الطبيعي، ودين الفردية الروحية، والدين المطلق (المؤلف).

(٥) The Evolution of Religion, 1, p. 189.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بوصفها ذاتاً، ووحدة موضوعي؛ أى الناس الآخرين من حيث هم جزء من «موضوعي»، ومن الصعب أن نرى كيف يمكن، بالتالى، بيان أن هناك ذاتاً أخرى، وأن هناك وحدة واحدة، وواحدة فقط، مشتركة. وقد يفترض الحس المشترك أن هذه النتائج صحيحة. بيد أن المسألة ليست مسألة حس مشترك، بل هى، بالأحرى، مسألة رؤية كيف يمكن تأسيس هذه النتائج، حالما قبلنا منظور كيرد. إن فكرة وحدة تكمن فى الخلف، مأخوذة بذاتها، قد تكون ذات قيمة كبيرة^(١). بيد أن الوصول إلى النتيجة التى يريد «كيرد» أن يصل إليها ليست سهلة ويسيرة عن طريق نقطة انطلاقه. ومما هو موضع خلاف أن «هيجل» بين الحكمة فى البداية عن طريق مفهوم الوجود بدلاً من مفهوم علاقة الذات - الموضوع.

٥- لقد قيل عن جون كيرد (١٨٢٠-١٨٩٨) J. Caird شقيق إدوارد كيرد، إنه بشر بالهيجلية من الوعظ فى الكنيسة. ولما كان لاهوتياً مشيخياً وواعظاً، فقد عُين أستاذاً للاهوت فى جامعة «جلاسجو» عام ١٨٦٢، وأصبح رئيساً للجامعة عام ١٨٧٣. ونشر كتابه «مدخل إلى فلسفة الدين» عام ١٨٨٠، ونشر مجلداً عن اسبينوزا عام ١٨٨٨ فى سلسلة «بلاكوود» للكلاسيكيات الفلسفية. وظهرت بعض الكتابات الأخرى غفلاً، بما فى ذلك محاضرات جيفورد بعنوان «الأفكار الأساسية للمسيحية» (١٨٩٩).

يرى «كيرد» فى اعتراضه على المذهب المادى أنه - أى المذهب المادى - لا يعجز فحسب أن يفسر حياة الكائنات الحية والوعى^(٢)، بل الفلاسفة الماديين يفترضون

(١) تبدو هذه الفكرة، مثلاً، مع إنها فى وضع مختلف نسبياً، فى فلسفة «كارل ياسبرز» تحت صورة «الشامل» (المؤلف).

(٢) يرى جون كيرد أننا نجد فى الكائنات الحية غائية محايثة تظهر ذاتها عن طريق واقعة هى أن التلقائية الداخلية أو الطاقة تميز الأعضاء والوظائف، وتضمها فى الوقت نفسه فى وحدة عامة، مدركة الغاية المحايثة للكائن الحى كله. وبالنسبة لحياة وعى متأمل، فإن فكرة العلوية الآلية تفقد كل صلة فى هذا الميدان (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لم توجد بعد، فى حين أن «كيرد» يريد أن يصل إلى نتيجة هى أننا عندما نؤكد حدود معرفتنا، فإننا نؤكد بصورة ضمنية واقعاً حياً. ولذلك يتحتم عليه أن يثبت أنه فى تأكيد حدود عقلى، يؤكد بصورة ضمنية وجود عقل مطلق يؤثر فى وفى حياة أولئك الذين أشاركهم. وهكذا يستخدم المبدأ الهيجلى الذى يقول إنه لا يمكن فهم المتناهى إلا من حيث إنه لحظة فى حياة اللامتناهى. وما إذا كان استخدام هذه المبادئ الهيجلية يمكن أن يخدم، بالفعل، الهدف الذى من أجله استخدمها كيرد؛ أعنى من أجل تدعيم مذهب التآليه المسيحى، فإن ذلك موضع خلاف. بيد أنه، على أية حال، مقتنع بأنها يمكن أن تخدم هذا الغرض.

كما يبرهن «جون كيرد»، بنفس الطريقة مثل شقيقه، على أن علاقة الذات والموضوع تكشف عن وحدة قصوى تكمن وراء التمييز. وبالنسبة للأدلة التقليدية على وجود الله، فإنها معرضة لاعتراضات مألوفة، إذا أخذت على أنها تزعم أن تكون الأدلة المنطقية بصورة حاسمة ودقيقة. ومع ذلك، لو فسرت على أنها تحليلات فنومنولوجية لطرق ترتفع بواسطتها الروح البشرية إلى معرفة الله، وتجد فى ذلك تحقيق طبيعتها الأسمى الخاصة، فسيكون لهذه الأدلة قيمة عظيمة^(١). وربما لا يكون واضحاً تماماً أين تكمن هذه القيمة العظيمة. وقلماً يستطيع «كيرد» أن يعنى أن لهذه الأدلة غير الصحيحة من الناحية المنطقية قيمة عظيمة إذا كشفت عن طرق يصل فيها الذهن البشرى، فى واقع الأمر، إلى نتيجة عن طريق ملكة الاستدلال. ولذلك ربما يعنى أن الأدلة التقليدية لها قيمة من حيث إنها طرق مبنية وموضحة يمكن أن يصبح فيها الذهن البشرى واعياً، بوضوح، بوعى تمتلكه من قبل بطريقة جلية واضحة، وتمكّنه وجهة النظر هذه أن يقول فى أن معاً إن الأدلة تصادر على المطلوب لأنها تفترض سلفاً

An Introduction to the Philosophy of Religion, p. 125. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

٦- ومن بين أولئك الذين أسهموا في نشر المعرفة بالمذهب الهيجلي في بريطانيا العظمى «وليم ولاس» (١٨٤٤ - ١٨٩٧) W. Wallace^(١)، وهو يستحق الذكر من حيث إنه خليفة «جرين» كأستاذ للفلسفة الأخلاقية في «وايت» بأكسفورد. نشر في عام ١٨٧٤ ترجمة، مزودة بمقدمة أو مادة تمهيدية لكتاب هيجل «المنطق» كما هو متضمن في كتاب «موسوعة العلوم الفلسفية»^(٢). ثم نشر مؤخراً طبعة منقحة ومزودة في مجلدين، ظهرت الترجمة عام ١٨٩٢، وظهرت «المقدمة» الموسعة بصورة كبيرة^(٣)، عام ١٨٩٤. كما نشر «ولاس» عام ١٨٩٤ ترجمة مع خمسة فصول تمهيدية لكتاب هيجل «فلسفة الروح» من كتابه «موسوعة العلوم الفلسفية». وكتب بالإضافة إلى ذلك مجلداً عن كانط (١٨٨٢) لمجلة «بلاكوود» في سلسلة الكلاسيكيات الفلسفية، و«حياة شوبنهاور» (عام ١٨٩٠). وتبين محاضراته ومقالاته عن اللاهوت الطبيعي والأخلاق، التي ظهرت غفلاً عام ١٨٩٨، بوضوح التشابه بين تفكيره وتفسير «جون كيرد» النظري للدين بوجه عام والمسيحية بوجه خاص.

وعلى الرغم من أنه يجب علينا أن نكف عن الإشارات المختصرة الكثيرة إلى الفلاسفة الذين يقوا داخل حدود الحركة المثالية، فإن هناك سبباً خاصاً لذكر «ديفيد جورج ريتشى» D. G. Ritchie (١٨٥٣-١٩٠٣)، الذي تحول إلى المذهب المثالي عن طريق «جرين» الذي كان أستاذاً في أكسفورد، والذي أصبح أستاذاً للمنطق والميتافيزيقا عام ١٨٩٤ بجامعة «سانت أندروز». لأنه بينما لم يتعاطف الفلاسفة المثاليون بوجه عام مع مذاهب الفلسفة التي تقوم على مذهب دارون، فإن «ريتشى» تعهد بأن يبين أن الفلسفة الهيجلية يمكن أن تشبه تماماً نظرية دارون عن التطور^(٤).

(١) توفي وليم ولاس عن ثلاث وخمسين سنة إثر حادث دراجة كان يجب استخدامها كوسيلة مواصلات من فوق جبال أكسفورد. (المراجع)

(٢) هذا هو، بالتأكيد، ما يُسمى بمنطق هيجل الصغير (المؤلف).

(٣) Prolegomena to the Study of Hegel, and specially of his logic.

(٤) Cf. for example, Darwin and Hegel, with other Philosophical studies (1893).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

جذرياً لمقولات الفكر البشرى، عندما يُنظر إليها على أنها أدوات لفهم الحقيقة القصوى، بإيمان راسخ بوجود مطلق يتم التقلب فيه على كل التناقضات والتناقض.

نشر «برادلى» مقالاً عن «فروض التاريخ النقدي» عام ١٨٧٤، سنشير إليه فى القسم القادم. وظهر كتابه «دراسات أخلاقية» عام ١٨٧٦، وظهر كتابه «مبادئ المنطق» عام ١٨٨٣^(١)، وظهر كتابه «الظاهر والحقيقة» عام ١٨٩٣^(٢)، وظهر كتابه «مقالات عن الصدق والحقيقة» عام ١٩١٤، وجمعت مقالات أخرى، ونُشرت عُفلاً فى مجلدين عام ١٩٣٥ تحت عنوان «مجموعة مقالات»^(٣). وظهر كتاب صغير عن «الأقوال الماثورة» عام ١٩٣٠.

أعداء «برادلى» هم أعداء الفلاسفة المثاليين بوجه عام؛ أعنى التجريبيين، والوضعيين، والماديين، على الرغم من أنه يجب أن نضيف إليهم البرجماتيين ونحن نتحدث عنه. ولأنه كان شخصاً ممارياً، فإنه لم يقدم وجهات نظر خصومه بطريقة منصفة، غير أنه استطاع أن يكون مُخرباً، وغير مهذب إلى حد كبير فى بعض الأحيان. توصف فلسفته فى الغالب بأنها هيكلية جديدة. ولكن على الرغم من أن تفكيره قد تأثر، بلاشك، بالهيكلية، فإن الوصف ليس ملائماً تماماً. صحيح أن كلاً من «هيجل» و«برادلى» اهتمما بالكل، أى المطلق، غير أنهما تمسكا بوجهات نظر مختلفة بصورة ملحوظة عن قدرة الذهن البشرى لأن يفهم المطلق. لقد كان «هيجل» عقلياً؛ بمعنى، إذا شئنا القول، أنه نظر إلى العقل (vernunft) على أنه يتميز عن الفهم (Verstand)، من حيث إنه يستطيع أن ينفذ إلى الحياة الداخلية للمطلق. لقد حاول جاهداً أن يكشف عن البناء الجوهرى لكون يتطور بذاته؛ أى مجموع (شمول) Totality

(١) ظهرت الطبعة الثانية فى مجلدين عام ١٩٢٢ (المؤلف).

(٢) ظهرت طبعة ثانية، مع ملحق مضاف، عام ١٨٩٧ (المؤلف).

(٣) أُعيدت طباعة كتاب «فروض مسبقة للتاريخ النقدي» من جديد فى المجلد الأول (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

هربرت. فقد كان فيلسوفاً واحدياً، في حين أن الفلاسفة الألمان كانوا من أنصار مذهب الكثرة والتعدد. غير أن المرحوم البروفيسور «ألفرد إدوارد تايلور» يروى أنه عندما كان في «مرتون كوليج»، أوصاه برادلى بأن يدرس «هربرت» كتصحيح مفيد لفهم لا داعى له للطرق الهيجلية فى التفكير^(١). ويساعد فهم تأثير «هربرت» على برادلى على تصحيح أى تأكيد مفرط على العناصر الهيجلية فى فلسفته.

ومع ذلك لا يمكن وصف فلسفة برادلى، بصورة مقنعة، عن طريق التأثير الذى مارسه مفكرون آخرون. فهى، بالفعل، خلق أصيل، على الرغم من الدافع المستمد من فلاسفة ألمان مثل: هيجل وهربرت. إن تفكير برادلى يبين فى بعض النواحي، فى الطريقة التى يتصور بها مفهوم «الله» بأنه مجاوز فى مفهوم المطلق الذى يفوق ما هو شخصى، علامات لتأثير المثالية المطلقة الألمانية، وتراجع الطريقة التى يميل فيها الفلاسفة المثاليون البريطانيون الأوائل إلى جعل علاقة الذات - الموضوع مطلقة أمام فكرة الكل Totality؛ أى يمكن القول بأن الواحد يمثل انتصار المذهب المثالى المطلق الذى يرتبط، فى معظم الأحوال، باسم هيجل. غير أن المذهب المثالى المطلق البريطانى، لاسيما فى حالة برادلى، هو صيغة ساذجة للحركة. فقد يكون غير مؤثر مثل المذهب الهيجلى، لكن ذلك ليس سبباً جيداً لتصويره بأنه لا يعدو أن يكون أكثر من نسخة مصغرة من الهيجلية.

٢- يكتب برادلى فى مقاله عن الفروض المسبقة للتاريخ النقدى أن الذهن النقدى لابد أن يشك، مؤقتاً، فى حقيقة كل شيء أمامه. ولابد أن يكون «التاريخ النقدى» فى الوقت نفسه، فرض، وهذا الفرض هو اطراد القانون^(٢). أعنى أن «التاريخ النقدى

See contemporary British Philosophy, second Series, p. 271, edited by J.H. Muir- (١) head (1925).

Collected Essays, 1, p. 24. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الحركة التحليلية الحديثة أكثر مما تشبه ما يمكن أن نتوقعه بصورة طبيعية من فيلسوف مثالي ميتافيزيقي. لأن برادلي شغل نفسه بفحص ماذا يعنى الإنسان العادى بالمسئولية، ونسبة الأفعال إليه، ثم يبين كيف أن نظريتين عن الفعل البشرى لا تتطابقان مع شروط المسئولية الأخلاقية التى يفترضها «العوام» مسبقاً بصورة ضمنية.

يفترض الإنسان العادى بصورة ضمنية، من جهة، أنه لا يمكن أن يكون، بصورة مشروعة، مسئولاً من الناحية الأخلاقية عن فعل ما إذا لم يكن هو نفس الشخص الذى أدى الفعل. وإذا أخذ هذا الفرض على أنه صحيح، فإنه يستبعد تلك الصورة من التحديد التى تقوم على سيكولوجيا التداعى، ويتخلص، تقريباً، من هوية ذاتية دائمة. «بدون الهوية الشخصية تكون المسئولية بدون معنى؛ وتكون الهوية الشخصية بالنسبة لسيكولوجيا فلاسفتنا الحتميين (مع الهوية بوجه عام) كلمة ليس لها معنى»^(١). ومن جهة أخرى، يفترض الإنسان العادى أنه لا يستطيع، بصورة مشروعة، أن يكون مسئولاً بصورة أخلاقية عن فعل ما إذا لم يكن هو صاحبه بالفعل، أى إذا لم يصدر منه من حيث إنه معلول من علّة. ويبطل هذا الفرض أية نظرية عن اللاجبرية التى تستلزم أن الأفعال البشرية الحرة ليس لها سبب وتتخلص من العلاقة بين أفعال الإنسان وذاته أو شخصيته، لأن الفاعل كما يصفه هذا النوع من النظرية هو «شخص ليس مسئولاً، هو (إذا لم يكن شيئاً) أبله»^(٢).

إن «برادلى»، هو، بالطبع، آخر من يفترض أننا نأخذ اعتقادات الإنسان العادى بوصفها المحكمة الأخيرة التى نلجأ إليها، لكنه لا يهتم، الآن، بتقديم نظرية ميتافيزيقية

Ethical studies, p. 36 (2nd edition). (١)

فى هذا السياق يقدم برادلى تعليقه الشهير: «يرى مستر «بين» أن الذهن هو تجميع ولم يفكر من الذى يجمع مستر «بين»» (المؤلف (p. 29, note)

Ibid, p. 12. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الذات، ويُمنع من الوصول، تماماً، إلى هذه الفكرة عن طريق محاولته اللامنتطقية لأن يبقى على مذهب اللذة في نفس الوقت. «هل نفترض، في النهاية، أنه لا يوجد من فلاسفتنا التفعيين فيلسوف لا يوجد لديه، مع ذلك، قدر كبير تعلمه من كتاب «الأخلاق لأرسطو»^(١).

عندما يجعل مذهب اللذة من اللذة الخير الوحيد، يكون نظرية أحادية الجانب، وثمة نظرية أخرى أحادية الجانب هي الأخلاق الكانطية عن الواجب من أجل الواجب. بيد أن المشكلة هنا هي صورية النظرية. فنحن نُخبر بأن نحقق الإرادة الخيرة، «لكن أخلاق الواجب من أجل الواجب لا تخبرنا بشيء عما عساها أن تكون الإرادة الخيرة، وتركنا مع تجريدات عقيمة»^(٢). ويحمي برادلي نفسه من تهمة مسخ الأخلاق الكانطية بالقول بأنه لم يقصد أن يقدم تأويلاً لنظرية كانط الأخلاقية. كما أنه يقرر، في الوقت نفسه، أن اعتقاده هو أن مذهب الأخلاق الكانطية «قد أباده نقد هيجل»^(٣). وكان نقد هيجل الأساسي هو، بدقة، أن الأخلاق الكانطية تتورط في صورية فارغة.

ولا يتفق برادلي، أكثر مما فعله هيجل، مع وجهة النظر التي تقول إن غاية الأخلاق هي تحقيق إرادة خيرة. فوجهة نظره هي أنه يجب إعطاء مضمون لهذه الفكرة. ولكي نفعل ذلك، يجب علينا أن نفهم أن الإرادة الخيرة هي الإرادة الكلية، أي إرادة كائن عضوي اجتماعي. لأن هذا يعني أن واجبات المرء تحددها عضويته في الكيان العضوي الاجتماعي، «لكي أكون أخلاقياً، لا بد أن أريد مكانتي الاجتماعية وواجباتها»^(٤).

(١) Ethical Studies, pp. 125 - 6.

(٢) Ibid, p. 159.

(٣) Ibid, p. 148, notel.

(٤) Ibid, p. 180.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أى مكانته ووظيفته فى الكائن العضوى الاجتماعى هى التى تحدد واجباته نقول إنها تؤدى به، فى الوقت نفسه، إلى أن يؤكد أن الأخلاق ليست نسبية فحسب، بل ينبغى أن تكون هكذا. أعنى أنها ليست ببساطة مسألة ملاحظة الواقعة التجريبية التى تقول إن المعتقدات الأخلاقية تختلف فى نواح معينة فى مجتمعات معينة. كما يؤكد برادلى أن القوانين الأخلاقية لن تكون لها فائدة إذا لم ترتبط بمجتمعات معينة. وقصارى القول «إن أخلاق كل مرحلة مبررة بالنسبة لهذه المرحلة، والحاجة إلى قانون عن الصواب فى ذاته، بمعزل عن أية مرحلة، هى سعى وراء طلب الحال»^(١).

وقلما نحتاج إلى القول بأن كل فكرة عن قانون أخلاقى تتضمن فكرة علاقة بسلوك ممكن، وأن القانون الذى لا يكون له علاقة بتأتا بموقف تاريخى واجتماعى لشخص ما، يكون بدون فائدة بالنسبة له. بيد أنه لا ينجم عن ذلك أنه يجب على أن أوجد الأخلاق بالمعايير الأخلاقية الموجودة، ونظرة المجتمع التى أنتمى إليها بالتاكيد. فإذا استطاع عضو من أعضاء مجتمع راهن أن يرى، بالفعل، كما يسلم برادلى، العيوب الموجودة فى القانون الأخلاقى لمجتمع قديم، فإنه لا يبدو أن يكون هناك أى سبب كاف لماذا لم ير عضو مستنير من أعضاء المجتمع القديم تلك العيوب، ويرفض القبول الاجتماعى باسم المعايير والمثل العليا الأخلاقية. ومع ذلك، فإن ذلك هو ما حدث بدقة فى التاريخ.

ومع ذلك، لم يرد «برادلى»، فى واقع الأمر، الأخلاق ببساطة إلى أخلاق اجتماعية. لأنه من الواجب، من وجهة نظره، تحقيق الذات المثالية؛ وليس مضمون هذه الذات اجتماعياً فقط. فمثلاً «من واجب الفنان أو الباحث الأخلاقى أن يوجه حياة المرء، وعندما يفشل فى أن يفعل ذلك، فإن ذلك يكون إثماً أخلاقياً»^(٢). حقاً إن أنشطة الفنان أو العالم يمكن أن تفيد المجتمع، وهى تفيده بوجه عام. لكن «تأثيرها الاجتماعى هو تأثير غير مباشر، ولا يكمن فى ماهيتها الخالصة»^(٣). ولاشك أن هذه الفكرة تتفق مع

Ibid, (١)

Ethical studies, p. 223. (٢)

Ibid, (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا تستمر في الوجود بذاتها، وإنما تشعر بالدافع إلى تجاوز حقيقتها الموجودة»^(١). وإذا تطلب القانون الأخلاقي بلوغ مثل أعلى لا يمكن بلوغه طالما أن هناك ذاتاً شريرة يجب التغلب عليها وقهرها، وإذا كان وجود ذات شريرة هو افتراض ضروري، إلى حد ما، للأخلاق، فإن القانون الأخلاقي، يجب أن نستنتج ذلك، يتطلب بلوغ مثل أعلى، أو غاية لا يمكن بلوغها إلا في ميدان يجاوز ما هو أخلاقي.

وبقدر ما يتعلق الأمر بكتاب «دراسات أخلاقية»، فإن هذا الميدان هو ميدان الدين. فالمثل الأعلى الأخلاقي «لا يتحقق في عالم الدولة الموضوعي»^(٢)، وإنما يمكن أن يتحقق للوعي الديني. صحيح أن «العالم، بالنسبة للدين، غريب عن الله، والذات متغمسة في الخطيئة»^(٣)، كما أن القطبين أعنى الله والذات، اللامتناهي والمتناهي، يتحدان في الإيمان بالنسبة للوعي الديني. يتصالح المخطئ بالنسبة للإيمان الديني مع الله ويبرأ، ويتحد مع نوات أخرى في جماعة المؤمنين. وهكذا يصل الإنسان في ميدان الدين إلى نهاية نضاله، ويحقق مطلب الأخلاق وهو أنه يجب عليه أن يحقق ذاته من حيث إنها «كل لامتناه»^(٤)، وهو مطلب لا يمكن أن يتحقق بصورة ناقصة إلا على المستوى الأخلاقي عن طريق العضوية في مجتمع سياسي.

وبالتالي تكمن الأخلاق في تحقيق الذات الحقيقية. ومع ذلك، فإن الذات الحقيقية «لامتناهية». وهذا يعني أن الأخلاق تتطلب تحقيق الذات من حيث إنها عضو من أعضاء كل لامتناه. بيد أن المطلب لا يمكن أن يتقابل تماماً على مستوى أخلاق مكانتي الاجتماعية وإجاباتها. إنه لا يمكن أن يتقابل في النهاية، بالفعل، إلا عن طريق تحول

Ibid, p. 313. (١)

Ibid, p. 316. (٢)

Ibid, p. 322. (٣)

Ibid, p. 74. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن موقف برادلى المناهض لإدخال السيكلوجيا فى المنطق قد أكسبه ميزة يتميز بها عن المناطقة المحدثين بما فى ذلك أولئك الذين تكون نظرتهم الفلسفية تجريبية بصورة أكبر أو أقل. غير أن الارتباط بين منطقهم وميتافيزيقاه قد نُظر إليه، بوجه عام، بنية حسنة قليلة للغاية. ومع ذلك، لا بد أن نكون حذرين ومتنبهين فى هذه المسألة. فمن جهة، لم يوحد «برادلى» بين المنطق والميتافيزيقا. وينظر إلى أبحاثه فى أشكال الأحكام، وجهتها، وفى خصائص القياس وأنواعه على أنها تنتمى إلى المنطق، لا إلى الميتافيزيقا. ومن جهة أخرى يسلم، بوضوح، فى مقدمة الطبعة الأولى لكتابه «أصول المنطق» بأنه ليس متأكدًا من «أين يبدأ المنطق أو أين ينتهى»^(١). وترتبط بعض نظرياته المنطقية بوضوح بميتافيزيقاه، وأريد أن أوضح هذا الارتباط باختصار عن طريق مثال أو مثالين.

طالما أن كل حكم إما أن يكون صادقًا أو كاذبًا، فإننا نميل بصورة طبيعية إلى أن نفترض أنه يقرر أو ينكر واقعة، يعتمد صدقها أو كذبها على مقابلتها أو عدم مقابلتها لأمر فعلى من أمور الواقع. لكن عندما يبدو حكم جزئى مثل «عندى ألم فى الأسنان»، أو «هذه الورقة خضراء» لأول وهلة أنه يعكس واقعة جزئية، فإن الانعكاس يبين أن الحكم الكلى هو نتيجة استدلال Inference، وأنه شرطى الطابع. فإذا قلت، مثلاً، كل الثدييات ذات دم حار، فإننى استنتج من عدد محدود من أمثلة نتيجة كلية؛ وما أقرره بالفعل هو أنه إذا كان هناك شئ فى أى وقت يمتلك المحمولات الأخرى لكونه حيوانًا ثدييًا، فإنه يمتلك أيضًا محمول «نودم حار»^(٢). ولذلك، فإن الحكم مشروط، وتدخل فجوة بين المضمون المثالى والواقع الفعلى. لأن الحكم يكون صحيحًا حتى إن لم تكن أى ثدييات موجودة، بالفعل، فى أى وقت.

Ibid, 1, p. ix. (١)

(٢) لقد افترض البعض مقدمًا أن الحكم ليس هو ما يسميه برادلى بحكم «جمعى» أى مجموع محض من حالات ملاحظة. بل هو حكم حقيقى مجرد كلى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ومع ذلك، فإن الأحكام ليست، في واقع الأمر، «مركباً من أفكار، ولكنها إشارة المضمون المثالي إلى الواقع»^(١). وكان برادلي مقتنعاً بأن الموضوع النهائي والكامن لأي حكم هو الواقع من حيث إنه كل، أي الواقع بحرف كبير. «ليست كل الأحكام تؤكد واقعاً Reality فحسب (وهذا هو مذهبنا)، وإنما يكون لدينا في كل حكم تأكيد هو أن «الواقع هو بحيث أن س تكون ص»^(٢). فإذا قررت، مثلاً، أن هذه الورقة خضراء، فإنني أقرر أن الواقع بأسره، أي الكون، هو بحيث أن هذه الورقة تكون خضراء. وليس هناك شيء اسمه واقعة جزئية معزولة. إذ إن ما يُسمى بالوقائع الجزئية لا يكون على ما هو عليه إلا لأن الواقع ككل هو على نحو ما هو عليه.

ولوجهة النظر هذه تأثير واضح جلي على الكفاية النسبية لأنواع مختلفة من الأحكام. لأنه إذا كان الواقع بأسره هو الموضوع النهائي والكامن لكل حكم، فسينجم عن ذلك أنه كلما كان الحكم أكثر جزئية، فإنه يكون أقل كفاية لأن يصف موضوعه النهائي. وفضلاً عن ذلك، فإن الحكم التحليلي، بمعنى الحكم الذي يحلل تجربة حسية جزئية معينة، يشوه الواقع عن طريق عناصر يتم اختيارها جزئاً من كل مركب وتعالج كما لو كانت تشكّل واقعة جزئية تكفي بذاتها. في حين أنه لا وجود لمثل هذه الوقائع. إن الواقعة الوحيدة المكثفة بذاتها هي الواقع بأسره.

وهكذا يدير «برادلي» ظهره إلى الاعتقاد التجريبي الذي يقول بأنه كلما حللنا أكثر، فإننا نكون أكثر قرباً من الحقيقة^(٣). لقد افترض أن «التحليل ليس تبديلاً، وعندما نقوم بالتمييز، فإنه يجب علينا أن نتعامل مع الوجود الذي يقبل التجزئة»^(٤).

(١) Ibid, 1, p. 56.

(٢) The Principles of Logic, 11, p. 623 (terminal essays, 2).

(٣) كما أن برادلي أدار ظهره إلى هيوغو فكدلك أدار النيزيون المناطقة المحدثون ظهورهم إلى برادلي. وبالتالي فإن التحليل عند برتراند رسل هو الطريق إلى الحقيقة: أي إلى معرفة بالواقع، وليس تشويهاً أو إفساداً للواقع. ومع ذلك، فنحن نحتاج، في واقع الأمر، إلى التحليل والتركيب (المؤلف).

(٤) The Principles of logic, 1, p. 95.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا تستطيع أن تفهم الواقع وتمثله. صحيح أن التفكير النظرى هو أداة تكفى تماماً بالنسبة لأغراض الحياة العملية ولأغراض العلوم، ويظهر ذلك عن طريق نجاحه. بيد أنه لا ينجم عن ذلك بالضرورة أنه أداة مناسبة لفهم الواقع النهائى كما يكون فى ذاته.

عندما كتب برادلى كتابه «أصول المنطق»، حاول أن يتجنب الميتافيزيقا كلما شعر بأنه يستطيع أن يفعل ذلك. وفى الطبعة الثانية، التى نُشرت بعد ثمان وعشرين سنة من نشر كتابه «الظاهر والحقيقة»، إشارات كثيرة، بالتأكيد، إلى الميتافيزيقا، مع تعديلات أو تصحيحات لبعض الآراء المنطقية التى قدمها فى الطبعة الأولى. وبمعنى آخر؛ انعكست ميتافيزيقا برادلى الواضحة على منطق. وعلى أية حال، يتضح تماماً، مع ذلك، أن لنظرياته المنطقية منذ البداية صلة ميتافيزيقية، حتى إذا كانت النتيجة الرئيسية سلبية؛ أعنى أن التفكير النظرى لا يستطيع أن يفهم الواقع. وفى الوقت نفسه، إذا كان الواقع هو الكل، كما يرى برادلى فى ملاحظاته الإضافية، فإنه لابد أن يشمل، بطريقة ما، التفكير بداخله.

٥- يرى برادلى فى مقدمة كتابه «الظاهر والحقيقة» أننا، ربما، قد نتفق على أننا نعنى بالميتافيزيقا محاولة لمعرفة الحقيقة من حيث إنها فى مقابل الظاهر المحض، أو دراسة المبادئ الأولى، أو الحقائق القصوى، أو أنها محاولة فهم الكون، ليس من حيث إنه، ببساطة، أجزاء، أو شذرات، وإنما من حيث إنه كل^(١). ربما يقبل معظمنا زعمه بأن تأكيداً دجماً طيقياً وقبلياً لعدم إمكان الميتافيزيقا لا يؤخذ بعين الاعتبار. ومن المعقول، بصورة واضحة، أن نقول أننا إذا شرعنا فى القيام بمحاولة لفهم الواقع ككل، فإنها ستتم «بصورة دقيقة كما تسمح طبيعتنا»^(٢). لكن بالنظر إلى ما قيل فى القسم الأخير عن عيوب التفكير النظرى، فإنه قد يبدو من الغريب أن برادلى على استعداد

(١) Appearance and Reality, p. 1 (2 nd edition, 1897).

(٢) Appearance and Reality, p. 4.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يعدلّ أو يغير نتائجها. لكنه لا يستطيع أن ينتقل بتأناً دون أن يقوم بافتراض بعض الفروض. وعلى نحو مماثل، نحن أحرار في أن نسعى في طلب الميتافيزيقا، أو نتخلى عنها؛ لكن إذا سعينا في طلبها، فإننا نفترض لا محالة أن «وجهة نظر عامة» عن الواقع ممكنة، ويكون هذا الواقع، بالتالي، بوصفه كلاً عقلياً من حيث المبدأ. وفضلاً عن ذلك نفترض لا محالة أننا نستطيع أن نعرف الحقيقة عندما نجدها. إننا نفترض، إن جاز التعبير، أن وجهة النظر العامة التي ترضى العقل صادقة وصحيحة. لأن طريقتنا الوحيدة للتمييز بين وجهات النظر المناهضة هي عن طريق اختيار وجهة النظر التي ترضى حاجات العقل وتشبعها بصورة كافية.

إذا نظرنا إلى وجهة النظر هذه في ذاتها، فإنها تكون كافية بدرجة معقولة. بيد أن صعوبات تنشأ عندما نضع في الاعتبار نظرية «برادلي» عن عيوب التفكير النظري. وربما لا يكون مدهشاً أن نجد تعبيراً يُعطى لوجهة نظر مختلفة إلى حد ما. وبالتالي يرى «برادلي» في ملاحظة إضافية على الفصل السادس من كتابه «مقالات عن الحقيقة والواقع» أنه لا يتم التوصل إلى الواحد الذي نبحث عنه في الميتافيزيقا، ببساطة، عن طريق الاستدلال، وإنما هو معطى في تجربة - شعور أساسية. «إننا نخبر الذات، والموضوع، وعلاقتهم، بوصفها عناصر، أو جوانب في واحد موجود منذ البداية»^(١). أعتى أن هناك تجربة على المستوى قبل التأمل «لا يوجد فيها تمييز بين وعي، ووعي ما يكون وأعياء. إن هناك شعوراً مباشراً، أي معرفة ووجود في واحد، تبدأ به المعرفة»^(٢). حقاً «إن التلازم المحض للذات والموضوع لا يُعطى بالفعل في أية مرحلة من التطور العقلي»^(٣). وحتى عندما تنشأ التمييزات والعلاقات في الوعي، فإنه تكون هناك باستمرار خلفية عن «كل شعور به»^(٤).

(١) Essays on truth and Reality, p. 200.

(٢) Ibid p. 159.

(٣) Ibid, p. 200.

(٤) Ibid. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ربما نكون على حق في التشديد على أطروحة «برادلي» التي تقول إن هناك تجربة مباشرة عن «الكثير الذي نشعر بوجوده في واحد»^(١)، وأن هذه التجربة تقدم لنا إشارة عن طبيعة المطلق.

٦- ليس هناك، بطبيعة الحال، الكثير مما يمكن أن يقال عن طريق الوصف الإيجابي سواء للتجربة التأملية لكل يُشعر به، أو للفعل اللامتناهي لتجربة تشكل المطلق. وليس هناك ما يدعو للدهشة إذا ركز برادلي انتباهه على بيان أن طرقتنا المألوفة للإدراك لتصوير الواقع يؤدي إلى تناقضات، ولا يمكن أن تقدم «وجهة نظر عامة» يكون في إمكانها أن تشبع العقل وترضيه. لكن ليس من الممكن أن ندخل هنا في كل تفاصيل جدله، إذ يجب علينا أن نحصر أنفسنا في الإشارة إلى بعض مراحل خط تفكيره.

لقد اعتدنا على أن نجمع مضامين العالم في أشياء وكيفياتها؛ أعني في جواهر وأعراض بلغة إسكولائية، أو، كما يعبر عنها برادلي، في جوهر وكيفية. لكن على الرغم من أن طريقة النظر إلى الواقع هذه مطمورة في اللغة، ولها، بدون شك، فائدة عملية، فإنها تسبب، كما يرى برادلي، إرباكات لا يمكن حلها.

انظر، مثلاً، إلى قطعة من السكر التي يقال إن لها كيفية البياض، والصلابة، والحلاوة. إذا قلنا إن السكر أبيض، فمن الواضح أننا لا نعني، أنه لا يتوحد مع كيف البياض. لأنه إذا كان ذلك هو ما نقصده، فإننا لا نستطيع أن نقول بالتالي إن قطعة السكر صلبة، إذا لم تكن مستعدين، بالفعل، لأن نوجد بين البياض والصلابة. ولذلك، فمن الطبيعي أن نتصور السكر على أنه مركز الوحدة، أي الجوهر الذي يمتلك كيفيات مختلفة.

Essays on Truth and Reality, p. 174 (١)

يعترض «برادلي» على «جيمس ورد» على أن هناك، في واقع الأمر، تجربة كهذه (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أيضاً أن نقول إن العلاقات تصنع الكيفيات. إن الكيف لابد أن «يكون شرطاً ونتيجة»^(١). بيد أنه لا يمكن تقديم تفسير مرض لهذا الموقف المتباين.

وإذا اقتربنا من المسألة من جانب العلاقات، فإننا نستطيع أن نقول، في الحال، إن العلاقات بدون الكيفيات لا تكون معقولة. لأن العلاقات يجب أن تربط حدوداً. غير أننا منساقون أيضاً إلى القول بأن العلاقات لا تكون معقولة حتى عندما تؤخذ معاً مع حدودها، أي كيفياتها. لأن العلاقة يجب أن تكون لا شيئاً أو شيئاً ما. فإذا كانت لا شيئاً، فإنها لا تستطيع أن تقوم بأى ربط. لكنها إذا كانت شيئاً ما، فإنها يجب أن ترتبط بكل من حدودها عن طريق علاقة أخرى. ونودر بالتالي في سلسلة لا نهاية لها من العلاقات.

ربما مال القارئ الإسكولاني لهذه القطعة البارة من الجدل إلى أن يلاحظ أن العلاقة ليست «كياناً» من نفس المقولة المنطقية مثل حدودها، وأنه لا معنى للقول بأنها يجب أن ترتبط بحدودها عن طريق علاقات أخرى. غير أن «برادلي» لا يقصد، بالتأكيد، أن يقول إنه معقول أن نتحدث عن علاقات ترتبط بحدودها. فهدفه هو أنها يجب أن ترتبط هكذا، أو لا تكون شيئاً على الإطلاق، وكلتا الأطروحتين غير مقبولتين^(٢). والنتيجة التي يصل إليها هي أن «الطريقة العلائقية للتفكير - أى علاقة تتحرك عن طريق منظومة الحدود والعلاقات - يجب أن تعطينا الظاهر، ولا تعطينا الحقيقة. إنها مؤقتة، وحيلة، ومساومة عملية محض، ضرورية للغاية، لكن لا يمكن تبريرها أو الدفاع عنها في النهاية»^(٣).

Appearance and Reality, p. 31. (١)

(٢) واضح أنه إذا أردنا أن نتجنب النتيجة التي وصل إليها برادلي. فإنه يجب علينا أن نرفض أن تكون ملزمين بأن نختار بين هاتين الأطروحتين الجافتين. فنحن نستطيع، مثلاً، أن نميز معنيين ممكنين للقول «العلاقة ليست شيئاً ما» (ملوآف).

Appearance and Reality, p. 33. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ج- يرى باركلي أن أى شخص فهم الفصل الخاص بالعلاقة والكيف فى كتابه «الظاهر والحقيقة» «يرى أن تجربتنا» عندما تكون علانية، لا تكون صادقة؛ ويزدري، فى الغالب، بدون سماع، الكتلة العظيمة من الظواهر^(١). ولذلك يجب علينا أن لا نقول الكثير عن نقده للمكان، والزمان، والحركة، والعلية. إذ يكفى أن نوضح طريقته فى التفكير بالإشارة إلى نقده للمكان والزمان.

المكان لا يمكن أن يكون ببساطة، من جهة، علاقة، لأن أى مكان يجب أن يتكون من أجزاء تكون هى نفسها أمكنة. وإذا لم يكن المكان سوى علاقة، فإننا سنضطر أن نقرر بخلف ولا معقولة أن المكان ليس شيئاً سوى العلاقة التى تربط أمكنة. ومع ذلك، من جهة ثانية، ينحل المكان لا محالة إلى علاقات، ولا يمكن أن يكون أى شئ آخر. لأن المكان متميز داخلياً بصورة لا نهائية، أى أنه يتكون من أجزاء لا تتكون هى نفسها من أجزاء، وهكذا إلى ما لا نهاية. وهذه التميزات هى، بوضوح، علاقات. ومع ذلك عندما نبحث عن الحدود، فإننا لا نستطيع أن نجدها. ولذلك فإنه يجب رد مفهوم المكان، من حيث إنه يؤدي إلى تناقض، إلى مجال الظاهر.

ونقد مشابه ينطبق على مفهوم الزمان. فمن جهة يجب أن يكون الزمان علاقة، أعنى بين «قبل» و«بعد» ومن جهة أخرى، لا يمكن أن يكون علاقة. فإذا كان علاقة بين وحدات لا تمتلك دواماً، «فإن الزمان كله لا يمتلك دواماً على الإطلاق»^(٢). ومع ذلك، إذا كان الزمان علاقة بين وحدات تمتلك دواماً، فإن الوحدات المزعومة لا يمكن أن تكون وحدات بالفعل، وإنما تنحل إلى علاقات. ولا يكون هناك حدود. قد يقال إن الزمان يتكون من «أناث». لكن لأن مفهوم الزمان يحتوى على فكرتى «قبل» و«بعد»، فإن التنوع يدخل لا محالة إلى «الآن»: وتبدأ اللعبة مرة ثانية.

Appearance and Reality, p. 34 (١)

Ibid, p. 37. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن النتيجة التي انتهى إليها برادلي هي أن «الذات هي، بلاشك، الصورة العليا للتجربة التي تكون لدينا، ولكنها، مع ذلك، ليست صورة صحيحة»^(١). قد يعتقد الفلاسفة المثاليون الأوائل أن علاقة الذات - الموضوع هي صخرة راسخة تبنى عليها فلسفة الحقيقة، لكن الذات يجب، من وجهة نظر برادلي، أن تُرد إلى مجال الظاهر، وهي ليست في ذلك أقل من الموضوع..

٧- الحقيقة عند برادلي واحدة. وتقسيم الحقيقة إلى أشياء متناهية تربطها علاقات ينتمى إلى مجال الظاهر. لكن القول بأن شيئاً ما يكون ظاهراً، لا يعنى إنكار أنه موجود «إن ما يظهر، لهذا السبب الوحيد، يكون موجوداً بلاشك، وليس هناك إمكان لافتراض وجوده بمعزل عنه»^(٢). فضلاً عن ذلك، من حيث إن الظاهرات توجد، فلا بد أن تتضمن داخل الحقيقة: أى أنها تكون ظاهرات حقيقية. حقاً «إن الحقيقة، التي توضع في جانب وبمعزل عن كل الظاهرات، ستكون، بالتأكيد، لا شيئاً»^(٣). وبمعنى آخر، المطلق هو مجموع (كل) مظاهره: إنه ليس كياناً إضافياً يكمن خلفها.

ولا يمكن في الوقت نفسه أن توجد الظاهرات في المطلق من حيث إنها، بصورة دقيقة، ظاهرات. أعنى أنها لا يمكن أن توجد في المطلق على نحو يؤدي إلى تناقضات أو نقائص. لأن الكل الذي نبحث عنه في الميتافيزيقا لابد أن يكون كلاً يشبع العقل تماماً ويرضيه. ولذلك، لابد أن تتحول الظاهرات وتنسجم في المطلق على نحو لا يبقى معه أى ضرب من التناقض.

لكن ماذا يجب أن يكون المطلق، أو الحقيقة، الذي يكون تحول الظاهر ممكناً من أجله؟ يرد برادلي بأنه لابد أن يكون فعلاً لا متناهياً للتجربة، فضلاً عن ذلك، تجربة

Ibid, p. 119. (١)

Ibid, p. 132. (٢)

Ibid, (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مثل: الذات والموضوع. إن المطلق هو تجربة بالدرجة الأكثر علوًا. وبمعنى آخر، ليس المطلق تجربة حاسة بمعنى أنه فكر أدنى، ودون ما هو عقلي: إنه يفوق التفكير، وأعلى مما هو عقلي، بما في ذلك التفكير من حيث إنه يتحول على نحو يتغلب فيه تخارج التفكير على الوجود.

وبالتالي، عندما يوصف المطلق بأنه تجربة حاسة، فإن هذا اللفظ يُستخدم، بالفعل، بصورة غير منطقية. «إن الشعور، كما رأينا، يزودنا بفكرة إيجابية عن وحدة غير علائقية. الفكرة ناقصة، لكنها تصلح أن تكون أساساً إيجابياً»^(١)؛ أعني بوصفها أساساً إيجابياً لتصوير الحقيقة النهائية. ويمكن أن توصف الحقيقة، أو المطلق، بصورة ملائمة بأنها روحية من حيث إنه يمكن تعريف الروح بأنها «وحدة المتعدد الذي يتوقف فيه تخارج المتعدد تماماً»^(٢). «إننا نجد توحيداً للمتعدد في الذهن البشري؛ غير أن تخارج المتعدد لا يتوقف تماماً على الإطلاق. وبالتالي فإن الذهن البشري ليس إلا روحياً بصورة غير كاملة. «إن الروح الخالصة لا تتحقق إلا في المطلق»^(٣).

ومن المهم أن نفهم أن «برادلي» عندما يصف المطلق بأنه روحى، فإنه لا يعنى أنه روح أى ذات. فمن حيث إن المطلق هو مظاهرها، من حيث إنها تتحول، فلا بد أن يشمل داخله كل عناصر الكيان الشخصى. «إن كل عنصر من الكون، والإحساس، والشعور، والتفكير، والإرادة لابد أن يضم داخل إحساس واحد شامل»^(٤). لكن من المضلل تماماً أن نطبق على الكون اللامتناهى لفظاً مثل «الذات» الذى يدل على التناهى، والتحديد. إن المطلق أسمى مما هو شخصى، وليس أدنى مما هو شخصى؛ بيد أنه ليس شخصاً، ويجب أن لا يوصف بأنه موجود شخصى.

(١) Appearance and Reality, p. 530.

(٢) Ibid, p. 498.

(٣) Ibid, 499.

(٤) Ibid, 159.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

معيارا الصدق هما التماسك والشمول. «إن الصدق تعبير مثالي عن الكون، وهو متماسك وشامل. إنه يجب ألا يتصارع مع نفسه، ويجب ألا يكون هناك أي افتراض لا يندرج بداخله. إن الصدق الكامل، باختصار، لابد أن يحقق فكرة الكل النسقي»^(١). إن التفكير يفصل، على حد تعبير برادلي، الـ «ماذا» the what عن الـ «هذا»^(٢) the that. ونحن نحاول أن نكون وحدة المضمون المثالي والوجود من جديد عن طريق تجاوز الأحكام الفردية عن إدراك أوصاف للكون أكثر شمولاً. إن هدفنا هو، بالتالي، فهم كامل للكون يُرى فيه كل صدق جزئي من حيث إنه يرتبط داخلياً، ونسقياً، وبصورة منسجمة بكل صدق آخر جزئي في كل متماسك ذاتياً.

ومع ذلك، لا يمكن بلوغ هذا الهدف. فنحن لا نستطيع أن نربط الشمول بفهم لكل الوقائع الجزئية. لأنه كلما كانت خطتنا أكثر اتساعاً وشمولاً، فإنها تصبح أكثر تجزئاً أي أن خيوط الشبكة تصبح أكثر اتساعاً، وتسقط الوقائع الجزئية منها. وفضلاً عن ذلك، ليس تفكيرنا العلائقي، كما رأينا، مناسباً، على أية حال، لفهم الحقيقة من حيث هي كذلك، أعني بوصفها كلاً متماسكاً تماماً وشاملاً. «ليست هناك خطة علائقية ممكنة تكون في النهاية، من وجهة نظري، الصدق... لقد بينت منذ فترة مضت (هكذا أعتقد) أنه ليس هناك بالنسبة لي، صدق في النهاية صحيح تماماً»^(٣).

وبالتالي إذا أخذنا الصدق المثالي الذي يتملص على الدوام من فهمنا على أنه المعيار، عند برادلي، الذي يجب أن نقيس بالرجوع إليه درجات الصدق، فإنه يبدو أننا نبقى بدون أي معيار أو مقياس يمكن أن يكون ذا استخدام عملي. بيد أن طريقة

Essays on truth and Reality, p. 223. (١)

(٢) هذان المصطلحان «ماذا» What، وهذا .. That اصطلاحان استخدمهما الفيلسوف الإنجليزي ف. ه. برادلي وهو يعنى بالمصطلح الأول الجانب الواقعي، وبالمصطلح الثاني الجانب الفكري وهو ينظر إلى الحكم على أنه إيضاح لـ «هذا» بوصفه موضوعاً عن طريق «ماذا» بوصفه محمولاً. (المراجع).

Essays on Truth and Reality, p. 239. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إلى حد ما داخل ميدان تجربتنا الخاصة، بالطريقة التي تستطيع بها لذة شديدة أن تبطلع ألماً ضئيلاً، من حيث هو كذلك، أو تقاومه. وقلماً يكون هذا الافتراض مصدراً لتعزية أكبر لألم متناه، غير أن برادلي لا يرغب، على نحو جلي، في أن ينظر إلى المطلق على أنه يتحمل الألم.

يستخدم برادلي في معالجة الشر الأخلاقي التفسير الذي سبقت الإشارة إليه. فيذهب إلى أن الشر الأخلاقي هو، بمعنى ما، شرط للأخلاق، من حيث إن الحياة الأخلاقية تكمن في التغلب على الذات الدنيا وقهرها. بيد أن الأخلاق تميل، كما رأينا، إلى تجاوز نفسها. ولم تعد توجد في المطلق بوصفها أخلاقاً. إن تجربة المطلق تتجاوز النظام الأخلاقي، ولا يكون للشر الأخلاقي معنى في هذا السياق.

١٠- هل يمكن أن يوصف المطلق عند برادلي بأنه الله؟ رد برادلي واضح إلى حد كبير وهو: «المطلق عندي ليس الله»^(١). ويتضح أنه إذا كنا نعني بالله، ببساطة، الحقيقة البعيدة دون أي تحديد أبعد، فإن المطلق يكون هو الله. غير أن برادلي يتصور مفهوم الله بأنه موجود شخصي؛ ولا يقر بأن الشخصية يمكن أن تكون محمولاً للمطلق. حقاً، إن الحديث عن المطلق من حيث إنه موجود غير شخصي هو حديث مضلل. لأن ذلك يفترض أن المطلق شخص أدنى. ولابد أن تكون الشخصية، في واقع الأمر، متضمنة داخل الحقيقة؛ حتى إن المطلق لا يمكن أن يكون أقل مما هو شخصي. غير أن الشخصية تتحول إلى هذا الحد حتى إننا لا نستطيع أن نتحدث عن المطلق بوصفه شخصاً «إذا كان لفظ «شخصي» يحمل أى شىء مثل معناه العادي»^(٢). الحقيقة ليست شخصية؛ لأنها شخصية وأكثر. إنها، باختصار، تفوق ما هو شخصي^(٣).

Ibid, p. 335. (١)

Appearance and Reality, p. 531. (٢)

Ibid, (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مظاهره. إنه الكون من حيث إنه يتحول. ولذلك إذا كنا نعنى بلفظ «الله» موجوداً يجاوز العالم على نحو لا يمكنه أن يتحد معه، إذ من الواضح أن الله والمطلق لا يمكن أن يكونا مترادفين. فنحن نستطيع أن نسمى المطلق «الله»، بيد أن زعم برادلي هو أن اللفظ له معنى في الحديث العادي يختلف عن معنى لفظ «المطلق». ولذلك ينشأ اللبس إذا توحد اللفظان. وحرصاً على الوضوح، والأمانة الفكرية، فمن الأفضل أن نقول أن المطلق ليس هو «الله».

تؤثر وجهة النظر هذه فيما يجب أن يقوله برادلي عن الدين. فإذا افترضنا أن الله موجود يتميز عن العالم الخارجى والذات المتناهية بالنسبة للوعى الدينى، فإننا لا نستطيع أن نستنتج سوى أن هذا الوعى يؤدي إلى وقوع فى تناقض ذاتى. فمن جهة، ينظر الوعى إلى الله على أنه الحقيقة الوحيدة الصادقة. ولا بد أن يكون الله، فى هذه الحالة، لا متناهياً. ومن جهة أخرى، يتصور الوعى الله على أنه يتميز عن كثرة المخلوقات، وعلى أنه موجود واحد بين موجودات كثيرة، حتى وإن كان أعظمها. وفى هذه الحالة لابد أن يكون الله متناهياً ومحدوداً. وبالتالي، عندما نتحدث عن الدين، ونتصور مفهومه عن الحقيقة النهائية، فإننا نكون مجبرين على أن نستنتج أنه ينتمى إلى مجال الظاهرات، وأنه عندما تتحول الأخلاق إلى الدين، فكذلك يتحول الدين إلى ميتافيزيقا المطلق. «إذا وحدت المطلق بالله، فإنه لا يكون إله الدين.. فبدون المطلق لا يمكن أن يقوم الله، ويصل إلى هذا الهدف: إنه سيفقد ويفقد الدين معه»^(١).

ومع ذلك، هناك وجهة نظر أخرى يعبر عنها برادلي. فهو يرى أن ماهية الدين ليست المعرفة، وليست الوجدان (الشعور)، «إن الدين هو، بالأحرى، محاولة التعبير عن الحقيقة الكاملة للخير عن طريق كل جانب من جوانب وجودنا. ويقدر ما له من شأن عظيم، فإنه شئ أكثر، وشئ أعلى، من «الفلسفة»^(٢). وربما لا يكون المعنى الدقيق

Ibid, p. 447. (١)

Ibid, p. 453. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا تستطيع الميتافيزيقا أن تهتم كثيراً بالميتافيزيقا»^(١)، إذا افترضنا، على أية حال، أنه يعرف حدود الميتافيزيقا ولم يقال في أهميتها. إن برادلى نفسه يأخذ زعمه بجدية الذى يقول إن «الحاجة الأساسية إلى الفلسفة الإنجليزية هي، كما أعتقد، دراسة خاصة لمبادئ أولى.. هي محاولة لأن تصبح واعية بتصورات مسبقة، وتشك فيها كلها»^(٢). هذا العنصر من النزعة الشكية «نتيجة العمل والتربية»^(٣)، يمثل جدل الظاهر؛ أى نقد طرقتا العادية للتفكير. ويمثل فى الوقت نفسه عنصر الاعتقاد «القائم على الغريزة» قول برادلى الواضح، الذى أشرنا إليه من قبل، والذى يقول إن الميتافيزيقا تقوم على فرض مسبق أو زعم، أو فعل أولى للإيمان^(٤)، وتمثله نظرية المطلق بأسرها بأنه كل متماسك ذاتياً تماماً، وشامل تماماً.

يحتل مبدأ الاعتقاد هذا الذى «يقوم على الغريزة» مكانة بارزة فى تطوير ميتافيزيقا برادلى. انظر، مثلاً، إلى نظرية تحول الظاهرات فى المطلق. بالتأكيد، هذه النظرية ليست أخروية الطابع. أعنى أن برادلى لا يفترض أن الظواهر التى تسبب تناقضات أو نقائص يعترىها تحول فى تاريخ نبؤى مستقبلى. إنه يثبت أنها توجد هنا، والآن فى المطلق على خلاف ما تبدو لنا أنها توجد. إن التجربة المنسجمة تماماً والشاملة كل الشمول التى تكون المطلق هي حقيقة موجودة، وليست، ببساطة، شيئاً سيخرج إلى حيز الوجود فى المستقبل. غير أن برادلى لا يدعى أنه يستطيع أن يخبرنا بدقة قيم يكمن هذا التحول. فما يفعله هو أنه يبرهن على الوجود الفعلى من الإمكان. فنحن نستطيع، مثلاً، أن نبين أن تحول الخطأ ليس مستحيلاً. وإذا لم يكن مستحيلاً،

Appearance and Reality, p. xiv. (١)

Ibid, (٢)

Ibid, (٣)

(٤) يصف برادلى هذا، كما رأينا، بأنه معرفة فعلية خافتة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

البرهان على أكتاف أولئك الذين يزعمون أنه ممكن وليس على أكتاف أولئك الذين يقولون إنه غير ممكن.

قد يقال في الرد على ذلك إنه طالما أن «برادلي» يعتقد أن الحقيقة هي تجربة واحدة لا متناهية ومتماسكة ذاتياً وشاملة لنفسها كل الشمول، وأن الظواهر هي مظاهر حقيقية، وليست، ببساطة، وهمية، فإنه يجب عليه كذلك أن يعتقد أن تحول الظواهر المطلوب ليس ممكناً فحسب، بل فعلياً أيضاً. هذا صحيح تماماً. ومع ذلك، فالمسألة هي أن «برادلي» كان مجبراً على أن يستنتج هذه النتيجة بسبب افتراض أولى أو فرض مسبق، أو فرض عن الحقيقة. ولا يبرهن جدل الظواهر على الفرض. حقاً، إن استبعاد الجوهر؛ استبعاد ما هو جوهري، قد أستخدم بمهارة لافتراض أن كل الأشياء المتناهية عارضة بالنسبة لما هو حقيقي. غير أن نقد «برادلي» للجوهر هو نفسه معرض للنقد. وعلى أية حال الواقعة – إن كانت واقعة – التي تقول إن طرقنا العادية لتصوير الحقيقة تسبب تناقضات ونقائص لا تبرهن بذاتها على أن الحقيقة كل متماسكة ذاتياً. لأن الحقيقة قد تكون، بصورة دقيقة، ما يكشفها الجدل من حيث إنها وجود؛ أعني من حيث إنها غير متماسكة. وإذا واصلنا التأكيد بأن الحقيقة، من حيث إنها تقابل الظاهر، كل متماسكة ذاتياً، فإن ذلك سببه أننا قررنا من قبل أن الحقيقة يجب أن تكون من هذه الطبيعة. ولن تساعدنا الإشارات إلى تجربة أولية حاسة عن «كل يَحس»؛ نقول لن تساعدنا هذه الإشارات كثيراً. ففكرة هذه التجربة قد تخدم، بالفعل، من حيث إنها نظير لتصوير المطلق، إذا قررنا أنه لا بد أن يكون هناك مطلق. بيد أنه قلما يمكن البرهنة على أنه من الضروري التسليم بالمطلق، كما يتصوره برادلي.

صحيح أنه يمكن تمثيل خط تفكير برادلي بطريقة معقولة. فإذا واصلنا محاولة فهم الحقيقة، فإنه يجب علينا أن نفترض أن الحقيقة عقلية. ولذلك لا بد أن ننظر إلى المسألة على هذا النحو وهي أن الحقيقي هو ما يرضى مطالب العقل واحتياجاته. وتفسير للحقيقة يحتوى على تناقضات ذاتية لا يرضى العقل. ولذلك، يجب علينا أن نستنتج أنه يتم التغلب على كل التناقضات في الحقيقة، من حيث إنها تقابل الظاهر، ويعني ذلك في النهاية أنه يجب علينا أن نقبل نظرية عن كل منسجم وشامل كل الشمول، أعني المطلق.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن الإجابة الواضحة على هذا الخط من النقد هي أنه ليس من المشروع أن نتوقع تماسكاً ذاتياً تاماً من الميتافيزيقا. لأنه إذا سلمنا بتفسير «برادلي» لعيوب التفكير البشرى، فإنه ينجم عن ذلك، بالضرورة، أن أى تصور للمطلق نستطيع أن نكوّنه ينتمى إلى مجال الظاهر. حقاً، إن الميتافيزيقا كلها ظاهر. ولم يتردد «برادلي» فى أن يسلم بذلك. فهو يعلن، كما رأينا، أن الفلسفة، وهى لا تقل عن الدين، تصل إلى كمالها فى المطلق. أعنى أن الفلسفة ظاهر متضمن، من حيث إنه يتحول، فى التجربة اللامتناهية التى تكون المطلق، لكنه يجاوز فهمنا. وليس هناك ما يدعو إلى الدهشة، بالتالى، إذا أخفقت العبارات الميتافيزيقية نفسها فى أن تبلغ معياراً مثالياً للتماسك الذاتى.

وذلك صحيح تماماً. غير أنه يضيف، ببساطة، نقطة أخرى إلى الزعم الذى يقول إن تأكيد «برادلي» على المطلق يقوم، على المدى البعيد، على فعل أولى للإيمان. على المدى البعيد فإن «ما لا بد أن يكون» هو العقل الحاسم. إن كل بناءات التفكير البشرى، بما فى ذلك ميتافيزيقا المطلق، يجب، بالنسبة لذهن «برادلي» الشاك، أن تهبط إلى مجال الظاهر. إنه يقر بالفعل، بدرجات للصدق. وهو مقتنع بأن ميتافيزيقا المطلق أكثر صدقاً، مثلاً، من تصور الحقيقة من حيث إنها تتكون من أشياء كثيرة منفصلة تربطها علاقات. غير أن ذلك لا يغير الواقعة التى تقول إن الفلسفة النظرية هي ظاهر، ولا تتوحد بالتجربة المطلقة. لم يشارك برادلي هيجل، كما أشرنا من قبل، فى «نزعته العقلية» الواثقة. ولذلك يمكننا أن نقول إن نزعته الشكية تمتد حتى إلى الميتافيزيقا، كما يفترض، بالفعل، القول الماثور الذى اقتبسناه فى بداية هذا القسم. ومع ذلك، ترتبط هذه النزعة الشكية باعتقاد راسخ هو أن الحقيقة فى ذاتها، التى تجاوز قوانا الخاصة بالفهم، هي كل شامل، ومنسجم تماماً؛ أى أنها تجربة داخلية شاملة كل الشمول و متماسكة ذاتياً تماماً.

وليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة بتاتاً إذا مال الفلاسفة البريطانيون المعاصرون، أثناء الكتابة عن برادلي، إلى التركيز على الإرباكات التى أثارها حول طرقنا العادية للتفكير، ومروا مرور الكرام على نظريته عن المطلق بطريقة ليس فيها إمعان. وسبب ذلك

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

والفلاسفة الهنود الذين نتحدث عنهم قد واجهتهم الصعوبة نفسها: أعنى أن كل تصور يمكن أن نكوّنه عن الحقيقة النهائية لابد أن ينتمى إلى مجال الظاهر. بيد أن «رؤيتهما» الأساسية متشابهة، وهى رؤية يمكن أن تجذب بصورة قوية بعض الأذهان. ربما ما نحتاج إليه هو بحث جاد لا يهيمن عليه فرض قبلى يقول إن ما يتحدث عنه برادلى من حيث إنه فرض مسبق أو فعل من أفعال الإيمان لابد أن يخلو من قيمة موضوعية. إنه بحث له أهميته الملحوظة بالنسبة لأسس الميتافيزيقا النظرية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

Seth، و«ريتشارد بيردون هولدين» أما كتابه «المعرفة والواقع» فقد نُشر عام ١٨٨٥، ونُشر المجلدان «المنطق، أو مورفولوجيا المعرفة» عام ١٨٨٨^(١). ثم تلا ذلك بتتابع سريع كتاب «مقالات وخطابات» (عام ١٨٨٩)، و«تاريخ الاستطيقا» (عام ١٨٩٢، والطبعة الثانية عام ١٩٠٤)، و«حضارة العالم المسيحي ودراسات أخرى» (عام ١٨٩٣)، و«الرفيق لجمهورية أفلاطون» (عام ١٨٩٥)، و«المبادئ الأساسية للمنطق» (عام ١٨٩٥)، و«سيكولوجيا الذات الأخلاقية» (عام ١٨٩٧). كما نشر «بوزانكيت» في عام ١٨٩٩ ربما ما يعد عمله الأكثر شهرة وهو النظرية الفلسفية للدولة^(٢). وظهرت مجموعتان من محاضرات جيفورد على التوالي: «مبادئ الفردية والقيمة» عام ١٩١٢، و«قيمة الفرد ومصيره» عام ١٩١٣. وقد نذكر من بين المنشورات الأخرى كتابه «التمييزات بين الذهن وموضوعاته» (عام ١٩١٣)، و«ثلاث محاضرات عن الاستطيقا» (عام ١٩١٥)، و«المثل العليا الاجتماعية والعالمية» (عام ١٩١٧)، و«بعض الاقتراحات في الأخلاق» (عام ١٩١٨)، و«اللزوم والقياس الطولي» (عام ١٩٢٠)، و«ما هو الدين» عام ١٩٢٠، و«تقابل النقائض في الفلسفة المعاصرة» (عام ١٩٢١)، و«ثلاثة فصول عن طبيعة الذهن» (عام ١٩٢٣).

وعلى الرغم من هذا النشاط الأدبي الغزير، كاد بوزانكيت أن يطويه النسيان، ونادراً ما يُذكر هذه الأيام، مقارنةً ببرادلي، إلا ربما فيما يتعلق بنوع معين من النظرية السياسية^(٣). وربما يكون من أسباب ذلك أن بوزانكيت كان أكثر كاتبة من برادلي وأقل منه تبايناً. ومع ذلك، يبدو أن عاملاً أكثر أهمية وهو الاعتقاد بأنه لم يكن لديه سوى القليل، ماعدا النظرية السياسية والجمالية، الذي لم يكن موجوداً في كتابات معاصره الأكثر شهرة لأن يقدمه. لقد كتب بوزانكيت نفسه، بالفعل، في عام ١٩٢٠ إلى فيلسوف

(١) ظهرت طبعة ثانية عام ١٩١١ (المؤلف).

(٢) ظهرت طبعة رابعة عام ١٩٢٣، العام الذي توفي فيه بوزانكيت (المؤلف).

(٣) تبقى نظرية بوزانكيت عن النظرية الجمالية، مع ذلك، ذات إسهام قيم في الموضوع (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الموضوعي، وإبداعات خيالي. ولذلك نستطيع أن نقول إن «العالم كله هو، بالنسبة لكل واحد منا، مجرى وعينا، من حيث إنه يُنظر إليه على أنه نسق من موضوعات ملزمون بأن نفكر فيها»^(١).

يبين التأمل في عامل الإلزام هذا أن عوالم الأفراد المختلفين تكونها عمليات محددة مشتركة بالنسبة للعقل من حيث هو كذلك. فكل منا يبدأ، إلى حد ما، بعالمه الخاص، أو عالمها الخاص. لكن كلما كانت العملية البنائية لتكوين عالم نسقي من موضوعات أكثر تطوراً، فإن هذه العوالم المتعددة يناظر بعضها بعضاً، وتميل إلى أن تندمج في عالم مشترك.

إن مسار تكوين عالم هو نفسه مثل المعرفة؛ بمعنى الوصول إلى معرفة. وبالتالي فإن المعرفة هي البناء العقلي للواقع: أي أنها الوسط الذي يوجد فيه العالم لنا من حيث إنه نسق من موضوعات مترابطة. والمنطق هو تحليل هذه العملية البنائية. «إن مسألة تكوين ذلك الكل بصورة عقلية، ذلك الذي نطلق عليه اسم العالم الواقعي هو عمل المعرفة. وعملية تحليل مسار هذا التكوين أو التحديد هي مهمة المنطق؛ الذي قد يوصف بأنه الوعي الذاتي بالمعرفة، أو تأمل المعرفة في ذاتها»^(٢).

وبالتالي، توجد المعرفة في الحكم. وينجم عن هذا، من ثم، أنه إذا كان المنطق وعياً ذاتياً بالمعرفة، فإن دراسة الحكم تكون أساسية في المنطق. إننا نستطيع أن نقول، بحق، إن القضية: أي التعبير عن الحكم، لها «أجزاء». ونطبق قضية هو عملية مؤقتة. غير أن الحكم في ذاته هو هوية - في - اختلاف: أي أنه ليس علاقة بين أفكار، وليس انتقالاً من فكرة إلى أخرى، ولا يحتوى على فكرة تالفة تشير إلى نوع معين من الارتباط بين مضمونين مثالين آخرين^(٣).

(١) Ibid, pp. 14 -15.

(٢) Logic, 1, p. 3.

(٣) Ibid, 1, pp. 83 - 4.

يعني بوزانكيث «بفكرة تالفة» الرابطة منظوراً إليها على أنها عنصر متميز في الحكم (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن عقلنا يستطيع أن يعرفه ويقبض عليه^(١). حقاً، إن بوزانكيت يكف عن الزعم بأن ذهن المتناهي يستطيع أن يفهم الحقيقة تماماً، ويهتم في الوقت نفسه بأن يتجنب ما ينظر إليه على أنه ميل برادلي الملحوظ إلى أن يبعد الفجوة بين التفكير البشري من جهة، والحقيقة من جهة أخرى. فكل ذهن متناه يقترب من الحقيقة من وجهة نظر معينة ويكون تصويره عن الحقيقة، غير أن هناك، على الرغم من ذلك درجات للصدق، وللخطأ كذلك، فليس هناك حكم لا يتصل بالحقيقة مطلقاً، ويجبرنا العقل من حيث هو كذلك على أن نتصور الكون بطرق معينة، حتى إن عالماً موضوعياً مشتركاً يُتمثل في الوعي، على الرغم من وجهات النظر الخاصة. وفضلاً عن ذلك، يقترب الفكر البشري كله أكثر وأكثر من فهم الحقيقة، حتى على الرغم من أن الحكم المثالي النهائي هدف يجاوز قدرة أي ذهن معين متناه^(٢).

٣- ثمة ارتباط وثيق بين المنطق والميتافيزيقا عند بوزانكيت، كما هي الحال عند برادلي. لأن كليهما تمسكا بأن الموضوع النهائي لكل حكم هو الحقيقة كلها. غير أنه يكون من الخطأ أن نعتقد أن بوزانكيت يقصد الإشارة إلى أن المنطق يستطيع أن يزودنا بمعرفة فعلية عن العالم؛ لأنه يصف المنطق بأنه الوعي الذاتي بالمعرفة. إنه لم يثبت ذلك على نحو يزيد على ما فعله برادلي. إن المنطق هو مورفولوجيا المعرفة^(٣)؛ إذ إنه لا يزودنا بمضمون المعرفة.

(١) Essentials of Logic, p. 166.

(٢) كان برادلي على استعداد، إلى حد ما، لأن يتحدث كثيراً بنفس الطريقة لكنه يشدد، بالفعل، على عيوب التفكير البشري حتى إنه يكون على حق في رؤية خلق فجوة بين التفكير والحقيقة في فلسفة برادلي (المؤلف).

(٣) أي علم شكل المعرفة، ومصطلح المورفولوجيا Morphology صاغه أديب ألمانيا العظيم «جوته» ١٧٤٩ - ١٨٣٢، واستخدمه في أبحاثه عن فسيولوجيا النبات، وعلم النحو والصرف، وأصبحت المورفولوجيا فرعاً من المعرفة تدرس الأشكال، ومنها تشكيل الكلمة. (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ومع ذلك، على الرغم من أن الفردية تنتمي، بمعنى يفوق كل شيء، إلى المطلق، فإنها تُنسب أيضاً إلى الموجودات البشرية، حتى بمعنى ثانوي. وعندما يفحص بوزانكيت هذا الاستخدام للفظ، فإنه يصر على أن الفردية يجب ألا تُفهم، في الغالب، على نحو سلبي، كما لو كانت تكمن، أساساً، في عدم كون المرء شخصاً آخر. ومع ذلك، ليس هناك في حالة الفرد الأسمى؛ أي المطلق، فرد آخر يمكن أن يتميز عنه. إن الفردية يجب، بالأحرى، أن تُتصور إيجابياً؛ أي بوصفها تكمن في «ثراء الذات وكمالها»^(١). وتتمثل في الأخلاق، والفن، والدين، الفلسفة حتى أن «الذهن المتناهي يبدأ في أن يخبر شيئاً عما يجب أن تكون الفردية أصلاً»^(٢). ففي الأخلاق الاجتماعية، مثلاً، يجاوز الشخص البشري ما يسميه بوزانكيت بالوعي الذاتي المقرّر للنفس، لأن الإرادة الخاصة تتحد مع إرادات أخرى دون أن تُغفى في عملية الاتحاد. كما أن الموجود البشري يتجاوز في الدين مستوى الذات الضيقة والمصابة بالفقر، ويشعر بأنه يبلغ مستوى أعلى من الثراء والكمال في الاتحاد مع الإلهي. وتندرج الأخلاق، في الوقت نفسه، بداخل الدين.

ويمكن أن يعطينا التأمل في الذات الفردية، بالتالي، فكرة عن كيف يمكن فهم المستويات المتعددة للتجربة، وتتحول في التجربة الواحدة الموحدة والشامل كل الشمول التي تكون المطلق. وهنا يلجأ بوزانكيت إلى مماثلة ذهن «دانتى» كما هو معبر عنها في «الكوميديا الإلهية». فالعالم الخارجي وعالم الذات كلاهما موجود في ذهن الشاعر، ويجدان تعبيراً في القصيدة. إن الذات البشرية تتمثل، بالفعل، بوصفها موجودات مفكرة وفاعلة؛ أي بوصفها ذاتاً حقيقية توجد في مجال خارجي. وفي الوقت نفسه لا تعيش هذه الذات إلا عن طريق مشاركتها في الأفكار، والانفعالات، والأفعال، التي تكون ذهن الشاعر كما هو معبر عنه في القصيدة.

(١) The Principle of Individuality and value, p. 69.

(٢) Ibid, p. 80.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

قد يُعترض على ذلك أن بوزانكيت لم يفعل شيئاً لكى يُبين أن هناك مطلقاً. فهو يفترض، ببساطة، وجوده، ويخبرنا ماذا يجب أن يكون. ومع ذلك، فإن رده هو أنه توجد على جميع مستويات التجربة والتفكير حركة من التناقض والنقص إلى عدم التناقض والكمال، ولا يمكن أن تجد هذه الحركة نهاية إلا فى تصور المطلق. «إننى لا أعى هدفاً يمكن أن يُبرر فيه توقف فى العملية»^(١). إن فكرة المطلق: أى فكرة الكل، هى، بالفعل، القوة الدافعة، أى الغاية النهائية، لكل تفكير وتأمل.

وبالتالى، فإن الفردية هى معيار القيمة؛ هى تصور يشدد عليه بوزانكيت بصورة أكبر من برادلى. ولأن الفردية لابد أن توجد فى صورتها الكاملة فى المطلق فقط، فإن المطلق لابد أن يكون هو المعيار النهائى للقيمة، وللحقيقة والصدق كذلك. وينجم عن ذلك أننا لا نستطيع أن ننسب قيمة نهائية أو مطلقة إلى الذات المتناهية. ولما كان بوزانكيت يتصور الكمال الذاتى بأنه يحتوى على قهر للانغلاق على الذات، ودخول واع فى عضوية كل أعظم، فإنه قلما أن نتوقع منه أن ينظر إلى الخلود الذاتى على أنه مصير الذات المتناهية. إنه يزعم، بالفعل، أن الأفضل فى الذات المتناهية هو أن تبقى، فى حالة متحولة، فى المطلق. غير أنه يقر أيضاً بأن ما يبقى ويدوم من ذاتى لا يظهر لوعى الحالى أنه استمرار «لذاتى». ومع ذلك، فإن هذا ليس سبباً، عند بوزانكيت للندم. فالذات، كما نعرفها، مزيج، من حيث هى كذلك، من المتناهى واللامتناهى؛ وهى لا تحقق مصيرها إلا فى مظلة الرداء الضيق لكيان ذاتى متناه.

يهتم بوزانكيت، كما لاحظنا من قبل، بتوضيح عيوب التفكير البشرى من حيث إنه أداة لفهم الحقيقة بصورة أقل كثيراً من برادلى، ويهتم بصورة أكبر بفهم الكون كله، وتحديد درجات الكمال أو القيمة. مع إن كليهما أثبتا، على المدى البعيد، أن الكون شىء يختلف أتم الاختلاف عما يبدو. إن بوزانكيت، بالأحرى، يقلل من أهمية هذا

(١) Ibid, pp. 267 - 8.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

للإجبار عن طريق القوة، الذى يفرضه المجتمع فى المصلحة العامة الحقيقية، أقول لا أطيع سوى ذاتى، وأبلغ بالفعل حريتى^(١). ومع ذلك يجعل روسو، بالفعل، إرادة الجميع هى التى تتبوأ العرش فى مكان الإرادة العامة، التى لا يصبح لها شأن ولا أهمية، نقول يجعل روسو إرادة الجميع هكذا عندما يعبر عن تحمسه للديمقراطية المباشرة، وعذائه للحكومة النيابية.

ولذلك، لابد أن نتجاوز «روسو»، ونعطى مضموناً واقعياً لفكرة الإرادة العامة، دون أن نردها، بالفعل، إلى إرادة الجميع. ويعنى ذلك توحيدها بالدولة عندما لا نتظر إليها على أنها فقط بناء حكومى، بل هى بالأحرى «تصور فعال من تصورات الحياة... التصور الذى يستطيع كل عضو حى من أعضاء الدولة عن طريق توجيهه أن يؤدى وظيفته، كما علمنا أفلاطون^(٢). وإذا فهمت الدولة أو المجتمع السياسى بهذه الطريقة، فإننا نستطيع أن نرى أنه يمكن مقارنة علاقة الذهن الفردى والإرادة بذهن المجتمع والإرادة العامة بالعلاقة بين الموضوع الفيزيائى الفردى والطبيعة كلها. ففى كلتا الحالتين يكون الفرد القائم بذاته تجريداً. ولذلك، تتوحد إرادة الإنسان الفرد الحقيقية، التى عن طريقها يريد طبيعته الخاصة من حيث إنه موجود عاقل، بالإرادة العامة. ولا نجد فى هذا التوحيد «إلا التفسير الصحيح للإلزام السياسى»^(٣). ففى طاعة الدولة، يطيع الفرد إرادته الحقيقية. وعندما تجبره الدولة على أن يفعل بطريقة معينة، فإنه يكون مجبراً على أن يفعل وفق إرادته الحقيقية، وعلى أن يفعل، من ثم، بحرية

ويمعنى آخر، التناقض المزعوم بين الفرد والدولة هو، بالنسبة لـ «بوزانكيت»، تناقض زائف. وينجم عن ذلك أن المشكلة المزعومة الخاصة بتبرير تدخل الدولة فى

ibid, p. 107. (١)

ibid, p. 151. (٢)

ibid, p. 154. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويعنى آخر، يشارك بوزانكيت وجهة نظر «توماس هل جرين» التى تقول إن الوظيفة الأولى للتشريع هى إزالة عقبات تطوير الحياة الخيرة. فإلى أى حد، مثلاً، يمتد التشريع الاجتماعى، هو تساؤل لا يمكن الإجابة عنه بصورة قبلية. ويقدر ما تتوجه المبادئ العامة وتسير، لا نستطيع أن نقول إنه لكى نبرر الإيجاب، ينبغى علينا أن نكون قادرين على أن نبين أن «ميلاً محدداً إلى التطور، أو حفظاً محدداً للقدرة.. يحبطه عائق معروف، غير أن التخلص منه مسألة ضئيلة إذا ما قورنت بالقدرات التى يطلقها»^(١). وبناء على هذا المبدأ، نستطيع، مثلاً، أن نبرر التعليم الإيجابى بأنه تخلص من إعاقة للتطوير الأكثر كمالاً واتساعاً للقدرات البشرية. ويتضح أن التشريع ذاته إيجابى. غير أن موضوع القانون هو، أساساً، موضوع التخلص من العقبات لبلوغ الغاية التى وجد من أجلها المجتمع السياسى؛ وهى غاية يرغبها، «بالفعل» كل عضو من حيث إنه موجود عاقل.

إذا افترضنا أن الغاية الأخلاقية هى التطوير الممكن الأكثر كمالاً لقدرات الإنسان، وأنها لا تتحقق، أو لا يتم الاقتراب منها على أية حال، إلا بداخل المجتمع، فإنه يبدو طبيعياً أن نجاوز الدولة القومية إلى مثل أعلى عن المجتمع الكلى، أى البشرية بوجه عام. ولا يسلم بوزانكيت، على الأقل، بأن فكرة البشرية يجب أن يكون لها مكان «فى أى تفكير فلسفى كامل متسامح»^(٢). ويزعم فى الوقت نفسه أن الفكرة الأخلاقية عن البشرية لا تكون أساساً كافياً لمجتمع فعال. لأننا لا نستطيع أن نفترض وحدة كافية للتجربة فى بنى البشر بوجه عام، مثل التى توجد فى دولة قومية، لممارسة إرادة عامة. وفضلاً عن ذلك، يزدري اقتراحات من أجل دولة عالمية ذات خطط لكى يستبدل باللغات القومية لغة كلية؛ وهو استبدال، فى رأيه، يحطم الأدب والشعر، ويرد الحياة العقلية إلى مستوى ضئيل الجودة. ولذلك لم يستطع بوزانكيت، مثل هيجل، أن يتجاوز

The Philosophical theory of the state, p. 192. (١)

Ibid, p. 328. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

التي تسلك سلوكاً غير أخلاقي بصورة غير أخلاقية. لكن بالتحدث عن ظروف «يمكن تصورها بصورة مجردة»، فإنه يعطى، لا محالة انطباعاً هو أنه بالنسبة لأغراض عملية، تكون الدولة معصومة من النقد. ليست هناك، بوضوح، صعوبة بالنسبة لأولئك الذين يرون أنه يمكن رد العبارات التي تتحدث عن الفعل عن طريق الدولة من حيث المبدأ إلى عبارات عن الأفراد، في التحدث عن الدولة من حيث إنها تسلك سلوكاً غير أخلاقي. بيد أننا إذا افترضنا أننا نستطيع أن نكون عبارات عن «الدولة من حيث هي كذلك» لا يمكن ردها، من حيث المبدأ، إلى مجموعة من عبارات عن أفراد يمكن تعيينهم، فإن السؤال ينشأ، بالتأكيد، عما إذا كان يمكن، بصورة مشروعة، تطبيق معيار الأخلاق الشخصية عند الحكم على أفعال هذا الكيان الغامض إلى حد ما.

هـ- في استطاعتنا أن نفهم أنه عندما تعهد بعض الكتاب البريطانيين بأن يبينوا أن المسؤولية النهائية عن الحرب العالمية الأولى تقع، بحق وأمانة، على عاتق الفلاسفة الألمان، مثل هيجل، جاءت فلسفة بورانكيت السياسية بمشاركتها في النقد، ففي كتاب «النظرية الميتافيزيقية للدولة» (١٩١٨)، مثلاً، ومؤلفه «ل.ت. هوبهوس»^(١)، نقول إنه في هذا الكتاب على الرغم من أن «هوبهوس» يهتم، أساساً، بهيجل، فإنه يخصص قدراً كبيراً من النقد لـ «بورانكيت»، الذي رأى فيه، بحق، الفيلسوف البريطاني السياسي الذي يقترب كثيراً من هيجل.

يلخص «هوبهوس» ما يسميه بالنظرية الميتافيزيقية عن الدولة في القضايا الثلاث التالية. «يحقق الفرد ذاته الحقيقية وحرية طبقاً لإرادته الحقيقية»، «وهذه الإرادة الحقيقية هي الإرادة العامة»، «وتتجسد الإرادة العامة في الدولة»^(٢). وبالتالي تتوحد

(١) ليونارد تريلونى هوبهوس (١٨٩٤ - ١٩٢٩)، أستاذ علم الاجتماع في جامعة لندن من عام ١٩٠٧ حتى عام وفاته، كان فيلسوفاً ذا اهتمامات واسعة، ومؤلفاً لعدد من الكتب عن موضوعات فلسفية واجتماعية. يمثل الكتاب المذكور في النص مقراً لحاضرات ألقاها في مدرسة لندن للاقتصاد عام ١٩١٧ (المؤلف).

(٢) The Metaphysical theory of the state, pp. 117 - 18. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويعد أن يلخص «هوبهوس» النظرية الميتافيزيقية عن الدولة في عدد من الأطروحات، يجد نفسه، بالتالي، منساقاً إلى التسليم بأن بوزانكيت يتحدث، أحياناً، بطرق لا تلائم بسهولة هذه الخطة المجردة. غير أن طريقته في نقل هذه الصعوبة هي أن يثبت أن بوزانكيت متهم بعدم الاتساق. فهو يلاحظ، مثلاً، أن بوزانكيت يشير في كتابه «النظرية الفلسفية عن الدولة» إلى تعاون اجتماعي لا ينتمى، بدقة، إلى الدولة أو إلى أفراد معينين، ببساطة، من حيث هم كذلك. ويجد أن ذلك لا يتسق مع الأطروحة التي تقول إن ذات الإنسان الحقيقية تجد تجسدها الكافي في الدولة. كما يلاحظ «هوبهوس» أن بوزانكيت يتحدث في كتابه «المثل الاجتماعية والعالمية» عن الدولة بوصفها عضواً من أعضاء الجماعة، لها وظيفة ضمان الظروف الخارجية المطلوبة لتطوير الحياة الأفضل. ويجد أن طريقة الحديث هذه لا تتسق مع الأطروحة التي تقول إن الدولة تتوحد مع البناء الاجتماعي كله.. وبالتالي، فإن نتيجة «هوبهوس» هي أنه إذا كانت هذه الفقرات تمثل ما يفكر فيه «هوبهوس» بالفعل عن الدولة، فإنه ينبغي عليه أن يتعهد «بأن يبنى نظريته بأسرها من جديد»^(١).

وبوجه عام، فإن هوبهوس محق تماماً، بالتأكيد، في أن يجد عند بوزانكيت النظرية الميتافيزيقية المزعومة عن الدولة^(٢). فمن المبالغة، بالفعل، أن نقول إن ذات الإنسان الحقيقية، وفقاً لما يراه بوزانكيت، تجد تجسدها الكافي في الدولة، إذا كنا نعني بذلك أن إمكانات الإنسان تتحقق بالفعل فيما ننظر إليه عادة على أنه حياته من حيث إنه مواطن. ينظر بوزانكيت إلى الفن، مثلاً، مثل هيجل، على أنه منفصل تماماً عن الدولة، حتى إذا كان يفترض الدولة بصورة مسبقة. وصحيح بدون شك في نفس

Ibid, p. 121, note 1. (١)

(٢) إذا لخص المرء اتجاهاً للتفكير مشتركاً بالنسبة لعدة فلاسفة في عدد من الأطروحات، فليس من المستغرب إذا لم تنطبق الخطة الناتجة تماماً عليهم جميعاً، أو ربما على أي واحد منهم. ويستطيع المرء بالتالي أن يجد نماذج «لعدم الاتساق». ومع ذلك، قد يتفق عدم الاتساق مع الأفكار الأساسية الفعالة لتفكير فيلسوف معين (المؤلف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مُعلِّم للتفكير النظرى التأملى، فإنه يجب علينا، بالأحرى، أن نرجع إلى «ريتشارد بيرتون هولدين» R. B. Haldane (١٨٥٦ - ١٩٢٨) السياسى المتميز، والذي مُنح لقب فيكونت هولدين أوف كلون فى عام ١٩١١. يصرح «هولدين» فى مجلديه «الطريق إلى الحقيقة» (١٩٠٣ - ١٩٠٤) أن هيجل هو أعظم مُعلِّم للمنهج النظرى التأملى عرفه العالم منذ أرسطو، وأنه هو نفسه ليس على استعداد فحسب أن يوصف بأنه هيجلى، وإنما كان يود أيضاً أن يتسمى بهذا الاسم^(١). إن إعجابه الصريح بالفكر الألمانى والثقافة الألمانية قد أديا، بالفعل، إلى هجوم مُخجل عليه فى بداية الحرب العالمية الأولى^(٢).

قام «هولدين» بمحاولة لبيان أن نظرية النسبية لا تتفق فحسب مع الهيجلية، بل تتطلبها أيضاً. ففى كتابه «الطريق إلى الحقيقة» يقترح نظرية فلسفية عن النسبية، وعندما نشر «إنشتين» أبحاثه فى الموضوع، نظر إليها هولدين على أنها تأكيد يدعم نظريته الخاصة، التى طورها فى كتابه «عهد النسبية» (١٩٢١). إن النسبية كلها، باختصار، واحدة، لكن الاقتراب من الوحدة يكون من وجهات نظر متعددة، مثل وجهة نظر الفيزيائى، والبيولوجى، والفيلسوف. وتمثل كل وجهة نظر، مع المقولات التى تستخدمها، وجهة نظر جزئية ونسبية عن الصدق، ويجب ألا تكون مطلقة. ولا تتفق هذه الفكرة فحسب مع النظرة الفلسفية التى تكون الحقيقة بالنسبة لها، فى النهاية.

(١) يشير «هولدين» فى ملاحظة متعلقة بتاريخ حياته تقدم إسهامه للمجلد الأول من «الفلسفة البريطانية المعاصرة» الذى حرره «ج. هـ. موريهيد»، إلى أنه تأثر بعنهج هيجل أكثر مما تأثر بنظريته التفصيلية عن المطلق. غير أنه يضيف أن هيجل، فى رأيه، يقترب كثيراً من وجهة النظر الصحيحة من أى واحد منذ اليونان القدماء (المؤلف).

(٢) على الرغم من أن «هولدين» أصبح قاضى القضاة ورئيس مجلس اللوردات فى إنجلترا عام ١٩١٢، بعد أن قام بعمل ممتاز كوزير للنزول لشئون الحرب، فإنه أُسْتُعِد من الوزارة التى أُعيد تشكيلها عام ١٩١٥، ليس لأن زملاءه كان لديهم شك فى وطنيته، وإنما، بالأحرى، كإجراء للمصلحة الخاصة التى تأخذ بعين الاعتبار التحامل الشعبى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا يمكن معرفة الزعم بأن تجربة مباشرة تكون تجربة عن الصدق إلا من حيث إنه يتم بيان أن الحدس هو نتاج توسط عقلي، أي من حيث إنه يُنظر إلى الصدق الذي نتحدث عنه على أنه يتماسك مع حقائق أخرى. فالقضية التي يُنظر إليها على أنها كيان مستقل يمتلك صفة الصدق، أو صفة الكذب، هي تجريد محض. وهكذا فنحن منساقون مرة أخرى إلى تفسير الصدق بأنه تماسك.

وهكذا يقتنع «يواكيم» بأن نظرية التماسك في الصدق تفوق كل النظريات المناهضة. «إن القول بأن الصدق ذاته واحد، وكل، وكامل، وأن كل تفكير وكل تجربة تتحرك داخل معرفته، وتخضع لسلطته الواضحة الجلية؛ هو قول لا أشك فيه بتاتاً»^(١) وعلى نحو مماثل لايشك «يواكيم» في أن الأحكام المختلفة والأنساق الجزئية للأحكام «أكثر أو أقل صدقاً، أعنى من حيث إنها تقترب أكثر أو أقل من المعيار الواحد»^(٢). لكن حالما نبدأ في أن نجعل نظرية التماسك واضحة؛ أي أن نفكر بالفعل، في معناها، ومضامينها، فإن صعوبات تنشأ لا يمكن تجاهلها.

أولاً: لا يعنى التماسك، ببساطة، الاتساق الصوري. فهو يشير على المدى البعيد إلى كل له دلالة وشامل كل الشمول تتحد فيه الصورة والمادة، والمعرفة وموضوعها، بصورة لا تنفصل. وبمعنى آخر، يعنى الصدق بوصفه تماسكاً تجربة مطلقة. ولا بد أن تقدم نظرية كافية عن الصدق بوصفه تماسكاً تفسيراً معقولاً للتجربة المطلقة؛ أي الكل الشامل كل الشمول، وأن تبين كيف تكون المستويات المتنوعة لتجربة غير كاملة لحظات مكونة فيها. لكن من المستحيل من حيث المبدأ، أن تلبي أية نظرية فلسفية هذه المتطلبات. لأن كل نظرية هي نتيجة تجربة متناهية وجزئية، ولا يمكن، في أحسن الأحوال، إلا أن تكون تجلياً جزئياً للصدق.

The Nature of Truth, p. 178. (١)

Ibid, pp. 178 - (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أنه يتحتم عليه أن يقبلها داخل مجال الفروض المنطقية التي تزديها نظريته الميتافيزيقية الخاصة^(١). وبمعنى آخر؛ يحتاج المثالي المطلق في الميتافيزيقا إلى نظرية التماسك عن الصدق في المنطق. وعلى الرغم من الصعوبات التي تسببها هذه النظرية، فإنه لدينا الحق في قبولها، إذا تحولت نظريات أخرى عن الصدق، لا محالة، إلى نظرية التماسك عندما نحاول أن نطرحها بدقة.

وفي الحكم عما إذا كانت نظريات أخرى عن الصدق تتحول، بالفعل، إلى نظرية التماسك، يجب علينا أن نضع في الاعتبار ملاحظة «يواكيم» الخاصة وهي أن التماسك لا يعنى، ببساطة، في هذا السياق اتساقاً صورياً. فالتسليم بأن قضيتين غير متطابقتين بصورة متبادلة لا يمكن أن تكون صادقتين في نفس الوقت، لا يرادف التمسك بنظرية التماسك عن الصدق. إن النظرية كما يقدمها «يواكيم»، عندما يناقش الصعوبات التي تسببها، هي، بوضوح، نظرية ميتافيزيقية، أى أنها جزء لا يتجزأ من المثالية المطلقة. ولذلك، فإن القضية هي ما إذا كانت كل النظريات الأخرى للصدق يمكن أن يُنظر إليها في النهاية على أنها سوف تعاني من انهيار كامل إذا ما فحصت فحصاً نقدياً، أو أنها تتضمن صحة المثالية المطلقة. وربما لا يُسلم أى شخص لا يكون مثالياً مطلقاً بأن هذه هي القضية. وليس قصد كاتب هذه السطور، بالفعل، أن يفترض أن التماسك ليس له علاقة بالصدق. فنحن في الواقع كثيراً ما نستخدم التماسك كاختبار، أعنى التماسك مع حقائق تم البرهنة عليها من قبل. ومن المشكوك فيه أن ذلك يتضمن اعتقاداً ميتافيزيقياً في طبيعة الحقيقة. لكن لا ينجم عن هذا بالضرورة أن ذلك اعتقاد ضمنى في المثالية المطلقة. وعلى أية حال، إذا كانت قضية ما صادقة، كما يقر «يواكيم» بصراحة، من حيث إنها متضمنة فقط كحظة في تجربة مطلقة تجاوز فهمنا، فمن الصعب جداً أن نرى كيف يمكن أن نعرف أن أية قضية تكون صادقة. ومع ذلك

(١) The Nature of Truth, P. 179.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«الهيكلية والشخصية» الذى أخضع فيه المثالية المطلقة لنقد صريح، وكان هذا موضع استغراب بالنسبة لقرائه إلى حد ما.

يسلم «برنجل - باتسون»، لأول وهلة، بأن الهيكلية تبدو أنها تُعظم الإنسان. لأن فلسفة هيجل، على الرغم من أن أقواله قد تكون غامضة، تفترض، بالتأكيد، أن الله أو المطلق يتوحد مع العملية التاريخية كلها، منظوراً إليها على أنها تطور بصورة جدلية نحو معرفة الذات فى، وبواسطة، الذهن البشرى «إن معرفة الفيلسوف بالله هى معرفة الله بنفسه»^(١). وهكذا، فإن الأساس مُعد لأن يقوم جناح اليسار الهيجلى بتحويل اللاهوت إلى أنثربولوجيا.

ومع ذلك، يبين التأمل أن الشخص الفردى فى الهيكلية ذو أهمية قليلة. لأن الموجودات البشرية تصبح «البؤر التى تُجمع فيها الحياة غير الشخصية للفكر نفسها مؤقتاً، لكى تأخذ مخزوناً من مضامينها الخاصة. لا تبدو هذه البؤر إلا مختلفة فى المسار الدائم لهذا التحقق»^(٢). وبمعنى آخر، الشخص البشرى هو ببساطة وسيلة يصل عن طريقها الفكر غير الشخصى إلى معرفة بذاته. ويكون واضحاً من وجهة نظر أى شخص يُعطى قيمة حقيقية للشخصية أن «إصرار هيجل على امتلاك عملية واحدة وذاتاً واحدة هو المصدر الأسمى للخطأ»^(٣). إن الخطأ الجذرى لكل من الهيكلية ذاتها ومشتقاتها البريطانية هو «توحيد الوعى البشرى والذات الإلهية، أو إذا تحدثنا بصورة أكثر إجمالاً، توحيد الوعى فى ذات واحدة»^(٤). وهذا التوحيد هـ، فى النهاية، منطم حقيقة كل من الله والإنسان.

(١) Hegelianism and Personality, p. 196 (2nd edition).

(٢) Ibid, p. 199.

(٣) Hegelianism and Personality, p. 203.

(٤) Ibid, p. 226.

لم ينظر برادلى وبوزانكيت، إن شئنا أن نتحدث بدقة، إلى المطلق على أنه «ذات». ولكنهما، بالتأكيد، دمجا كل التجارب المتناهية فى وحدة تجربة مطلقة واحدة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كلية، فإنها تفترض مقدماً ضرباً من السيكلولوجيا المنقرضة، وفقاً لها تبدأ التجربة بإحساسات غير مترابطة. والعلاقات هي، في واقع الأمر، كيانات معطاة مثل الأشياء المترابطة.

ومع ذلك، لا ينجم عن هذا أن الطبيعة توجد، كما يرى «المذهب الطبيعي» فيما بعد، بمعزل عن نسق كلي يجسد قيمة ما. فنحن لا نستطيع، على العكس، أن نرى في الطبيعة استمراراً لعملية ترتبط بظهور مستويات متميزة من الناحية الكيفية. فالإنسان يبدو بوصفه «العضو الذي عن طريقه يلاحظ الكون نفسه ويستمتع بنفسه»^(١). ويجب ألا نعرف من بين الكيفيات التي تظهر التي تصف الكون ما يُسمى بالكيفيات الثانوية فحسب، وإنما يجب أن نعرف أيضاً «جوانب الجمال والجليل التي نعرفها في الطبيعة، وتلك الاستبصارات الرائعة التي ننسبها إلى الشاعر والفنان»^(٢). ويجب أن تؤخذ القيم الأخلاقية أيضاً على أنها تصف الكون. ويجب أن ننظر إلى مسار الطبيعة بأسره، مع ظهور مستويات تختلف من الناحية الكيفية، على أنه تجليات تدريجية للمطلق أو الله.

لا يمكن الدفاع من الناحية الفلسفية، كما يرى برنجل-هاتسون عن فكرة الله من حيث إنه موجود «قبل» العالم، ومن حيث إنه خالقه من العدم. «إن فكرة الخلق تميل إلى أن تتحول إلى ذلك التجسد»^(٣)، ويرتبط اللامتناهي والمتناهي بعضهما ببعض في علاقة من التضمن المتبادل. فالبنسبة للإنسان «يوجد بوصفه عضواً من أعضاء الكون أو من أعضاء المطلق، أي الموجود الواحد»^(٤)، الذي يجب تصوره عن طريق تجليه الأكثر سموً، وبوصفه، بالتالي، حياة روحية واحدة، أو تجربة مطلقة.

Ibid, p. 211. (١)

Ibid, p. 212. (٢)

Ibid, p. 308. (٣)

Ibid, p. 259 (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

التاريخية. غير أن برنجل - باتسون يريد، بوضوح، أن يثبت أن الله تجربة شخصية مطلقة، قلما يمكن وصفها، ببساطة، بأنها معنى العالم وقيمته. وبمعنى آخر، يحاول أن يربط المثالية المطلقة بمبادئ مذهب التآليه. وتفترض النتيجة الغامضة أنه فعل ما هو أفضل لكى يبقى على المطلق، ويوحده بالعملية التاريخية منظوراً إليها على أنها تتحرك نحو ظهور قيم جديدة، أو أنه ينسلخ بوضوح عن المثالية المطلقة ويعتق مذهب التآليه. ومع ذلك، واضح على أية حال أنه حاول أن يحافظ على قيمة الشخصية المتناهية ويؤكد لها داخل الإطار العام للمثالية المطلقة.

٢- ويمكننا الآن أن ننتقل إلى فيلسوف من فلاسفة «كمبريدج» وهو «ماكتجارت إليس ماکتجارت» McTaggart Ellis Mac Taggart (١٨٦٦ - ١٩٢٥)، الذى لم تنشأ عنده، ولا يمكن أن تنشأ، مشكلة العلاقة بين الذات المتناهية والمطلق، من حيث إنه لا وجود عنده لمطلق بمعزل عن المجتمع، أو نسق من الذوات. إذ يختلف فى فلسفته المطلق كما يفهمه برادلى وبوزانكيت من المشهد.

أختير ماکتجارت زميلاً «فى كلية ترنتى» بجامعة كمبريدج، عام ١٨٩١. تظل هيجل، من وجهة نظره، فى طبيعة الحقيقة أكثر من أى فيلسوف آخر. وكرس نفسه لدراسة مطولة للهيكلية، التى أثمرت عن كتابه «دراسات فى الجدال الهيكلية» (١٨٩٦)؛ والطبعة الثانية عام ١٩٢٢، و«دراسات فى الكسمولوجيا الهيكلية» (١٩٠١)، والطبعة الثانية عام ١٩١٨، و«شرح على منطق هيجل» (١٩١٠). لكن لم يكن ماکتجارت، مطلقاً، تلميذاً فحسب لهيجل وشارحاً له: فقد كان مفكراً أصيلاً. وتظهر هذه الحقيقة بالفعل فى التعليقات والشروح، ولكنها تظهر أكثر فى المجلدين عن «طبيعة الوجود»^(١) اللذين يحتويان معاً على مذهبه فى الفلسفة.

(١) ظهر المجلد الأول عام ١٩٢١، أما المجلد الثانى، الذى حرره «برود» C.D.Broad، فقد نُشر غُفلاً عام ١٩٢٧. وقد قدم ماکتجارت نفسه ملخصاً للمذهب فى مساهمته للمجلد الأول من «الفلسفة البريطانية المعاصرة»، الذى حرره مويرهيد (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ومن ثم ففى استطاعتنا أن نسلّم بأن شيئاً ما موجود. ولكن لا يمكن أن يكون هذا الشيء هو الوجود نفسه^(١). لأننا إذا قلنا إن ما يوجد هو الوجود، فإننا ندور فى حلقة مفرغة. إن ما يوجد لابد أن يمتلك كيفاً إلى جانب الوجود. ويمكن أن نسمى الكيف المركب الذى يتكون من كل كيفيات شيء ما، طبيعة الشيء. غير أننا لا نستطيع أن نحلل شيئاً دون باقى إلى كيفياته. «سيكون على رأس السلسلة شيء موجود له كيفيات دون أن يكون هو نفسه كيفاً. والاسم العادى لذلك، وأعتقد أفضل اسم، هو الجوهر»^(٢). وقد يعترض على أن الجوهر بمعزل عن كيفياته هو عدم لا يمكن تصوره، لكن لا يترتب على ذلك أن الجوهر «ليس أى شيء يقترب بكيفياته»^(٣).

ولذلك، إذا كان هناك أى شيء موجود، وعرفنا من التجربة أنه موجود، فلا بد أن يكون على الأقل جوهرًا واحدًا. غير أننا قبلنا المقدمة التجريبية الخاصة بمذهب التعدد والكثرة، أى بمذهب تمايز الوجود كله. ولذلك ينتج أنه لابد أن تكون هناك علاقات^(٤). لأنه إذا كانت هناك كثرة من جواهر، فإنها لابد أن تتشابه ولا تتشابه؛ تتشابه فى كونها جواهر، ولا تتشابه فى كونها متميزة^(٥). والتشابه وعدم التشابه علاقتان.

(١) يتضح أن مآكثجارت، الذى يفسر الوجود بأنه كيف لا يمكن تعريفه، لم يستطع أن يقبل الأطروحة التومايية التى تقول إن الحقيقة النهائية هى بدقة «الوجود هو الجواهر» (المؤلف).

(٢) The Nature of Existence, 65.

(٣) Ibid, 68.

(٤) لا يمكن تعريف لفظ «علاقة» بالنسبة لمآكثجارت، مع أننا نستطيع أن نوضح الاختلاف فى المعنى بين كلمات مثل: «علاقة»، و«كيف». إذ لا يقال، مثلاً، إن الكيفيات توجد «بين» حدود فى حين أن العلاقات توجد بين حدود (المؤلف).

(٥) إذا كان لجوهرين نفس الطبيعة بصورة دقيقة، كما يرى مآكثجارت، متبعاً فى ذلك لبينتس، فإنه لا يمكن تمييزهما، ويكونان، بالتالى، جوهرًا واحدًا، ونفس الجوهر (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إنه وحدة عضوية يرتبط فيها «كل ما يوجد: أعنى الجواهر والخصائص، معاً في نسق واحد محدد من الخارج»^(١). ويبدو أن هناك في الوقت نفسه اعتراضاً أساسياً ضد التسليم بهذه الفكرة الخاصة بجوهر شامل كل الشمول. فمن جهة، يسلم ماكتجارت بأن وصفاً كافياً لأي جوهر لابد أن يكون ممكناً من حيث المبدأ. ومن جهة أخرى، أن وصفاً كافياً للكون ممكن. لأن وصفاً كافياً يجب أن يشير، كما يبدو، إلى الأجزاء، وأيضاً إلى علاقاتها بعضها ببعض وإلى الكل. لكن كيف يكون ذلك ممكناً إذا لم يكن الجوهر بسيطاً وينقسم، بالتالي، إلى ما لا نهاية؟^(٢).

إن تفصيلات حل ماكتجارت لهذه الصعوبة معقدة للغاية حتى إننا لا نستطيع أن نناقشها هنا. إن مبدأه العام، كما يقرره في تلخيصه لهذه، هو تجنب التناقض بين الأطروحة التي تقول إن وصفاً كافياً لأي جوهر ممكن. والأطروحة التي تقول إنه ليس هناك جوهر بسيط «لابد أن يكون هناك وصف ما لأي جوهر، (أ) مثلاً، يتضمن أوصافاً كافية لأعضاء كل مجموعات من الأجزاء التي تعقب مجموعات معينة من الأجزاء»^(٣). وإذا أخذت هذه العبارة بذاتها فإنها لا توصل، بالفعل، الكثير. غير أن طريقة ماكتجارت في التفكير هي هكذا. إن وصفاً كافياً لجوهر أمر ممكن من حيث المبدأ، إذا تحققت شروط معينة. انظر إلى الجواهر الشامل كل الشمول، أي الكون. إنه يتكون من كل واحد أو من كليات أولية كثيرة، التي تتكون بدورها من أجزاء أولية. هذه الأجزاء تستطيع أن تتمايز عن طريق كفيات متميزة، مثلاً. ووصف كاف للكون ممكن

Ibid, 137. (١)

إذا كان للجوهر (س)، مثلاً، كفيات مثل أ، ب، ج، فإن التغير في كيف ما ينتج تغيراً في الطبيعة (التي تتكون من الكيفيات)، ويحدث كذلك تغيراً في الجوهر الذي يتجلى في الطبيعة. ويقال، بالتالي، إن الكيفيات ترتبط بعضها ببعض في علاقة تحديد خارجي أو عرضي (المؤلف).

(٢) طالما أنه لا يوجد جوهر بسيط بصورة مطلقة، فإن الصعوبة تظهر فيما يتعلق بكل جوهر (المؤلف).

Contemporary British Philosophy, First series, p. 256. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

هناك كونه. ولا يخبرنا أى الكيانات التجريبية، إذا كانت، تكون أعضاء من المجموعة الشاملة كل الشمول التى تُسمى بالكون. إن مآكتجارت يطبق فى الجزء الثانى من النسق فقط نتائج الجزء الأول، متسائلاً، مثلاً، عما إذا كانت خصائص الجوهر التى تُحدد قبلياً يمكن أن تنتمى إلى تلك الأنواع من الأشياء التى تبدو لأول وهلة أنها جواهر، أو، بالأحرى، عما إذا كانت الخصائص التى يلتقى بها فى التجربة، أو تفترضها التجربة تنتمى، بالفعل، إلى الموجود.

ومع ذلك، يصر مآكتجارت فى هذا الميدان من البحث على أننا لا نستطيع أن نحصل على يقين مطلق. ربما نستطيع أن نبين، بالفعل، أن خصائص معينة تقدمها التجربة أو تفترضها لا يمكن أن تنتمى إلى الموجود، وأنها لا بد أن تُنسب، من ثم، إلى مجال الظاهر. غير أننا لا نستطيع أن نبين بيقين مطلق أن الخصائص التى تفترضها التجربة لا بد أن تنتمى إلى الموجود. لأنه قد تكون هناك خصائص لم نخبرها مطلقاً أو نتخيلها ترضى تماماً أو بصورة أفضل المتطلبات القبلية للجزء الأول من النسق. ومع ذلك، إذا كان فى الإمكان بيان أن الخصائص التى تفترضها التجربة ترضى، بالفعل هذه المتطلبات القبلية، وأنه لا يمكن لمتطلبات أخرى نعرفها أو يمكن أن نتخيلها أن تفعل ذلك، فإنه يكون لدينا يقين معقول، مع إنه ليس مطلقاً، وبمعنى آخر، لا ينسب مآكتجارت يقيناً مطلقاً إلا إلى نتائج البرهان القبلى.

إن الكون يبدو، لأول وهلة، أنه يحتوى على جواهر من نوعين مختلفين أتم الاختلاف - هما المادة والروح^(١). غير أن مآكتجارت يرفض التسليم بحقيقة المادة، على أساس أنه لا شىء مما يمتلك كيفاً هو المادة، يمكن أن يمتلك بين أجزائه علاقة التناظر المحدد التى يجب أن توجد بين الأجزاء الثانوية لجوهر ما. دعنا نفترض، من أجل الحجة، أن شيئاً مادياً معيناً يمتلك جزأين أوليين: جزءاً منهما يمكن أن يوصف

The Nature of Existence, 352. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أخرى^(١)، وأن إدراكاً يكون جزءاً من ذات مُدركة، وأن إدراكاً لجزء من كل يمكن أن يكون جزءاً من إدراك هذا الكل. غير أنه لا يمكن بيان أن تحقيق هذه الشروط مستحيل؛ وهناك أسباب للاعتقاد بأنها تتحقق بالفعل. ولذلك نستطيع أن نسلّم بأن المطلق هو النسق أو هو مجتمع الذوات.

هل الذوات خالدة؟ تتوقف الإجابة عن هذا السؤال على وجهة النظر التي نقبلها. فمن جهة، ينكر ماكتجارت حقيقة الزمان، على أساس أن تأكيداً لحقيقة السلسلة الزمنية للماضي، والحاضر، والمستقبل، يجبرنا على أن ننسب تحديدات غير متطابقة بالتبادل لأي حدث معين^(٢). ولذلك إذا قبلنا وجهة النظر هذه، فإننا نصف الذوات بأنها مستمرة أو أزلية بدلاً من أن نصفها بأنها خالدة، وهو لفظ يتضمن استمراراً زمنياً لا ينتهي. ومن جهة أخرى، ينتمي الزمان، بالتأكيد، إلى مجال الظاهر. وستبدو الذات أنها تبقى وتستمر خلال كل الزمان المستقبلي. «ونتيجة لذلك، فإنني أعتقد أنه قد يكون ملائماً أن نقول إن الذات خالدة»^(٣)، على الرغم من أنه يجب أن يفهم الخلود بأنه، بالتالي، يتضمن الوجود من قبل، أي قبل اتحاده بالجسم.

يشير البروفيسور «برود» C.D. Broad^(٤) إلى أنه لا يعتقد أن ماكتجارت لم يكن له تلميذ واحد، على الرغم من أنه مارس تأثيراً ملحوظاً على تلاميذه عن طريق دقته المنطقية، وأمانته العقلية، واهتمامه الشديد بالوضوح. وليس ما يدعو إلى الدهشة، بالفعل، إذا كان ماكتجارت قد أخفق في أن يكون له تلميذ. لأنه بغض النظر عن الواقعة التي تقول إنه لم يفسر، أكثر مما فعل برادلي، كيف ينشأ مجال الظاهر في

The Nature of Existence, 408. (١)

cf. the Nature of Existence, 332, and McTaggart's article on the Unreality of Time (٢) in Mind, 1908.

The Nature of Existence, 503. (٢)

In British Philosophy in the Mid-century, edited by C.A. Mace, p. 45. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فى عام ١٨٨٦ ساهم «وورد» فى «الموسوعة البريطانية» بمقال شهير عن علم النفس، أمدّه فيما بعد بالأساس لكتابه «المبادئ السيكولوجية» (١٩١٨)، وهو عمل يبين بوضوح تأثير الفلاسفة الألمان مثل «لوثره» و«فنت» و«برنتانو» Brentano. عارض «وورد» بشدة سيكولوجيا التداعى. ففى رأيه يتكون مضمون الوعى من «تمثلات»، غير أن هذه التمثلات تكوّن كمّاً متصلاً. فهى ليست أحداثاً قائمة بذاتها ومنعزلة، أو انطباعات، يمكن أن ينقسم إليها الكم المتصل المقدم. ويتضح أن عرضاً جديداً يقدم مادة جديدة؛ غير أنه لا يكوّن، ببساطة، موضوعاً إضافياً فى سلسلة؛ لأنه يعدّل أو يغير بصورة جزئية مجال الوعى الموجود من قبل. وفضلاً عن ذلك، كل عرض هو عرض لذات، أى أنه تجربة للذات. وفكرة «النفس» ليست عند «وورد» تصوراً لعلم النفس، غير أننا لا نستطيع أن نستغنى عن فكرة الذات. لأن الوعى يتضمن انتباهاً انتقائياً إلى هذه الخاصية أو تلك، أو هذا الجانب أو ذاك من الكم المتصل المقدم؛ وهذا نشاط للذات تحت تأثير مشاعر اللذة والألم. ومع ذلك، من الخطأ أن ننظر إلى ذات الوعى على أنها فقط ملاحظ، أى على أنها ذات عارفة خالصة. لأن الجانب المعرفى من التجربة أساسى، والنشاط الانتقائى الذى أشرنا إليه غائى فى الطابع، أى أن الذات النشطة تنتقى وتلتفت إلى معطيات مقدمة من أجل غاية أو غرض^(١).

يهاجم «وورد» فى السلسلة الأولى من «مصاصرات جيفورد»، التى نُشرت عام ١٨٩٩ تحت عنوان «المذهب الطبيعى والمذهب اللاأدرى»، ما يسميه بوجهة النظر الطبيعية عن العالم. ولا بد أن نميز بين علم طبيعى، من جهة، ومذهب طبيعى فلسفى، من جهة أخرى. فالليكانىكا، مثلاً، التى تعالج، ببساطة، «الجوانب الكمية من الظواهر الطبيعية»^(٢)، يجب ألا تختلط بالنظرية الميكانيكية عن الطبيعة، «التي تطمح إلى تحليل

(١) هذا المنظور إلى علم النفس هو، فى رأى كاتب هذه السطور، أسمى كثيراً من منظور أنصار نظرية التداعى (المؤلف).

(٢) Natuiralism and Agnosticism, 1, p. viii.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

قد يبدو لبعض القراء أنه غريب أن يعتقد أستاذ من كمبرج حديث العهد إلى حد ما نظرية عن شمول النفس. غير أن «وورد» لم يقصد أن يشير، أكثر مما فعل ليبنتس^(١)، إلى أن كل كيان أو «موناد» يتمتع بما نسميه بالوعي. فالفكرة هي، بالأحرى، أنه لا وجود لشيء كهذا بوصفه مادة «غليظة جافة»، ولكن كل مركز نشاط يمتلك درجة ما، غالباً ما تكون درجة أدنى للغاية، من «العقلانية». وفضلاً عن ذلك، يزعم «وورد» أن مذهب الكثرة الروحية ليس نظرية يمكن أن تستنبط قليلاً، وإنما يقوم على التجربة^(٢). فالعالم لم يؤخذ ببساطة كما نجده، أى من حيث إنه كثرة من أفراد نشطين، لا يتحدثون إلا في تفاعلاتهم المتبادلة وعن طريقها. كما أن هذه التفاعلات تُفسر عن طريق المماثلة بالمعاملات الاجتماعية، أى بوصفها تجارة متبادلة، أعنى من حيث إنها تقوم على المعرفة وبذل الجهد^(٣).

وبالتالى يسلم «وورد» بأنه يمكن الوقوف على هذه الفكرة عن كثرة مراكز متناهية ونشطة للتجربة. لأن كائنات كشف عن المغالطات في البراهين النظرية المزعومة على وجود الله. وقدم مذهب التأليه في الوقت نفسه وحدة لا توجد في مذهب الكثرة بدون

(١) يشبه مذهب الكثرة عند «وورد» مونادولوجيا ليبنتس، سوى أن المونادات عند «وورد» ليست «لا توافق لها»، ولكنها تؤثر بعضها على بعض (المؤلف).

(٢) العبارات القبلية الوحيدة التي تجاوز الاعتراض هي، بالنسبة لـ «وورد» «عبارات صورية خالصة» (The Realm of Ends p. 227)، وهي عبارات المنطق والرياضيات. لا تقدم هذه العبارات معلومات فعلية عن العالم. ومع ذلك، إذ ادعى فيلسوف أن يستنبط طبيعة الحقيقة من لوحة مقولات، ووجدنا أنها تنطبق على العالم، فإننا سنجد أيضاً أنها مأخوذة من التجربة في المقام الأول (المؤلف).

(٣) The Realm of Ends, p. 225.

واضح أنه كلما أُعد لظهور مذهب شمول النفس المدهش بصورة أقل، فإنه يكون أكثر عرضة للنقد حتى إنه لا تقدم معلومات جديدة، ولكنه يمكن، ببساطة، في تفسير مسار الأشياء الذي يمكن ملاحظته تجريبياً وفق مماثلات معينة منتقاة. وبالتالي يبدو التساؤل عما إذا كان صحيحاً أم لا بوصفه تساؤلاً عما إذا كان وصف معين مناسباً، وليس عما إذا كان سلوك معين يحدث أم لا (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الشخصية تميل إلى مذهب الكثرة والتعدد وليس إلى مذهب الواحدة. وتصور متكثّر للكون يهيمن بوضوح في فلسفتي ماكتجارت، و«وورد». أما عند برنجل - باتسون فيضبطه الإبقاء على فكرة المطلق من حيث إنها تجربة واحدة شاملة كل الشمول. كما أن القيمة التي يسند لها للشخصية المتناهية تدفعه إلى محاولة تفسير مذهب الواحد على نحو لا يتضمن انغماس أو طمس الكثير في الواحد.

إن النتيجة الطبيعية في ميثافيزيقا التحول من مذهب الواحدة إلى مذهب التعدد والكثرة على هدى الاقتناع بقيمة الشخصية هي تأكيد أحد أشكال مذهب التآليه. ففي حالة ماكتجارت الاستثنائية يُفسر المطلق، بالفعل، بوصفه مجتمع أو نسق الذوات الروحية المتناهية. وعند برنجل - باتسون يضبط التأثير الذي لايزال يمارسه تراث المثالية المطلقة على فكرة التحول إلى مذهب التآليه الصريح. غير أن الحركة الداخلية، إن جاز التعبير، للمثالية الشخصية هي نحو تفسير الحقيقة النهائية بأنها شخصية في طابعها وهي من نوع يقر بالحقيقة المستقلة لأشخاص متناهين. لا بد أن يتحول مفهوم الله وفقاً لما يراه الفلاسفة المثاليون المطلقون إلى مفهوم المطلق. ويميل مفهوم المطلق في المثالية الشخصية إلى أن يتحول، كما رأينا، إلى مفهوم الله من جديد. صحيح أن ماكتجارت ينظر إلى فكرته عن مجتمع أو نسق الذوات على أنه التفسير المناسب للمطلق الهيجلي. لكننا نجد تحولاً واضحاً إلى مذهب التآليه عند «جيمس وورد». ولا داعي للدهشة أنه يؤكد بوضوح تشابهاً مع كانط وليس مع هيجل.

إن مسألة إلى أي مدى نمد تطبيق لفظ «مثالية مطلقة» هي، بداخل حدود، مسألة اختيار. لننظر، مثلاً، إلى «وليم ريتشي سورلي» W. R. Sorley (١٨٥٥-١٩٣٥)، الذي شغل كرسي الفلسفة الخلقية في جامعة كامبردج من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٣٢. لقد اهتم، أساساً، بمشكلات ترتبط بطبيعة القيم وحكم القيمة، ومن الأفضل أن نلقبه بفيلسوف القيمة. غير أنه بحث أيضاً في نوع النظرية الفلسفية العامة التي يجب أن نعتقها عندما نضع القيم بجدية في الاعتبار من حيث إنها عناصر

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تقول إن العلوم المختلفة تتطلب مقولات مختلفة لكي تضطلع على مستويات مختلفة من التجربة، أو جوانب الحقيقة، ولكي تنظر إلى الميتافيزيقا على أنها مشروعة، وتوسيع ضرورى لميدان التفسير بدلاً من أن تنظر إليها على أنها الطريق الفريد إلى معرفة الحقيقة التى تُمنع منها العلوم التجريبية بالضرورة، تلك العلوم التى تكون محصورة فى مجال الظاهر. وقد لا تنطبق هذه الملاحظة على ماكتجارت. غير أنه من نوع خاص Sui Genris بالفعل. إن الموقف العام للفلاسفة المثاليين الشخصيين هو إثبات أن التجربة والمنظور التجريبي للفلسفة يدعمان مذهب الكثرة والتعدد بدلاً من نوع المذهب الواحدى الذى يميز المثالية المطلقة، وإذا وضعنا فى الاعتبار الأنواع المختلفة من العلوم^(١)، فإننا نستطيع أن نرى أن الفلسفة الميتافيزيقية ليست نقيضة للعلم، بل هى تتويج طبيعى لذلك التفسير للحقيقة الذى يجب على العلوم أن تقوم بأدوارها الخاصة فيه.

ونقطة أخيرة. وهى إذا استثنينا مذهب ماكتجارت، فإن المثالية الشخصية مقدر لها عن طريق طبيعتها الخالصة أن تستعين بفلاسفة ذوى عقول متدينة؛ أى أن تستعين بنوع الفلاسفة الذين يُعتبرون أشخاصاً ملائمين لأن يلقوا دعوات لإلقاء سلسلة من محاضرات جيفورد. وما كتبه المثاليون الشخصيون هو، بوجه عام، تهذيب دينى. وقد كان أسلوب الفلسفة عندهم، بوضوح، أقل هدماً للإيمان المسيحى من المثالية المطلقة عند برادلى^(٢). ولكن على الرغم من أن الفلسفات المتنوعة التى يمكن النظر إليها

(١) عندما كتب وورد كما لو كان العلم لا يزودنا بمعرفة ما هو حقيقى بصورة عينية، فإنه كان يتصور أساساً الميكانيكا التى ينظر إليها على أنها فرع من الرياضيات. ولقد كان فى هذه الحالة، كما أشرنا من قبل، عالم نفس (المؤلف).

(٢) لا أقصد الإشارة إلى أن برادلى يوصف بصورة صحيحة بأنه مفكر غير متدين. وفى الوقت نفسه فإن مفهوم الله ينتمى عنده إلى مجال الظاهر، ومن الخلف أن نزع أنه مفكر مسيحى. فهو لم يكن كذلك (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أصبح «بطرس راموس»، الفيلسوف الإنساني الفرنسي والمنطقي الشهير، من أتباع «كالفن» عام ١٥٦١، قدّم نظرية عن استقلال كل كنيسة عن الأخرى، وقد أودى به، في النهاية، في مذبحه عشية عيد ميلاد القديس «بارثولوموي». ولذلك كانت لديه مؤهلات خاصة لأن ينظر إليه أنصار نظرية استقلال الكنائس على أنه راع عقلي لإنجلترا الجديدة^(١). ونشر «ألستد»، وهو من أتباع «ميلانكتون» Melancthon^(٢)، وتلميذ «بطرس راموس»، موسوعة عن الآداب والعلوم عام ١٦٣٠. احتوى هذا العمل، الذي اصطبغ بصبغة أفلاطونية، على قسم خُصص لما أسماه «ألستد» بالآركيولوجيا، أي نسق مبادئ المعرفة والوجود. وأصبح نصّاً شائعاً في إنجلترا الجديدة.

تم بيان الانتماءات الدينية في الحقبة الأولى من الفلسفة الأمريكية عن طريق واقعة تقول إن الفلاسفة الأوائل كانوا قساوسة. و«صمويل جونسون» (١٦٩٦ - ١٧٧٢) S. Johnson هو مثال على ذلك. دخل في البداية الكنيسة الإنجيلية عام ١٧٧٢ بوصفه قسيساً من دعاة استقلال كل كنيسة عن الأخرى، وتلقى بالتالي تعاليم إنجيلية. ونُصّب عام ١٧٥٤ الرئيس الأول لكلية الملك، بنيويورك، التي هي الآن جامعة «كوليبيا».

يشير «جونسون» في سيرة حياته إلى أنه عندما كان يدرس في جامعة «ييل» كان مستوى التعليم متدنياً. فقد أظهر، بالفعل، انحطاطاً مقارنة بمستويات المقيمين الأصليين الذين نشأوا في إنجلترا. حقاً، لم يكن اسم «ديكارت»، و«بويل» و«لوك» و«نيوتن» معروفاً، وفتح إدخال كتابات لوك، ونيوتن، بالتدريج، خطوطاً جديدة للتفكير. غير أنه كان هناك ميل قوي لجعل التعليم العلماني مساوياً لبعض أعمال «راموس» و«ألستد»، والنظر إلى التيارات الفلسفية الجديدة على أنها خطر على نقاد الإيمان

(١) اسم عام يطلق على مجموعة الولايات الواقعة في الشمال الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية. (المراجع)

(٢) فيليب ميلانكتون (١٤٩٧ - ١٥٦٠) لاهوتي ألماني تعاون مع مارتن لوتر في حركة الإصلاح الديني. (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كالفن، شغل معظم حياته في وظائف كنسية، فإنه حاول أن يقوم بعمل مركب من لاهوت كالفن والفلسفة الجديدة. أو بتعبير آخر، استخدم أفكاراً مأخوذة من الفلسفة المعاصرة في تفسير لاهوت كالفن. وأصبح في عام ١٧٥٧ رئيساً لكلية برنستون، بولاية نيوجيرسي، التي هي الآن جامعة برنستون، غير أنه توفي إثر إصابته بمرض الجذري في عام ١٧٥٨.

ينظر «إدواردز» إلى الكون على أنه لا يوجد إلا داخل العقل الإلهي أو الروح. أما المكان، الضروري، واللامتناهي، والأزلي، فهي، في الواقع، صفات لله. وفضلاً عن ذلك، فإن الأرواح فقط هي التي تكون، إذا تحدثنا بصورة صحيحة، جواهر. فليست هناك جواهر مادية شبه مستقلة تمارس نشاطاً علياً حقيقياً. صحيح أن الطبيعة توجد بوصفها ظاهراً، ومن وجهة نظر العالم، الذي يهتم بالظواهر أو بالمظاهر، هناك أطراد في الطبيعة، أعنى نظاماً ثابتاً. إن العالم من حيث هو كذلك يستطيع أن يتحدث، بصورة مشروعة، عن قوانين طبيعية. لكننا نستطيع من وجهة نظر فلسفية أعمق أن لا نسلّم إلا بفاعلية عليّة حقيقية واحدة، أعنى فاعلية الله. وليس الحفظ الإلهي لأشياء متناهية هو خلق متكرر باستمرار فقط، ولكن من الصواب أيضاً أن أطراد الطبيعة هو، من وجهة النظر الفلسفية، تكوين جزافي، كما يرى إدواردز، للإرادة الإلهية. ليس هناك، بالفعل، شيء هكذا في الطبيعة بوصفه علاقة ضرورية، أو بوصفه عليّة فاعلة؛ فكل صنوف الارتباط تتوقف، في النهاية، بوصفها أمراً *Fiat* تعسفياً لله.

يجب ألا تؤخذ الواقعة التي تقول إن «إدواردز» يرفض، مع باركلي، وجود الجوهر المادي، ولكنه يسلّم بوجود الجواهر الروحية - على أنها تعنى أن المشيئة (الإرادة) البشرية تكون من وجهة نظره استثناء للحقيقة العامة التي تقول إن الله هو العلّة الحقيقية الوحيدة. فنحن نستطيع، من وجهة نظر ما، أن نقول، بالتأكيد، إنه يقدم تحليلاً تجريبياً للعلاقات، بصفة خاصة للعلاقة العلّية. غير أن تحليله يرتبط بفكرة «كالفن» عن القدرة الإلهية، أو العلّية، على إنتاج مثالية ميتافيزيقية يظهر فيها الله بوصفه العلّة الحقيقية الوحيدة. يرفض «إدواردز»، بوضوح، في عمله عن «حرية

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عن هذا الإحساس أو الشعور، فكذلك الإحساس بالامتياز الإلهي تفترضه مسبقاً أحكامنا «الدماعية» عن الله. ربما يكون لفظ «كما أن» عرضة للنقد. لأن إحساس الله هو، عند إدواردز، موافقة وجودنا للوجود الإلهي، وذو أصل مفارق للطبيعة. غير أن المسألة هي أن الإنسان يستطيع أن يعي الله عن طريق صورة من التجربة تماثل التجربة الحسية وتماثل السعادة التي يشعر بها في ملاحظة موضوع جميل، أو تعبير عن امتياز أخلاقي.

وربما نستطيع أن نرى في هذه النظرية تأثير المذهب التجريبي عند لوك. ولا أعنى الإشارة، بالتأكيد، إلى أن لوك نفسه أقام الإيمان بالله على الشعور أو على الحدس. إذ إن منظوره بالنسبة لهذه المسألة هو منظور عقلي؛ وعدم ثقته «بمذهب التعصب» أمر شهير ومعروف. بيد أن إصراره العام على أولوية التجربة الحسية ربما يكون أحد العوامل التي أثرت في فكر «إدواردز» على الرغم من أن تأثير فكرة هاتشيسون عن الإحساس بالجمال الأخلاقي أو الامتياز أكثر وضوحاً بالتأكيد.

لم يعيش إدواردز طويلاً بدرجة تمكنه من تنفيذ مشروعه الخاص بكتابة لاهوت كامل، متطور نسقياً وفق منهج جديد. لكنه كان مؤثراً إلى حد كبير بوصفه لاهوتياً؛ وقد كوَّنت محاولته في أن يوفق بين لاهوت كالفرن، والمثالية، ونزعة لوك التجريبية، ورؤية نيوتن للعالم، التعبير الأول الأساسي عن الفكر الأمريكي.

٢- إذا كان القرن الثامن عشر في أوروبا يسمى عصر التنوير. فإن أمريكا لديها ما يُسمى، عادة، بعصر تنويرها. ولا يمكن، بالفعل، أن نقارنه، في مجال الفلسفة، بنديها في إنجلترا وفرنسا. لكنه على الرغم من ذلك ذو أهمية في تاريخ الحياة الأمريكية.

الخاصية الأولى التي يمكن أن نلاحظها هي محاولة فصل الفضائل الأخلاقية البيورتانية عن وضعها اللاهوتي؛ وهي محاولة تمثلها تماماً تأملات «بنيامين فرانكلين» B. Franklin (١٧٠٦ - ١٧٩٠). كان معجباً بـ«وليم ولاستون» - المؤله الطبيعي الإنجليزي - ولم يكن، بالتأكيد، الشخص الذي اقتفى أثر «صمويل جونسون»

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الميل العام لأنصار «كالفن» هو أن يضمّنوا، عندما يكون ذلك ممكناً، التحكم واسع الانتشار في المجتمع، من حيث المبدأ، فإنهم عرفوا تمييزاً بين مجموعة المؤمنين الحقيقيين والمجتمع السياسي. وفضلاً عن ذلك، فقد أخذ مذهب «كالفن» في إنجلترا الجديدة صورة الدعوة إلى استقلال الكنائس عن بعضها. وعلى الرغم من أنه حالما يُنصب القسيس، ويمارس سلطة عظيمة، من الناحية العملية، فإن التجمعات كانت، ببساطة من الناحية النظرية، اتحادات اختيارية من مؤمنين متشابهين في الرأي. ولذلك، عندما تجردت هذه الفكرة عن المجتمع من جمعياته اللاهوتية والدينية، فإنها جعلت نفسها مناسبة لمنفعة في مصلحة المذهب الجمهوري الديمقراطي. وقد كانت نظرية لوك عن العقد أو العهد ميسورة لأن تخدم كأداة.

ومع ذلك لم تكن عملية علمنة نظرية المجتمع الديني المرتبطة بمذهب الداعين إلى استقلال الكنائس في إنجلترا الجديدة سوى عامل واحد في موقف معقد. وثمة عامل آخر وهو التطور في العالم الجديد لمجتمعات رائدة لم ترتبط، أساساً، إن لم ترتبط مطلقاً، بمجموعات وحركات دينية خاصة. وكان على المجتمعات المتاخمة^(١) أن تجعل فكرتي القانون والتنظيم الاجتماعي اللتين حملتهما معها ملائمة للمواقف التي وجدت نفسها فيها. وقد كانت رغبتهم الأساسية، بوضوح، هي ضمان شروط للنظام، بقدر المستطاع، عساها أن تمنع الطغيان، وتساعد الأفراد على أن يسعوا نحو غاياتهم المتعددة في سلام نسبي. ولاداعي للقول إن أعضاء المجتمعات المتاخمة لم يهتموا كثيراً بالفلسفة السياسية، أو بالفلسفة من أي نوع. وقد مثلوا في الوقت نفسه مجتمعاً نامياً يتضمن بصورة ضمنية نظرية لوك عن الاتحاد الحر لموجودات بشرية تنظم نفسها وتخضع لقانون من أجل حماية البناء الاجتماعي والنظام الذي يسمح بالممارسة السلمية للمبادأة الفردية، مع إنها تنافسية، وفضلاً عن ذلك، أثر نمو هذه المجتمعات،

(١) ربما لاحظنا أن بنيامين فرانكلين يشدد على الفضائل والقيم التي برهنت على أنها ذات فائدة في المجتمعات المتاخمة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عنهم هي مسألة من مسائل الحس المشترك. أعنى أن الحس المشترك يرى أنها يجب أن تكون صادقة، دون حاجة إلى برهان، على الرغم من أنه حالما نقر بأنها صادقة، فإننا نستطيع أن نستمد منها نتائج أخلاقية واجتماعية. ويوضح القسم الفلسفى من الإعلان فى الوقت نفسه، بإعجاب، روح التنوير الأمريكى وثماره. وليس هناك شك، بالتأكيد، فى أهميته التاريخية.

٢- من الواضح أن رجالاً مثل «فرانكلين» و«جيفرسون» لم يكونوا فلاسفة محترفين. غير أن الفلسفة الأكاديمية أصابها تطور ملحوظ فى الولايات المتحدة إبان القرن التاسع عشر. ومن بين المؤثرات التى أسهمت فى هذا التطور فكر «توماس ريد» وأتباعه من أعضاء المدرسة الاسكتلندية. ففى النواحي الدينية نُظر إلى التراث الفلسفى الاسكتلندى باستحسان بوصفه واقعياً فى طابعه، وعلاجاً شافياً مطلوباً من المذهب المادى والمذهب الوضعى. ولذلك أصبح شائعاً مع أولئك المؤلهة البروتستانت الذين كانوا على وعى بنقص الأساس العقلى الكافى للإيمان المسيحى.

ومن الممثلين الأساسيين لهذا التراث «جيمس ماكوش» J. McCosh (١٨١١ - ١٨٩٤)، وهو مشيخى اسكتلندى، شغل كرسى المنطق والميتافيزيقا لمدة ستة عشر عاماً فى كلية الملكة، بيلفاست Belfast، ثم قبل عام ١٨٦٨ رئاسة جامعة برنستون، وجعلها معقلاً للفلسفة الاسكتلندية. ولقد نشر دراسة شهيرة وهى «الفلسفة الاسكتلندية» عام ١٨٧٥، إلى جانب كتابة عدد من الأعمال الفلسفية الأخرى، مثل «دراسة لفلسفة جون ستيوارت مل» (١٨٦٦)، و«الفلسفة الواقعية» (١٨٨٧).

ومن بين آثار رواج التراث الاسكتلندى وانتشاره فى أمريكا العادة المنتشرة والخاصة بتقسيم الفلسفة إلى ذهنية وأخلاقية، ثم النظر إلى القسم الأول؛ أعنى علم الذهن البشرى، أو علم النفس، على أنه يقدم الأساس للقسم الثانى، هذا الأساس هو الأخلاق. وقد انعكس هذا التقسيم فى عناوين النصوص المستخدمة كثيراً التى نشرها «نوح بورتر» (١٨١١ - ١٨٩٢) Noah Porter، الذى رُشح لكرسى فلسفة الأخلاق والميتافيزيقا فى جامعة «ييل»، حيث كان أيضاً رئيساً لبضعة سنوات، فقد نشر، مثلاً،

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بوصفه إنجيلياً ورعاً، إلى استخدامه في تركيب لاهوتى، وانتهى إلى نتيجة تقول إن التجربة الدينية أو الروحية تسبق المعرفة الدينية وتكون أساساً لها^(١). ومع ذلك، فإنه يعنى بالتجربة الدينية أو الروحية، أساساً، الوعي الأخلاقي بالخير والإلزام؛ وعى يتجلى فى قدرة الله على رفع الإنسان إلى حياة جديدة. وفضلاً عن ذلك، تصبح الحضارة المادية عند «هنرى» ثمار «الفهم»، فى حين أن المسيحية، منظوراً إليها من الناحية التاريخية من حيث إنها العمل الفدائى والمقنذ لله، التى تهدف إلى إيجاد مثل أعلى للمجتمع، هى استجابة لاحتياجات «الذهن» أو «الروح».

٤- وفى نفس الوقت الذى كانت تتغلغل فيه الفلسفة الاسكتلندية فى بواشر الجامعة، كان الكاتب الأمريكى الشهير «رالف والدو إمرسون» R. W. Emerson (١٨٠٣ - ١٨٨٢) يبشر بإنجيله الخاص بمذهب العلو. أصبح قسيساً من أصحاب مذهب التوحيد عام ١٨٢٩. لكن الرجل الذى وجد إلهاماً عند «كوليريج» و«كارليل»، والذى شدد على تطوير الذات الأخلاقية، ومال إلى تجريد الدين من مؤسساته التاريخية، والذى اهتم بتقديم تعبير عن رؤيته الشخصية عن العالم أكثر من الاهتمام بنقل رسالة تقليدية، لم يكن يصلح، بالفعل، لوظيفة القسيس. فتخلى عنها عام ١٨٣٢، ووهب نفسه لمهمة تطوير وتقديم فلسفة مثالية تستطيع، كما كان واثقاً، أن تجدد العالم بطريقة لا يستطيع بها المذهب المادى ولا الدين التقليدى أن يجدره.

نشر «إمرسون» غُفلاً فى عام ١٨٣٦ عملاً صغيراً أسماه «الطبيعة»، يحتوى على ماهية رسالته. وقد أثار خطابه الشهير، الذى ألقاه عام ١٨٣٨ فى مدرسة اللاهوت

(١) لم يكن هنرى، باستخدام التمييز بهذه الطريقة، متابعاً ل«كوزان». لأن «كوزان» أصر على أن وجود الله يُعرف عن طريق استدلال استقرائى من وجود الجواهر المتناهية، على الرغم من أنه حاول أن يربط أطروحته بفكرة الله المستوحاة من المثالية الميتافيزيقية الألمانية؛ وهى فكرة أدت إلى اتهامات بوحدة الوجود من جانب نقاد كهنه. لقد اهتم هنرى أساساً بالقوة الفدائية والمنقذة للمسيحية فى التاريخ. وعندما قبل فكرة ذهن عند كوزان، فإنه نقلها إلى إنشاء لاهوت مسيحي (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الأعظم، الذي يحتوى بداخله على كل وجود جزئى للإنسان، وينضم إلى كل شيء آخر»^(١). هذا الواحد الأزلى، أو الروح الأعظم، أو الله، هو الحقيقة النهائية الوحيدة، والطبيعة هي إسقاطه «إن العالم ينبثق من نفس الروح مثل جسم الإنسان. إنه إسقاط بعيد وأدنى لله، إسقاط لله فى الوعي. لكنه يختلف عن الجسم فى جانب مهم. فهو لا يخضع للإرادة البشرية. إننا لا ننتهك نظامه الهادئ الصافى. ولذلك فهو، بالنسبة لنا، الشارح للعقل الإلهى»^(٢).

إذا تساءلنا كيف عرف «إمرسون» كل ذلك، فإنه ليس هناك توقع جيد لأية براهين متطورة نسقياً. فهو فى الواقع يصر على أن الذهن البشرى يفترض مقدماً ويبحث عن وحدة نهائية. لكنه يصر أيضاً على «أننا نعرف الحقيقة عندما نراها، ودع الشاك والمستهزئ يقولان ما يحلو لهما»^(٣) فعندما يسمع الحمقى ما لا يريدون أن يسمعوه، فإنهم يتساءلون كيف يعرف المرء أن ما يقوله صحيح. «لكننا نعرف الحقيقة عندما نراها، من الرأى، كما نعرف عندما نعى أننا نعى»^(٤). إن إعلانات النفس، كما يرى إمرسون هي «تدقق العقل الإلهى فى ذهننا»^(٥)؛ إنها وحى، يصحبه انفعال الجليل.

ربما نتوقع من هذه النظرية عن وحدة النفس البشرية مع الروح الأعظم أو الروح الإلهية أن «إمرسون» يستمد نتيجة تقول إن الفرد من حيث هو كذلك ذو أهمية ضئيلة، وإن التقدم الأخلاقى أو الروحى يكمن فى انغماس شخصية المرء فى الواحد. غير أن ذلك ليس على الإطلاق وجهة نظره. فالروح الأعظم يفيض بذاته، كما يرى إمرسون،

Ibid, 1, p. 112. (١)

Ibid, 11, p. 167. (٢)

Works, 1, p. 117. (٣)

Ibid, (٤)

Ibid, (٥)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

استقامته العقلية، ولا يخشى أن يقول ما يفكر فيه اليوم بالفعل! لأنه ببساطة يناقض ما قاله بالأمس. غير أنه يشير، مثلاً، إلى أنه إذا أنكرنا في الميتافيزيقا الشخصية لله، فإن ذلك لن يمنعنا من التفكير والحديث بطريقة مختلفة «عندما تأتي الحركات المنقذة للنفس»^(١). وعلى الرغم من أننا نستطيع أن نفهم ما يقصده «إمرسون»، فإن الفيلسوف صاحب المذهب الذي يعتنق وجهة النظر هذه ربما يتبع «هيجل» في القيام بتمييز واضح بين لغة الفلسفة النظرية التأملية، ولغة الوعي الديني أكثر من أن يقنع نفسه بطرد الاتساق بوصفه عفرياً للأذهان التافهة. وبمعنى آخر، فلسفة إمرسون هي فلسفة تشريحية، وما يُسمى أحياناً «حديساً». إنها تنقل رؤية شخصية عن الحقيقة، لكنها لا تُقدم في الثياب العادي لحجة غير شخصية وقول دقيق. فالبعض، بالتأكيد، قد ينظر إلى هذا على أنه نقطة في صالحها، لكن الواقعة تظل وهي أنه إذا بحثنا عن تطوير نسقى للمذهب المثالي في الفكر الأمريكي، فإنه يتحتم علينا أن نبحث عنه في مكان آخر.

لقد كان «إمرسون» العلم الأساسي في «نادي التعالي»، الذي أسس في «بوسطن» عام ١٨٢٦. وعضو آخر، قدره إمرسون تقديراً كبيراً، هو «أموس برونسون ألكوت» Amos Bronson Alcott (١٧٩٩ - ١٨٨٨)، وهو إنسان روحى بدرجة عميقة، أسس جماعة يوتوية في ولاية ماساتشوستس Massachusetts، على الرغم من أنها لم تستمر طويلاً، إلى جانب محاولاته لإدخال مناهج جديدة في التربية. كان مولعاً بالأقوال الغامضة وخفية الدلالة، ودفعه مؤخراً فلاسفة سانت لويس الهيجليون إلى محاولة توضيح مثاليته وتعريفها. وقد نذكر من بين الفلاسفة الآخرين الذين ارتبطوا بطريقة ما بمذهب العلو في إنجلترا الجديدة «هنري ديفيد ثورو» H.D. Thoreau (١٨١٧-١٨٦٢)، و«أورستيس أوجستوس برونسون» Orestes Augustus Brownson (١٨٠٣ - ١٨٧٦).

Ibid. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

التراث الذي بدأ بأفلاطون، وبلغ التعبير الأكثر كمالاً عنه فى مذهب هيغل، فإنه يدعو، بالفعل، إلى تطوير للمذهب المثالى وفق إلهام الفلسفة الألمانية التى جاءت بعد كانط، ولكن وفق الاحتياجات الأمريكية.

ثمة محاولات عديدة لتحقيق هذا النوع من البرامج، تمتد من المثالية الشخصية عند «هويسون» Howison و«باون» Bowne حتى المثالية المطلقة عند «جوزيا رويس». ولأن «هويسون» و«باون» ولدا قبل «رويس»، فربما عالجاها فى البداية. ومع ذلك، فإننى أقترح أن أخصص الفصل القادم لرويس وأخصص الفصل الذى يليه لمناقشة، باختصار، الفلاسفة المثاليين وبعض الفلاسفة الآخرين الذين ينتمون إلى التراث المثالى، وسأذكر أسماء بعض المفكرين الأصغر سناً من «رويس».

ومع ذلك، ربما تجب الإشارة فى الحال إلى أنه يصعب القيام بأى تقسيم حاد بين المثالية الشخصية والمثالية المطلقة فى الفكر الأمريكى. فلقد كان «رويس» بمعنى حقيقى، مثالياً شخصياً. وبمعنى آخر، لم تعد الصورة التى أخذتها المثالية المطلقة عند برادلى، بما فى ذلك إبعاد الشخصية إلى ميدان الظاهر من حيث إنها تناقض ميدان الحقيقة، مناسبة للعقل الأمريكى. وتم الشعور، بوجه عام، بأن التحقيق اللانتم لبرنامج «هاريس» يتطلب أنه يجب عدم التضحية بالشخصية البشرية على مذبح الواحد، على الرغم من أن هناك، بالطبع، اختلافات فى التشديد؛ فبعض المفكرين يشددون على الكثير، بينما يشدد آخرون على الواحد. ولذلك، فإن التمييز بين المثالية الشخصية والمثالية المطلقة مشروع، شريطة أن نسمح بالتعديل الذى تمّ توأ.

كما أننا قد نلاحظ أن مصطلح «المثالية الشخصية» غامض إلى حد ما فى سياق الفكر الأمريكى. فقد استخدمه، مثلاً، «وليم جيمس» فى فلسفته الخاصة. لكن على الرغم من أن هذا الاستخدام له ما يبرره بدون شك، فإننا سوف نناقش جيمس تحت عنوان البرجماتية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نشر «رويس» كتابه «الجانب الدينى للفلسفة» عام ١٨٨٥. يبرهن فيه على أن استحالة إثبات الصحة الكلية والمطلقة للمثال الأخلاقى الذى يعتنقه أى فرد معين يميل إلى إنتاج مذهب شكى أخلاقى ومذهب التشاؤم. ومع ذلك، يبين التأمل أن البحث الخالص عن مثال كلى ومطلق يكشف فى الباحث عن إرادة أخلاقية تريد انسجام كل المثل والقيم الجزئية. ومن ثم ينشأ فى ذهن الفرد الوعى بأنه ينبغى عليه أن يعيش حتى إن حياته وحياة الآخرين قد تكون وحدة، تتجه نحو هدف مثالى عام أو غاية عامة. ويربط «رويس» بهذه الفكرة تمجيد النظام الاجتماعى، وبصفة خاصة تمجيد الدولة^(١).

وعندما يتجه رويس إلى مشكلة «الله»، فإنه يرفض الأدلة التقليدية على وجود الله، ويطور دليلاً على المطلق من معرفة الخطأ. فنحن معتادون على أن نعتقد أن الخطأ ينشأ عندما يخفق تفكيرنا فى أن يتطابق مع موضوعه المقصود. ولكن من الواضح أننا لا نستطيع، أن نضع أنفسنا فى وضع ملاحظ خارجى، أى خارج علاقة الذات - الموضوع، لديه القدرة على أن يرى ما إذا كان التفكير يتطابق مع موضوعه أم لا. وقد يؤدى التأمل فى هذه الحقيقة إلى المذهب الشكى. مع إنه واضح أننا نستطيع أن نعرف الخطأ، فنحن لا نستطيع أن نصدر أحكاماً خاطئة فحسب، وإنما نعرف أيضاً أننا أصدرناها، وفضلاً عن ذلك، يبين التأمل أن الصدق والكذب ليسا لهما معنى إلا فى علاقة بنسق كامل عن الحقيقة، التى لا بد أن توجد لفكر مطلق. وبمعنى آخر، يقبل «رويس» نظرية التماسك عن الحقيقة وينتقل منها إلى تأكيد فكر مطلق. وكما عبر عنها مؤخراً، آراء الفرد تكون صادقة أو كاذبة بالنسبة لاستبصار أكثر اتساعاً. وحجته هى أننا لا يمكن أن نتوقف حتى نصل إلى فكرة الاستبصار الإلهى الشامل كل الشمول التى تضم تفكيرنا وموضوعاته فى وحدة شاملة، وتكون المقياس النهائى للصدق والكذب.

(١) تمجيد الدولة، التى يصفها حتى بأنها «إلهية»، يظهر من جديد فى مقال رويس

California: Astudy of American character (1886).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن نتجنب النتيجة التي تقول إن الله يعاني عندما نعانى. ولابد أن نفترض أن المعاناة ضرورية من أجل كمال الحياة الإلهية. أما بالنسبة للشر الأخلاقي، فإنه مطلوب أيضاً من أجل كمال الكون. لأن الإرادة الخيرة تفترض مسبقاً الشر بوصفه شيئاً يجب قهره والتغلب عليه. حقاً، إن العالم، موضوع التفكير اللامتناهى، من وجهة نظر المطلق، هو وحدة كاملة يتم فيها التغلب على الشر، ويخضع للخير. لكنه على الرغم من ذلك عنصر مكون في الكل.

إذا كان الله اسماً للكون، وإذا كانت المعاناة والشر حقيقيين، فإنه يجب علينا أن نضعهما، بوضوح، في الله. ومع ذلك، إذا كانت هناك وجهة نظر مطلقة يتم التغلب بها، باستمرار، على الشر، ويتم إخضاعه للخير، فإنه قلما يمكن أن يكون الله، ببساطة، اسماً للكون. وبمعنى آخر، تصبح مشكلة العلاقة بين الله والعالم حادة. غير أن أفكار «رويس» في هذا الموضوع تُناقش بصورة أفضل مع العرض الأساسي لفلسفته.

٢- ظهر المجلدان «العالم والفرد»، اللذان يمثلان سلسلة محاضرات جيفورد، في عام (١٩٠٠ و ١٩٠١). يشرح «رويس» فيهما بتحديد طبيعة الوجود. فإذا تأكدنا أن الله يكون، أو أن العالم يكون، أو أن الذات المتناهية تكون، فإننا يمكن أن نسأل، باستمرار، عن معنى «يكون» وغالباً ما يُفترض أن هذا اللفظ، الذي يسميه «رويس» «بالمحمول الوجودي»^(١)، لفظ بسيط ولا يمكن تعريفه. بيد أن البسيط والنهاي في الفلسفة هو موضوع للتأمل مثل المركب والمشتق. ومع ذلك، لم يهتم «رويس» بفعل «يكون»، ببساطة، بمعنى يوجد. كما أنه يهتم بتحديد «الأنواع الخاصة للحقيقة التي ننسبها إلى الله، وإلى العالم، وإلى الفرد البشري»^(٢). ويهتم في اللغة التقليدية بالماهية وبالوجود أيضاً،

The World and the Individual, p. 12 (1920 edition). this work will be referred to (١) simply as the World.

Ibid, 1, pp. 16 - 17. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

هي ما يعينها «رويس» بالمعنى الخارجى للفكرة. لكن دعنا، الآن، نفترض أنني فنان، وفي ذهني فكرة عن الصورة التي أريد أن أرسمها. هذه الفكرة يمكن وصفها بأنها «التحقق الجزئي لغرض ما»^(١). وهذا الجانب من الفكرة هو ما يسميه «رويس» بمعناها الداخلي.

إن الحس المشترك على استعداد، بدون شك، لأن يسلم بأن الفكرة الموجودة في ذهن الفنان يمكن وصفها، بصورة معقولة، بأنها تحقيق جزئي لغرض ما^(٢). وإلى هذا الحد يعرف وجود المعنى الداخلي. لكن، دعها وشأنها، فإن الحس المشترك ربما ينظر إلى الوظيفة التمثيلية للفكرة بأنها أولية، حتى على الرغم من أنها مسألة تمثيل ما لم يوجد بعد؛ أعني أنها العمل الذي ينوي الفن أن يحققه. وإذا نظرنا إلى فكرة ما مثل فكرة عدد سكان لندن، فإن الحس المشترك يؤكد، بالتأكيد، طابعها التمثيلي، ويسأل عما إذا كانت تناظر، أو لا تناظر، حقيقة واقعية.

ومع ذلك، يثبت «رويس» أن المعنى الداخلي للفكرة هو الذي يكون أولياً، وأنه على المدى البعيد يتحول المعنى الخارجى ليكون فقط «جانباً للمعنى الداخلي المتطور تماماً»^(٣). افترض، على سبيل المثال، أنني أردت أن أتيقن من عدد الناس، أو من عدد من العائلات، الذين يقيمون في منطقة معينة. من الواضح أن لدى غرضاً في الرغبة من التيقن من هذه الوقائع. ربما أكون مسئولاً عن خطة إسكان، وأردت أن أتيقن من عدد الأفراد، وعدد من العائلات، لكي أتمكن من تقدير عدد المنازل أو الشقق المطلوبة

Ibid, 1, p. 25. (١)

(٢) ليس قصد كاتب هذه السطور، بالتأكيد، أن يفترض أن الفنان أو الشاعر يكون في البداية، بالضرورة، فكرة واضحة عن العمل الذي يقوم به، ثم يقدم تجسيداً عينياً لهذه الفكرة. فإذا كان لدى الشاعر، مثلاً، فكرة واضحة عن القصيدة، فإن القصيدة تتكون. وكل ما يتبقى هو كتابة قصيدة موجودة في ذهن الشاعر. وفي الوقت نفسه لا يشرع الفنان في العمل دون نوع ما من الغرض المتصور، أي نوع ما من «الفكرة» التي يمكن النظر إليها، بمعقولة، على أنها بداية فعل كلي (المؤلف).

The World, 1, p. 36. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

واضحة. ويعمل في الوقت نفسه بطريقة جدلية من أجل إثبات وجهة نظره الخاصة عن معنى «يكون» عن طريق فحص الأنواع المختلفة من الفلسفة من أجل بيان عدم كفايتها. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن ندخل في تفاصيل هذه المناقشة، فإنه من الملائم أن نشير إلى خطوطها العامة.

٣- النوع الأول من الفلسفة الذي يناقشه «رويس» هو ما يسميه بالمذهب الواقعي. ويعني به المذهب الذي يقول إن «المعرفة المحض بأى موجود عن طريق أى شخص لا يكون هو نفسه الموجود المعروف»، لا تختلف مهما كانت «بالنسبة لذلك الموجود المعروف»^(١). وبمعنى آخر؛ إذا اختلفت كل معرفة من العالم، فإن الاختلاف الوحيد الذي يصنعه ذلك بالنسبة للعالم هو أن الواقعة الجزئية للمعرفة لم تعد موجودة. إن الصدق والكذب يتمثلان في تناظر أو عدم تناظر الأفكار مع الأشياء؛ ولا شيء يوجد ببساطة بفضل الواقعة التي تقول إنه معروف. ولذلك لا نستطيع أن نقول عن طريق فحص العلاقات بين الأفكار ما إذا كانت الموضوعات التي تشير إليها موجودة أم غير موجودة. وهكذا ينفصل الـ«ماذا» عن الـ«هذا». وهذا هو السبب، كما يرى رويس، في أن الفيلسوف الواقعي مضطر أن ينكر صحة الدليل الأنطولوجي على وجود الله.

إن نقد «رويس» للمذهب الواقعي لم يكن على الدوام واضحاً تماماً. غير أن خطه العام في التفكير هو على النحو التالي. من الواضح أنه يعنى بالواقعية في هذا السياق مذهباً تجريبياً اسمياً إلى أقصى حد، بناءً عليه يتكون العالم من كثرة من كيانات مستقلة بصورة متبادلة. فاختفاء كيان منها لا يؤثر على وجود الكيانات الأخرى. ولذلك، إذا أُضيفت أية علاقات إلى هذه الكيانات فهي لابد أن تكون كيانات مستقلة. وفي هذه الحالة، لا يمكن، كما يذهب رويس، أن ترتبط حدود العلاقات بالفعل. فإذا بدأنا بكيانات تنفصل عن بعضها البعض، فإنها تظل منفصلة. ويذهب «رويس»

ibid, 1, p. 93. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولذلك إذا أردنا أن تثبت أن معرفة الحقيقة ممكنة، فإننا لا نستطيع أن نسلك درب التصوف، إذ يجب علينا أن نقر بالتعدد، ولا نستطيع في الوقت نفسه أن نرتد إلى المذهب الواقعي كما وصفناه من قبل. وهكذا يجب تعديل المذهب الواقعي بطريقة لم يعد فيها يقضى على نفسه بنفسه، وإحدى الطرق لمحاولة تعديل كهذا هي أن نسلك الدرب الذى يسميه «رويس» «بالمذهب العقلى النقدى».

الفيلسوف العقلى النقدى يأخذ على عاتقه الصحة أو المشروعية بأن «يعرف الوجود عن طريق الصدق، فعندما يقول، عن أى موضوع، إنه موجود، فإنه لا يعنى سوى أن فكرة معينة عنه صحيحة، وحقيقية، ويعرف تجربة ما، على الأقل من حيث إنها مثال رياضى أعلى، أو ربما بأنها حدث تجربى، بأنها ممكنة بصورة محددة^(١). افرض أننى قررت أن هناك أناساً يعيشون على كوكب المريخ. فإننى تبعاً للمذهب العقلى النقدى، أقرر أنه فى تقدم التجربة الممكنة تكون فكرة ما صادقة أو متحققة، ويقدم «رويس» نظرية كانط عن التجربة الممكنة، وتعريف «جون ستيوارت مل» للمادة بأنها إمكان دائم من إحساسات، كنموذجين للمذهب العقلى النقدى. وربما نضيف الوضعية المنطقية، شريطة أن نستبدل القضية التجريبية بالفكرة.

وللمذهب العقلى النقدى، من وجهة نظر «رويس» هذه الميزة التى يتفوق بها على المذهب الواقعي وهى أنه عن طريق تعريف الوجود عن طريق التجربة الممكنة، يتجنب صدق فكرة ما (وبصورة أفضل التحقق من قضية ما) الاعتراض الذى ينشأ من الفصل الكامل للمذهب الواقعي بين الأفكار وبين الحقيقة التى يُفترض أنها تشير إليها. وفى الوقت نفسه يكون للمذهب العقلى النقدى هذا التراجع العظيم وهو أنه لا يستطيع أن يجيب عن السؤال: «ما التجربة الممكنة بصورة محددة فى الوقت الذى يُفترض فيها أنها ممكنة فقط؟ وما الحقيقة الصادقة فى الوقت الذى لا يتحقق أى شخص من

The World, 1, pp. 226 - 227. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لاستخدامه للفظ «يكون الوجود المفرد حياة لتجربة تحقق أفكاراً، في صورة نهائية مطلقة... إن ماهية ما هو حقيقي هو أنه فردي، أو لا نظير له في نوعه الخاص، ولا يمتلك هذه الخاصية إلا من حيث إنه تحقيق فريد لغاية»^(١).

لقد رأينا الآن أن الفكرة هي التحقيق الناقص أو الجزئي لغرض؛ أعنى التعبير عن الإرادة. والتجسيد الكامل للإرادة هو العالم بتمامه وكماله. ولذلك، فإن أية فكرة «تعنى»^(٢) في النهاية المجموع (الكل). وينجم عن ذلك أنني أستطيع أن أعرف نفسي في المجموع (الكل)؛ أي في العالم كله. ونستطيع بالتالي، إلى هذا الحد، أن نجد الحقيقة في «التصوف»، وتتفق مع الصوفي الشرقي الذي «يقول عن الذات والعالم: ذلك هو أنت»^(٣).

ومع ذلك، يتضح أن الإرادة، من حيث إنها تتجسد في جزء معين من الوعي، تعبر عن نفسها أو هي لا تنتبه إلا إلى جزء من العالم، أو إلى وقائع معينة في العالم. والباقي يعود إلى خلفية غامضة في هامش الوعي. ويصبح، في واقع الأمر، موضوع التجربة الممكنة. ومعنى آخر، من الضروري إدخال مفهوم من المذهب العقلي النقدي.

إننا نفكر في وجهة نظر الذات المتناهية المفردة إلى حد بعيد. لكن على الرغم من أن هناك معنى واضحاً يكون فيه العالم «عالمى أنا»، وليس عالم أى شخص آخر، كما أنه واضح أنه إذا نظرت إلى العالم على أنه ببساطة تجسيد إرادتي فقط، فإنني سأنتهى إلى مذهب «الأنا وحيدية». كما أنه جلياً أيضاً أنه إذا سلمت بوجود أنواع من

The World, 1, p. 348. (١)

إن عالمى، مثلاً، هو تجسيد لإرادتي، أى تحقيق غرضي، أو تعبير عن اهتماماتي. ولذلك يكون فريداً. غير أننا لا نستطيع، كما سوف نشرح ذلك في الفقرات التالية، أن نبقي ببساطة، مع مفهوم «عالمى» (المؤلف).

(٢) يجب أن نتذكر أن «المعنى الداخلي» عند «رويس» أولى (المؤلف).

The World, 1, p. 355. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إلى حد ملحوظ، التكوين المحدد لأى وعى بذواتنا^(١). غير أن أطروحته هى أن الوعى الواضح الجلى بذواتنا وبالأشخاص الآخرين ينشأ عن نوع من وعى اجتماعى بدائى، حتى إن المسألة تكون مسألة تمايز وليست مسألة استدلال. إن الوعى الذاتى التجريبي يعتمد باستمرار على سلسلة من المراحل المتناقضة. «فالأنا تُعرف باستمرار من حيث إنها تناقض الآخر»^(٢). وكلاهما ينبثق من الوعى الاجتماعى الأسمى.

كلما نمت التجربة وتطورت، ازدادت نظرة الفرد إلى الحياة الداخلية للآخرين على أنها شىء خاص، محجوبة عن ملاحظته المباشرة. ويصبح فى الوقت نفسه واعياً بالموضوعات الخارجية بوصفها أدوات لتحقيق أغراض مشتركة بينه وبين الآخرين، وكذلك لتحقيق أغراضه وأغراضهم الخاصة أو مصالحهم. وعلى هذا النحو ينشأ شعور بمثلث مكون من «زميلى، وأنا، والطبيعة بيننا»^(٣).

نحن لا نعرف عن عالم الطبيعة إلا القليل، وقد كبر منه لايزال بالنسبة لنا فى محيط التجربة الممكنة. وقد لاحظنا الصعوبة التى يواجهها المذهب العقلى النقدي فى تفسير الحالة الأنطولوجية لموضوعات التجربة الممكنة؛ وعلى أية حال يجعل العلم من المستحيل بالنسبة لنا أن نعتقد أن الطبيعة هى وحدها، ببساطة، تجسيد الإرادة البشرية والغاية. ففرض التطور، مثلاً، يؤدى بنا إلى أن نتصور أذهاناً متناهية على أنها نواتج. ومع ذلك، ينشأ السؤال فى هذه الحالة: كيف نستطيع أن ننقذ التعريف المثالى للوجود عن طريق المعنى الداخلى للأفكار متطوراً إليها على أنها التحقيق الجزئى لغرض أو لغاية؟

Ibid, 11, p. 170. (١)

Ibid, 11, p. 264. (٢)

يعبر «رويس» عن اتفاقه العام مع نظرية أصول الوعى الذاتى المقدمة فى المجلد الثانى من «التطور الذهنى فى الطفل والجنس البشرى» (١٨٩٦)، مؤلفه جيمس مارك بولوين (١٨٦١ - ١٩٣٤) (المؤلف).

The World, 11, p. 177. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الوجودية، إن الفرد المتناهي عند «رويس» يخلق نفسه باستمرار من حيث إنه هذه الذات الفريدة عن طريق تحقيق مثل أعلى فريد؛ أعنى عن طريق تحقيق رسالة معينة فريدة^(١).

يحاول رويس عن طريق فكرة الذات هذه أن يواجه الاعتراض الذى يقول إن المثالية المطلقة تحرم الذات المطلقة من الحقيقة الواقعية، ومن القيمة، ومن الحرية. ولم تكن لديه نية، بالطبع، لأن ينكر أية معطيات تجريبية ترتبط باعتماد ما هو سيكولوجى على ما هو فيزيائى، أو على التأثير على ذات البيئة الاجتماعية، والتربية وما شابه هذه العوامل. بيد أنه يصر على أن كل ذات متناهية لها طريقها الخاصة الفريدة للتعرف والاستجابة عن طريق واجباتها نحو هذا الاستقلال^(٢). بينما حياة كل ذات متناهية هى، من وجهة النظر الميتافيزيقية، مساهمة فريدة فى تحقيق الغرض العام لله. لقد كان «رويس» مضطراً، بالفعل، أن يسلم بأنه عندما أرغب، فإن الله يرغب فى، وأن فعلى هو جزء من الحياة الإلهية. غير أن هذا الاعتراف، كما يرى، يتطابق تماماً مع القول بأن الذات المتناهية يمكن أن تفعل بحرية. لأنه عن طريق الواقعة الخالصة التى تقول إننى التعبير الفريد للإرادة الإلهية، فإن الإرادة التى تصدر منها أفعالى هى إرادتى أنا. «إن فرديتك فى فعلك هى حريتك»^(٣). أعنى أن طريقتى فى التعبير عن الإرادة الإلهية هى ذاتى؛ وإذا صدرت أفعالى من ذاتى، فإنها تكون أفعالاً حرة. إن هناك بالفعل معنى يكون صحيحاً فيه أن نقول إن الروح الإلهية تجربنا، ولكن «بمعنى أنها تجبرك على أن تكون فرداً، على أن تكون حراً»^(٤).

(١) لا داعى للقول بأنه بالنسبة للفيلسوف الوجودى الملحد، مثل سارتر، تخلق فكرة إله - له رسالة معينة من الصحة (المؤلف).

(٢) وهنا أيضاً يخطر على بال المرء الوجودية الحديثة (المؤلف).

(٣) The World, 1, p. 469.

(٤) Ibid, 11, p. 293.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إذا سلمنا بمقدمات رويس، فإن هذا الرد يصعب أن يكون مقنعاً. فنحن نستطيع، بالتأكيد، أن نعطي بسهولة قيمة منصرفة لفكرته عن تحويل الانتباه. هب، مثلاً، أنني مقتنع عن إخلاص أنه من الخطأ بالنسبة لى أن أسلك بطريقة معينة أنظر إليها على أنها تنتج لذة حسية. فإنه كلما ركزت انتباهي على جوانب اللذة لطريقة الفعل هذه، فإن اقتناعي بخطئه يميل بصورة أكبر إلى أن يتراجع إلى هامش الوعي، ويصبح غير فعال. إننا نعرف جميعاً أن هذا النوع من الموقف يحدث إلى حد كاف باستمرار. والتعليق العادي سيكون أنه ينبغي على الفاعل أن لا يهتم بتركيز انتباهه على جوانب اللذة في طريقة الفعل التي يعتقد عن إخلاص أنها خاطئة. فإذا ركز انتباهه بهذه الطريقة، فإنه يكون مسئولاً في النهاية عما يحدث. لكن على الرغم من أن وجهة النظر هذه معقولة بصورة واضحة، فإن السؤال ينشأ مباشرة وهو: كيف يستطيع الفاعل أن يكون مسئولاً، بصورة ملائمة، عن اختيار تركيز انتباهه في اتجاه معين إذا كان بتمامه وكماله تعبيراً عن الإرادة الإلهية؟ ألا ندفع، ببساطة، الصعوبة مرحلة إلى الوراء بصورة أكثر؟

يميل «رويس» بالآخرى إلى التملص من القضية عن طريق الرجوع إلى موضوع التغلب على الشر بوجه عام. بيد أن خطه العام في الرد يبدو أنه طالما أن توجيه الإنسان لانتباهه ينبثق من إرادته، فإنه مسئول عنه، ومسئول بالتالي عن النتيجة. ولا تغير الواقعة التي تقول إن إرادة الإنسان هي نفسها التعبير عن الإرادة الإلهية الموقف. ولا يبدو في هذه الأحوال أن رويس يستطيع أن يقول بصورة حسنة للغاية أي شيء آخر. لأنه على الرغم من أنه يريد، بالتأكيد، أن يدعم الحرية البشرية والمسئولية بمعنى حقيقي، فإن تصميمه على تدعيم نظرية المطلق الشامل كل الشمول في نفس الوقت، أثر لا محالة على تفسيره للحرية. إن الحرية الأخلاقية تصبح «ببساطة حرية التمسك، عن طريق الانتباه، أو النسيان عن طريق عدم الانتباه، بواجب ماثل من قبل الوعي المرء المتناهي»^(١). وإذا أثير السؤال عما إذا كان التمسك أو النسيان لا يحدده

(١) Ibid, 11, p. 360

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يعرّف «رويس» الولاء في كتابه «مشكلة المسيحية» بأنه «تكريس الذات الإرادية والمحكم لعلّة، عندما تكون العلة شيئاً يوحد ذواتاً كثيرة في ذات واحدة، وتكون بالتالي مصلحة الجماعة»^(١). ويرى في الكنيسة، جماعة المخلصين، بصفة خاصة كما هي متمثلة في رسائل القديس بولس، وتجسيد روح الولاء، تجسيد الإخلاص لمثل أعلى مشترك، والولاء لجماعة مثالية يجب أن تُحب بوصفها شخصاً. ومع ذلك، لا ينجم أن رويس يوحد، بالفعل، ما يسميه «بالجماعة العظيمة» بكنيسة تاريخية، ولا يوحدّها بدولة تاريخية. وعلى الرغم من أنه يجب البحث عن جماعة مثالية بدلاً من جماعة تاريخية فعلية موجودة هنا والآن، فإنها تكمن، مع ذلك، في أساس النظام الأخلاقي، لأنها، بدقة، هدف أو غاية الفعل الأخلاقي. صحيح أن الفرد هو الذي يستطيع وحده أن يوجد رسالته الأخلاقية: لأنها لا يمكن أن توجد له. لكن بسبب الطبيعة الخالصة للذات، فإن الفردية الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق الولاء للجماعة العظيمة، أي لعلّة مثالية توحد كل الناس معاً.

وبوجه عام، يشدد «رويس»، تحت تأثير «تشارلز بيرس» C. S. Peirce على دور التأويل في المعرفة البشرية والحياة؛ وقام بتطبيق هذه الفكرة على نظريته الأخلاقية. فالفرد لا يستطيع، مثلاً، أن يحقق نفسه ويبلغ كيانه الذاتى الحقيقى، أو شخصيته دون هدف في الحياة أو خطة في الحياة، تصبح بالنسبة لها تصورات مثل: الصواب والخطأ، الذات العليا والذات الدنيا، ذات معنى بصورة عينية، غير أن الإنسان لا يشرع في فهم خطة حياته أو هدفه المثالى إلا عن طريق عملية تفسير نفسه لنفسه. وعلاوة على ذلك، لا يتحقق هذا التأويل الذاتى إلا في سياق اجتماعى، عن طريق تفاعل مع أناس آخرين. فالآخرون يساعدوننى لا محالة، على أن أفسر نفسى لنفسى؛ وأنا بدورى أساعد الآخرين على أن يفسروا أنفسهم لأنفسهم. وتميل هذه العملية، إلى حد ما،

The Problem of christainity, 1, p. 68. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

٧- يتضح مما قيل أن «رويس» يعطى للشخصية الفريدة قيمة لا يمكن أن تُنسب إليها فى فلسفة «برادلى» وليس هناك ما يدعو إلى الدهشة، بالتالى، أنه أكثر اهتماماً من «برادلى» بمسألة الخلود، ويرى أن الذات تُحفظ فى المطلق.

وعندما يناقش «رويس» هذا الموضوع فإنه يتمسك، من بين جوانب أخرى للمسألة، بالأسطورة الكانطية وهى أن المهمة الأخلاقية للفرد لا يمكن أن يكون لها نهاية زمنية. «إن المهمة الأخلاقية التى تنتهى عن قصد هى تناقض فى اللفاظ... إن خدمة الأذى هى خدمة لا تنتهى أساساً. ليس هناك فعل أخلاقى منته»^(١). ويتضح أن خط الحجة هذا لا يستطيع أن يبرهن بذاته على الخلود. صحيح أننا إذا عرفنا قانوناً أخلاقياً، فإنه يجب علينا أن ننظر إليه على أنه يؤثر فىنا مادامنا أحياء. غير أنه لا ينجم عن هذه المقدمة وحدها أن الذات تبقى بعد موت البدن، وتستطيع أن تستمر فى تحقيق رسالة أخلاقية. بيد أن الكون، عند «رويس» بوصفه ميتافيزيقياً، هو من ذلك النوع الذى يجب أن نفترض فيه أن الذات المنتهية، من حيث إنها تعبير فريد عن المطلق، ومن حيث إنها تمثل قيمة لا يمكن تعويضها، تستمر فى الوجود. إن الذات الأخلاقية هى باستمرار شىء لم يكتمل بعد؛ ولما كان الغرض الإلهى لا بد أن يتحقق، فإننا محقون فى الاعتقاد بأن الذات تبلغ فردية حقيقية فى صورة أعلى بعد موت الجسم. غير «أننى لا أعرف على الأقل، لا أدعى تخمين، ما العمليات التى يتم بواسطتها التعبير عن فردية حياتنا البشرية فيما بعد. إننى أنتظر حتى يحل هذا الفناء بالفردية»^(٢). يتضح فى تأكيد رويس للخلود، أن ما يعتد به بالفعل هو رؤيته الميتافيزيقية العامة عن الحقيقة، المقترنة بتقييمه للشخصية.

The World, 1, pp. 444. (١)

The Conception of Immortality, p. 80. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

السلسلة فى سلسلة رياضية لا نهاية لها ترجع إلى عملية متكررة للتفكير؛ عملية متكررة للتفكير يمكن وصفها بأنها «عملية، إذا تم التعبير عنها فى النهاية، فإنها تحتوى، فى المنطقة التى تستقبل فيها تعبيراً، على تنوع لا نهائى من وقائع مرتبة بتسلسل، تناظر الغرض الذى نتحدث عنه»^(١). وبوجه عام، إذا افترضنا غرضاً من هذا النوع حتى إذا حاولنا أن نعبر عنه عن طريق تتابع وقائع، فإن المعطيات المثالية التى تشرع فى التعبير عنه تتطلب كجزء من «معناها» الخاص معطيات إضافية هى نفسها تعبيرات أخرى عن المعنى الأصلى، وتتطلب فى الوقت نفسه تعبيرات أخرى، وتكون لدينا سلسلة لا نهاية لها تنتجها عملية متكررة من التفكير.

ويمكن النظر إلى سلسلة من هذا النوع على أنها كل. صحيح أنها ليست كلاً بالمعنى الذى تستطيع أن نعهده إلى النهاية ونكمل السلسلة. لأنها سلسلة لا متناهية أو لا نهائية فرضاً. لكن إذا أخذنا، مثلاً، سلسلة الأعداد كلها «فإن عالم الرياضة يستطيع أن ينظر إليها كلها على أنها معطاة عن طريق تعريفها الكلى، وتمييزها الناتج الواضح عن كل موضوعات التفكير الأخرى»^(٢). وبمعنى آخر؛ ليس هناك تناظر ذاتى بين فكرة الكل وفكرة السلسلة اللامتناهية. ونستطيع أن نتصور الواحد من حيث إنه يعبر عن نفسه فى سلسلة لا متناهية، أو، بالأحرى، من حيث إنه كثرة من سلاسل لامتناهية مترابطة؛ أى كثرة حياة التجربة. ويقدم ذلك، بالتأكيد، تصوراً دينامياً للواحد بدلاً من أن يقدم له تصوراً استاتيكيًا، وذلك أمر جوهري بالنسبة لميتافيزيقا «رويس» التى تشدد على الإرادة الإلهية، والغرض، والمعنى الداخلى «للأفكار.

يصف رويس سلسلة لامتناهية من هذا النوع بأنها نسق ممثل لذاته. وهو يجد نماذج فى «كل الأنساق الرياضية المميزة والمستمرة من أى نوع لا متناه»^(٣). غير أن

The World, 1, p. 207. (١)

Ibid, 1, p. 515. (٢)

Ibid, 1, p. 513. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إليها. العالم عنده هو تجسيد للمعنى الداخلى لنسق من أفكار هي نفسها التحقيق الجزئى لغرض ما. والمطلق هو ذات؛ فهو بالأحرى شخصى وليس غير شخصى؛ إنه وعى أزلى ولا متناه. ولذلك يمكن أن يوصف، بصورة معقولة، بأنه الله. ويصور رويس السلسلة اللامتناهية التى تكوّن الكون الزمنى بأنها توجد دفعة واحدة؛ جملة واحدة، للوعى الإلهى. لقد كان «رويس» فى واقع الأمر، على استعداد تام لأن يثنى على القديس «توما الأكوينى» بسبب تفسيره للمعرفة الإلهية؛ وهو نفسه يستخدم مماثلة وعينا لسمفونية من حيث إنها كل واحد، وعى يطابق تماماً، بوضوح، المعرفة التى تقول إن هذا الجزء يسبق ذلك الجزء. ولذلك يعى الله، بناء على ما يراه رويس، تتابعاً زمنياً، على الرغم من أن السلسلة الزمانية كلها لا توجد، مع ذلك، للوعى الأزلى.

ويرفض «رويس» فى الوقت نفسه الانفصال الثنائى للعالم عن الله الذى ينظر إليه على أنه خاصية تميز مذهب التآليه، ويلوم «الأكوينى» لأنه تصور «الوجود الزمنى للعالم المخلوق بأنه ينفصل عن الحياة الأزلية التى تخص الله»^(١). فالكثير يوجد داخل وحدة الحياة الإلهية. «إن الوحدة هي، ببساطة، استحالة محض. إذ إن الله لا يمكن أن يكون واحداً إلا عن طريق كونه كثيراً. ولا يمكن أن تكون نحن الذوات المتعددة كثيرين، إذا لم نكن فيه واحداً»^(٢).

وبمعنى آخر، يحاول «رويس» أن يفسر مذهب التآليه من جديد فى ضوء المثالية المطلقة. إنه يحاول أن يحافظ على فكرة الله الشخصى، بينما يربطه بفكرة المطلق الشامل كل الشمول متمثلاً بوصفه كل الكليات^(٣). وليس من السهل البرهنة على هذا الموقف. لقد وضع استخدام رويس للفظ «قرد»، غموض هذا الموقف بالفعل. فإذا

(١) The World, 11, p. 143.

(٢) Ibid, 11, p. 331.

(٣) لا داعى للقول بأن لفظ كلى يُستخدم هنا، بمعنى الكلى العيني (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إلى الفردية على أنها تعبير عن الإرادة ليس أمراً صعباً، إذا فسرنا، إن جاز التعبير، الفردية بأنها باعث على التعبير. لكن النظر إلى الوجود على أنه تعبير عن الإرادة ليس أمراً سهلاً. لأن السؤال ينشأ مرة أخرى: هل الإرادة ليست موجودة؟ من الممكن، بالتأكيد، حصر استخدام لفظ «الوجود» في الوجود المادى. لكن قلما نستطيع، بالتالى، أن ننظر إلى الفردية، بمعنى اللفظ الموجود عند «رويس»، على أنها وجود.

ومع ذلك، فعلى الرغم من الغموض وعدم الدقة فى كتابة رويس، فإن فلسفته تؤثر عن طريق إخلاصها. فواضح إنها التعبير عن إيمان يتمسك به بعمق. إيمان بحقيقة الله، وبقيمة الشخصية البشرية، وبوحدة الجنس البشرى فى الله وبواسطته: وحدة لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق المساهمات الفردية فى مهمة أخلاقية عامة. لقد كان «رويس» مبشراً، بالفعل، إلى حد ما، غير أن الفلسفة التى كان يبشر بها تعنى، بالتأكيد، بالنسبة له قدراً أكبر من ممارسة أو لعبة ذهنية.

ولابد أن يضاف أن رويس، فى رأى بعض النقاد^(١) شرع فى التخلّى عن نظريته عن الإرادة المطلقة، وأن يحل محلها فكرة جماعة غير محدودة من التفسير، جماعة غير محدودة، إن جاز التعبير، من أفراد متناهية. ويمكن فهم هذا التغير من وجهة نظر أخلاقية خالصة. لأنها تتخلص من الاعتراض، الذى كان رويس على وعى به، الذى يقول إنه من الصعب، إن كان ممكناً بالفعل على الإطلاق، التوفيق بين نظرية الإرادة المطلقة ووجهة نظر الموجودات البشرية من حيث إنها موجودات فاعلة أخلاقية. كما أن استبدال المطلق بمجموعة من أفراد متناهية هو تغيير جذرى إلى حد ما، وليس من السهل مطلقاً بيان كيف يمكن أن تتولى مجموعة كهذه، من حيث هى كذلك، الوظيفة الكسبولوجية للمطلق. وبالتالي، حتى إذا تراجعت فكرة المطلق إلى الخلف فى كتابات

CF. The Appendix to the Moral philosophy of Josiah Royce by Peter Fuss (Cambridge, Mass, 1965).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

موجود شخصي، أى الله. في عام ١٨٨٤ أصبح «هويسون» أستاذًا في جامعة كاليفورنيا. وظهر كتابه «حنود التطور ومقالات أخرى» عام ١٩٠١.

لقد ذكرنا من قبل أن «هويسون» ساهم في المناقشة التي شكلت أساس «مفهوم الله» (١٨٩٧)، وهو عمل قد أشرنا إليه في الفصل الخاص برويس. يلتفت «هويسون» الانتباه في مقدمته للكتاب إلى وجود معيار معين للاتفاق الأساسي بين المشاركين في المناقشة، لاسيما بالنسبة لشخصية الله، وعن العلاقة الوثيقة بين مفاهيم: الله، والحرية، والخلود. لكن على الرغم من أنه يعرف تشابهاً عائلياً معيناً بين الأنواع المختلفة للمثالية، فإن ذلك لم يمنعه من تطوير نقد لاذع لفلسفة رويس.

فمن جهة، إذا عُرِّف الوجود عن طريق علاقته بالمعنى الداخلي لفكرة ما، فكيف، يتساءل هويسون، هل يجب علينا أن نقرر إذا كانت الفكرة التي نتحدث عنها هي فكرتي أو أنها فكرة ذات لامتناهية شاملة كل الشمول؟ إن العامل الذي أدى برويس وأولئك الذين يشتركون معه في رؤيته العامة لرفض مذهب «الأننا وحيدة» لصالح المثالية المطلقة هو استجابة غريزية لمطالبات الحس المشترك وليس أية حجة منطقية وملزمة. ومن جهة ثانية، على الرغم من أن رويس يقصد، بالتأكيد، المحافظة على الحرية الفردية والمسئولية، فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا على حساب الاتساق. لأن المثالية المطلقة تتضمن، منطقياً، دمج النوات المتناهية في المطلق.

توصف فلسفة «هويسون» الخاصة بأنها تعددية أخلاقية. فالوجود يأخذ صورة الأرواح، وصورة مضامين ونظام تجربتها، ويدين العالم المكاني - الزماني بوجوده إلى معية الأرواح. إن كل روح حرة، وعلة فاعلة نشطة، تمتلك أصل نشاطها داخلها. وكل روح، في الوقت نفسه، عضو من أعضاء مجموعة أرواح؛ أى مدينة الله، وتتحد الأعضاء عن طريق علية غائية؛ أى عن طريق انجذابها إلى مثل أعلى عام؛ أى التحقيق الكامل لمدينة الله. والوعي البشرى ليس، ببساطة، قائماً بذاته، وإنما، عندما يتطور، يرى نفسه عضواً فيما يصفه «هويسون» بأنه الضمير، أو العقل الكامل. والحركة نحو مثل أعلى عام، أو غاية عامة، هي ما يُسمى بالتطور.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

للإنسان إلى مستوى الإنسان «الذي يُبعث من جديد»، الذي يتمتع بدرجة عالية من التطور الروحي والأخلاقي.

إن اقتراب «هويسون» من الفلسفة يميل إلى أن يكون من خلال الفلسفة النقدية عند كانط، عندما يُعاد التفكير فيها على هدى المثالية الميتافيزيقية. وكان اقتراب «لى كونت»، بالأحرى، عن طريق محاولة بيان كيف تحرر نظرية التطور العلم من كل المضامين المادية، وتحدد الطريق إلى مثالية دينية وأخلاقية. لقد مارس تأثيراً ما على تفكير رويس.

٢- وإلى جانب «هويسون»، التي توصف فلسفته بأنها مثالية أخلاقية، نجد واحداً من أكثر الممثلين المؤثرين للمثالية الشخصية في أمريكا وهو «باركر برون» Parker Brown (١٨٤٧ - ١٩١٠). كتب «برون» نقداً لسبنسر عندما كان طالباً في جامعة «نيويورك». وقع أثناء قيامه بدراسة لاحقة في ألمانيا تحت تأثير «لوتره»، لاسيما بالنسبة لنظريته عن النفس^(١). أصبح «برون» أستاذاً للفلسفة في جامعة «بوسطن» في عام ١٨٧٦. تشمل كتاباته «دراسات في مذهب التآليه» (١٨٧٩)، و «الميتافيزيقا» (١٨٨٢)، و «فلسفة مذهب التآليه» (١٨٨٧)، و «مبادئ الأخلاق» (١٨٩٢)، و «نظرية التفكير والمعرفة» (١٨٩٧)، و «محايدة الله» (١٩٠٥)، و «الشخصانية» (١٩٠٨). وتبين هذه العناوين إلى حد كاف بصورة واضحة الاتجاه الديني في تفكيره.

وصف «برون» فلسفته في البداية بأنها تجريبية ترنسندنتالية، نظراً للدور الواضح الذي تلعبه نظرية المقولات التي استوحاها من كانط في فلسفته. وهذه المقولات

See vol. v II of this History, p. 378. (١)

معرفة واقعة وحدة الوعي. عند لوتره، هي في حد ذاتها معرفة وجود النفس. ولذلك يحاول أن يتجنب مذهب الظواهر من جهة، ويسلم من جهة أخرى، بجوهر خفي. أما عند «برون» فإن الذات واقعة مباشرة للوعي، وليست كياناً مختلفاً يجب الاستدلال عليه من وجود قوى عقلية وأفعالها (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يرتبط بعضهم ببعض بعلاقات متنوعة نشطة من خلال وسيط العالم الخارجي. ولا بد أن يكون نسق الأشخاص هذا ، وفقاً لما يراه برون من خلق شخص أسمى هو الله . فمن جهة، لا يمكن أن يكون موجوداً أدنى من موجود شخصى هو العلة الكافية لأشخاص متقاهين. ومن جهة أخرى، إذا استطعنا أن نطبق مقولة العلّية على عالم لا تكون فيه الممارسات دون الشخصية علّية فاعلة حقيقية، فإن ذلك يرجع فقط إلى أن العالم هو خلق موجود شخصى فعال فيه بصورة محايدة. وهكذا تبدو الحقيقة النهائية شخصية فى الطابع، أى أنها نسق من أشخاص مع شخص أسمى على قمتهم.

إن «الشخصانية» أو (المذهب الشخصى)، كما يسمى برون فلسفته، هى «الميتافيزيقا الوحيدة التى تذوب فى تجريدات تلغى نفسها بنفسها»^(١). ولم يكن «أوجست كونت» محقاً، فيما يرى برون، فقط فى حصر العلم بدراسة صنوف الاطراد لتواجد الظواهر معا وتتابعها، وفى استبعاد كل بحث على فيه، ولكنه كان محقاً أيضاً فى رفض الميتافيزيقا من حيث إنها دراسة لأفكار مجردة ومقولات يفترض أنها تقدم تفسيرات علّية. بيد أن «الشخصانية» لا تتعرض للانتقادات التى يمكن أن تثار ضد الميتافيزيقا كما فهم «أوجست كونت» اللفظ. لأنها لا تبحث عن التفسيرات العلّية التى لا يستطيع العلم أن يقدمها، بحسب ما بينه كونت، فى مقولات مجردة، فهو يرى فى هذه المقولات، ببساطة، الصور المجردة لحياة تعى ذاتها، ويوجد التفسير العلّى الأقصى فى إرادة أسمى عاقلة. قد تبدو الميتافيزيقا الشخصية، بحق، أنها تتضمن عودة إلى ما نظر إليه كونت على أنه المرحلة الأولى من مراحل التفكير البشرى؛ أعنى المرحلة اللاهوتية، التى يتم البحث فيها عن تفسيرات فى إرادات إلهية، أو فى إرادة إلهية. بيد أن هذه المرحلة ترتفع فى الشخصانية إلى مستوى أعلى، من حيث إن إرادة لامتناهية عاقلة تحل محل إرادات متقلبة^(٢).

(١) Ibid, p. 32.

(٢) من الواضح أن ما يحتاج إلى بيان بالفعل هو أن التفسير الميتافيزيقى مطلوب تماماً. والقول بأن العلم التجريبي لا يستطيع أن يقدمه أمر واضح إلى حد كبير (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ومتكاملة، أو عوامل داخل التجربة. وبمعنى آخر، تقدم لنا التجربة «الأنا» والذوات الأخرى، والطبيعة بوصفها عوامل متميزة ولا يمكن رد بعضها إلى بعض، وتتضم في الوقت نفسه داخل وحدة التجربة. وتحاول المثالية الموضوعية أن تكتشف مضامين هذا البناء الأساسى للتجربة.

فعلى الرغم من أنه لا يمكن رد الطبيعة إلى الذهن، مثلاً، فإن الطبيعة والذهن مرتبطان بالتبادل. ولذلك لا يمكن أن تكون الطبيعة، ببساطة، مغايرة للذهن؛ إذ يجب أن تكون معقولة. وهذا يعنى أنه على الرغم من أن الفلسفة لا يمكنها أن تؤدي عمل العلوم التجريبية، فإنها لا تنقيد فحسب بقبول التفسير العلمى للطبيعة، بل أن تضيف أى شىء. العلم يضع الطبيعة فى محور الصورة؛ أما الفلسفة فإنها تبينها بوصفها نظيراً للتجربة، فى علاقتها بالروح. ولا يعنى ذلك أن الفيلسوف جدير بأن يناقض، أو حتى يشك فى المكتشفات العلمية. وإنما يعنى أن مهمته هى أن يبين دلالة العالم كما تقدمها العلوم بالإشارة إلى مجموع التجربة. وبمعنى آخر، هناك مجال لفلسفة الطبيعة.

كما أن المثالية الموضوعية تهتم بتجنب وضع الأنا فى محور الصورة عن طريق أخذها بوصفها نقطة انطلاق نهائية، ثم تحاول أن تبرهن، مثلاً، على وجود ذوات أخرى. إن المثالى الموضوعى عندما يعرف التمييز بين الأفراد، يعرف أيضاً أنه ليست هناك ذوات فردية منعزلة بعيداً عن المجتمع. ويدرس، مثلاً، دلالة المؤسسات الأخلاقية والسياسية، والدين، بوصفها أنشطة، أو نتائج لمجتمع من ذوات داخل البيئة البشرية؛ أعنى الطبيعة.

وتبعاً لهذه الأفكار، التى تتشابه بوضوح مع الهيكلية، أكدت مثالية «مدرسة كورنل» الجانب الاجتماعى للتفكير. فبدلاً من تقسيم الفلسفة إلى مذاهب كثيرة بقدر ما يكون هناك فلاسفة، فإن الفلسفة يجب أن تكون، مثل العلم، مهنة تعاون. فلأنها تتأمل الروح، فإنها توجد فى مجتمع ذوات وبواسطته، ولا توجد فى مجتمع مفكر فرد منظوراً إليه من حيث إنه كذلك.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عن نشاط الروح أو العقل. والفلسفة هي علم العقل^(١) بوصفه أنتلخيا نشطة. أعني أنها علم التجربة الفعالة أو علم التجربة المعاشة.

ومع ذلك، فإن القول بأن الفلسفة هي علم نشاط الروح، أو العقل، أو علم التجربة الفعالة، لا يعنى القول بأنها لا ترتبط بالوجود. لأن تحليل التجربة يبين أن الذات والموضوع، المعرفة والوجود، ألفاظ متضايقة. فما يوجد أو يكون له وجود، هو ذلك الذى يُعرف أو يمكن معرفته. إنه ذلك الذى يندرج داخل المجال الممكن للتجربة النشطة. وهذا هو السبب فى أنه يجب رفض النظرية الكانطية عن الشئ فى ذاته الذى لا يمكن معرفته، وأيضاً مذهب الظواهر الذى يفتج هذه النظرية^(٢).

ارتبط «موريس» فى سنواته الأخيرة بهيجل، الذى كان ينظر إليه على أنه «فيلسوف تجريبي موضوعي» يهتم بتكامل التجربة البشرية عن طريق العقل. أما تلميذه الشهير فهو «جون ديوى»، على الرغم من أن «ديوى» شرع فى التخلي عن المثالية من أجل «النزعة الأداتية» التى ترتبط باسمه.

٦- إن المثالية فى أمريكا تدين كثيراً، بوضوح، لتأثير الفكر الأوروبى. ولكنها أثبتت بوضوح تام أنها مناسبة لعقول كثيرة واستقبلت طابعاً وطنياً، الذى، يظهر، ربما فى التشديد الذى انصب على الشخصية فى الغالب. ولذلك، ليس هناك ما يدعو للدهشة أن المثالية الأمريكية لم تكن ببساطة ظاهرة من ظواهر القرن التاسع عشر على الإطلاق، ترجع إلى اكتشاف التفكير الألمانى وإلى تأثير جاء من المثالية البريطانية. لقد أظهرت حياة قوية فى القرن الحالى.

(١) الفلسفة عند «موريس» علم مثل العلوم الأخرى (المؤلف).

(٢) أعنى أنه إذا نظرنا إلى موضوع المعرفة على أنه ظواهر، بمعنى ظواهر لما لا يظهر، فإننا نقاد، لا محالة،

إلى التسليم بأشياء فى ذاتها لا يمكن معرفتها (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

اهتماماً ليس فقط بمذهب التآليه الفلسفى، وإنما بالدين أيضاً بوصفه صورة للتجربة، كان خاصية عامة للمثالية الشخصية الأمريكية.

ومع ذلك، لا يعنى هذا القول إن المثاليين الشخصيين لم يهتموا إلا بالدفاع عن وجهة نظر دينية. لأنهم كرسوا، أيضاً، انتباهها لموضوع القيم، وربطوها بصورة وثيقة بفكرة التحقيق الذاتى، أو تطور الشخصية. وقد انعكس هذا، بدوره، على نظرية التربية؛ إذ أصبح التأكيد منصباً على التطور الأخلاقى لقيم شخصية وتهذيبها. وأخيراً، عارض هذا النوع من المثالية، بإصراره على الحرية وعلى احترام الفرد من حيث هو كذلك، النزعة الشمولية، والدفاع القوى عن الديمقراطية.

مثل المثالية التطورية فى النصف الأول من القرن الحالى «جون إلوف بوودن» J. Elot Boodin (١٨٦٩ - ١٩٥٠)^(١)، والفكرة الرئيسية لهذا النوع من المثالية مألوفة إلى حد كبير؛ أعنى أننا نستطيع أن نرى فى عملية التطور نشأة مستويات أعلى، بصورة متتابة، من التطور عن طريق النشاط الخلاق لمبدأ محايث، تُفسر طبيعته فى ضوء نتاجاته العليا وليس فى ضوء نتاجاته الدنيا^(٢). وبمعنى آخر، تستبدل المثالية التطورية التصور الآلى الخالص للتطور، الذى يقوم على قوانين ترتبط بتوزيع الطاقة من جديد، بتصوير غائى وتحدث وفقاً له عمليات آلية داخل حركة عامة خلاقة تميل نحو هدف مثالى^(٣). وهكذا يميز «بوودن» بين مستويين أو مجالين متفاعلين فى عملية أو عمليات التطور، يوجد فى كل مستوى منها أنساق فردية ومتفاعلة من الطاقة. هذان

(١) مؤلف كتاب «الزمان والحقيقة» (١٩١١)، و«كون واقعى» (١٩١٦)، و«التطور الكونى» (١٩٢٥)، و«الله والخلق» (مجلدان، عام ١٩٣٤)، و«ديانة الغد» (١٩٤٣) المؤلف.

(٢) تلعب أحكام القيمة، بوضوح، دوراً مهماً فى التمييز بين «ما هو أعلى» و«ما هو أدنى» (المؤلف).

(٣) ومع ذلك، سيكون من الخطأ افتراض أن كل الفلاسفة الذين يؤمنون بالتطور الخلاق يسلّمون بهدف ثابت، ومتصور سلفاً، أو بغاية العملية التطورية. إنه إذا لم يتم تصور الفاعل الخلاق، بالفعل، بطريقة إيمانية يمكن معرفتها، فإن هذا التسليم لن يكون ملائماً (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أذهاناً أخرى وذواتاً أخرى. بيد أن التفكير يبين لنا أن هناك وعياً اجتماعياً كامناً وراء الأذهان والذوات الأخرى، وهو حقيقى مثل الوعى الذاتى. إنها، بالفعل، تعتمد بعضها على بعض. ومع ذلك، فإن المحاولة الخالصة للبرهنة على أن هناك أذهاناً أخرى تفترض مسبقاً وعياً بها. ويكشف تفكير أبعد، كما يرى هوكنج، مع استبصار حدسى، لنا عن وجود حقيقة إلهية شاملة تجعل الوعى البشرى ممكناً. أعنى أن مشاركتنا فى وعى اجتماعى تتضمن وعياً واضحاً بالله، وتكون، بمعنى ما، تجربة للعقل الإلهى، أو للعقل المطلق. ولذلك يمكن صياغة الدليل الأنطولوجى على هذا النحو: «لدى فكرة عن الله، إذن لدى تجربة عن الله»^(١).

لقد أشرنا إلى أن «هوكنج» كان تلميذاً لرويس. وهو يصير مثل أستاذه على أن الله شخصى. لأنه «ليس هناك شيء أعلى من الكيان الذاتى، ولا شيء أكثر عمقاً منه»^(٢). ويصر فى الوقت نفسه على أننا لا نستطيع أن نتخلى عن مفهوم المطلق. وهذا يعنى أنه يجب علينا أن نتصور الله من حيث إنه، بمعنى ما، يشمل بداخله عالم الذوات المتناهية وعالم الطبيعة. وكما أن الذات البشرية، التى تجرد من حياة التجربة الخاصة بها، تكون فارغة، فكذلك يكون مفهوم الله فارغاً إذا نُظر إليه بمعزل عن حياة التجربة المطلقة الخاصة به. «إن مجال الدين هو، فى واقع الأمر، الذات الإلهية؛ أعنى روحاً تكون موضوعاً لكل الأشياء المتناهية، والأشخاص، والفنون مثلاً تكون موضوعاً، ومن المحتمل لكل شيء آخر لا تتضمنه هذه المقولات»^(٣). وهكذا يكون العالم ضرورياً لله، على الرغم من أننا نستطيع فى الوقت نفسه أن نتصوره بوصفه مخلوقاً. لأن الطبيعة هى، فى واقع الأمر، تعبير عن العقل الإلهى، كما أنها الوسيلة التى عن طريقها

(١) The Meaning of God in Human Experience, p. 314.

(٢) Types of philosophy, p. 441.

(٣) Human Nature and its Remaking, p. 329.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أصبحت مسألة تطوير رؤية دينية عن العالم، واقتراض رؤية دينية للمستقبل، أكثر من أن تكون مسألة دفاع عن دين تاريخي معين. ويتفق ذلك كثيراً، بصورة واضحة، مع برنامج «و. ت. هاريس» الخاص بفلسفة نظرية تأملية. لأن «هاريس» يفترض أن المذاهب التقليدية والتنظيم الكنسي في مرحلة فقدان سيطرتها على الأذهان البشرية، حتى إنه تكون هناك حاجة إلى رؤية دينية جديدة، وجزء من مهمة الفلسفة النظرية التأملية، أو المثالية الميتافيزيقية أن تواجه هذه الحاجة.

ولا تتضمن المثالية، في الوقت نفسه، بالضرورة الدفاع عن دين موجود، أو إعداد إيجابى لدين جديد. ومن الطبيعي، بالتأكيد، أن نتوقع اهتماماً ما بالدين أو على الأقل معرفة واضحة بأهميته في الحياة البشرية من جانب الفيلسوف الميتافيزيقي المثالي. لأنه يهدف، بوجه عام، إلى تركيب للتجربة البشرية، ويهدف، بوجه خاص، إلى إتصاف تلك الصور من التجربة التي يميل الفيلسوف المادى والفيلسوف الوضعى إلى التقليل من شأنها، أو إلى استبعادها من ميدان الفلسفة. بيد أنه من الخطأ أن نعتقد أن المثالية مرتبطة بالضرورة بالإيمان المسيحى أو بالنظرة الصوفية لفيلسوف ما مثل «هوكنج» حتى إنه لا يمكن فصلها عن معتقدات دينية معتنقة بصورة عميقة. إن الاهتمام بمشكلات دينية ليس خاصية من خصائص المثالية الموضوعية لدى «كريتن»، وليس خاصية من خصائص تفكير «براند بلانشارد» (ولد عام ١٨٩٢)؛ وليس خاصية من خصائص تفكير «سترلنج»؛ أستاذ الفلسفة بجامعة «ييل»؛ وهو المثالى الأمريكى فى القرن العشرين الذى كان شهيراً فى بريطانيا العظمى^(١).

يكرس «بلانشارد» Blanshard نفسه فى عمله الذى يتكون من جزأين شهيرين «طبيعة الفكر» (١٩٢٩ - ١٩٤٠) لتحليل نقدي لتفسيرات التفكير والمعرفة التى ينظر إليها على أنه زائفة أو غير كافية، ولدفاع عن العقل متصوراً أساساً على أنه اكتشاف

(١) درس «بلانشارد» فى «أكسفورد»، ونُظر إليه على أنه يواصل تراث مثالية أكسفورد (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

القصوى للمادة على العقل أو الروح. وإذا فُهمت المثالية بهذه الطريقة، لن يكون تركيب المتناقضات ممكنًا. لأن النزاع الجوهرى ليس حول حقيقة العقل أو المادة، وإنما حول مسألة الأولوية القصوى. ولا يمكن أن يكونا سابقين، فى نهاية الأمر، فى نفس الوقت.

ومع ذلك، فإن المثالية، بوجه عام، تناقض المذهب الواقعى. وليس واضحًا باستمرار، على الإطلاق، كيف يُفهم هذان اللفطان. وعلى أية حال، يمكن أن يتنوع معناهما ويختلف مع سياقات مختلفة. غير أن محاولة قام بها فيلسوف أمريكى «ولبور مارشال أورين» Wilbur Marshall Urban (ولد عام ١٨٧٣)^(١) لبيان أن المثالية والمذهب الواقعى يقومان فى النهاية على أحكام معينة للقيمة عن شروط المعرفة الحقيقية، ويمكن لهذه الأحكام أن تنسجم بصورة جدلية. ولا يعنى، بالتأكيد، أن أنساقًا فلسفية متعارضة يمكن أن تختلط بعضها مع بعض. وإنما يعنى أن الأحكام الأساسية التى تقوم عليها الفلسفات المثالية والواقعية، فى النهاية، يمكن أن تُفسر حتى إنه يكون من الممكن تجاوز التعارض بين المثالية والمذهب الواقعى.

يعتقد الفيلسوف الواقعى، كما يرى «أورين» أنه لا يمكن أن تكون هناك معرفة حقيقية إذا لم تكن الأشياء مستقلة بمعنى ما عن الذهن. وبمعنى آخر، يؤكد أسبقية الوجود على المعرفة. ومع ذلك، يعتقد الفيلسوف المثالى أنه لا يمكن أن تكون هناك معرفة حقيقية إذا لم تعتمد الأشياء بمعنى ما على الذهن. لأن معقولياتها مرتبطة بهذا الاعتماد. ولذلك لا يتطابق المذهب الواقعى والمثالية لأول وهلة؛ إذ إن المذهب الواقعى يؤكد أسبقية الوجود على الفكر والمعرفة، بينما تؤكد المثالية أسبقية الفكر على الوجود.

(١) «أورين» هو مؤلف، من بين كتابات أخرى، كتاب «التقييم» طبيعته وقوانينه» (١٩٠٩)، و«العالم المعقول: الميتافيزيقا والقيمة» (١٩٢٩)، و«اللغة والواقع» (١٩٣٩) و«قيمة وراء المذهب الواقعى والمثالى» (١٩٤٩). وفى هذا السياق سيكون العمل الذى له صلة بموضوعنا هو العمل الأخير (المؤلف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن المثل الأعلى لتجاوز صنوف التعارض التقليدية في الفلسفة أمر يمكن فهمه، وهو بلاشك أمر يستحق الثناء. لكن هناك مسألة يجب ملاحظتها. إذا فسرنا المذهب الواقعي عن طريق أحكام أساسية للقيمة عن شروط المعرفة الحقيقية، فإننا نقبل منظوراً معيناً للفلسفة بصورة ضمنية. إننا نقترّب من الفلسفة عن طريق موضوع المعرفة؛ عن طريق علاقة الذات - الموضوع. وكثير من الفلاسفة الذين يوصفون، عادة، بأنهم واقعيون يفعلون ذلك بدون شك. فنحن نتكلم، مثلاً، عن النظريات الواقعية في المعرفة. غير أن بعض الفلاسفة الواقعيين يزعمون أنهم يأخذون الوجود كنقطة بداية لانطلاقهم، بصفة خاصة بمعنى الوجود العيني، وأن منظورهم يختلف، بصورة ملحوظة، عن منظور الفيلسوف المثالي، وأن المنظورات المختلفة للفلسفة هي التي تحدد وجهات النظر المختلفة عن المعرفة.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

غير أن جيمس وديوى يقران بأنهما مدينان لبيرس. وقد زادت شهرة بيرس بعد وفاته بصورة كبيرة، حتى إذا ظل، بطبيعة تفكيره، فيلسوفاً عظيماً للغاية.

«بيرس» هو ابن عالم رياضى وفلكى فى جامعة هارفارد؛ هو «بنيامين بيرس» (١٨٠٩ - ١٨٨٠)، وقد انتهى تعليمه الرسمى بحصوله على درجة البكالوريوس فى الكيمياء التى حصل عليها من جامعة «هارفارد» عام ١٨٦٢. ومنذ عام ١٨٦٦ حتى عام ١٨٩١ عمل فى هيئة مسح الأراضى والسواحل فى الولايات المتحدة، على الرغم من أنه شارك أيضاً منذ عام ١٨٦٩ لبعض سنوات فى المرصد الفلكى بهارفارد. وجسّد الكتاب الوحيد الذى نشره وهو «بحوث فى قياس شدة الضوء» (١٨٧٨) نتائج سلسلة من ملاحظات فلكية قام بها.

حاضر «بيرس» فى السنوات الأكاديمية من عام ١٨٦٤ حتى عام ١٨٦٩ فى «هارفارد» عن التاريخ المبكر للعلم الحديث، وفى عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٧١ حاضر فى المنطق^(١). ومنذ عام ١٨٧٩ حتى عام ١٨٨٤ أصبح مدرساً للمنطق فى جامعة «جون هوبكنز»، لكن لم يجدد تعيينه لأسباب متعددة^(٢). ولم يتقلد مرة أخرى أية وظيفة أكاديمية منتظمة على الإطلاق، على الرغم من المجهودات التى قام بها وليام جيمس نيابة عنه.

فى عام ١٨٨٧ استقر «بيرس» مع زوجته الثانية فى «بفسلفانيا»، وحاول أن ينفق بما لا يزيد على الدخل عن طريق كتابة مراجعات ومقالات للمعاجم. وقد كتب، بالفعل،

(١) نشر بيرس فى عام ١٨٦٨ بعض المقالات فى «مجلة الفلسفة النظرية أو التأملية» عن ملكات معينة مزعومة للذهن البشرى؛ مثل ملكة المعرفة عن طريق الحدس، أى دون حاجة إلى أية معرفة سابقة، المقدمات التى تكوّن النقاط المطلقة للانطلاق بالنسبة للبرهان.

(٢) الواقعة التى تقول إن بيرس طلق زوجته الأولى عام ١٨٨٢ ثم تزوج بعد ذلك، قد تساهم فى إنهاء تعيينه فى جامعة جون هوبكنز. لكن يبدو أن هناك عوامل أخرى أيضاً؛ مثل الهجوم الذى قدمه أحياناً عن طريق تعبيرات مفرطة عن الاستياء الأخلاقى، وعدم توافر بعض المسائل المتعلقة بمتطلبات الحياة الأكاديمية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يميز «بيرس» بين ثلاثة أنواع من الصدق. فهناك، مثلاً، ما يسميه بالصدق المتعالى الذى يخص الأشياء بوصفها أشياء^(١). وإذا قلنا إن العلم يبحث عن الصدق بهذا المعنى، فإننا نقصد أنه يبحث الطبائع الحقيقية للأشياء، الطبائع التى تمتلكها سواء عرفنا أنها تمتلكها أم لم نعرف. غير أننا نهتم هنا بما يسميه «بيرس» بالصدق المركب، الذى يكون صدق القضايا. وهذا الصدق يمكن أن يُقسم أيضاً؛ فهناك، مثلاً، الصدق الأخلاقى أو الصحة Veracity، الذى يتمثل فى مطابقة قضية ما لاعتقاد المتكلم أو الكاتب. وهناك الصدق المنطقى؛ أى مطابقة قضية للحقيقة الواقعية بمعنى يجب تحديده الآن.

«عندما نتحدث عن الصدق والكذب، فإننا نشير إلى إمكان القضية التى تُدحض»^(٢)، أعنى إذا تمكنا من أن نستدل، بصورة مشروعة، من قضية على نتيجة تناقض حكماً مدرّكاً مباشراً، فإن القضية تكون كاذبة. وبمعنى آخر، القضية تكون كاذبة إذا دحضتها التجربة. وإذا لم تدحض التجربة قضية ما، فإنها تكون صادقة.

وقد يفترض ذلك، بالنسبة لبيرس، أن الصدق والتحقق هما نفس الشيء. بيد أن التأمل يبين أنه محق تماماً فى رفض هذا التوحيد. لأنه لا يقول إن القضية تكون صادقة إذا تم التحقق منها تجريبياً، وإنما يقول إنها تكون صادقة إذا لم تكن كاذبة تجريبياً، على افتراض أن هذا الاختبار ممكن. وقد لا يكون ممكناً فى حقيقة الأمر. غير أننا نستطيع مع ذلك أن نقول إن القضية تكون كاذبة إذا، عبّرنا عن ذلك بدون إحكام، كانت تناقض الحقيقة الواقعية كما يتم بيانها فى التجربة إذا كانت المواجهة

(١) يشير «بيرس» فى هذا السياق إلى القاعدة الإسكولانية التى تقول إن كل وجود واحد، وصادق، وخير (المؤلف).

(٢) References are given in the Customary way to the volume and numbered paragraph of the collected papers of Charles Pierce.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا نستطيع أن ندحضها، نقول أنها صادقة^(١). غير أن الفرض العلمى يمكن أن يكون صادقاً دون أن نعرف أنه كذلك. ونحن لا نستطيع، فى واقع الأمر، أن نعرف بيقين أنه صادق. لأنه بينما يبين الدحض التجريبي أن فرضاً ما زائف، فإن ما نسميه بالتحقق لا يبرهن على أن فرضاً ما صادق، على الرغم من أنه يمد، بيقين، بسبب قبوله مؤقتاً. إذا استنبطنا من الفرض (أ)، بصورة مشروعة، أن حدثاً (ب) يحدث فى ظروف معينة، وإذا لم يحدث (ب) فى هذه الظروف، فإننا نستطيع أن نستنتج أن (أ) فرض كاذب. لكن حدوث الحدث (ب) لا يبرهن بيقين على أن الفرض (أ) صادق. لأن الأمر قد يكون، مثلاً، أن النتيجة التى تقول أن الحدث (ب) يحدث فى نفس مجموعة الظروف، يمكن استنباطها من الفرض (س)، الذى يكون، بناء على أسباب أخرى، أفضل من الفرض (أ). إن الفروض العلمية «يمكن أن تتمتع بدرجات متنوعة ومختلفة من الترجيح، غير أنها تخضع كلها لمراجعة ممكنة. فكل صياغات ما يُعد معرفة بشرية هى، فى واقع الأمر، غير يقينية، وغير معصومة من الخطأ»^(٢).

ليس من الضروري أن نضيف أن مبدأ بيرس الخاص بالعصمة من الخطأ لا يستلزم إنكاراً للصدق الموضوعى. إذ إن البحث العلمى الذى يوحى به بحث يخلو من الفرض عن الصدق الموضوعى. فلا أحد يسأل سؤالاً نظرياً إذا لم يعتقد أن هناك شيئاً هكذا مثل الصدق. و«يتمثل الصدق فى مطابقة شىء مستقل عن اعتقاده بأنه يكون هكذا، أو مطابقة رأى أى شخص فى هذا الموضوع»^(٣). لكن إذا ربطنا فكرة

(١) يلاحظ «بيرس» أن القضية التى تخلو من المعنى تماماً، يجب أن توضع مع القضايا الصادقة؛ لأنه لا يمكن دحضها. غير أنه يضيف تحفظاً وهو «إذا كانت تسمى قضية» (٢٠٢٧)، المؤلف.

(٢) عندما نتساءل عما إذا كان مبدؤه عن العصمة من الخطأ، كما يُسمى، التقرير بأن كل التقارير غير يقينية، هو نفسه معصوم من الخطأ أم غير معصوم من الخطأ، غير يقينى أم يقينى، فإن بيرس يرد بأنه لا يقصد الزعم بأن تقريره يقينى بصورة مطلقة، فهذا التقرير قد يكون منطقياً، لكنه يحتوى على إضعاف معين لموقفه (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أساس أكثر صلابة، أو عن طريق استبداله باعتقاد أكثر رسوخاً. وهكذا يكون الشك دافعاً على البحث، وبهذا المعنى يكون له قيمة إيجابية. لكن لكي نشك في صدق قضية ما، فإنه يجب علينا أن يكون لدينا سبب للشك في صدق هذه القضية، أو لقضية تعتمد عليها. وأية محاولة لتطبيق منهج الشك الكلي ستؤدي، ببساطة، إلى شك مزعوم أو وهمي. وليس هذا شكاً حقيقياً على الإطلاق.

إن «بيرس» يفكر، بوضوح، في المقام الأول في البحث العلمي. غير أنه يطبق أفكاره بطريقة عامة تماماً. فنحن جميعاً نبدأ باعتقادات معينة، بما يسميه هيوم بالاعتقادات الطبيعية، ويحاول الفيلسوف، بالفعل، أن يوضح اعتقاداتنا التي تُقبل دون نقد وتمحيص، ويخضعها لفحص نقدي. لكنه لا يستطيع حتى أن يشك فيها كما يشاء؛ إذ إنه يحتاج إلى سبب للشك في صدق هذا الاعتقاد أو ذاك. وحتى لو كان لديه هذا السبب، أو اعتقد أن لديه هذا السبب، فإنه يجد أيضاً أن شكه الخالص يفترض اعتقاداً آخر أو اعتقادات. وبمعنى آخر، لا يمكن أن تكون لدينا نقطة انطلاق لا نشك في صحتها بصورة مطلقة. إن الشك الديكارتي الكلي ليس شكاً حقيقياً على الإطلاق. «لأن الشك الحقيقي لا يتحدث عن البداية بشك»^(١). وربما يرد المناصر لديكارت بأنه يهتم، أساساً، بشك «منهجي» وليس بشك «حقيقي» أو «واقعي». بيد أن وجهة نظر «بيرس» هي أن الشك المنهجي، من حيث إنه يتميز عن الشك الحقيقي، ليس شكاً حقيقياً على الإطلاق. سواء كان لدينا سبب للشك أم لم يكن لدينا سبب. ففي الحالة الأولى، الشك حقيقي. وفي الحالة الثانية لا يكون لدينا سوى شك مزعوم أو وهمي.

إذا وضعنا في الاعتبار وجهة النظر هذه، فإننا نستطيع أن نفهم زعم «بيرس» الذي يقول إن «الروح العلمية تتطلب إنساناً يكون على استعداد باستمرار لأن يفرغ كل حمولته من المعتقدات، عندما تكون التجربة ضدها»^(٢). إنه يتحدث، بوضوح،

(١). 498. 6.

(٢). 55. 1.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يمكن تقسيمه إلى: برهان استنباطي، برهان استقرائي، وبرهان «فرضي». أما البرهان الاستقرائي الذي يكون إحصائياً في طابعه، فإنه يفترض أن ما يصدق على عدد من أعضاء فئة ما يصدق على كل أعضاء الفئة. ويدرس بيرس نظرية الاحتمال مع الاستقراء. أما البرهان الفرضي فهو تنبؤي في طابعه، أعنى أنه يصوغ فرضاً من وقائع ملاحظة ويستنبط ما يجب أن تكون عليه الحالة إذا كان الفرض صادقاً. ونستطيع، بالتالي، أن نتخبر التنبؤ، وعند النظر من وجهة نظر واحدة، كما يخبرنا بيرس، فإنه يمكن وصف «البرجماتية» بأنها منطق الاحتمال. وستصبح قوة هذه الملاحظة واضحة جلية في الحال.

أما القسم الثالث من المنطق؛ وهو علم المعاني النظرى، فإنه يعالج ما يسميه بيرس بالشروط الصورية لقوة الرموز أو «الشروط العامة لإشارة الرموز والعلامات الأخرى إلى التأويلات التي تهدف إلى تحديدها»^(١) وتثير العلامة في التواصل مع الآخر علامة أخرى، أي تأويلاً، في المفسر. ويصر «بيرس» على أن المفسر لا يكون، بالضرورة موجوداً بشرياً. ولأنه يريد أن يتجنب السيكلوجيا، كلما كان ذلك ممكناً، فإنه يشدد على التأويل وليس على المفسر. إنه، على أية حال، يبسط المسائل إذا تصورنا علامة تثير علامة في شخص ما. ونستطيع، بالتالي، أن نرى أن علم المعاني النظرى يهتم إلى حد كبير بنظرية المعنى. لأن المعنى هو «التأويل المقصود لرمز ما»^(٢). وسواء تكلمنا عن حد، أو قضية، أو برهان، فإن معناه هو التأويل الكلى المقصود. ولما كانت البرجماتية عند بيرس هي منهج أو قاعدة لتحديد المعنى، فإنها تنتمي، بوضوح، أو ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم المعاني النظرى، الذي يُسمى أيضاً «بالمنهج».

(١). 93. 2

(٢). 175. 5

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عليه شخص ما بلطف، فإنه لن يرخو بالطريقة التي يرخو بها الزيد؛ وإذا جلس عليه شخص ما، فإنه لن يغور ويفطس وهكذا. ويعطى المجموع الكلى «للتائج العملية» التي تنتج بالضرورة لو كان صحيحاً القول بأن الموضوع صلب، المعنى الكلى للتصور. وإذا لم أعتقد ذلك، فإنه لا يجب على سوى أن أستبعد كل هذه «التائج العملية» من معنى اللفظ. إننى أرى، بالتالى، أنه يصبح من المستحيل التمييز بين معنى «صلب» و«لين».

وبالتالى، إذا فهمنا أن «بيرس» يقول إنه يمكن رد معنى تصور ذهنى ما إلى أفكار عن معطيات حسية معينة، فإنه يتحتم علينا أن نستنتج أنه يناقض تقريره أنه لا يمكن رد التصورات الذهنية إلى أفكار «الرتبة الأولى». وإذا فهمنا أنه يقول أنه يمكن رد معنى تصور ذهنى إلى أفكار عن أفعال معينة، فإنه يتحتم علينا أن نستنتج أنه يناقض تقريره أنه لا يمكن رد هذه التصورات إلى أفكار «الرتبة الثانية». بيد أنه لا يقول الأولى ولا الثانية. فوجهة نظره هى أنه يمكن تفسير معنى التصور الذهنى عن طريق أفكار العلاقات الضرورية بين أفكار الرتبة الثانية وأفكار الرتبة الأولى، بين، إن جاز التعبير، أفكار المشينة أو الفعل، وأفكار الإدراك، فهو عندما يتحدث عن «التائج»، فإنه؛ كما يوضح، يشير إلى العلاقة بين سابق ولاحق، ولا يتحدث ببساطة، عن اللاحق.

ومن الواضح أنه ينبجم عن هذا التحليل، أن معنى تصور ذهنى ما له علاقة بالسلوك. لأن القضايا الشرطية التى يُفسر بها المعنى تهتم بالسلوك. لكن يتضح تماماً أن بيرس لا يفترض أنه لكى نفهم أو نفسر معنى تصور ذهنى، يجب علينا أن نفعل شيئاً، يجب أن نؤدى أفعالاً معينة تُذكر فى تفسير المعنى. إذ يمكننى أن أشرح معنى كلمة «صلب» لفسر بأن أجعلها تثير فى ذهنه فكرة مؤداها أنه إذا كان يتحتم عليه أن يؤدى فعلاً معيناً من جهة الموضوع الذى يوصف بأنه صلب، فإنه يجب أن تكون لديه تجربة معينة. ليس مطلوباً أنه يجب أن يؤدى الفعل قبل أن يتمكن من فهم ماذا تعنى كلمة «صلب». وليس ضرورياً حتى أن يكون فى الإمكان أداء الفعل، شريطة أن يكون ممكن التصور. وبمعنى آخر، يمكن تفسير معنى تصور ذهنى ما عن طريق قضايا

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

القضية الشرطية التي تفسر معنى تصور كلى. ولذلك يسميه «بالقانون». وبالتالي يكون للمفاهيم الكلية أساس موضوعى أو نظير فى الواقع: أعنى «قوانين».

إننا نتحدث عن أفكار «الرتبة الثالثة» بيد أنه يمكن ملاحظة واقعية «بيرس» أيضاً فى تفسيره لأفكار «الرتبة الأولى». ففكرة أبيض، مثلاً، لها نظير موضوعى فى الواقع، هذا النظير ليس ببساطة أشياء بيضاء، وإنما البياض، أى ماهية. إن البياض من حيث هو كذلك لا يوجد بالفعل من حيث إنه وجود فعلى. إذ إن الأشياء البيضاء هى وحدها التى توجد بهذه الطريقة. لكن البياض، عند بيرس، إمكان واقعى. إنه من وجهة النظر الابستمولوجية الإمكان الواقعى لفكرة ما، فكرة من «الرتبة الأولى»^(١).

وبوجه عام، تتطلب المعرفة البشرية والعلم وجود مجال من الإمكانيات الواقعية، أو «الماهيات»، ذات طبيعة عامة كشرط ضرورى. ولذلك لا يمكن أن نقبل الأطروحة الاسمية التى تقول إن العمومية لا تنتمى إلا إلى كلمات فى وظيفتها من حيث إنها ترمز إلى كثرة من كيانات فردية^(٢).

٦- عندما نقرأ صياغة المبدأ البرجماتى الذى اقتبسناه فى الفقرة الرابعة من هذا الفصل^(٣)، فمن الطبيعى أن نضع فى ذهننا المعيار الوضعى الجديد للمعنى. لكن لكى نتمكن من مناقشة العلاقة بين نظرية المعنى عند بيرس، والوضعية، فإنه يجب علينا فى البداية أن نقوم ببعض التمييزات من أجل توضيح القضية.

أولاً، عندما يتحدث «بيرس» عن الوضعية، فإنه يتحدث، بداهة، عن وضعية كلاسيكية كما يمثلها، مثلاً، «أوجست كونت» و«كارل بيرسون» K. Pearson. وعلى حين

(١) تتجسد «ماهية» البياض فى فكرة عن طريق قوة الانتباه، التى يفترض أنها «تجردها» المؤلف.

(٢) ما يسميه «بيرس» «بالمذهب الواقعى» ليس ما يقصده كل شخص باللفظ. غير أننا نهتم هنا باستخدامه للكلمة (المؤلف).

(٣) انظر صفحة ٢٧٧ .

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يصرّوا على أن الفرض يمكن التحقق منه مباشرة، لكي يكون له معنى. وليس قصد كاتب هذه السطور أن يعبر عن الاتفاق مع المعيار الوضعي الجديد للمعنى. فهو لا يتفق معه في حقيقة الأمر. بيد أن ذلك ليس له صلة بموضوعنا؛ وإنما المسألة التي لها صلة بموضوعنا هي أن نظرية المعنى التي قدمها الوضعيون الجدد تتجنب، على أية حال، بعض النقد وجهه بيرس، سواء بصورة منصفة أم بصورة غير منصفة، إلى الوضعية كما عرفها.

ولابد من التشديد أيضاً على أن المسألة ليست ما إذا كان بيرس وضعياً أم لا. لأنه جليّ تماماً أنه ليس وضعياً، فهو يقدم، كما سنرى حالاً، صورة لميتافيزيقا تشبه في بعض النواحي على الأقل المثالية المطلقة الهيجلية. إن المسألة هي، بالأحرى، ما إذا كان الوضعيون الجدد على حق في النظر إلى بيرس على أنه جد لهم، ليس بمعنى أن تحليله «البرجماتي» للمعنى يحمل تشابهاً واضحاً مع تحليلهم الخاص، بل أيضاً بمعنى أن الاتساق الحقيقي مع نظريته عن المعنى أوجد نوع الميتافيزيقا التي طورها بالفعل. وبمعنى آخر، عندما يقدم بيرس نظريته عن المعنى، هل ينبغي أن يكون وضعياً؟ أعنى، هل ينبغي أنه استبق الوضعيين الجدد إلى حد أكبر مما يكون الأمر بالفعل؟

يؤكد «بيرس» في مقالته الشهيرة «كيف نوضح أفكارنا» أن «ماهية الاعتقاد هي تكوين عادة *Habit*؛ وتتميز الاعتقادات المختلفة عن طريق الحالات المختلفة للفعل الذي تحدثه»^(١). وإذا لم يكن هناك فرق على الإطلاق بين طرق السلوك أو الفعل التي يحدثها، للوهلة الأولى، اعتقادان مختلفان، فإنهما لا يكونان اعتقادين اثنين، بل يكونان اعتقاداً واحداً.

من السهل أن نتصور مثلاً بسيطاً. لو أن شخصاً قال إنه يعتقد أن هناك أشخاصاً مختلفين إلى جانبه، بينما يقول شخص آخر إنه يعتقد خلاف ذلك، وإذا

(١) 398، 5.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن صلة حجة «بيرس» بموضوع علاقته بالوضعية قد لا يكون واضحاً بصورة مباشرة. بيد أن خط حجته له، في واقع الأمر، صلة كبيرة. لأنه يقول بوضوح إنه يرغب في بيان «كم يكون مستحيلاً أن تكون لدينا فكرة في أذهاننا ترتبط بأى شيء سوى الآثار المحسوسة للأشياء. إن فكرتنا عن أى شيء هي فكرتنا عن آثاره المحسوسة، وإذا تخيلنا أنه يكون لدينا أى شيء آخر، فإننا نخدع أنفسنا، ونسئ فهم الإحساس المحض الذى يلزم التفكير كجزء من التفكير نفسه»^(١). وهذا يعنى فى السياق المباشر الاتفاق على أن موضوعاً يكون له كل الآثار المحسوسة للخبر وأن الزعم فى الوقت نفسه بأن جسد المسيح هو الذى انغمس، بالفعل، فى «لغة ليس لها معنى»^(٢). وفى سياق أوسع يبدو أنه ينجم عن أطروحة بيرس، بوضوح، أن كل الحديث الميتافيزيقى عن الحقائق الروحية التى لا يمكن تكوينها من حيث إنها حديث عن «آثار محسوسة» يخلو من المعنى، أو أنه لا يعدو أن يكون له سوى دلالة انفعالية.

ولا داعى للقول إننا لا نهتم هنا بجدال لاهوتى بين الكاثوليك والبروتستانت. فمسألة الإشارة إلى الفقرة التى يذكر فيها «بيرس» المسألة هي، ببساطة، أنه يقرر فيها، بوضوح، أن فكرتنا عن أى شيء هي فكرة عن آثاره المحسوسة. وإذا لم يقدم هذا القول أساساً جيداً للزعم بأن جوانب معينة من تفكير «بيرس» يكون استباقاً للوضعية الجديدة، فإنه يكون من الصعب تصور العبارات التى تقرر ذلك. بيد أن ذلك لا يغير الواقعة التى تقول إن هناك جوانب أخرى من تفكيره تجعله مختلفاً إلى حد كبير عن الوضعية. ولم يحاول أى شخص أن ينكر هذه الحقيقة، على حد علمي.

٧- وإذا رجعنا إلى الأخلاق، فإننا نستطيع أن نلاحظ أن «بيرس» يصفها بطرق متعددة؛ بوصفها، مثلاً، علم الصواب والخطأ، علم المثل العليا، فلسفة الأهداف. غير أنه يخبرنا أيضاً بأننا «على استعداد تام لأن نعرف الأخلاق لأنفسنا بأنها علم الصواب

(١). 401. 5.

(٢). Ibid.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن «الأخلاق الخالصة» كما يخبرنا بيرس، «هى، ولابد أن تكون باستمرار، مسرحاً للمناقشة؛ لأن دراستها تتمثل فى التطور التدريجى لمعرفة متميزة بهدف مرض»^(١). هذا الهدف المرضى أو الغاية للسلوك لابد أن يكون غاية لامتناهية، أعنى هدفًا يمكن أن تتعقبه بلا حدود. ويوجد هذا فيما يمكن أن نسميه بمعقولية الكون. لأن ما هو عقلانى أو معقول هو الغاية الوحيدة التى تكون مرضية تماماً فى ذاتها. وهذا يعنى، فى واقع الأمر، أن «الخير الأقصى»، أو الخير الأسمى هو، بالفعل، العملية التطورية ذاتها منظوراً إليها على أنها المعقولية التقدمية للواقع، أى بوصفها العملية التى يصبح بها ما هو موجود أكثر وأكثر تجسيدا للمعقولية. وهكذا تكون الغاية القصوى هى غاية كونية. غير أن «التطور يحدث بصورة كبيرة فى المراحل العليا عن طريق ضبط النفس»^(٢). وهذا هو المكان الذى يدخل فيه الفعل البشرى بالتحديد. إنه ضبط النفس الذى يجعل «ما ينبغى أن يكون عليه السلوك» ممكناً^(٣).

وهكذا ينظر «بيرس» إلى العملية الكونية على أنها تسير نحو تحقق العقل أو المعقولية، وتحقيق الإنسان من حيث إنه يشارك فى العملية. وفضلاً عن ذلك، لما كانت الغاية القصوى غاية عامة، لما كانت هدفًا كونياً، إن جاز التعبير، فإنه ينجم عن ذلك أنها لابد أن تكون غاية اجتماعية، أى أنها عامة ومشتركة بالنسبة لجميع الناس. إن الضمير، المخلوق والمعدل عن طريق التجربة، هو، بمعنى ما، أخلاقى سلفاً؛ فهو ينتمى إلى ما يسميه «بيرس» وعى الجماعة، الذى يوجد فى مستوى النفس الذى قلنا يوجد فيه أفراد متميزون. وتحسم مكانة المرء ووظيفته فى الجماعة التى ينتمى إليها، فى واقع الأمر، قدرًا كبيراً من رسالته الأخلاقية. غير أن رؤيتنا ترتفع فوق الكائن الحى

4. 243. (١)

5. 433. (٢)

4. 540. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

التي تكون الأخلاق»^(١). ولا يعنى «بيرس»، بالفعل، فى الوقت نفسه أن المنطق يمكن أن يُستمد من الأخلاق، ولا يمكن أن تستمد الأخلاق من المنطق. فهما عنده علمان معياريان متميزان. لكن من حيث إن البرجماتية تعلمنا أن «ما نفكر فيه يجب أن يُفسر عن طريق ما تكون على استعداد لأن نفعله»^(٢)، فلا بد أن يكون هناك ارتباط بين المنطق والأخلاق.

وثمة ارتباط جدير بالملاحظة وهو الآتى: لقد رأينا أن اليقين المطلق عند «بيرس» الذى يتعلق بصدق فرض ما، لا يمكن بلوغه فى أية لحظة معينة عن طريق أى فرد معين. وفى الوقت نفسه هناك اقتراب «لامتناه» أو ليس له نهاية منه عن طريق جماعة غير محدودة أو مستمرة من الملاحظين، عن طريق تحقيق متكرر يثير احتمالاً نحو حد المثل الأعلى من اليقين. وهكذا تميل تجربة السلوك فى المجال الأخلاقى، إن جاز التعبير، إلى زيادة المعرفة الواضحة من خلال جماعة غير محدودة من البشر لطبيعة الغاية الأسمى للحياة و«لمعناها»، ومضامينها فيما يتعلق بالفعل العيني. ونستطيع أن نتصور، على أية حال، اتفاقاً كلياً من حيث إنه حد مثالى.

والواقع أن «بيرس» لم يتردد، فى أن يقول إنه «فيما يخص الأخلاق، فإننا نستطيع أن نرى أساساً للأمل فى أن الحوار يدفع، فى النهاية، مجموعة أو أخرى إلى تعديل مشاعرهما إلى اتفاق تام»^(٣). ومن الواضح أن ذلك يفترض مقدماً، أن أساس الأخلاق موضوعى، وأن الخير الأسمى، أو الغاية القصوى، هو شىء يجب اكتشافه، ويكون الاتفاق بشأنه أمراً ممكناً من حيث المبدأ. وتميز وجهة النظر هذه، بوضوح، أخلاق «بيرس» عن النظرية الانفعالية، لاسيما فى صورتها القديمة والفجة، التي

5. 35. (١)

Ibid, (٢)

2. 151. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تقول إن «بيرس» يسخر، أحياناً، من الميتافيزيقا، فإن ذلك لا يغير الواقعة التي تقول إنه كان يسخر منها.

يقدم «بيرس» عدداً من التعريفات المختلفة أو الأوصاف المختلفة للميتافيزيقا، عندما لا يُستخدم لفظ «الميتافيزيقا»، إن جاز التعبير، بوصفه لفظاً ذا استعمال سيء. فلقد قيل لنا، مثلاً، إن «الميتافيزيقا تكمن في نتائج القبول المطلق لمبادئ منطقية لا بوصفها صحيحة بصورة منظمة، وإنما بوصفها حقائق عن الوجود»^(١). وبناءً على وجهة النظر هذه يربط «بيرس» المقولات الأنطولوجية المهمة بالمقولات المنطقية الخاصة بالرتبة الأولى، والرتبة الثانية، والرتبة الثالثة. ويؤكد أنه لما كانت الميتافيزيقا تنتج من قبول مبادئ منطقية من حيث إنها مبادئ للوجود، فلا بد أن يُنظر إلى الكون على أنه يمتلك تفسيراً موحداً. ويشدد «بيرس» في أحيان أخرى على الأساس الذي يقوم على الملاحظة للميتافيزيقا. «إن الميتافيزيقا، حتى الميتافيزيقا السيئة، تقوم بالفعل على الملاحظات، سواء أكانت عن وعى أم لا»^(٢). وبناءً على وجهة النظر هذه يستمد «بيرس» المقولات الأنطولوجية الأساسية من «الفينومولوجيا» عن طريق البحث في المبادئ الصورية التي لا يمكن ردها في أى، وفي كل، تجربة. كما أنه قيل لنا أيضاً إن «الميتافيزيقا هي علم الحقيقة»^(٣). ولا تشمل الحقيقة، بالنسبة لبيرس، الوجود بالفعل فحسب، بل إنها تشمل أيضاً مجال الإمكان الواقعي.

وهذه الطرق المتنوعة لوصف الميتافيزيقا يمكن التوفيق بينها إلى حد ما على الأقل. فالقول، مثلاً، إن الميتافيزيقا هي علم الحقيقة لا يتعارض مع القول بأنها تقوم على التجربة أو الملاحظة. وربما يكون من الممكن أن تتسجم وجهة النظر التي تقول إن

(١). 487. 1.

(٢). 6.2.

(٣). 5. 21.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الأصالة، الذي يكون موجوداً في كل مكان، وفي كل ظاهرة، وكل واقعة، وكل حدث. ولكي نحصل على فكرة عما هو مقصود، فإن «بيرس» يفترض أنه يجب أن نتخيل الكون لأنفسنا على أنه يظهر «لآدم» عندما نظر إليه أول مرة، وقبل أن يقوم بتمييزات، ويصبح واعياً، بإمعان، بوجوده الخاص.

والمقولة الثانية الأساسية، هي مقولة «الرتبة الثانية» وهي الثنائية، التي تناظر فكرة الثنائية في المنطق. أعني أن الرتبة الثانية هي «تصور شيء على أنه نسبي بالنسبة لشيء آخر، تصور شيء يتفاعل مع شيء آخر»^(١). ويمكن أن تُسمى الرتبة الثانية من وجهة نظر ما «بالواقعة»، بينما هي الوجود أو الوجود الفعلي من وجهة نظر أخرى، لأن «الوجود الفعلي هو حالة الوجود الذي يوجد في مقابل وجود آخر»^(٢). وتسرى هذه المقولة أيضاً في الكون. إن الوقائع هي الوقائع، كما نقول؛ وهذا هو السبب في أننا نتحدث، أحياناً، عن وقائع «غاشمة». ويحتوى الوجود الفعلي أو الوجود العيني في كل مكان على الجهد والمقاومة. وهو بهذا المعنى ثنائي.

والمقولة الثالثة الأساسية، هي مقولة «الرتبة الثالثة» هي مقولة التوسط، ونموذجها المنطقي هو أنها تكون الوظيفة المتوسطة لعلامة بين الموضوع والتأويل. ومن الناحية الأنطولوجية تتوسط مقولة الرتبة الثالثة بين مقولة الرتبة الأولى، بمعنى الكيف، ومقولة الرتبة الثانية، بمعنى واقعة أو فعل ورد فعل. وهكذا فإنها تدخل الاستمرار والانتظام، وتأخذ شكل قوانين ذات أنواع متعددة أو ذات درجات متنوعة. إذ يمكن أن تكون، مثلاً، قوانين الكيف، التي تحدد «أنساقاً من الكيفيات، والتي يكون قانون مزج اللون عند نيوتن، مع التكملة التي قام بها دكتور «توماس يونج» له، النموذج الشهير والأكثر كمالاً لها»^(٣). كما أنه يمكن أن تكون هناك أيضاً قوانين الواقع. وهكذا إذا وقعت

Ibid, (١)

4.457, (٢)

1. 482, (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عن خصائص الحرية أو التلقائية»^(١). والحالة الثانية من حالات الوجود هي القانون، والقوانين ذات أنواع متعددة، لكن الوجود كله هو نتيجة التطور. أما الحالة الثالثة من حالات الوجود فهي العادة، أو، بالأحرى، الميل إلى تكوين عادة. ومع ذلك، يجب أن نفهم كلمة «العادة» بمعنى واسع. لأن كل الأشياء، كما يرى بيرس، تمتلك ميلاً إلى ترسيخ عادات^(٢). سواء أكانت موجودات بشرية، أم حيوانات، أم نباتات، أم جواهر كيميائية. والقوانين التي تقرر اطردات أو ألواناً من الانتظام هي نتاج فترات طويلة من تكوين هذه العادة.

ويمكن، بالتالي، أن ننظر، باختصار، إلى العالم الفعلي أو الكون في ضوء أنواع أو مقولات الوجود الفعلي أو الوجود بالفعل^(٣). «ثمة ثلاثة عناصر نشطة في العالم: أولها الصدفة، وثانيها القانون، وثالثها تكوين العادة»^(٤). ونحن مدعوون إلى تصور الكون بأنه موجود، أصلاً، في حالة عدم تحديد خالص؛ حالة لا توجد فيها أشياء متميزة، ولا عادات، ولا قوانين؛ حالة تسود فيها الصدفة المطلقة. وعدم التحديد المطلق وهذا هو «العدم»^(٥) من وجهة نظر ما، هو سلب كل تحديد، بينما هو وجود، من وجهة نظر أخرى، منظوراً إليه على أنه الإمكان الواقعي لكل تحديد^(٦). والصدفة هي، في الوقت نفسه، التلقائية، والحرية، والإبداع. وهكذا فإنها تبطل نفسها من حيث

(١) 6. 201.

(٢) CF. 1.409.

(٣) يجب أن نتذكر أن العالم الفعلي هو، عند بيرس، جزء من المجال الواسع للإمكان الواقعي. وهو يتكون من إمكانات متحققة ومن إمكانات في عملية التحقيق الفعلي (المؤلف).

(٤) 1. 409.

(٥) 1. 447.

(٦) Ibid

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولا ينجم عن نظرية بيرس عن الصدفة المطلقة من حيث إنها الحالة البدائية للكون أن الصدفة هي التفسير الوحيد للتطور. فعلى العكس «التطور ليس شيئاً سوى اكتشاف غاية محددة»^(١)، أعنى علةً غائية، ويمكن هذه الفكرة «بيرس» من أن يكيف الفكرة القديمة عن الدلالة الكونية للمحبة ويقبلها؛ وهي فكرة تعود، على أية حال، إلى الفيلسوف اليوناني «امبادوقليس». إن غاية نهائية تعمل عن طريق الجذب، والاستجابة هي الحب. وبالتالي، لا بد أن نضيف إلى فكرة «مذهب الصدفة» فكرة «المحبة» بوصفها مقولة كسمولوجية. ويجب أن نضيف إلى هاتين الفكرتين فكرة ثالثة؛ وهي «الاستمرار» وهي «النظرية التي تقول إن كل ما يوجد يكون متصلاً»^(٢).

إن «الاستمرار» قد نلاحظ، يبطل أى مذهب ثنائى أقصى بين المادة والذهن. «فما نسميه بالمادة لا يكون، بالفعل، ميباً تماماً، بل هو ذهن ملتصق بالعادات»^(٣) التى تجعله يعمل بدرجة عالية خاصة من الاطراد الآلى. ويرى «بيرس» أن «مذهب الصدفة» «لا بد أن يحدث مثالية صاغها «شلنج» تتمسك بأن المادة مجرد ذهن خاص وميت من بعض الوجوه»^(٤). لقد اقتنع بذلك، حتى إنه لم يتردد فى القول بأن «النظرية الوحيدة المعقولة عن الكون هي نظرية المثالية الموضوعية، التى ترى أن المادة ذهن فعال، وتصبح العادات الراسخة المتأصلة قوانين فيزيائية»^(٥).

(١). 204.

(٢). 172.

(٣). 158.

(٤). 102.

ذكر «مذهب الصدفة» لأن بيرس يربط الذهن بمقولة الرتبة الأولى، ويربطه كذلك، بصورة مدهشة، بالصدفة، بينما ترتبط المادة بمقولة الرتبة الثانية، والفجوة، ويربطه التطور بمقولة الرتبة الثالثة، أى بالالتصاق (المؤلف).

(٥). 25.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

قيمة واضحة. لأنه يمكن أن يخدم من حيث إنه هدف نافع، أو دافع نافع، يجعلنا نعطي مضموناً عينياً لتصوراتنا، بدلاً من أن نجعل الكلمات تقوم بوظيفة الأفكار الواضحة. وبمعنى آخر، إنه يحث على التحليل التصوري. ويبدو لي واضحاً تماماً أنه إذا لم يكن هناك فرق معين بين ما يسميه «بيرس» «بالنتائج العملية»، أو الآثار العملية للكلمتي «صلب» و«لين»، فلن يكون هناك فرق، في واقع الأمر، في المعنى. حقاً، إن مبدأ البرجماتية عند بيرس من حيث إنه معيار عام للمعنى يتعرض لنقص النوع من الاعتراضات التي وُجّهت إلى معيار الفيلسوف الوضعي الجديد للمعنى. ثمة صعوبة كبيرة في تفسير كل العبارات الواقعية بأنها تنبؤات، أو مجموعة من تنبؤات. بيد أن ذلك لا يغير الواقعة التي تقول إن مبدأ البرجماتية يبين جوانب الموقف الدلالي الذي يجب أن يوضع في الاعتبار في تطوير نظرية عن المعنى. وبمعنى آخر، قدّم «بيرس» إسهاماً له قيمته للمنطق. وإذا اعترف بأن ما يراه يجعل، بوضوح، جوانب أخرى من الموقف غامضة، فإنه لن يكون هناك شيء غير عادي في ذلك.

ومع ذلك، لقد رأينا أنه عندما يطبق «بيرس» مبدأ البرجماتية في سياق معين، فإنه يقرر باستمرار أن فكرتنا عن أي شيء هي فكرتنا عن آثاره المحسوسة. وإذا أخذ هذا القول بجديّة في صورته الكلية، فإنه يبدو أنه يقوض وجهة نظر بيرس الميتافيزيقية عن العالم. فقد قام، بالفعل، بمحاولة لكي يطبق مبدأه على مفهوم الله دون أن يذيب المفهوم^(١). ويفترض^(٢) أنه إذا سئل الفيلسوف البرجماتي: ماذا يعني بمفهوم «الله»، فإنه يستطيع أن يرد قائلاً تماماً كما أن التعرف على أعمال أرسطو يجعلنا على ألفة بفكر الفيلسوف، فإن دراسة الكون السيكو-فيزيقي تقدم لنا معرفة بما قد يُسمى بمعنى مماثل «العقل الإلهي». لكن إذا أخذ قوله في مكان آخر عن «الآثار المحسوسة»

(١). 489 - 490. 6.

(٢). 502. 6.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لم يوجد هذا التأليف، والثاني أنه ليس هناك تأليف ممكن إذا فهم المبدأ البرجماتي على نحو يؤدي مباشرة إلى الوضعية الجديدة.

وعلى أية حال، القول بأن «بيرس» لم يحقق تأليفاً متماسكاً تماماً لعناصر متعددة في تفكيره، ليس معناه إنكار أنه كان مفكراً نسقياً بمعنى حقيقي. ولعلنا نكون، بالفعل، مبالغاً، من وجهة نظر ما، أن نزع أن استحوذ عليه الشغف الشديد بالنسق. إنه لا يجب علينا سوى أن نتصور مثلاً، الطريقة التي استخدم بها فكرة «الرتبة الأولى»، و«الرتبة الثانية» و«الرتبة الثالثة»، مستخدمها ليربط المنطق، والإيستمولوجيا، والأنطولوجيا والكسمولوجيا معاً. ومما لا يمكن إنكاره أنه من أبحاثه المتعددة تنشأ الخطوط العامة لنسق رائع فخم.

لقد قلنا إن «بيرس» اقترب من الفلسفة عن طريق الرياضيات والعلم. ومن الطبيعي أن نتوقع أن تكون ميتافيزيقاه توسيعاً أو امتداداً لتأملاته في وجهة النظر العلمية عن العالم. والأمر كذلك إلى حد ما. كما أن النتائج العامة تشبه، في الوقت نفسه، بصورة ملحوظة المثالية الميتافيزيقية. غير أن بيرس كان يعي ذلك جيداً؛ ورأى أنه إذا كَوَّن المرء رؤية عن العالم بناء على التصور العلمي للعالم، فإنه يكون مدفوعاً، لا محالة، في اتجاه المثالية الميتافيزيقية؛ وهي مثالية قادرة على أن تتكيف مع «المذهب الواقعي الإسكولائي» الذي يصر عليه «بيرس» باستمرار. وبمعنى آخر، لم يبدأ «بيرس» بمقدمات مثالية. فقد بدأ بالمذهب الواقعي، وصمم على تدعيمه. لكنه أدرك أنه على الرغم من أن هذا المنظور يختلف عن منظور المثاليين، فإن نتائجه تشبه بصورة ملحوظة نتائجهم. ونجد إلى حد كبير نفس الموقف عند «وايتهد» في القرن الحالى.

لقد لاحظنا من قبل ثناء «بيرس» على وجهة نظر «شلينج» عن المادة، وقوله الواضح إن المثالية الموضوعية هي النظرية الوحيدة المعقولة عن العالم. ونستطيع أن نلاحظ هنا تشابهه في بعض النواحي مع هيجل. إن «بيرس» يتحدث، بالفعل، في بعض الأحيان ضد هيجل، جازماً، على سبيل المثال، بأنه كان يميل إلى حد كبير إلى إغفال أن هناك

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«الكليات» و«الوقائع». كما أن نظرية «وايتهد» عن الجدة في الكون، أو في العملية الكونية، تستدعي نظرية «بيرس» عن التلقائية والأصالة. وفضلاً عن ذلك، ربما لا يكون غريباً تماماً أن نرى في تفكير «بيرس» استباقاً لتمييز «وايتهد» الشهير بين الطبائع الأزلية والطبائع التابعة لله. لأن «بيرس» يخبرنا بأن الله من حيث إنه خالق هو «الأول المطلق»^(١)، لكن من حيث إنه نهاية الكون، أى من حيث إنه انكشف وتجلي تماماً، فإنه «الثاني المطلق»^(٢). وربما يضع المرء في اعتباره «هيجل» أكثر من «وايتهد»، لكن فلسفة «وايتهد» نفسه، اللامثالية على الرغم من أنها كانت عن قصد أصيل، تشبه إلى حد ما المثالية المطلقة في صورتها النهائية.

ولنرجع في النهاية إلى «بيرس» نفسه. لقد كان فيلسوفاً أصيلاً ومفكراً قوياً. والزعم بأنه أعظم كل الفلاسفة الأمريكيين ليس، بالفعل، معقولاً على الإطلاق. لقد كان لديه ميل قوى إلى التحليل الدقيق، وكان بعيداً عن أن يكون واحداً من أولئك الفلاسفة الذين يبدو أن يكون اهتمامهم الرئيسى هو الاهتمام بالإصلاح الأخلاقى وتهذيب النفس. لقد امتلك في الوقت نفسه ذهنًا نظرياً تأملياً يبحث عن تفسير عام أو شامل للواقع. وهذا الربط هو، كما نعتقد جيداً، المطلوب بدقة. كما أن نموذج «بيرس» هو، في الوقت نفسه، مثال حى لصعوبة إحداث هذا الربط. لأننا نجد في تفكيره ألواناً من الغموض التى ليس لها حل. فبيرس، مثلاً، فيلسوف واقعى ثابت العزيمة. فالواقع مستقل عن التجربة البشرية والتفكير. إن الواقعى يجب، بالفعل، أن يُعرف، بدقة، عن طريق هذا الاستقلال. وهذا التفسير للواقعى هو الذى يسمح لبيرس بأن ينسب حقيقة مستقلة لعالم الإمكانيات، وأن يصور الله بأنه الحقيقة الوحيدة المطلقة. كما أن

(١) 362.

(٢) Ibid.

مقولة الرتبة الثالثة: هي كل حالة للكون في نقطة محددة من الزمان. وهي تتوسط بين الله من حيث إنه الأول، والله من حيث إنه الثانى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الكبير^(١) رجلاً ذا شعور ديني عميق، ووجد نفسه منشغلاً في صراع عقلي بين وجهة النظر العلمية عن العالم، التي تُفسر بأنها وجهة نظر آلية تستبعد الحرية البشرية، ووجهة نظر دينية لا تشمل الإيمان بالله فحسب، بل تشمل أيضاً الإيمان بحرية الإنسان. ويقدر ما كان جيمس مهتماً بمشروعية الإيمان بالحرية، فقد وجد العون في كتابات الفيلسوف الفرنسي «تشارلز رنوفييه» (١٨١٥-١٩٠٥) C.Renouvier. ولقد كانت الرغبة في التغلب على التعارض بين النظرة التي بدت له أن العلم يتجه إليها، والنظرة التي افترضتها ميوله الدينية والإنسانية هي التي دفعت جيمس إلى الفلسفة. في عام ١٨٧٩ بدأ يحاضر في الفلسفة في «هارفارد»، وفي عام ١٨٨٠ أصبح أستاذاً مساعداً في الفلسفة. وفي عام ١٨٨٥ أصبح أستاذاً للفلسفة.

نشر «جيمس» في عام ١٨٩٧ كتابه «إرادة الاعتقاد ومقالات أخرى في الفلسفة العامة»^(٢). وظهر كتابه الشهير «صنوف التجربة الدينية»^(٣) عام ١٩٠٢. وتبعه كتابه «البرجماتية» عام ١٩٠٧، و«الكون المتكرر»^(٤) عام ١٩٠٩، و«معنى الصدق» عام ١٩٠٩. وتشمل كتابات «جيمس» التي نُشرت بعد وفاته: «بعض مشكلات الفلسفة» (١٩١١)، و«ذكريات ودراسات» (١٩١١)، و«مقالات في التجريبية المتطرفة» (١٩١٢)، و«مجموعة مقالات ومراجعات» (١٩٢٠). وظهرت خطابات، التي حررها ابنه «هنري جيمس» عام ١٩٢٦.

٢- يصف «جيمس» في مقدمة كتابه «إرادة الاعتقاد» اتجاهه الفلسفي بأنه اتجاه التجريبية المتطرفة. ويشرح ذلك قائلاً إنه يعنى بالتجريبية موقفاً يقنع بالنظر إلى

(١) كان هنري جيمس، الصغير، الروائي، أخاً أصغر لجيمس (المؤلف)

(٢) تاريخ طباعة الكتاب هو عام ١٨٩٦، لكن المجلد ظهر عام ١٨٩٧ (المؤلف)، وقد ترجمه إلى العربية في جزأين الدكتور حسب الله (المراجع)

(٣) يمثل هذا العمل محاضرات جيفرود التي أُلقيت في جامعة «دنبره» عام ١٩٠١ - ١٩٠٢ (المؤلف).

(٤) يمثل هذا العمل محاضرات «هيربرت» التي أُلقيت في جامعة «أكسفورد» عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أكثر تحديداً بصورة واضحة للتجريبية المتطرفة في مقدمة كتاب «معنى الصدق». «فهى تتكون في البداية من مسلمة، ثم قضية عن الواقع، وأخيراً نتيجة معممة»^(١). والمسألة هى أن تلك الأمور التى يمكن تعريفها بألفاظ مستمدة من التجربة، هى وحدها التى ينظر إليها الفلاسفة على أنها موضع خلاف. ولذلك إذا كان هناك أى وجود يجاوز كل تجربة ممكنة، فإنه يجاوز أيضاً المناقشة الفلسفية. أما القضية عن الواقع فهو أن العلاقات؛ العطفية والانفصالية، موضوعات للتجربة مثلها فى ذلك مثل الأشياء التى تربطها. والنتيجة المعممة من هذا التقرير عن الواقع هى أن الكون الذى يمكن معرفته يمتلك بناء مستمراً؛ بمعنى أنه لا يتكون، ببساطة، من كيانات لا يمكن أن ترتبط إلا عن طريق مقولات تُفرض من الخارج.

يتمسك «جيمس» بالحقيقة الواقعية للعلاقات. «تأخذ التجريبية المتطرفة العلاقات التوحيدية حسب قيمتها الظاهرية، وتمسك بها بوصفها حقيقية مثل الحدود التى تتحد عن طريقها»^(٢). ومن بين العلاقات التوحيدية العلاقة العلية. ولذلك، فإن ما يسميه «جيمس» بالتجريبية المتطرفة يختلف عن تجريبية «هيوم»، التى، وفقاً له، «لا يدرك الذهن أى ارتباط حقيقى، على الإطلاق، بين موجودات متميزة»^(٣). كما أنه يعارض نظرية «برادلى» عن العلاقات، «تكشف فهم مستر برادلى عن قوة غير عادية لإدراك صنوف الفصل، والعجز العجيبة فى فهم الروابط»^(٤).

إن معنى كلمة «تجربة» ليس دقيقاً. بيد أن التجربة العادية، كما يرى جيمس، التى نعى فيها أشياء متميزة ذات أنواع متنوعة وعلاقات أنواع مختلفة، تنشأ من التجربة

The Meaning of Truth, p. xii. (١)

Essays in Radical Empiricism, p. 107. (٢)

The Treatise of Human Nature, Appendix, P. 636 (Selby _ Bigge edition). (٣)

Essays in Radical Empiricism, p. 117. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أسماء وصفات فحسب، بل يتخللها أيضاً حروف الجر وحروف العطف. فالعلاقة العلية، مثلاً، توجد في تدفق الإحساس، من حيث إن كل إحساس غائي في طابعه.

وبالتالي، إذا فهم «المذهب الواحدى» الخالص بمعنى سيكولوجى خالص، بوصفه يقرر، إن جاز التعبير، أن الصورة البدائية والأساسية للتجربة هي حالة من «الشعور» لا توجد فيها تميزات بعد، مثل التمييز بين الذات والموضوع، فإنه يتطابق، بدون شك، مع مذهب «الكثرة» الواقعى. لكن إذا فهم بمعنى أنطولوجى، من حيث إنه يعنى أن تدفق التجربة غير المتميزة هو «القوام» الأنطولوجى الذى ينشأ منه كل شىء، فمن الصعب أن نرى كيف أنه لا يؤدي مباشرة إلى صورة ما من المثالية الواحدة. ومع ذلك، يفترض «جيمس» أن نظرية التجربة الخالصة، التى تكون، بوضوح، سيكولوجية فى الأصل، تتطابق مع وجهة النظر التعددية عن الكون التى يربطها بالتجريبية المتطرفة.

ومن حيث إن التجريبية المتطرفة تحتوى على التعدد والكثرة وإيمان بالوجود الحقيقى للعلاقات، فإنه يمكن القول إنها وجهة نظر عن العالم. غير أنها إذا فهمت، ببساطة، عن طريق العناصر الثلاثة التى ذكرناها سابقاً، وهى المسلمة، وقضية عن الواقع، ونتيجة معمة، فإنها تكون وجهة نظر عن العالم فى أول نشأتها ولم تكتمل، وليست وجهة نظر مكتملة عن العالم. إذ إن مشكلة «الله» مثلاً، قد تركت بون أن تُمس. فلم يثبت «جيمس»، بالفعل، أن هناك خبرات دينية محددة تفترض وجود وعى يفوق ما هو بشرى، يكون محدوداً، وليس شاملاً كل الشمول بمعنى يناقض مذهب الكثرة والتعدد. ويرى أنه إذا ارتبطت التجريبية «بالدين، حتى الآن، عن طريق سوء فهم غريب، فإنها ترتبط بالكفر والفسوق. إننى أعتقد أن منطقة جديدة من الدين ومنطقة جديدة من الفلسفة أيضاً مهياة لأن تنشأ»^(١). غير أننا سنعالج مذهب التأليه عند

A Pluraistic Universe, p. 314. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن برجماتية «جيمس»، كما وصفناها، تتبع، بصورة واضحة، الخطوط الرئيسية للمنهج البرجماتي على نحو ما تصوره «بيرس». لقد تأثر «جيمس»، بالفعل، بمفكرين آخرين أيضاً مثل العالمين «لوى اجاسيز» Louis Agassiz و«فيلهلم أوزفالد» W. Ostwald، غير أنه لا يخفى أنه مدين لبيرس. فهو يشير إليه في حاشية تتصل بخطاب عام ١٨٨١^(١). كما أنه يسلم بأنه مدين لبيرس في محاضرة عامة ألقاها عام ١٨٩٨^(٢). ويضيف بعد الفقرة المقتبسة في الفقرة الأخير قائلاً: «هذا هو مبدأ بيرس؛ مبدأ البرجماتية»^(٣)، ويرى أن مذهب بيرس ظل غير جدير بالاهتمام إلى أن بينه وبين جيمس في محاضرة عام ١٨٩٨، وطبقه على الدين.

هناك، بالفعل، اختلافات معينة بين موقف «جيمس» وموقف «بيرس». فعندما يتحدث بيرس، مثلاً، عن النتائج العملية لتصور، فإنه يشدد على الفكرة العامة لعادة الفعل؛ فكرة الطريقة العامة التي يستطيع بها التصور أن يعدل، في حدود التصور، فعلاً غائباً. ومع ذلك، يميل «جيمس» إلى التشديد على آثار عملية جزئية. فكما رأينا في الفقرة المقتبسة سابقاً من كتاب «البرجماتية»، يشدد هنا على إحساسات وردود أفعال معينة. ولذلك، اتهمه «بيرس» بأنه بعد عن الكلي إلى الجزئي تحت تأثير سيكولوجيا تغالي فيما هو محسوس، فأصبح، كما يرى ديوى، أكثر من فيلسوف اسمي. لقد اهتم «جيمس» بمصطلحات بيرس، بالسوابق وبالواحق أكثر من اهتمامه بالنتائج، والنتيجة هي العلاقة المتصورة بين السابق واللاحق.

إذا كانت برجماتية «جيمس» هي ببساطة، في الوقت نفسه، منهجاً لتوضيح التصورات؛ لتحديد معانيها، فإننا نستطيع أن نقول إنه قبل مبدأ «بيرس»، حتى إذا كان قد أعطاء، كما يعبر ديوى عن ذلك، «تحويلاً اسمياً». ومع ذلك، ليست البرجماتية

(١). The will to Believe, p. 124, note, 1.

(٢). Collected Essays and Reviews., p. 410.

(٣). Pragmatism, p. 47.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن صورة موضوع محسوس قد توصف بأنها نسخة من الموضوع. بيد أنه ليس من السهل أن نرى كيف يمكن وصف فكرة صادقة عن العدالة، مثلاً، بأنها نسخة.

إن تحليل «جيمس» «التناظر» هو على النحو التالي. الصدق علاقة بين جزء من تجربة وجزء آخر. الأصل الذي صدرت عنه العلاقة فكرة، تنتمي إلى الجانب الذاتى للتجربة، فى حين أن الغاية التى تفضى إليها هى حقيقة موضوعية. فما هى، إذن، العلاقة بين الحدود؟ يجب علينا هنا أن نستخدم التفسير البرجماتى للفكرة بأنها خطة، أو قاعدة للفعل. إذا أدى بنا اتباعنا لهذه الخطة إلى الغاية التى تفضى إليها، فإن هذه الفكرة تكون صادقة. وبصورة أكثر دقة «هذه الأحداث المتوسطة تجعل الفكرة صادقة»^(١). وبمعنى آخر، صدق فكرة ما هى عملية تحقيقها أو التثبت من صحتها. فلو أننى، مثلاً، ضللت فى غابة، ثم وجدت بالصدفة طريقاً أعتقد أنه، من الممكن أو من المحتمل، أن يودى بى إلى منزل مأهول بالسكان حيث أستطيع أن أحصل على التوجيهات أو المساعدة، فإن فكرتى تكون خطة للفعل. وإذا حقق اتباعى لهذه الخطة الفكرة أو تثبت من صحتها، فإن عملية التحقق هذه تكون صدق الفكرة: إنه «التناظر» الذى تشير إليه نظرية التناظر عن الصدق بالفعل.

ومما هو جدير بالاهتمام، بالتالى، أن «جيمس» يخبرنا أيضاً فى الصفحة نفسها التى يخبرنا فيها بأن الفكرة تصبح صادقة، إذا جعلتها أحداث صادقة، نقول إنه يخبرنا أيضاً بأن «الأفكار الصادقة هى تلك الأفكار التى نستطيع أن نستوعبها، ونثبت من صحتها، ونؤكد، ونتحقق منها». وبمعنى آخر، ليس فى إمكانه أن يقر بأن هناك حقائق يمكن، أو أمكن التحقق منها، لكن لم يتم التحقق منها بعد. فقد كان على استعداد، بالفعل، لأن يقرر أن الحقائق التى لا يتم التحقق منها «من العدد الهائل

The Meaning of Truth, p.202. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كما أن سوء الفهم تسببه الطريقة التي يتحدث بها «جيمس» عن الرضا من حيث إنه عنصر أساسي في الصدق. لأن طريقة حديثه تفترض أن الاعتقاد من وجهة نظره يمكن أن يُعد صادقاً إذا سبب شعوراً ذاتياً بالرضا، ولذلك فإنه فتح الباب على مصراعيه لكل نوع من التفكير يبعث على الأمل. غير أن ذلك لم يكن قصده على أية حال «إن الصدق في العلم هو ما يعطينا أعظم قدر ممكن من الرضا، بما في ذلك الذوق، غير أن الاتساق مع الحقائق السابقة ومع الواقع الجديد هو باستمرار المطالب الأكثر إلحاحاً». إن «العمل» الناجح للفرض، بالمعنى الذي شرحناه سابقاً، يتضمن إشباع مصلحة ما. بيد أن الفرض لا يُقبل، ببساطة، لأننا نرغب أن يكون صادقاً. ومع ذلك، إذا لم يكن هناك دليل يجبرنا على أن نختار فرضاً بدلاً من فرضين يرميان إلى تفسير نفس المجموعة من الظواهر، فإنه يكون من مهمة «التوق» العلمي أن يختار الفرض الاقتصادي أو الأكثر أناقة.

صحيح بالفعل أن «جيمس» يعلن، بوضوح، في مقاله الشهير «إرادة الاعتقاد» أن «طبيعتنا الانفعالية قد لا تقرر بصورة مشروعة فحسب، وإنما تقرر بالضرورة اختيارنا بين قضايا، ومهما كان اختياراً حقيقياً فإنه لا يمكن بطبيعته أن يُحسم بناءً على أسس عقلية»^(١) لكنه يوضح أنه يعني باختيار حقيقي اختياراً «من النوع المفروض، والحي، والمهم»^(٢). أعنى عندما تكون المسألة مسألة قضية حيوية ومهمة: قضية تؤثر على السلوك، وعندما لا نستطيع أن نتجنب اختيار واحد من اعتقادين، وعندما لا يمكن حسم المسألة بناءً على أسس عقلية، فإنه يكون لنا الحق في أن نختار بناءً على «أسس انفعالية، أي أن نمارس إرادة الاعتقاد، شريطة أن نعرف اختيارنا من أجل أي شيء». وبالتالي، فإنها مسألة الحق في الاعتقاد في ظروف معينة. وسواء اتفق المرء مع أطروحة «جيمس» أم لا، فإنه لا ينبغي عليه أن يصوره بأنه يزعم أن لدينا الحق -

The will to Believe, p. 11. (١)

Ibid, p. 3. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن الغموض ينشأ، عندما نناقش هذا الموضوع. افترض أنني قلت إن القضية التي تقول إن «يوليوس قيصر عبر نهر روبيكون»^(١) صادقة بفضل مناظرتها للواقع، أى أنها تتناظر واقعة تاريخية. وافترض أنه طُلب منى أن أشرح ماذا أعنى بعلاقة التناظر هذه مع الواقع. فإنه يصعب على أن أفعل ذلك دون أن أذكر حالة من حالات الواقع، أو بالأحرى فعلاً أو سلسلة أفعال يُشار إليها فى القضية. وصحيح، بصورة دقيقة، أن وقوع سلسلة الأفعال هذه فى أى زمن معين فى التاريخ هو، فى النهاية، ما يثبت صحة القضية أو «يحققها». وبهذا المعنى لا أستطيع أن أشرح ماذا أعنى بالتناظر دون الإشارة إلى ما يثبت صحة القضية أو يحققها. وفى الوقت نفسه يفهم لفظ «تحقق»، عادة، بأنه يشير إلى المعايير التى نأخذها، فى حدود التصور، لبيان أية قضية تكون صادقة، عندما نعرف ماذا تعنى القضية. أعنى أن «التحقق» يفهم، عادة، بأنه يشير إلى وسيلة ممكنة التصور لبيان الحالة التى يجب بلوغها أو تم بلوغها إذا كانت القضية التى تكون صادقة بالفعل تبلغها أو بلغت. وإذا فهم التحقق بهذا المعنى، فإنه يبدو صحيحاً تماماً أن نقول مع «الفيلسوف العقلى» إنه حالة بيان أن قضية ما تكون صادقة وليس حالة جعلها صادقة.

ومع ذلك، قد نعرف فى البداية لفظ «صادق» بطريقة ينتج عنها منطقياً أن القضية التى يتم التحقق منها بالفعل هى وحدها التى تكون صادقة. إن القضية التى يمكن التحقق منها لكن لم يتم التحقق منها بعد تكون صادقة بالقوة أو بصورة ممكنة. لكن من الواضح أن «جيمس» لا ينظر إلى النظرية البرجماتية عن الصدق على أنها، ببساطة و فقط، نتيجة تعريف جزافى. ولذلك ليس من غير المعقول الادعاء بأنه يمكن

(١) روبيكون نهر صغير فى إيطاليا القديمة يصب فى البحر الأديرياتي، وكان يشكل خط الحدود بين إيطاليا والمقاطعات. ولم يستطع القادة الرومان بجيوشهم الجراة عبور هذا النهر، ومن هنا اعتبر عبور قيصر نهر «روبيكون» عام ٤٩ ق. م. عملاً بمرلياً واتخذت عبارة «عبور نهر روبيكون» لتعنى القيام بخطوة حاسمة (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

٤- كيف تتمسك البرجماتية بالتجريبية المتطرفة؟ ليس هناك ارتباط منطقي بينهما، كما يرى جيمس، إذ إن التجريبية المتطرفة «تقف على أقدامها الخاصة. وقد يرفضها المرء تماماً، ومع ذلك يظل برجماتياً»^(١). ومع إنه يخبرنا أيضاً بأن «تأسيس النظرية البرجماتية عن الصدق هو خطوة ذات أهمية من الدرجة الأولى في جعل التجريبية المتطرفة تسود وتهيمن»^(٢).

إن «جيمس» على حق، إلى حد ما، في قوله إن التجريبية المتطرفة والبرجماتية مستقلتان عن بعضهما البعض. فمن الممكن تماماً، مثلاً، الإقرار بأن العلاقات حقيقية مثلها مثل حدودها، وأن العالم ذو بناء متصل دون قبول التصورات البرجماتية عن المعنى والصدق. كما أن مُسلمة التجريبية المتطرفة هي، كما رأينا، أن تلك المسائل التي يجب النظر إليها على أنها موضوعات للجدل والحوار الفلسفي هي تلك التي يمكن تعريفها بحدود مستمدة من التجربة. ويُفترض أن الفيلسوف البرجماتي يتمسك بعلاقة- الصدق التي تقول «إن كل شيء فيها يمكن اختباره... إن «إمكان النجاح» الذي يجب أن تمتلكه الأفكار، لكي تكون صادقة، يعنى صنوفاً من العمل، الجسمي أو الذهني، الفعلي أو الممكن، الذي ينشأ مباشرة داخل التجربة العينية»^(٣). وبمعنى آخر، لا تتظر البرجماتية إلا إلى تلك الأفكار التي يمكن تفسيرها عن طريق «صنوف العمل» التي يمكن اختبارها على أنها هي وحدها التي تمتلك دعوى الصدق. ويميل قبول وجهة النظر هذه، بوضوح، إلى جعل التجريبية المتطرفة تسود وتهيمن، إذا كنا نعنى بالتجريبية المتطرفة المسلمة التي ذكرناها من قبل.

ويمكن أن نضع المسألة على هذا النحو. ليس للبرجماتية، كما يشير جيمس، «نظريات سوى منهجها». ومع ذلك، يكون للتجريبية المتطرفة، التي طورها إلى

Ibid, p. ix. (١)

The Meaning of Truth, p. ii. (٢)

Pragmatism, p. 54. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تعريف «جيمس» للنزعة الإنسانية بأنها المذهب الذى يقول: «على الرغم من أن جزءاً من تجربتنا قد يعتمد على جزء آخر لكى يجعله على ما هو عليه فى أى جانب من الجوانب المتعددة الذى قد يُنظر فيه، فإن التجربة كلها تقوم بذاتها ولا تعتمد على شيء»^(١). إن ما يقصده هو أنه بينما تكون هناك معايير تنمو داخل التجربة، فإنه لا يكون هناك معيار مطلق للصدق خارج التجربة، التى يجب أن تطابقها كل حقائقنا. إن صاحب النزعة الإنسانية ينظر إلى الصدق على أنه يرتبط بالتجربة المتغيرة، وبالتالي بالإنسان؛ وينظر إلى الصدق المطلق على أنه «النقطة المثالية المخفية عن الأنظار، وتتحيل أن كل حقائقنا المؤقتة تتجه نحوها يوماً ما»^(٢). ولكى نصف جيمس، فإنه كان على استعداد لأن يطبق وجهة النظر هذه على النزعة الإنسانية نفسها^(٣)..

ومع ذلك، يستخدم «جيمس» لفظ «نزعة إنسانية» أيضاً بمعنى واسع. ولذلك، يخبرنا بأن الخلاف بين البرجماتية والمذهب العقلى، وبالتالي بين النزعة الإنسانية والمذهب العقلى ليس، ببساطة، خلافاً منطقياً أو إبستمولوجياً: «فهو يتعلق ببناء الكون نفسه»^(٤). إذ إن البرجماتى ينظر إلى الكون من حيث إنه غير مكتمل، ومتغير، وينمو، ومرن. فى حين أن الفيلسوف العقلى يرى أن هناك كوناً واحداً «حقيقياً بالفعل»، وهو مكتمل، وثابت لا يتغير. ويتصوره «جيمس»، من بعض الوجوه، بأنه «الكون الصوفى عن فتيكاندا Vivekanda»^(٥). غير أنه يفكر أيضاً، بالتأكيد، فى واحدة برادلى، التى

(١) The Meaning of Truth, p. 124.

(٢) Ibid, p. 85.

(٣) See, For example, the Meaning of Truth, p. 90.

(٤) Pragmatism, p. 259

(٥) Ibid, p. 262

(*) فتيكاندا Vivekanda (١٨٦٢ - ١٩٠٢) فيلسوف هندي، ولد فى بنغال. ودرس العلم الغربي الذى نظر إليه على أنه مطلوب لتحسين الظروف فى الهند. وهو مؤسس حركة «الفيدانتا» فى الغرب (المترجم).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«جيمس». أعنى، يمكننا أن نفترض أن «المؤله» والفيلسوف المادى ينظران إلى العالم نفسه وتاريخه بنفس الطريقة، ثم يضيف «المؤله» فرض الله الذى يجعل العالم يستمر، فى حين أن الفيلسوف المادى يفترض الفرض من حيث إنه فرض ليس ضرورياً، ويلجأ إلى «المادة» من حيث إنها بديل. كيف نختار بين هذين الموقفين؟ لا نستطيع أن نختار بناء على مبادئ برجماتية. لأنه «إذا لم يُستنبط تفصيل مستقبلى للخبرة أو السلوك من فرضنا، فإن النزاع بين المذهب المادى ومذهب التأليه يصبح عقيماً تماماً وليس له أية دلالة»^(١).

ومع ذلك، عندما ننظر إلى مذهب التأليه والمذهب المادى «من وجهة نظر مستقبلية»، أعنى من جهة ما يعدان به ، أو من جهة التوقعات التى يؤديان بنا إلى توقعها، كل على حدة، فإن الموقف يختلف تماماً. لأن المذهب المادى يؤدى بنا إلى توقع حالة للكون تكون فيها المثل العليا البشرية، والإنجازات البشرية، والوعى، ونتائج الفكر، كما لو لم تكن على الإطلاق^(٢)، فى حين أن مذهب التأليه «يكفل نظاماً مثالياً يبقى باستمرار»^(٣). إن إلهاً ما أو إلهاً آخر لا يسمح للنظام الأخلاقى بأن يصيبه الدمار والخراب.

وبالتالى، فإن مذهب التأليه والمذهب المادى يختلفان أتم الاختلاف، إذا نظرنا إليهما من وجهة النظر هذه. ولنا الحق، بناء على مبادئ برجماتية، أن نعتقد ذلك الاعتقاد الذى يطابق جيداً متطلبات طبيعتنا الأخلاقية. غير أن «جيمس» لا يعنى الإشارة إلى أنه ليس هناك دليل، على الإطلاق، لصالح مذهب التأليه، سوى الرغبة فى أن يكون صادقاً. «إننى أعتقد أن الدليل على وجود الله يكمن، أساساً، فى تجارب

Ibid, p. 99. (١)

(٢) يقتبس «جيمس» عبارة شهيرة من كتاب: أ. ج. بالفور «أسس الاعتقاد» (p.30) (المؤلف).

Pragmatism, p. 106. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

طريق الله. إن هناك مجالاً في الكون للجدّة Novelty، وللمجهود البشرى دور إيجابى فى تأسيس نظام أخلاقى.

وهكذا يستخدم «جيمس» البرجماتية لى يدعم وجهة نظر دينية عن العالم. غير أننا نرى أنه عندما يؤكد النظرية البرجماتية عن المعنى، فإنه يعلن أن تصورنا الكلى عن موضوع ما يمكن رده إلى أفكارنا عن «الآثار التى يمكن تصورها من نوع عملى قد يحتوى عليها الموضوع»^(١)، ذاكراً، بوضوح، الإحساسات التى قد نتوقعها، وردود الأفعال التى نستعد لها. وقد نشك جداً فيما إذا كان ذلك أساساً واعداً لوجهة نظر تأليهية عن العالم. لكن كما لاحظنا فى القسم الخاص بحياته، كان التوفيق بين وجهة نظر علمية ووجهة نظر دينية مشكلة شخصية عنده. وعندما انتقل من نظرية الصدق التى تقوم على تحليل لفروض تجريبية إلى نظرية المعنى التى تنشأ فى تحليل الفروض التجريبية، فإنه استخدمها لتدعيم وجهة النظر الوحيدة عن العالم التى أرضته بالفعل. وبمرور الزمن مد، بالتأكيد، مفهوم التجربة فيما وراء التجربة المحسوسة. وهكذا أثبت أن «المذهب التجريبى الدينى أكثر «تجريبية» بحق، من المذهب التجريبى اللادينى؛ من حيث إن الأول يتبنى بجدية صنف التجربة الدينية، فى حين أن الثانى لا يفعل ذلك. إن مشكلته هى، إلى حد ما، نفس مشكلة كانط: أى التوفيق بين النظرة العلمية والوعى الأخلاقى والدينى. وأداته فى التوحيد أو التوفيق هى البرجماتية. وتقدم النتيجة بوصفها تطوير التجريبية المتطرفة. ويوصف الموقف المقبول بأنه نزعة إنسانية.

٦- إن الحركة البرجماتية هى، فى الغالب، ظاهرة أمريكية. صحيح أن المرء يستطيع أن يجد تجليات للاتجاه البرجمائى حتى فى الفلسفة الألمانية. ولقد ذكرنا فى المجلد السابع من هذه الموسوعة «تاريخ الفلسفة» تشديد «فريدريك ألبرت لانج»^(٢)

Pragmatism, p. 47. (١)

Vol. VII, p. 366. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولا يشك أحد في التأثير الذي مارسه «جيمس» و«ديوى» على الحياة العقلية في الولايات المتحدة. لقد جعلوا الفلسفة في المقدمة بالنسبة للاهتمام العام، إن جاز التعبير؛ وقام «ديوى» بصفة خاصة بتطبيقها في الميادين التربوية والاجتماعية. وإذا لم يكن هناك ذكر للبرجماتية في تفسير تطور الفلسفة البريطانية الحديثة، حتى على الرغم من أنه يسبب اضطراباً مؤقتاً في الأوساط الفلسفية فإنه لن يكون هناك اقتراف إثم عظيم لهذا الاستبعاد. ومع ذلك، يبدو أن ذكراً للبرجماتية أمر مرغوب فيه في تفسير الفكر البريطاني في القرن التاسع عشر الذي أشير فيه إلى عدد ملحوظ من الفلاسفة الصغار.

تأسست الجمعية الفلسفية بأكسفورد عام ١٨٩٨، وكان مُحصلة مناقشاتها نشر كتاب «المثالية الشخصية» عام ١٩٠٢، الذي حرره «هنرى ستيرت» H. Sturt. يوضح «هنرى ستيرت» في مقدمته لهذه المجموعة من المقالات التي كتبها ثمانية أعضاء من الجمعية أن المساهمين اهتموا بتطوير موضوع الشخصية، وبالذفاق عن الشخصية ضد المذهب الطبيعي من جهة، والمثالية المطلقة من جهة أخرى. فالفيلسوف الطبيعي يرى أن الشخص البشرى نتاج عارض لعمليات فيزيائية، بينما يؤكد الفيلسوف المثالي أن الشخصية مظهر غير حقيقي للمطلق^(١). وباختصار، يشترك المذهب الطبيعي والمذهب المطلق، وهما كما يبدو أن لا أدريين، في التأكيد أن الشخصية وهم^(٢). ويمضى «ستيرت» في القول، إن مثالية أكسفورد تعارض المذهب الطبيعي، وإلى هذا الحد تتمسك المثالية المطلقة والمثالية الشخصية بجهة مشتركة. ولكن لهذا السبب شعر المثاليون الشخصيون بأن المثالية المطلقة خصماً أكثر غدراً من المذهب الطبيعي.

(١) لم يؤكد برادلى، إذا تحدثنا بدقة، أن الشخصية «مظهر غير حقيقي» للمطلق. فهو مظهر حقيقي؛ ولكن، لأنها مظهر، فإنها لا يمكن أن تكون حقيقية تماماً (المؤلف).

(٢) Personal Idealism, p. vi.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عام ١٩٦٢، فى كتاب «المثالية الشخصية»، المجلد الذى أشرنا إليه من قبل، وظهرت أعماله على النحو التالى: «النزعة الإنسانية: مقالات فلسفية» عام ١٩٠٣، و«دراسات فى النزعة الإنسانية» عام ١٩٠٧، و«أفلاطون أم بروتاجوراس؟» عام ١٩٠٨، و«المنطق الصورى» عام ١٩١٢، و«مشكلات الاعتقاد» و«تانتليوس أو مستقبل الإنسان» عام ١٩٢٤، و«علم تحسين النسل والسياسة» عام ١٩٢٦، و«المنطق للاستعمال» عام ١٩٢٩، و«هل يجب أن يختلف الفلاسفة، ومقالات أخرى فى الفلسفة العامة» عام ١٩٣٤. كما شارك «شيلر» ببحث عنوانه «لم النزعة الإنسانية؟» فى السلسلة الأولى من كتاب «الفلسفة البريطانية المعاصرة» (١٩٢٤) الذى نشره «ميورهد»، وكتب مقالاً عن البرجماتية للطبعة الرابعة عشر لدائرة المعارف البريطانية (١٩٢٩).

٧- يدور فكر «شيلر»، كما تدل عناوين كتاباته، حول الإنسان. ففي مقاله «أفلاطون أم بروتاجوراس؟» يضع نفسه، بوضوح، إلى جوار «بروتاجوراس» ويتبنى قوله الشهير بأن «الإنسان مقياس كل الأشياء». وفى «ألفاز أبى الهول»، حيث يهاجم النظرية المثالية المطلقة عن الواحد باسم المذهب الشخصى المتكثر، يعلن أن كل تفكيرنا يجب أن يكون تشبيهيًا - أى يعطى الصفات الإنسانية لكل شىء Anthropolomorphic. غير أنه لم يستخدم فى البداية لفظ «برجماتية» لوصف رؤيته الإنسانية. ويشير شيلر فى مدخل الطبعة الأولى لكتابه «النزعة الإنسانية»، الذى كتبه بعد أن وقع تحت تأثير البرجماتية الأمريكية، بصفة خاصة برجماتية «وليم جيمس»، قائلاً: «إننى مندهش لأن أجد نفسى برجماتياً منذ مدة طويلة دون أن أعرف، وأن دفاعى عن موقف قريب، فى جوهره، عام ١٨٩٢ لم يكن ينقصه سوى اسم البرجماتية»^(١). لكن على الرغم من أن شيلر يستخدم لفظ «برجماتية» باستمرار، عندما أخذه من وليم جيمس، فإنه يصر على

(١) Humanism, p. xiii (2nd edition, 1912)

إشارة «شيلر» إلى مقال «الحقيقة والمثالية» الذى نشره عام ١٨٩٢. وطُبع من جديد فى كتابه «المذهب الإنسانى»، pp. 110 - 27 (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بيد أننا نستطيع أن نذهب، بصورة ملحوظة، إلى أبعد من هذا. فالبرجماتى يعتقد أن صحة أى إجراء منطقى بينها عمله الناجح. غير أنه لا يعمل إلا فى سياقات عينية. ولذلك من العبث أن نفترض أن التجريد الكامل من كل موضوع يدخلنا إلى مجال من صدق مطلق، لا يتغير. حقاً، إن شيلر يمضى أبعد ليقول أن المنطق الصورى «لا معنى له بالمعنى الدقيق والكامل»^(١). فإذا قال شخص ما «إنه خفيف جداً»، ونحن لا نعرف السياق، فإن القول لا يكون له معنى بالنسبة لنا. لأننا لا نعرف ما إذا كان يشير إلى ثقل موضوع، أو إلى لون شىء، أو إلى كيفية محاضرة أو كتاب. وعلى نحو مماثل، لا نستطيع أن نجرد، تماماً، من استخدام المنطق؛ من تطبيقه «دون أن يسبب ذلك خسارة كبيرة، ليس للصدق فحسب، بل للمعنى أيضاً»^(٢).

ولذلك، إذا جعلنا المبادئ المنطقية مُسلّمات على هدى الرغبات والأغراض البشرية، وإذا كانت صحتها تعتمد على نجاحها فى تحقيق هذه الرغبات والأغراض، فإنه ينجم عن ذلك أننا لا نستطيع أن نفصل المنطق عن علم النفس. «إن القيمة المنطقية لا بد أن توجد فى واقعة سيكولوجية أو فى مكان مجهول... إن الممكنات المنطقية (أو حتى «الضروريات») لا تكون شيئاً حتى تصبح فعلية من الناحية السيكولوجية وتصبح فعالة»^(٣). ولذلك من الأفضل بالنسبة لجميع المحاولات أن تنزع المنطق من علم النفس وتضعه على أقدامه الخاصة.

ما قيل عن الصدق المنطقى؛ أعنى أنه يرتبط بالرغبات والأهداف البشرية، يمكن أن يقال عن الصدق بوجه عام. إن الحقائق هى، فى واقع الأمر، تقييمات. أى أن تقرير أن قضية تكون صادقة يعنى القول إنها لها قيمة عملية وذلك بأن تحقق غرضاً معيناً

Formal Logic, p. 382. (١)

Ibid, p. ix. (٢)

Axioms as Postulates in Personal Idealism, P. 124. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الاجتماعية قضية ما نافعة، وبالتالي صادقة. إنها تطابق القضايا التي تم بيان منفعتها من قبل. «إن معيار - النفع ينتقي تقييمات الصدق الفردية، ويكون منها الصدق الموضوعي الذي يبلغ معرفة اجتماعية»^(١).

يميل «شيلر» إلى التراجع بناء على تفسير بيولوجي للصدق، ويؤكد فكرة بقاء - القيمة^(٢). فهناك عملية انتقاء طبيعي بين الحقائق. والحقائق ذات القيمة الأدنى تُستبعد وتُستأصل، في حين أن الحقائق ذات القيمة الأسمى تبقى وتظل. ويبين الاعتقاد الذي يبرهن على أنه يمتلك قيمة أكثر بقاء على أنه أكثر نفعاً وفائدة، وعلى أنه، بالتالي، أكثر صدقاً. لكن ماذا يكون بقاء القيمة؟ إنه يمكن أن يوصف بأنه «نوع من العمل، يمارس، عندما يخلو تماماً من أي توسل عقلي، تأثيراً قوياً للغاية على اعتقاداتنا، ويمكنه أن يحدد هذا التبنى ويستبعد مضاداتها»^(٣). وبالتالي نرتد مرة أخرى إلى فكرة غامضة وغير دقيقة، بدون شك، عن «العمل».

يؤكد «شيلر»، كما نرى، أنه لا ينتج من القول «كل الحقائق نافعة» القول «أية قضية نافعة فهي صادقة». وهذا قول صحيح تماماً، بالطبع. لكن قد يتمسك المرء تماماً بأن كل الحقائق «نافعة» بمعنى ما أو بأخر دون أن يتمسك بأن فائدتها تجعلها صادقة. فإذا تمسك المرء بأن الفائدة تجعلها صادقة، فإنه يصعب عليه أن ينكر في الوقت نفسه أن كل قضية نافعة تكون صادقة من حيث إنها نافعة. وإذا كان يجب إثبات نظرية عدم إمكان التحول بنجاح، فإنه يتحتم على المرء أن يبين أن القضايا الصادقة تمتلك خاصية ما أو خصائص لا تمتلكها القضايا الكاذبة النافعة. إن الموجودات البشرية كائنات حية، لكن ليست كل الكائنات الحية موجودات بشرية. وذلك لأن الموجودات البشرية تمتلك خصائص لا تمتلكها كل الكائنات الحية. فما الخصائص التي تخص

(١) Humanism, p. 59.

(٢) See especially Logic in Use, also Problems of Belief, Chapters, xi _ xii.

(٣) Contemporary British Philosophy, First series, p. 406.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

حاضر «ديوى» فى جامعة «متشجن» منذ عام ١٨٨٤ حتى عام ١٨٨٨، كان فى البداية مدرساً للفلسفة ثم بعد ذلك أستاذاً مساعداً، بعد أن قضى عاماً أستاذاً فى جامعة «منيسوتا». وفى عام ١٨٨٩ عاد إلى «متشجن» رئيساً لقسم الفلسفة، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٨٩٤ عندما ذهب إلى «شيكاغو». فى أثناء هذه الفترة، انشغل ديوى بمسائل منطقية وسيكولوجية وأخلاقية، وانسلخ عن المثالية التى تعلمها من «موريس»^(١). وفى عام ١٨٨٧ نشر كتابه «علم النفس»، ونشر فى عام ١٨٩١ «مجل» نظرية نقدية فى الأخلاق»، ونشر فى عام ١٨٩٤ «دراسة الأخلاق: مجمل».

منذ عام ١٨٩٤ حتى عام ١٩٠٤ كان «ديوى» رئيساً لقسم الفلسفة فى جامعة «شيكاغو»، حيث أسس «مدرسة على هيئة معمل»^(٢) عام ١٨٩٦. وشملت مؤلفات هذه الفترة: «عقيدتى التربوية» (١٨٩٧)، و«المدرسة والمجتمع» (١٩٠٠)، و«دراسات فى النظرية المنطقية» (١٩٠٣)، و«الشروط المنطقية للمعالجة العلمية للأخلاق» (١٩٠٣).

وفى عام ١٩٠٤ ذهب ديوى إلى جامعة «كولومبيا» أستاذاً للفلسفة، وأصبح أستاذاً غير متفرغ فى عام ١٩٢٩^(٣). ونشر كتابه «الأخلاق»^(٤) عام ١٩٠٨، و«كيف نفكر» عام ١٩١٠، و«تأثير دارون على الفكر المعاصر ومقالات أخرى» عام ١٩١٠، و«مدارس الغد» عام ١٩١٥، و«الديمقراطية والتربية» ١٩١٦، و«مقالات فى المنطق التجريبي» عام ١٩١٦، و«تجديد فى الفلسفة» عام ١٩٢٠، و«الطبيعة البشرية والسلوك» عام ١٩٢٢^(٥)، و«التجربة والطبيعة» عام ١٩٢٥، و«البحث عن اليقين»

(١) يشير ديوى فى هذا الارتباط إلى التأثير الذى مارسه كتاب وليم جيمس «مبادئ علم النفس» على تفكيره (المؤلف).

(٢) عُرِفَت «المدرسة التجريبية» بوجه عام بأنها مدرسة ديوى (المؤلف).

(٣) قام «ديوى» فى خلال هذه الفترة برحلات كثيرة إلى الخارج؛ إلى أوروبا، والشرق الأقصى، والمكسيك، وإلى روسيا عام ١٩٢٨ (المؤلف).

(٤) كُتِبَ بالتعاون مع «ج. هـ. تفتسون» (المؤلف).

(٥) له ترجمة عربية بقلم د. محمد لبيب النجيبى، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٥

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللادرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الخاصة. ومع ذلك، فإن المسألة هي أنه يرفض أن يبدأ، مثلاً، بالتمييز بين الذات والموضوع، كما يرفض أن يبدأ من نقطة انطلاق مطلقة ونهائية، وإنما ينظر إلى حياة الإنسان الذهنية على أنها تفترض وتتطور من علاقات سابقة، وعلى أنها تقع داخل مجال الطبيعة تماماً. إن التفكير هو عملية من بين العمليات الطبيعية الأخرى، أو نشاط من بين الأنشطة الطبيعية الأخرى.

إن كل الأشياء تتفاعل بطريقة ما مع بيئتها. غير أنها لا تتفاعل كلها، بوضوح، بنفس الطريقة. ففي مجموعة معينة من الظروف، يمكن أن يقال إن شيئاً جماداً، مثلاً، يتفاعل أو لا يتفاعل. إن الموقف لا يضع أية مشكلة يمكن أن يعرفها الشيء بأنها مشكلة، ويمكن أن يستجيب لها بطريقة انتقائية. ومع ذلك، عندما نتجه إلى خضم الحياة، فإننا نجد استجابات انتقائية. فكلما أصبحت الكائنات الحية أكثر تركيباً، أصبحت بيئتها أكثر جمعاً بين النقاوض. أعنى أنها تصبح غير متيقنة بصورة أكثر من الاستجابات أو الأفعال التي تستدعيها لمصالح الحياة، وما هي الأفعال التي تناسب سلسلة تدعم استمرار الحياة. وبالدرجة التي تحدث بها الاستجابات لما هو مشكوك فيه بوصفه المشكوك فيه، فإنها تكتسب خاصية ذهنية^(١). وفضلاً عن ذلك، عندما تمتلك هذه الاستجابات ميلاً موجهاً إلى تغيير ما هو غير مأمون إلى ما هو مأمون، وتغيير ما يحتوى على إشكال إلى ما هو محلول وليس به مشكلة، «فإنها تكون عاقلة وذهنية أيضاً»^(٢).

وبالتالى نستطيع أن نقول إن التفكير، عند ديوى، هو صورة متطورة جداً من العلاقة بين المثير والاستجابة على المستوى البيولوجى الخالص. إن الوجود البشرى، فى تفاعله مع بيئته، يسلك أساساً، مثل أى كائن حى، وفقاً لعادات راسخة. بيد أن

The Quest for certainty, p. 225. (١)

Ibid. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كيف يقدم الأشياء بصورة صحيحة. والنتيجة التى يصل إليها هى خطة لفعل ممكن يُنتظر منها أن تحول الموقف الذى يحتوى على إشكال.

هذا مثال مأخوذ من مستوى الحس المشترك. غير أن ديوى لا يقر بأن هناك أية فجوة لا يمكن عبورها، أو تمييز ثابت صلب بين مستوى الحس المشترك ومستوى العلم مثلاً. إذ إن البحث العلمى قد يحتوى على عمليات ممتدة لا تكون أفعالاً ظاهرة فى الحس العادى، بل هى عمليات عن طريق رموز. ومع ذلك فالمسار الشامل للفرض، والاستنباط، والتجربة التى يتم التحكم فيها، تنتج ببساطة فى صورة أكثر تعقيداً ورقياً فى عملية البحث التى تثيرها مشكلة عملية فى الحياة اليومية. بل حتى العمليات المركبة عن طريق رموز تهدف إلى تغيير الموقف الذى يحتوى على إشكال الذى يؤدى إلى ظهور الفرض. وهكذا فإن التفكير يكون باستمرار عملياً بطريقة ما، سواء يحدث على مستوى الحس المشترك أم على مستوى النظرية العلمية. إنه فى كلتا الحالتين طريقة لمعالجة موقف يحتوى على إشكال.

ويجب أن نلاحظ أن ديوى عندما يتحدث عن إحداث تغيير فى البيئة، فإنه يجب ألا يفهم لفظ إحداث تغيير فى البيئة على أنه يشير فقط وبالتحديد إلى بيئة الإنسان الطبيعية، أعنى عالم الطبيعة الفيزيائية. إذ إن «البيئة التى تعيش فيها الموجودات البشرية، وتعمل وتبحث فيها، ليست ببساطة طبيعية. فهى ثقافية أيضاً»^(١). وصراع القيم، مثلاً، فى مجتمع معين يؤدى إلى موقف يحتوى على إشكال، يحدث حله تغييراً فى البيئة الثقافية.

ينظر هذا التفسير للتفكير ووظيفته الأساسية الواقعة التى تقول إن: «الإنسان الذى يعيش فى عالم المخاطر والمجازفات يكون مجبراً على أن يبحث عن الأمن

Logic, 1, p. 42. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نظرية بفعل هو «بطرق ممكنة من الإجراء وليس بالطرق التي وُجد أنها مطلوبة بالفعل وبصورة مباشرة»^(١). وفي الوقت نفسه يظهر التوتر بين ميل إلى التقليل من قيمة المفاهيم العامة والنظريات، بالنظر إلى الواقعة التي تقول إن البحث تحت عليه مواقف معينة تحتوى على إشكال، ويهدف إلى تغييرها، ومعرفة بالواقعة التي تقول إن التفكير العلمى يعمل عن طريق أفكار عامة، ويكوّن نظريات عامة، نقول يظهر ذلك فيما يجب أن يقوله «ديوى» عن طبيعة الفلسفة، غير أنه يمكن ترك هذه المسألة للقسم القادم.

لقد رأينا أن تفسير «ديوى» للتفكير تفسير «طبيعى»؛ بمعنى أنه يصور التفكير بأنه تطوير للعلاقة بين الكائن الحى وبيئته. «إن العمليات الذهنية تظهر فى سلوك النوع البيولوجى، ويمهد السلوك الطريق لهذه العمليات»^(٢). ولا ينكر المذهب الطبيعى، بالتأكيد، الاختلافات، وإنما يتعهد بتفسير هذه الاختلافات دون لجوء إلى أى مصدر غير طبيعى، أو فاعل. وبمعنى آخر، لابد أن يتمثل التفكير على أنه نتاج للتطور.

وقضلاً عن ذلك، فإنه يمكن وصف تفسير «ديوى» للتفكير بأنه «تجريبي»؛ بمعنى أن التفكير يُصور على أنه يبدأ من التجارب، وعلى أنه يرتد إلى التجارب. إن عملية البحث تتحرك عندما تواجه الذات موقفاً يحتوى على إشكال فى بيئتها، وتنتهى، سواء بصورة فعلية أم بصورة مثالية، بتغيير ما فى البيئة، أو فى الإنسان نفسه. ويؤكد «ديوى» فى الوقت نفسه أن التفكير يصنع أو يبنى موضوع المعرفة من جديد. ولأن هذا القول يبدو، لأول وهلة، أنه يمثل موقفاً مثالياً ولا يمثل موقفاً تجريبياً، فإنه يحتاج إلى تفسير.

Logic, p. 49. (١)

Ibid, p. 43. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إشكال أو عملية الاكتساء بدلالة محددة هي تشويه أو إفساد أكثر من أن تكون فعل المهندس الذى يضيف على حجر وخشب كفيات وعلاقات لا يمتلكها من قبل.

وإذا تسألنا لماذا يقبل «ديوى» هذه النظرية الوحيدة عن المعرفة؛ التى توحد موضوع المعرفة بلفظ عملية البحث، فإن من أحد الأسباب هو أنه يريد أن يتخلص مما يسميه «نظرية المشاهد فى المعرفة»^(١). وفقاً لهذه النظرية يكون لدينا، العارف Knower، من جهة، وموضوع المعرفة، من جهة أخرى، الذى لا يتأثر تماماً بعملية المعرفة. ومن ثم تواجهنا مشكلة إيجاد جسر بين عملية المعرفة التى تحدث بأكملها داخل ذات المشاهد، والموضوع الذى لايهمه أن يُعرف. ومع ذلك، إذا فهمنا أن موضوع المعرفة يوجد من حيث هو كذلك عن طريق عملية المعرفة، فإن هذه الصعوبة لا تنشأ.

إن القول بأن موضوع المعرفة يوجد عن طريق عملية المعرفة قد يكون، منظوراً إليه فى ذاته، تحصيل حاصل. لأن القول بأنه لا شئ يكون موضوعاً للمعرفة إلا بأن يُعرف هو تحصيل حاصل. غير أن «ديوى» لا يقصد بوضوح، أن يكون القول تحصيل حاصل؛ فهو يقصد أن يقول شيئاً أكثر. وما يقصده هو تصوير عملية المعرفة بأنها صورة متطورة إلى حد كبير للعلاقة النشطة بين كائن حى وبيئته؛ علاقة يحدث بواسطتها تغيير فى البيئة. وبمعنى آخر، يهتم «ديوى» بتقديم تفسير طبيعى للمعرفة، وباستبعاد أى مفهوم منها من حيث إنه ظاهرة غامضة، تكون فريدة فى نوعها تماماً. كما أنه يهتم بتوحيد النظرية بالممارسة. ولذلك تتمثل المعرفة بأنها فعل، أو صنع، وليست «رؤية» كما هى الحال فى النظرية المسماة بنظرية المشاهد.

٣ - إن تفسير «ديوى» للتفكير والمعرفة يتصل، بوضوح، بتصوره للفلسفة وبأحكامه عن الفلاسفة الآخرين. فهو، مثلاً، يعارض بشدة الفكرة التى تقول إن

The Quest for certainty, p. 23. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الحديث نجد ظهور اتجاه جديد إلى التغيير. لأن العالم يرى أننا لا نستطيع أن نفهم عملية التغير، والتحكم فيها، داخل حدود، وإحداث التغيرات التي نرغبها، ومنع تلك التي نعتبرها غير مرغوب فيها عن طريق ربط الظواهر. وهكذا لم يعد التفكير موجهاً نحو مجال سماوى ذى وجود وحقيقة ثابتين؛ لقد أصبح محصوراً فى البيئة التي نخبرها، على الرغم من أنه يقوم على أساس أكثر يقيناً مما كان فى المراحل المبكرة من البشرية. ومع النمو والتقدم المستمر للعلوم تغير اتجاه الإنسان كله نحو التفكير والمعرفة. ولابد من تأمل هذا الموقف الجديد، أو الرؤية الجديدة لوظيفة التفكير والمعرفة فى تصورنا للفلسفة.

إن العلوم الجزئية ليست هى نفسها، بالتالى، فلسفة. غير أن العلم قد يُتصور، بصفة عامة، على أنه يقدم لنا صورة عالم لا يهتم بقيم أخلاقية؛ على أنه يستبعد من الطبيعة كل الكيفيات والقيم. «هكذا خلقت المشكلة الدائمة للفلسفة الحديثة: أى علاقة العلم بالأشياء التى نقدرها، ونحبها، ولها سلطة فى توجيه سلوكنا»^(١). وأصبحت هذه المشكلة، التى شغلت تفكير كانط، مثلاً، «الصياغة الفلسفية للصراع الشائع بين العلم والدين»^(٢). وقد حاول فلاسفة التراث الروحى والمثالى، منذ زمن كانط، أو بالأحرى منذ زمن ديكرت فصاعداً أن يحلوا المشكلة بالقول بأنه يمكن تصور عالم العلم بأمان بوصفه مجال المادة والآلية، المجرد من الكيفيات والقيم، لأن «المادة والآلية يمتلكان أساسهما فى عقل لا مادى»^(٣). وبمعنى آخر، حاول الفلاسفة أن يوفقوا بين النظرة العلمية عن العالم، كما تصوروها، وتأكيد حقيقة القيم عن طريق تطوير صياغاتهم المتعددة لنفس النوع من الانفصال أو الثنائية التى تميز المذهب الأفلاطونى.

The Quest for certainty, p. 103. (١)

Ibid, p. 41. (٢)

Ibid, p. 42. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أرضه الخاصة، فإن ديوى يشدد، بصورة طبيعية، على الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية، وعلى فلسفة التربية. حقاً، إن الفيلسوف ليس مقيداً بهذه الموضوعات على الإطلاق. ففلسفة الخبرة تضم داخل منطقة بحثها، كما يرى «ديوى» فى كتابه «دراسات فى النظرية المنطقية» كل أوجه الخبرة البشرية، بما فى ذلك العالم العلمى، والدينى، والأخلاقى، والجمالى، وأيضاً العالم الاجتماعى - الثقافى فى صورته المنظمة. وتبحث العلاقات بين هذه الميادين المختلفة. لكن إذا فكرنا فى حل المواقف المعينة التى تحتوى على إشكال، فإن الفيلسوف لن يكون أكثر قدرة على حل المشكلات العلمية من العالم. وبالتالي، فمن الطبيعى، من وجهة النظر هذه، أن يقول «ديوى» إن «مهمة فلسفة المستقبل أن توضح أفكار الناس عن المنازعات الاجتماعية والأخلاقية الموجودة فى عصرهم. إن هدفها أن تصبح، بقدر المستطاع من الناحية البشرية، أداة معالجة هذه الصراعات»^(١).

وإذا تصورنا الفيلسوف، بالتالى، على أنه ينشد إلقاء الضوء على مواقف معينة تحتوى على إشكال، فإنه يمكن أن نفهم أنه يحب التقليل من قيمة الأفكار العامة والنظريات. إننا نستطيع أن نفهم، مثلاً، أن تأكيد «ديوى» على أنه بينما كانت المناقشة الفلسفية فى الماضى تتم عن طريق الدولة، الفرد^(٢)، «فإن ما هو مطلوب، بالفعل، هو إلقاء الضوء على تلك المجموعة من الأفراد، هذا الوجود البشرى العيى أو ذاك، هذا الموقف الخاص أو ذاك، أو التنظيم الاجتماعى»^(٣). وبمعنى آخر، عندما اهتم «ديوى» بالتشديد على الوظيفة العملية للفلسفة، فإنه مال إلى التقليل من قيمة المفاهيم العامة والنظريات من حيث إنها منفصلة عن الحياة العينية، والتجربة، ومن حيث إنها ترتبط

Reconstruction in Philosophy., p. 26. (١)

ibid, p. 188. (٢)

Reconstruction in Philosophy, p. 188. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وهذه النظريات لا يستطيع المرء أن يكون فيلسوفاً على الإطلاق. صحيح أن ديوى يؤكد باستمرار في مساهمته لمجلد من مقالات عنوانه «العقل المبدع» (١٩١٧) - يؤكد أنه لما كانت «الحقيقة» لفظاً دلاليّاً؛ أى يدل، بعدم اهتمام، وعدم تمييز، على أن كل شيء يحدث، فإنه لن تكون هناك نظرية عامة عن الحقيقة «ممكنة أو مطلوبة»^(١). وهى نتيجة لا تبدو أنها تنتج من المقدمات. بيد أنه يمكن القول بإنصاف إنه هو نفسه طورَ نظرية كهذه فى كتابه «التجربة والطبيعة» (١٩٢٥)، على الرغم من أنها ليست، بدون شك، نظرية عن أية حقيقة تتجاوز الطبيعة. وعلى نحو مماثل، على الرغم من أنه يرفض فى كتابه «تجديد فى الفلسفة» الحديث عن «الدولة»، فإن ذلك لا يمنعه من تطوير نظرية عن الدولة. كما أنه عندما يؤكد أن أية فلسفة لا تتعزل عن الحياة الحديثة يجب أن تعالج «مشكلة استعادة التكامل والتعاون بين اعتقادات الإنسان عن العالم الذى يعيش فيه، واعتقاداته عن القيم والأغراض التى توجه سلوكه»^(٢)، إنه يشير إلى مشكلة ربما لا يمكن مناقشتها دون أفكار عامة. إنها ليست، بالفعل، مسألة تأكيد أن ديوى يناقض نفسه باستمرار. إذ إن المرء يرفض، مثلاً، أن يتحدث عن «الدولة» قاصداً بذلك ماهية أزلية، ومع ذلك يصنع تعميمات تقوم على تأمل فى الدول الفعلية. ولكنها بالأحرى مسألة تأكيد أن إصرار «ديوى» على الممارسة، من حيث إنها نهاية البحث فى بناء موقف معين مشكل من جديد، يؤدى به، أحياناً، إلى أن يتحدث بطريقة لا تتفق مع ممارسته الفعلية.

٤- لقد لاحظنا التشديد الذى يقوم به «ديوى» على مصطلح البحث - فالبحت من حيث إنه «التحويل المنظم أو الموجه لموقف غير محدد إلى موقف محدد فى تمييزاته وعلاقاته التى يتكون منها من أجل تحويل عناصر الموقف الأصلية إلى كل

(١) Creative Intelligence, p. 55.

(٢) The Quest for Certainty, p. 255.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وهكذا نتذكر مطلب هيوم وهو أنه يجب تطبيق منهج البحث التجريبي الذي أثبت أنه مفيد في العلم الطبيعي أو الفلسفة الطبيعية في ميدان الاستطيقا، والأخلاق، والسياسة. غير أن «ديوى» وهو يختلف عن «هيوم»، يطور تفسيراً محكماً لمنطق البحث هذا.

ومن المتعذر تلخيص هذا التفسير هنا. بيد أنه يمكن ذكر خصائص معينة. يُنظر إلى المنطق، بوجه عام، على أنه، بالتأكيد، أداة، أعنى على أنه وسيلة لجعل الفعل المتضمن في بناء موقف غير محدد أو يحتوى على إشكال من جديد عاقلاً، بدلاً من أن يكون أعمى. ويفترض الفعل العاقل عملية تفكير أو بحث، ويتطلب ذلك التعبير عن طريق الرموز، والصياغة في صورة قضايا. فالقضايا هي، بوجه عام، الأدوات المنطقية الضرورية للوصول إلى حكم نهائي له أهميته الوجودية؛ ويتم الوصول إلى الحكم النهائي عن طريق سلسلة من أحكام وسيطة. ولذلك يمكن وصف الحكم بأنه «عملية تحليل متصلة لموقف غير محدد، ولم يُحسم إلى موقف موحد بصورة محددة، عن طريق عمليات تحول موضوع معطى في أول الأمر»^(١). وهكذا يمكن النظر إلى عملية الحكم كلها والتفكير بأنها طور من الأفعال العاقلة، وبأنها، في الوقت نفسه، أداة لبناء فعل على من جديد لموقف. إن القضايا الكلية، مثلاً، هي صياغات لطرق ممكنة للفعل أو العمل^(٢). إنها كلها من النوع: «إذا... إذن».

وإذا كان التفكير المنطقي أداتياً، فإن مشروعيته تظهر عن طريق نجاحه، ولذلك، فإن معيار الصحة هو بدقة «الدرجة التي يتخلص فيها التفكير، بالفعل، من المشكلة (الموقف الذي يحتوى على إشكال)، ويسمح لنا بأن ننتقل عن طريق حالات مختلفة من الخبرة تمتك قيمة أكثر عمقاً وأكثر يقيناً»^(٣). وبناء على وجهة النظر هذه، يرفض ديوى

(١) Logic, p. 283.

(٢) Ibid, p. 284.

(٣) studies in Logical Theory, p. 3.

كثيراً ما يصور «ديوى»، لفظ البحث بأنه إثراء وتعميق للتجربة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إلى حد مثالي لكل بحث، فإن الإجابة ستكون هي أن القضية أو الفرض يكون صادقاً أو كاذباً من حيث إنه يؤدي بنا إلى الغاية التي نضعها نصب أعيننا، أو يبعدنا عنها، وبمعنى آخر، «الفرض الذي يعمل هو الفرض الصادق»^(١) وتنتج وجهة النظر هذه عن الصدق، في رأى ديوى، بالطبع، من التصور التجريبي للمعنى.

لقد كان «ديوى» مهتماً ببيان أنه إذا قيل إن الصدق هو الفائدة، أو المفيد، فإنه لا يُقصد من هذا القول توحيد الصدق «بغاية شخصية خالصة، أعني منفعة عقد شخص معين النية عليها»^(٢). ولا بد أن تُفسر فكرة المنفعة في هذا النشاط بالنسبة إلى عملية تحويل موقف يحتوى على إشكال. والموقف الذي يحتوى على إشكال هو شيء عام وموضوعي. فالمشكلة العملية، مثلاً، ليست قلقاً عصبياً خاصاً، بل صعوبة موضوعية تُحل عن طريق مناهج موضوعية مناسبة. ولهذا السبب يتجنب «ديوى» الحديث مع «جيمس» عن الصدق بأنه المشبع أو ما يشبع. لأن طريقة الحديث هذه تفترض إشباعاً انفعالياً خاصاً. وإذا استخدم لفظ «المشبع»، فإنه يجب علينا أن نفهم أن الإشباع الذي نتحدث عنه هو إشباع حاجات موقف عام يحتوى على إشكال، وليس إشباع الحاجات الانفعالية لأى فرد، إن حل مشكلة علمية قد يسبب، في الحقيقة، تعاسة كبيرة للجنس البشرى. ومع ذلك من حيث إنها تعمل أو تظهر منفعتها عن طريق تحويل موقف يحتوى على إشكال موضوعي، فإنها تكون صادقة و«مشبعة».

وعلى الرغم من أن ديوى يصر على أن «النزعة الأدائية» أو الذرائعية لا تنكر موضوعية الصدق بأن تجعله مرتبطاً بشهوات الفرد، ورغباته، وحاجاته الانفعالية، فإنه كان على وعى تام، بالطبع، بأن نظريته تعارض نظرية الحقائق الأزلية، التي لا تتغير، وهو يقصد، بالفعل، وبوضوح، هذا التعارض. فهو ينظر إلى نظرية الحقائق الأزلية،

Reconstruction in Philosophy, p. 156. (١)

Ibid, p. 157. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا بد أن يأتي قبل التفكير، ولابد أن تأتي العادة قبل القدرة على إثارة التفكير إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك»^(١). وكما يعبر «ديوى» عن ذلك: فالإنسان هو وحده الذي تكون لديه عادات معينة خاصة بالموقف والاتجاه، والذي يكون في إمكانه أن يقف منتصباً حتى إنه يستطيع أن يكون لنفسه فكرة عن الوقفة المنتصبة من حيث إنها غاية يجب تعقبها بوعي. إن أفكارنا تعتمد، مثل إحساساتنا على الخبرة. «والخبرة التي تعتمد عليها أفكارنا وإحساساتنا هي عملية تكوين العادات - بصفة أساسية عملية الغرائز»^(٢). إننا نحصل على أغراضنا وأهدافنا الخاصة بالعمل عن طريق وسط للعادات.

إن إصرار «ديوى» على صلة الأخلاق بسلوكيات العادة يرجع، في بعض الوجوه، إلى اقتناعه بأن العادات، من حيث إنها حاجات لأنواع معينة من الفعل، «تكون الذات»^(٣)، وأن «السلوك هو تغلغل العادات»^(٤). لأنه إذا كان هذا التغلغل، بمعنى تكامل منسجم وموحد، شيئاً يتحقق وليس واقعة أصلية، فإنه ينجم عن ذلك، بوضوح، أنه يجب على النظرية الأخلاقية أن تضع العادات في الاعتبار، من حيث إنها تهتم بتطوير الطبيعة البشرية.

يبد أن تشديد «ديوى» على سيكولوجيا العادة يرجع أيضاً إلى إصراره على أن تندرج الأخلاق في تفسيره الطبيعي العام للخبرة. إن المذهب الطبيعي لا يستطيع أن يوفق بين هذه الأفكار من حيث إنها أفكار عن معايير أولية؛ أي من حيث إنها قيم مطلقة دائمة، أو مشرع أخلاقي يجاوز الطبيعة. إن الحياة الأخلاقية كلها، عندما تشمل، بدون شك، مظهر العناصر الجديدة، لابد أن تتمثل من حيث إنها تطوير لتفاعل

Human Nature and Conduct, p. 30. (١)

Ibid, p. 32. (٢)

Ibid, p. 25. (٣)

Ibid, 38.(٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وقول ذلك يتضمن أن هناك عاملاً آخر في الإنسان، إلى جانب العادة، يتصل بالأخلاق. وهذا العامل هو الباعث. إن العادات، من حيث إنها ميول مكتسبة للفعل بطرق معينة، تتبع بواعث غير مكتسبة أو لا تتعلم.

ومع ذلك، فإن هذا التمييز يسبب صعوبة. فمن جهة، يمثل الباعث مجال التلقائية، وبالتالي إمكان معرفة العادات وفق مطالب مواقف جديدة. ومن جهة أخرى، ليست بواعث الإنسان، في الغالب، منتظمة بالقطع، وليست مهياة بالطريقة التي تكون بها الغرائز الحيوانية منتظمة، ومهياة. ولذلك فإنها لا تكتسب الدلالة والتحديد المطلوبين للسلوك البشري إلا عن طريق حصرها في عادات. وهكذا «يعتمد اتجاه النشاط الطبيعي على عادات مكتسبة، ومع ذلك لا يمكن تعديل العادات المكتسبة إلا عن طريق تبديل البواعث». وكيف يستطيع الإنسان، بالتالي، أن يغير عاداته لكي يواجه مواقف جديدة، والاحتياجات الجديدة لبيئة متغيرة؟ كيف يستطيع أن يغير نفسه؟

لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إلا بإدخال فكرة الذكاء. عندما تجعل الظروف المتغيرة في البيئة عادة ما بدون فائدة، أو ضارة، أو عندما يحدث صراع العادات، فإن الباعث يتحرر من تحكم العادة، ويبحث عن تعديل. إنه لو ترك وشأنه، إن جاز التعبير، فإنه، ببساطة، يدمر سلسلة العادة إرباً إرباً في عتفوان هائج. وفي ذلك في الحياة الاجتماعية أنه إذا أصبحت عادات مجتمع مهجورة، أو ضارة، وإذا ترك الموقف وشأنه، فإن ثورة تحدث لا محالة، إذا لم يصبح المجتمع، ببساطة، خامداً ومتحجراً. والتبديل، بوضوح، هو التبديل الذكي (العاقل) للباعث إلى عادات جديدة، والخلق الذكي لمؤسسات جديدة. وباختصار «إن كسر كعكة التقاليد يحرر البواعث (الدوافع)، ولكن عمل الذكاء هو أن يصل إلى أساليب استعمالها»^(١).

Ibid, p. 170. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وثمة سؤال طبيعي يجب أن يُسئل وهو: النمو في أى اتجاه؟ والبناء من جديد من أجل أية غاية؟ لكن إذا كانت هذه الأسئلة تخص غاية نهائية غير النمو ذاته؛ أى البناء من جديد نفسه، فإنه لا يمكن أن يكون لها معنى في فلسفة «ديوى». فهو يسلم، بالفعل، أن سعادة، أو رضا، قوى الطبيعة البشرية هي الغاية الأخلاقية. لكن لأن السعادة تتحول لأن تكون حياة، بينما «الحياة تعني النمو»^(١)، فإنه يبدو أننا نكون خلف الغاية نفسها. إذ إن النمو الذي يشكل الغاية الأخلاقية هو نمو يجعل نمواً آخر ممكناً. وبمعنى آخر، النمو نفسه هو الغاية.

ومع ذلك، يجب أن نتذكر أنه، عند ديوى، لا يمكن أن تتفصل غاية حقيقية عن الوسيلة، أعنى عن عملية تحقيقها بالفعل. ويخبرنا بأن «الخير يكمن في المعنى الذي ينتمى إلى نشاط عندما ينتهي صراع وعرقلة باعث وعادات متعددة غير متطابقة بحل موحد ومنظم ويعمل»^(٢). ولذلك نستطيع أن نقول، ربما، تكون الغاية الأخلاقية، عند ديوى هي النمو؛ بمعنى التطور الديناميكي للطبيعة البشرية المتكاملة بصورة منسجمة، شريطة أن لا نتصور حالة محددة وثابتة من الكمال بوصفها الغاية النهائية. فليست هناك غاية نهائية عند «ديوى» سوى النمو ذاته. إن بلوغ غاية منتظرة محدودة ومحددة يفتح المجال أمام رؤى جديدة، ومهام جديدة، وإمكانات جديدة للفعل. ويكمن النمو الأخلاقي في فهم هذه الفرص والإمكانات وتحقيقها.

ولذلك يحاول «ديوى» أن يتخلص من مفهوم مجال قيم تتميز عن عالم الواقع. فالقيم ليست شيئاً معطى؛ وإنما تتكون عن طريق فعل التقييم؛ عن طريق حكم القيمة. وهذا الحكم ليس حكماً يقول إن شيئاً ما «يشبع». لأن قول ذلك، هو ببساطة صياغة قضية عن الواقع، مثل القضية التي تقول إن شيئاً ما حلو أو أبيض. إن صياغة حكم -

(١). Democracy and Education, p. 61.

(٢). Human Nature and Conduct, p. 210.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إشكال، من جهة تحويله، أو بنائه من جديد. إن حكم القيمة تنبؤي، مثل الفرض العلمي، ولذلك يمكن التحقق منه بصورة تجريبية أو بصورة معملية «إن الأحكام على مجرى الفعل بأنه حسن أو سيئ، أكثر نفعاً أو أقل نفعاً، تُبرر بصورة تجريبية مثلما تُبرر القضايا الالاقيمية عن موضوع غير شخصي»^(١). إن تحول المنهج التجريبي من الفيزياء إلى الأخلاق يعنى، بالتأكيد، أنه يجب النظر إلى كل الأحكام والاعتقادات عن القيم على أنها فروض. بيد أن تفسيرها بهذه الطريقة هو تحويلها من مجال الذاتى إلى مجال الموضوعي؛ أى مجال ما يمكن التحقق منه، ولا بد من تكريس اهتمام كبير لصياغتها مثلما يُكرس لصياغة الفروض العلمية.

٦- يتضمن إصرار «ديوى» على النمو، بوضوح، أن الشخصية شىء يجب أن يتحقق؛ شىء فى طور التكوين. بيد أن الشخص البشرى ليس، بالتأكيد، ذرة منعزلة. وإنما ليست، ببساطة، مسألة الفرد الذى يكون ملزماً بأن ينظر إلى بيئته الاجتماعية لأنه كائن اجتماعي، سواء أحبها أم لا. وكل أفعاله «تحمل طابع مجتمعه مثلما تحمل، بالتأكيد، طابع اللغة التى يتحدث بها»^(٢). ويصدق ذلك حتى على مسارات النشاط التى يستحسنها المجتمع بوجه عام. إن علاقات الإنسان بأقرانه هى التى تزوده بفرص الفعل وبأدوات الانتفاع من هذه الفرص واستغلالها. ويتحقق ذلك فى حالة اللص، أو من يعمل فى تجارة الرقيق الأبيض بصورة لا تقل عن حالة المحب للخير.

وفى الوقت نفسه، لا بد أن تُنظم البيئة الاجتماعية، بنظمها، وتُعدل بالطريقة التى تناسب جيداً تحقيق التطوير الممكن الكامل بطرق مرغوب فيها لقدرات الأفراد. وتواجهنا لأول وهلة حلقة مفرغة. فمن جهة، يكون الفرد مقيداً بالبيئة الاجتماعية

(١) ibid, p. 22.

(٢) Human Nature and Conduct, p. 317.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كل عضو من أعضاء المجتمع»^(١)، ولهذا السبب يفضل ديوى الديمقراطية؛ أعنى من حيث إنها تقوم على «الإيمان بقدرات الطبيعة البشرية، الإيمان بالذكاء البشرى، وبقوة التجربة المشتركة، والمتعاونة»^(٢). ومع ذلك فإن «الشرط الأول لمجتمع منظم بصورة ديمقراطية هو نوع من المعرفة والاستبصار لم يوجد بعد»، على الرغم من أننا نستطيع أن نشير إلى بعض الشروط التى يجب أن تتحقق إذا كان يتحتم وجوده، إن الديمقراطية كما نعرفها هى، بالتالى، إقرار الاستخدام الحر للمنهج التجريبى فى البحث الاجتماعى والتفكير المطلوب لحل مشكلات صناعية، وسياسية، واجتماعية عينية.

لقد رأينا أن الغاية الأخلاقية عند «ديوى» هى النمو، وأن الدرجة التى تعين النظم السياسية والاجتماعية على النمو تقدم اختباراً لتحديد قيمة هذه النظم. كما أن فكرة النمو هى المفتاح لنظريته التربوية. «إن العملية التربوية تتفق، بالفعل، مع العملية الأخلاقية»^(٣). وإن التربية «تحصل من الحاضر على درجة ونوع النمو الموجود فى العملية التربوية»^(٤). وينجم عن هذا أنه لما كان النمو أو التطور لا يتوقف مع نهاية مرحلة المراهقة، فإنه يجب ألا يُنظر إلى التربية على أنها إعداد للحياة، فهو نفسه عملية من عمليات الحياة^(٥). «إن العملية التربوية ليس لها، فى حقيقة الأمر، نهاية وراء نفسها؛ إذ إنها هى غاية نفسها»^(٦). حقاً، إن التعليم الرسمى انتهى؛ بيد أن التأثير التربوى للمجتمع، أى العلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية، يؤثر فى الكبار، كما يؤثر فى الصغار. وإذا نظرنا نظرة واسعة إلى التربية، كما نفعل، فإننا نستطيع أن

(١) The Problem of Men, p. 59.

(٢) The Public and Its Problems, p. 166.

نجد مناقشة ديوى الأكثر تفصيلاً لبُلوّة فى هذا الكتاب (المؤلف)

(٣) Reconstruction in Philosophy, p. 183.

(٤) Ibid, pp. 184 - 5.

(٥) قام ديوى بتوسيع وجهة النظر هذه على سبيل المثال فى كتابه «عقديتى التربوية» (المؤلف).

(٦) Democracy and Education, p. 59.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بكل متطور»^(١). ونجده في كتابه «البحث عن اليقين» (١٩٢٩) يؤكد أن الطبيعة، بما في ذلك بنى البشر، يمكنها، عندما يُنظر إليها على أنها مصدر المثل العليا للإنجاز وإمكاناته، وبوصفها مقر كل صنوف الخير التي يتم بلوغها، أن تثير موقفًا دينيًا يمكن أن يوصف بأنه إحساس بإمكانات الوجود، وبأنه تكريس لعلّة تحقيقها الفعلي^(٢). بيد أن هذه ملاحظات عارضة بصورة كبيرة أو صغيرة، ولم يعكف ديوى حتى عام ١٩٢٤، بالفعل، على موضوع الدين في كتابه «إيمان مشترك»، وهو النص المنشور لسلسلة محاضرات مؤسسة تيري Terry التي ألقاها في جامعة «ييل».

ومع ذلك، فعلى الرغم من أن «ديوى» لم يكتب من قبل سوى القليل من الدين، فإنه أوضح أنه يرفض أية عقائد محددة، وأية ممارسات دينية. وجليّ، بالفعل، أن نزعته الطبيعية التجريبية لم تنسح مجالاً للإيمان بوجود إلهي يفوق الطبيعة، أو لعبادته. كما أن «ديوى» أوضح في الوقت نفسه أنه أعطى قيمة لما يسميه بالموقف الديني. ونجده في كتابه «إيمان مشترك» يميز بين الاسم «الدين»، والصفة «ديني». ويرفض الاسم، بمعنى رفض العقائد، والمؤسسات والممارسات الدينية المحددة. ويقبل الصفة، بمعنى أنه يؤكد قيمة الدين من حيث إنه كيف للخبرة.

ومع ذلك، يجب علينا أن نفهم أن «ديوى» لا يتحدث عن أية تجربة دينية وصوفية بالتحديد، مثل التجربة التي قد تستخدم لتدعيم الإيمان بالله يفوق الطبيعة، إن الكيف الذي يضعه في اعتباره هو كيف يمكن أن ينتمى إلى تجربة لا توصف، عادة، بأنها دينية. فتجربة الشعور بالتوحد مع الكون، مع الطبيعة كلها، مثلاً، تمتلك هذا الكيف. ويربط «ديوى» في كتابه «إيمان مشترك» كيف «الدين» بالإيمان «بتوحد الذات عن طريق الولاء لغايات شاملة ومثالية، يقدمها لنا الخيال، وتستجيب لها الإرادة البشرية من حيث إنها جديرة بضبط وتنظيم رغباتنا، واختياراتنا»^(٣).

(١) Ibid, p. 264.

(٢) Cf. the Quest for Certainty, pp. 288-91.

(٣) A Common Faith, p. 33.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وخلالها، لتحقيق القيم وحفظها. لكن حتى إذا كان الكثير مما يقوله يتجه في اتجاه فكرة كهذه، فإن نزعتة الطبيعية قد منعت، بصورة فعالة، من أن يأخذ هذه الخطوة.

٨- يتضح أن فلسفة «ديوى» ليست ميتافيزيقا. إذا كنا نعنى بهذا اللفظ دراسة لنظرية عن حقيقة تجاوز ما هو تجريبي. لكنه على الرغم من أنه ينكر، كما لاحظنا، من وجهة واحدة على الأقل، أن أية نظرية عامة عن الحقيقة مطلوبة، أو حتى ممكنة، فإنه جلى إلى حد كبير أنه يطور وجهة نظر عن العالم. وتندرج وجهات النظر عن العالم، بوجه عام، تحت عنوان الميتافيزيقا. من السذاجة أن نقول إن «ديوى» يأخذ، ببساطة، العالم كما يجده. لأن الواقعة الجلية هي أنه يفسره. وفي الحقيقة، على الرغم من كل ما يقوله ضد النظريات العامة، فإنه لا يمنع كل المحاولات لتحديد السمات العامة، على حد تعبيره، للوجود من كل الأنواع. وما يفعله هو أنه يصر على أن «النظر العام في الوجود الذي يمكن أن يستطیع بمفرده أن يحدد الميتافيزيقا بأى معنى معقول من الناحية التجريبية هو نفسه حقيقة مضافة من التفاعل، ويخضع، بالتالى، لطلب الذكاء مثل أى حدوث طبيعى آخر: أعنى بحثاً فى صلات ما يكتشفه، ومقدماته ونتائجه. إن الكون ليس سلسلة لا متناهية ممثلة لذاتها؛ لأن إضافة تمثل بداخله يجعله كوناً مختلفاً^(١)». وإلى الحد الذى يُعترف فيه بالميتافيزيقا بمعنى الأنطولوجيا^(٢)، فإن اكتشافاتها تصبح فروضاً تعمل، وتخضع كثيراً للمراجعة مثل فروض العلم الفيزيائى. ومن المحتمل أن تكون وجهة نظر «ديوى» الخاصة عن العالم فرضاً يعمل هكذا.

ومما هو موضع خلاف أن وجهة النظر هذه عن العالم تظهر أثراً لماضى صاحبها الهيجلى؛ بمعنى أن الطبيعة، تخضع، على أية حال، لروح «هيجل»، وأن «ديوى» يميل

(١) 15 - 414. Experience and Nature. pp.

الإشارة إلى سلسلة لا متناهية ممثلة لذاتها هي إشارة إلى مذهب «رويس» (المؤلف).

(٢) يعالج ديوى نفسه، مثلاً، مقولة العلّية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لإنكار وجود عالم سابق على الخبرة البشرية؛ ويؤكد أننا نخبر أشياء كثيرة من حيث إنها تسبق خبرتنا إياها. وهناك، في الوقت نفسه، ميل قوى لتفسير «الخبرة» عن طريق بناء المواقف من جديد، أى بناء من جديد يجعل العالم يختلف عما يكون عليه بدون تفكير بشرى إجرائى. ويشير ذلك إلى نظرية عن خبرة خلاقة مبدعة تميل إلى تحويل ما هو معطى بصورة سابقة إلى نوع من شىء فى ذاته غامض.

واضح أن وجود ألوان عدم الاتساق فى تفكير «ديوى» لا يبطل النزعة الطبيعية (المذهب الطبيعى). بل يجعل، على أية حال، فرضاً عن وجهة نظر طبيعية معرضاً للنقد أكثر مما هو موجود لو أن «ديوى» نجح فى تقديم وجهة نظر عن العالم متماسكة وموحدة تماماً، أو نجح فى تقديم تفسير للخبرة. ولا يكفى، بصورة واضحة، الرد بأن وجهة نظر «ديوى» عن العالم هى، بناء على مقدماته الخاصة، فرض «ناجح» يجب أن يحكم عليه عن طريق «نتائجه»، ولا عن طريق الغياب النسبى لحجج تدافع عنه. لأن «نجاح» وجهة نظر عن العالم يظهر، بصورة دقيقة، فى قدرتها على أن تقدم لنا سيطرة صورية متماسكة وموحدة على المعطيات.

وإذا ولينا وجوهنا شطر نظرية «ديوى» المنطقية، فإننا نواجه، أيضاً، صعوبات ذات أهمية ما. فعلى الرغم من أنه يعرف، مثلاً، أن هناك مبادئ منطقية أساسية تظهر نفسها على أنها أدوات نافعة بصورة موضوعية فى معالجة مواقف تحتوى على إشكال، فإنه يصر على أنه ليس هناك، من وجهة نظر منطقية خالصة، مبدأ مقدس لا ينتهك؛ فكل شىء يمكن مراجعته من حيث المبدأ. ويفترض «ديوى» فى الوقت نفسه، بوضوح، أن الذكاء لا يمكنه أن يقنع بموقف يحتوى على إشكال، أى لا يمكن أن يقنع بصراع أو «تناقض» لا يحل. فالذهن مجبر على أن يتجه نحو التغلب على هذه التناقضات^(١).

(١) هناك، بالتأكيد، اختلاف كبير بين موقف «هيجل» وموقف «ديوى» لأن «ديوى» يهتم بتحويل موقف، ولا يهتم، ببساطة، بالتغلب الجدلى على تناقض. لكن كلا منهما يفترض أن التناقض شىء يجب التغلب عليه (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«ديوى» الفلسفة إلى الأرض، وحاول أن يبين صلتها بمشكلات عينية؛ أخلاقية، واجتماعية، وتربوية. ويساعد ذلك على تفسير تأثيره العظيم. إنه كاتب ممل إلى حد ما، وليس كاتباً دقيقاً وواضحاً بصورة تلفت الأنظار. إن نجاحه فى أن تلفت أفكاره انتباه كثير من أبناء بلده لا يرجع إلى مواهبه الأدبية، فهو يجب أن يُعزى إلى حد كبير إلى الأهمية العملية لأفكاره. وفضلاً عن ذلك، فإن وجهة نظره العامة عن العالم يمكن أن تروق أولئك الذين ينظرون إلى المبادئ اللاهوتية والميتافيزيقية على أنها بالية وعفا عليها الزمن، وربما أيضاً على أنها محاولات لحفظ مصالح مكتسبة، وأولئك الذين يبحثون، فى الوقت نفسه، عن فلسفة تتطلع إلى المستقبل لا تلجأ، على الإطلاق، إلى حقائق تجاوز الطبيعة، لكنها تبرر، بمعنى ما، إيماناً بتقدم بشرى لا محدود.

ولهذه الأسباب، قد تبدو مهمة اكتشاف صنوف عدم الاتساق وصنوف الغموض فى تفكير «ديوى» لبعض الأذهان نوعاً حقيراً من لعبة يلعبونها، أو قطعاً تافهاً لفلسفة مغروسة بصلاية، بوجه عام، فى غبار التجربة. وقد يبدو للبعض، مع ذلك، أن الأهمية العملية قد بيعت، إن جاز التعبير، على حساب تفسير دقيق ومحكم، وشرح وتبرير لأسس الفلسفة. كما أنه قد يبدو أن فلسفة «ديوى» تقوم، على المدى البعيد، على حكم القيمة؛ أى قيمة الفعل، ويمكن للمرء، بالتأكيد، أن يقيم فلسفة على حكم أو على أحكام المرء. لكن من المرغوب فيه أنه فى هذه الحالة يجب الإفصاح عن الأحكام، وإلا فإن المرء قد يعتقد، مثلاً، أن النظرية الذرائعية (الأداتية) عن الصندوق هى، ببساطة، نتيجة تحليل نزيه.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

٢- لقد ذكرنا من قبل الطريقة التي أصبح بها المذهب المثالي يحتل مكاناً مهيماً في الجامعات البريطانية، لاسيما في أكسفورد، إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لكن حتى انتصار المذهب المثالي في «أكسفورد» لم يكن كاملاً، إذ إن «توماس كيس» T. Case (١٨٤٤ - ١٩٢٥)، مثلاً، الذي شغل كرسي الميتافيزيقا من عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩١٠، وكان رئيساً لكلية «كوريس كريستي» (جسد المسيح) من عام ١٩٠٤ حتى عام ١٩٢٤، تقول إنه نشر كتابه «الواقعية في الأخلاق» عام ١٨٧٧، و«الواقعية الفيزيائية» عام ١٨٨٨، صحيح، بالفعل أن المذهب الواقعي عند «كيس» كان يعارض المثالية الذاتية، والمذهب الظاهري (مذهب الظواهر) ولا يعارض المثالية الموضوعية، أو المثالية المطلقة. لأنه يكمن، أساساً، في أطروحة تقول إن هناك عالماً من أشياء حقيقي، ويمكن معرفته، ويوجد باستقلال عن المعطيات الحسية^(١). وفي نفس الوقت، بينما كان «كيس» في صف الفلاسفة المثاليين في الحرب ضد المذهب المادي، فإنه نظر إلى نفسه على أنه يواصل، أو يستعيد، واقعية «فرنسيس بيكون»، والعلماء مثل «نيوتن»، وعلى أنه خصم للحركة المثالية المتعارف عليها آنذاك^(٢).

وكان «جون كوك وليسون» J. Cook Wilson (١٨٤٩ - ١٩١٥) خصماً شهيراً للمذهب المثالي، وقد شغل كرسي المنطق في جامعة «أكسفورد» من عام ١٨٨٩ حتى وفاته. ولم ينشر سوى القليل جداً، وكان تأثيره الرئيسي في عملية التدريس. بيد أن مجلدين عبارة عن مجموعة محاضرات في المنطق، ومقالات وخطابات، مع ترجمة ذاتية قام على نشرها المحرر «أ.س.ل. فاركويرسون» Farquharson، وقد ظهرت غُفلاً عام ١٩٢٦ تحت عنوان «القضية والاستدلال».

(١) ومع ذلك يجب ملاحظة أنه على الرغم من أنه يمكن معرفة أشياء فيزيائية مستقلة بالنسبة لهكيس، فإن وجودها وطبيعتها تعرقان بصورة مباشرة، أي يُستدل عليهما من معطيات حسية، تكون تعديلات مسببة للجهاز العصبي (المؤلف).

(٢) مما له أهمية أن «كيس» هو كاتب المقال عن أرسطو في الطبعة الحادية عشرة لدائرة المعارف البريطانية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا ينجم عن ذلك، على الإطلاق، أنه يمكن تحليل المعرفة وتعريفها. فنحن نستطيع، بالفعل، أن نسأل كيف نعرف، أو ماذا نعرف، لكن السؤال «ما عساها أن تكون المعرفة ذاتها؟» خُلف محال. لأن طلب إجابة هو افتراض مسبق أننا نستطيع أن نقدّر صدقها، ويفترض ذلك، بالتالي، أننا نعى من قبل ما عساها أن تكون المعرفة. إن المعرفة يمكن بيانها عن طريق مثال، لكن لا يمكن تفسيرها أو تعريفها. وهى ليست بحاجة إلى أى تبرير أبعد من الإشارة إلى نماذج منها.

إننا نستطيع، بالفعل، أن نستبعد التفسيرات الزائفة للمعرفة. وتأخذ هذه التفسيرات صورتين. الأولى: هناك محاولة لرد الموضوع إلى فعل الوعى عن طريق تفسير الوعى بأنه صنع للموضوع؛ أو بناؤه من جديد. والثانية: هناك ميل إلى وصف فعل الوعى عن طريق الموضوع؛ عن طريق الجزم بأن ما نعرفه هو «نسخة»، أو تمثل للموضوع. وهذه الأطروحة تجعل المعرفة مستحيلة. لأنه إذا كان ما نعرفه مباشرة هو باستمرار نسخة أو فكرة، فإننا لن نستطيع مطلقاً أن نقارنه بالأصل، لنرى ما إذا كان يطابقه أم لا.

ومع ذلك فإن نحض التفسيرات الزائفة للمعرفة يفترض مقدماً أننا نعى جيداً ما عساها أن تكون المعرفة. ونحن على وعى بها عن طريق معرفة شيء ما بالفعل. ولذلك، فإن السؤال: ماذا عساها أن تكون المعرفة؟ على الرغم من أننا نجهلها، هو سؤال غير سليم تماماً مثله مثل سؤال «برادلى» كيف يمكن أن ترتبط العلاقة بحددها؟ إذ إن العلاقة ليست، ببساطة، نوع الشيء الذى يمكن أن يقال، بصورة معقولة، إنه يرتبط. والمعرفة هى علاقة فريدة فى نوعها Sui Generi ولا يمكن تعريفها بين ذات وموضوع. ونحن نستطيع أن نقول بأنها ليست كذلك، فهى لا تصنع الموضوع ولا تنتهى بنسخة عن الموضوع؛ غير أننا لا نستطيع أن نعرف ماذا عساها أن تكون.

يفترض المذهب الواقعى عند «كوك ولسون» بوضوح، أننا ندرك موضوعات فيزيائية توجد باستقلال عن فعل الإدراك وبمعنى آخر، ينكر الأطروحة التى تقول

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يشارك «هـ. أ. بريشارد» H. A. Prichard (١٨٧١ - ١٩٤٧) «كوك ولسون» في وجهة نظره العامة، وقد شغل «بريشارد» كرسي فلسفة الأخلاق في جامعة «أكسفورد». يرى، أولاً: «من المستحيل ببساطة الاعتقاد أن أى حقيقة تعتمد على معرفتنا بها، أو على أية معرفة بها. وإذا كانت هناك معرفة، فلا بد أن تكون أولاً شيئاً يُعرف»^(١). ويتضح أن أنشطة «شيرلوك هولمز» Sherlock Holmes، كما يرويها «كونان دويل» Conan Doyle^(٢)، تعتمد على الذهن؛ بمعنى لا تعتمد عليه الحجارة والنجوم. غير أنني لا أستطيع أن أزعم «معرفة» ما فعله «شيرلوك هولمز» إذا لم يكن هناك أولاً شيء يُعرف. ثانياً: «المعرفة فريدة في نوعها، ولا يمكن أن تُفسر من حيث هي كذلك»^(٣). لأن أى تفسير مزعوم يفترض بالضرورة أننا نعى ماذا عساها أن تكون المعرفة. ثالثاً: لا يمكن أن توجد الصفات (الكيفيات) الثانوية باستقلال عن ذات مُدركة، وبالتالي «لا يمكن أن تكون صفات (كيفيات) للأشياء؛ لأن صفات (كيفيات) شيء ما يجب أن توجد باستقلال عن إدراك شيء ما»^(٤).

وبالنظر إلى المسألة التي ذكرناها أخيراً، ليس هناك ما يدعوا للدهشة أن نجد «بريشارد» يثبت في مجموعة المقالات التي نُشرت غُفلاً بعنوان «المعرفة والإدراك» (١٩٥٠) أننا لا نرى بالفعل موضوعات فيزيائية على الإطلاق، وإنما نرى فقط امتدادات ملونة ومرتبطة مكانياً، «نظن» أنها أجسام فيزيائية. وإذا سألنا كيف نُقبل على الحكم على هذه المعطيات الحسية بأنها موضوعات، فإن «بريشارد» يرد بأنها

(١) Kant's Theory of Knowledge (1909), p. 118.

(٢) السير آرثر كونان دويل (١٨٥٩ - ١٩٢٠) طبيب وروائي بوليسي إنجليزي ابتكر شخصية «شيرلوك هولمز» رجل المباحث البارع في اكتشاف الجريمة. (المراجع)

(٣) Ibid, p. 124.

(٤) Ibid, p. 86.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وجدت دافعاً قوياً في «أكسفورد» من كتاب هـ.د. برايس H.H. Price «الإدراك الحسي»^(١)، فإن ذلك يوضح الصعوبة في تدعيم موقف الواقعية الساذجة بنجاح. أعني أن مشكلات نشأت للتفكير تقترح ضرورة تعديل الموقف. وإحدى الطرق للقيام بهذا الموقف هي استبعاد المشكلات من حيث إنها شبه مشكلات. غير أن ذلك ليس وسيلة يقبلها فلاسفة أكسفورد القدماء الذين نتناول آراءهم هنا.

٣- ربما يكون «هـ.أ. بريشارد» الذي ذكرناه في القسم الأخير، شهيراً بسبب مقاله الشهير «في مجلة مايند Mind» عام (١٩١٢)، عن هذه المشكلة «هل تقوم فلسفة الأخلاق على خطأ؟»^(٢). لقد تصور «بريشارد» الفلسفة الخلقية بأنها تهتم، إلى حد كبير، بمحاولة إيجاد حجج للبرهنة على أن ما يبدو أنه واجباتنا هو بالفعل واجباتنا، وأطروحته الخاصة هي أننا في حقيقة الأمر، نرى، أو نعاين intuit واجباتنا ببساطة، حتى إن كل محاولة للبرهنة على أنها واجبات هي محاولة خاطئة. صحيح أنه يمكن أن تكون هناك حجة بمعنى ما. غير أن ما يُسمى بالحجة هو ببساطة محاولة لجعل الناس ينظرون عن كثب إلى أفعال لكي يروا لأنفسهم خاصية كونها ملزمة. إن هناك مواقف، بالتأكيد، تسبب ما اعتدنا على أن نسميه بصراع الواجبات. لكن في حالة صراع ظاهري من هذا النوع، يكون من الخطأ محاولة حله عن طريق إثبات، كما فعل فلاسفة كثيرون، إن فعلاً من الأفعال البديلة ينتج خيراً أعظم من نوع ما، هذا الخير يكون خارج الفعل ونتيجة له. والسؤال موضع الخلاف هو: ما الفعل الذي يمتلك الدرجة الأعظم من الإلزام؟ ولا يمكن الإجابة عن السؤال بأية طريقة سوى النظر بكتب إلى الأفعال حتى نرى الفعل الذي يكون ملزماً بدرجة أكبر. ومع ذلك، فإن هذا هو ما اعتدنا أن نفعله من الناحية العملية.

(١) يبين هذا الكتاب، الذي نُشر عام ١٩٣٢، تأثير مفكرى كمبريدج، مثل «مور» و«رسل» في حين أن «كوك ولسون» قد أظهر تقديراً قليلاً لتفكير فلاسفة كمبريدج (المؤلف)

(٢) Reprinted in Moral Obligation: Essays and Lectures, (1949).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويعني آخر، حاول «جوزيف» أن يوفق بين وجهة نظر «بريشارد» والتراث الأرسطي. وقد لفت «ج. هـ. مويرهيد» J.H. Muirhead: الأستاذ بجامعة «برمنجهام» في عمله الصغير «القاعدة والغاية في الأخلاق» (١٩٣٢)، الذي كان القصد منه تلخيص مناقشات «أكسفورد» نقول إنه لفت الانتباه إلى علامات العودة - وقد رحب هو نفسه بذلك - إلى وجهة النظر المثالية الأرسطية عن الأخلاق. بيد أنه ظهر في عام ١٩٣٦ كتاب «ألفرد جولز آير» A.J. Ayer «اللغة والصدق والمنطق»: هو البيان الوضعي المنطقي الشهير، الذي يفسر فيه قضية مثل «أفعال من النوع (أ) خاطئة» لا بوصفها تعبيراً عن أي حدس، وإنما بوصفها قولاً *utterance* يعبر عن موقف انفعالي نحو أفعال من النوع (أ). كما أنه يُنتظر منها أن تثير موقفاً انفعالياً مشابهاً في الآخرين. وعلى الرغم من أنه لا يمكن أن يقال إن النظرية الانفعالية في الأخلاق حازت قبولاً كلياً من جانب فلاسفة الأخلاق البريطانيين، فإنها أثارت مرحلة جديدة من المناقشة في النظرية الأخلاقية: مرحلة تقع خارج مجال هذا المجلد^(١). ولذلك، عندما نشر «سير ديفيد روس» كتابه «أسس الأخلاق» في عام ١٩٣٩، بدا المذهب الحدسي للبعض على أنه ينتمي إلى مرحلة ماضية من التفكير. ومع ذلك، عندما ننظر إلى الوراء، فإننا نستطيع أن نرى كيف مثلت مناقشة «بريشارد»، و«روس» و«جوزيف» وآخرين لفاهيم مثل مفهومي الصواب والخير منظوراً تحليلياً لفلسفة أخلاقية تختلف عن الميل المثالي لمعالجة الأخلاق بوصفها موضوعاً تابعاً، يعتمد على وجهة نظر ميتافيزيقية عن العالم. ومع ذلك، نستطيع أن نرى، أيضاً، كيف شك فلاسفة في المرحلة التالية للمناقشة الأخلاقية فيما إذا كان يمكن حصر الأخلاق، بصورة مفيدة، في مكان محكم من حيث إنها دراسة للغة الأخلاق^(٢).

(١) see, for example, *Ethics since 1900* by M. Warnock (London, 1960).

(٢) كتاب البروفيسور «ستيفارت هامبشير» «التفكير والفعل» (لندن، ١٩٥٩) هو مثال لهذا الميل (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

المركبة إلى مسائل محددة تُعالج بصورة منفصلة، وعلى ارتباط دقيق بالعلوم الخاصة. ولذلك، أمل الفيلسوف الواقعي الجديد، عن طريق هذا المنظور للفلسفة، في أن يتغلب على المذهب الذاتي، وتحلل التفكير واللغة، وإغفال العلم الذي مال في رأيهم إلى جلب سوء السمعة للفلسفة. وبمعنى آخر، يجب أن يسير إصلاح الفلسفة، بوجه عام، جنباً إلى جنب مع تطور الخط الواقعي من التفكير.

وعلى أية حال، لقد اتفق الفلاسفة الواقعيون الجدد على حقيقة مبدأ أساسي؛ وهو، كما يعبر عنه «بتكن» Pitkin «الأشياء التي تُعرف ليست تتاجات لعلاقة المعرفة، ولا تعتمد، أساساً، في وجودها أو سلوكها على هذه العلاقة»^(١). وينظر هذا المبدأ الاعتقاد الطبيعي التلقائي، والعلوم تحتاج إليه. وهكذا، فإن عبء البرهان يقع، بإنصاف وبحق، على عاتق أولئك الذين ينكرونه. بيد أن صنوف الدحض التي يقدمها الفلاسفة الواقعيون خاطئة ومضللة، فهم، على سبيل المثال، ينتقلون من بديهية، تقول إنه عندما تُعرف الموضوعات فقط، فإننا نعرف أنها موجودة، أو من تحصيل حاصل يقول «ليس هناك موضوع بدون ذات»، إلى نتيجة أساسية، لكنها غير مبرهن عليها؛ وهي أننا لا نعرف أن الموضوعات توجد إلا من حيث إنها موضوعات، أعني؛ عندما تُعرف الموضوعات فقط، بوصفها شروطاً لعلاقة المعرفة.

ويتضمن ذلك، بوضوح، أن المعرفة علاقة خارجية. إن المعرفة، كما يعبر عن ذلك «سبولدنج» Spaulding هي «ما يمكن طرحه واستبعاده»^(٢)؛ بمعنى أن شيئاً ما يمكن أن يوجد عندما لا يُعرف، وأنه عندما لا يُعرف، فإنه يمكن أن يكون بدقة ما هو عليه عندما يُعرف، مع الاختلاف الواضح وهو أنه لا يكون، بالتالي، شرط العلاقة الخارجية للمعرفة. وهكذا يجب أن يكون هناك نوع واحد من العلاقة الخارجية على الأقل، ويمكننا

Ibid, p. 447. (١)

The New Realism, p. 478. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن توصف بأنها «ذاتية» في طابعها. إذ إن ما هو غير واقعي، على العكس، له وجود، و«يبقى بذاته في كون الوجود الشامل كل الشمول»^(١). وباختصار «الكون ليس كله حقيقياً أو واقعياً Real، لكن الكون كله موجود»^(٢).

من الواضح أن تفسيراً ما لهذا الاستخدام للألفاظ مطلوب وضروري. ولكن ماذا يعني «هولت» أولاً بالواقعية؟ يجيب قائلنا: «إنني لا أهتم بما عساها أن تكون الحقيقة الواقعية Reality»^(٣)، فهي ليست مرجوة كثيراً. غير أن «هولت» يمضي ليقول إنه «سيجازف بالتخمين أنه ربما تكون الحقيقة الواقعية Reality نسقاً شاملاً للغاية من حدود في العلاقة... وذلك يجعل الحقيقة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يعرفه المنطق بأنه «الوجود الفعلي Existence»^(٤). ويفترض ذلك أن موضوعاً وهمياً، مثلاً، يكون غير حقيقي؛ بمعنى أنه لا يمكن أن يكون ملائماً، بدون تناقض، للنسق الكلي لحدود مترابطة. بيد أن «هولت» يشير إلى أنه «لا يصف موضوعاً وهمياً بأنه «غير حقيقي» بالضرورة»^(٥). ومع ذلك، فإن المسألة التي يصر عليها هي أن عدم الحقيقة لا تستبعد الموضوعية. فإذا افترضت، مثلاً، مقدمات هندسية معينة كيفما أشاء، واستنبطت نسقاً متسقاً، فإن النسق يكون «موضوعياً»، حتى إذا وُصف بأنه «غير حقيقي». والقول بأن ما هو غير حقيقي موضوعي، وليس ذاتياً، هو ما يعنيه «هولت» بقوله إن له وجوداً.

Ibid, p. 366. (١)

لا بد من تمييز الموضوع غير الحقيقي عن الموضوع الذي لا يمكن التفكير فيه وذلك مثل الدائرة المربعة (المؤلف).

Ibid, p. 360. (٢)

Ibid, p. 366. (٣)

Ibid (٤)

Ibid, p. 36. (٥)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تكون لدينا القدرة على القيام بتمييزات واضحة بين الحالات الأنطولوجية لهذه الأنواع المختلفة من الموضوعات.

كما يهتم الفلاسفة الواقعيون الجدد بمناقشة طبيعية الوعي، لقد قبل «هولت» و«بيرى» تحت تأثير وليم جيمس، مذهب «الواحدية المحايدة»، الذى وفقاً له لا يكون هناك اختلاف أساسى فى نهاية الأمر بين الذهن والمادة. وقد حاولا استبعاد الوعي من حيث إنه كيان خاص عن طريق تفسير الوعي بموضوع ما بأنه استجابة محددة عن طريق كائن حى. لقد فسر «مونتاجيو» ذلك بأنه يعنى أن الاستجابة تتكون من حركة جزئيات. وتسأل كيف يمكن أن تفسر هذه النظرية مثلاً، التى يصفها بأنها مذهب سلوكى، وعينا بأحداث ماضية. وقد وجد الاستجابة المحددة التى تكون الوعي «بعلاقة اللزوم المتجاوز لذاته، التى تبقى حالات المخ على علها غير العضوية»^(١). غير أنه ليس واضحاً على الإطلاق كيف تستطيع حالات المخ أن تمارس أية وظيفة تتجاوز ذاتها. كما أن القول بأن إمكان الحالات اللحائية Cortical التى تتجاوز نفسها، وتزود بوعي للموضوعات هو «موضوع للسيكولوجيا وليس للاستمولوجيا»^(٢)، لا يساعد كثيراً.

ومع ذلك، يتضح، على أية حال، أن الفلاسفة الواقعيين الجدد انصرفوا كما عبر عن ذلك مونتاجيو إلى تأكيد، أن «المعرفة نوع معين من العلاقة التى قد تبقى وتندوم بين موجود حى وأى كيان... (ذلك الذى) ينتمى إلى نفس العالم مثل موضوعاته.... (وأنه) ليس هناك شئ يجاوزه أو يعلو عليه»^(٣). كما أنهم رفضوا كل صور المذهب التمثيلى، ففى الإدراك ترتبط المعرفة والذات مباشرة بالموضوع، ولا ترتبط بصورة غير مباشرة عن طريق صورة image أو نوع ما من نسخة عقلية تكون الحد المباشر للعلاقة.

The New Realism, p. 482. (١)

Ways of Knowing (1925) p. 396. (٢)

The New Realism, p. 475. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

على استعداد لأن يتحدث عن هذه المعطيات بوصفها حالات ذهنية^(١). وفي هذه الحالة، من المحتمل أن تكون هذه المعطيات في الذهن. في حين أن بعضهم الآخر، مثل سنتيانا، يعتقد أن المعطيات المباشرة للوعي ماهيات، ويستبعد أى تساؤل عن إمكان وجودها؛ على أساس أنها لا توجد إلا من حيث إنها أمثلة فحسب. وعلى أية حال، فإذا تم التسليم بالمذهب التمثيلي، فإنه يبدو أنه يترتب على ذلك أنه يُستدل على وجود الموضوعات الفيزيائية. فما الذي يبرر لى أن أفترض أن ما أدركه بالفعل يمثل شيئاً غير ذاته؟ وفضلاً عن ذلك، إذا لم ندرك، على الإطلاق، الموضوعات الفيزيائية بصورة مباشرة، فكيف نستطيع أن نميز بين القيم المثلة لمعطيات حسية مختلفة؟

لقد حاول الفلاسفة الواقعيون النقاد الإجابة عن السؤال الأول بالتقرير بأن المعطيات المباشرة للإدراك تشير منذ البداية، وبطبيعتها الخالصة إلى موضوعات فيزيائية وراءها. غير أنهم يختلفون في تفسيراتهم لهذه الإشارة الخارجية. فقد لجأ «سنتيانا»^(٢)، مثلاً، إلى الإيمان الحيواني؛ أى إلى قوة الاعتقاد الفريزي في الإشارة الخارجية لمدرجاتنا، وهو اعتقاد نشترك فيه مع الحيوانات، بينما لجأ «سيلرز»^(٣) إلى السيكلوجيا لتفسير كيف يتطور وعينا بالخارج وينمو بلا حدود.

وبالنسبة للسؤال: كيف نستطيع أن نميز بين القيم المثلة للمعطيات الحسية إذا لم ندرك على الإطلاق الموضوعات الفيزيائية بصورة مباشرة؟، فإن المرء قد تغريه الإجابة بأن «الطريقة التي نميز بها بالفعل؛ أعني عن طريق التحقق من الصدق». وربما تكون هذه إجابة ممتازة من وجهة النظر العملية. ومع ذلك، يجد الرحالة في الصحراء، الذين

(١) ينسب «مونتاجيو» في مقال عن تطور المذهب الواقعي الأمريكي إلى الفلاسفة الواقعيين النقاد، بوجه عام، مذهباً يقول إننا لا نعرف بصورة مباشرة إلا «حالات ذهنية أو أفكاراً» (المؤلف).

CF. Twentieth century philosophy (1943) edited by D.D. Runes, p. 441.

(٢) روى رويد سيلرز Roy Wood Sellars (١٨٨٠ - ١٩٧٣) فيلسوف أمريكي درس في جامعة ميتشجان، انتصر للواقعية النقدية في الاستمولوجيا، وقام بتأويل جديد للدين إنسانى وحديث. (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن كلمة «المذهب الواقعي» (الواقعية) يمكن أن يكون لها ظلال مختلفة من المعنى. ففي هذا الفصل يكون معناها الأساسي وجهة النظر التي تقول إن المعرفة ليست تكويناً للموضوع؛ أي أن المعرفة علاقة حضور بين الذات والموضوع، لا تعطى أهمية للموضوع. ومع ذلك، نرى أن مشكلات نشأت في الحركة الواقعية عن الموضوعات المباشرة للإدراك والمعرفة ولا نرغب في الوقت نفسه أن نعطي الانطباع الخاطئ تماماً وهو أن الفلاسفة الأمريكيين الذين ينتمون إلى المجموعتين اللتين ذكرناهما يهتمون، فقط، بالمشكلات التي وجه إليها الانتباه في هذا القسم وفي الأقسام السابقة. فمن بين الفلاسفة الواقعيين الجدد، أصبح «بيرى»، مثلاً، شهيراً كفيلسوف أخلاقي^(١)، وكرس نفسه، أيضاً، لموضوعات سياسية واجتماعية. ومن بين الفلاسفة الواقعيين النقاد، طور «سانتيانا» فلسفة عامة^(٢). بينما قدم «سترونج» و«دراك» أنطولوجيا خاصة بشمول النفس، أخذين الاستبطان بوصفه مفتاحاً لطبيعة الحقيقة^(٣). ودافع «سيلرز» عن فلسفة طبيعية^(٤)، تقوم على فكرة التطور الخالق مع مستويات لا يمكن ردها، وتضم نظرية عن الإدراك من حيث إنه عملية تفسيرية. ومارس «لفجوى» تأثيراً ملحوظاً عن طريق دراساته في تاريخ الأفكار^(٥).

(١) نشر كتاب «النظرية العامة عن القيمة عام ١٩٢٦ (المؤلف).

(٢) يضم عمل سانتيانا «مجالات الوجود» أربعة مجلدات مجال المادية (١٩٢٧)، ومجال المادة (١٩٣٠)، ومجال الصدق (١٩٣٨)، ومجال الروح (١٩٤٠) (المؤلف).

(٣) الاستبطان هو، كما يرى سترونج، الحالة الوحيدة التي نعى فيها بصورة مباشرة «قواماً» من حيث إنه يتميز عن البناء، لكن لم يقصد كل من «سترونج» و«دراك» الإشارة إلى أن الحجارة، مثلاً، واعية. لقد ارتبط مذهب شمول النفس عندهما بفكرة التطور الفلاق. فحتى الأشياء التي نسميها «بالمادة» تنلك طاقة ممكنة تجل في مستوى معين من التطور في الوعي (المؤلف).

(٤) كما في كتاب «فلسفة المذهب الواقعي الفيزيائي» (١٩٣٢) (المؤلف).

(٥) نشر «لفجوى»، مثلاً، كتاب «سلسلة الوجود الكبرى» عام ١٩٢٦، وكتاب «مقالات في تاريخ الأفكار» عام ١٩٤٨ (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

والخطأ. لكنه نظر أيضاً إليها على أنها علم معيارى. سار فى تفسيره للحياة الأخلاقية والمفاهيم الأخلاقية على خط التفكير الذى يمثله «هربرت سبنسر» و«سيرليسملى ستيفن». وهكذا يأخذ الصراع من أجل البقاء فى المجال البيولوجى، من وجهة نظره، صورة الصراع بين مثل أخلاقية متعارضة فى المجال الأخلاقى. ويعنى قانون الانتخاب الطبيعى، عند تطبيقه فى المجال الأخلاقى، أن مجموعة المثل الأخلاقية التى تميل إلى الهيمنة هى تلك التى تساعد على إيجاد حالة من التوازن أو الانسجام بين العناصر المتعددة والقوى فى الفرد، وبين الفرد والمجتمع، وبين الإنسان وبيئته. وبالتالي، هناك مثال شامل ونهائى للانسجام يضم بداخله، من وجهة نظر «ألكسندر» المثل التى تتمسك بها مذاهب أخلاقية أخرى؛ مثل السعادة وتحقيق الذات. وفى الوقت نفسه، ظروف الحياة؛ الفيزيائية والاجتماعية، متغيرة باستمرار، وتكون نتيجة ذلك أن المعنى العينى للتوازن أو الانسجام يفترض صوراً جديدة. ولذلك، حتى على الرغم من وجود غاية قصوى للتقدم الأخلاقى، بمعنى حقيقى، فإنه لا يمكن بلوغها بالفعل فى شكل ثابت ولا يمكن أن يتغير، ولا يمكن التعبير عن الأخلاق فى صورة مجموعة من مبادئ ثابتة لا تقبل التعديل أو التغيير.

ولنعد إلى المذهب الواقعى عند «ألكسندر»^(١). إن فكرته الأساسية عن المعرفة هى أنها، ببساطة، علاقة حضور أو وجود معاً بين موضوع ما وموجود واع. والموضوع هو، بمعنى الشئ الذى يُعرف، ما هو عليه سواء عُرف أم لا. وفضلاً عن ذلك، فإن «ألكسندر» يرفض كل صور المذهب التمثيلى. فنحن نستطيع، بالتأكيد، أن نوجه انتباهنا، بوضوح، إلى أفعالنا الذهنية، أو إلى حالاتنا الذهنية. بيد أنها لا تخدم بوصفها نسخاً أو علامات لأشياء خارجية لا تُعرف إلا بصورة غير مباشرة. إننا، بالأحرى، «نستمتع» بأفعالنا الذهنية عندما نعرف مباشرة الموضوعات التى هى غير الأفعال التى نعرف عن طريقها هذه الموضوعات. وليست المعطيات الحسية موضوعات

(١) من أشهر مقالات «ألكسندر» التى توضح نظريته الواقعية عن المعرفة «أساس المذهب الواقعى» الذى ظهر فى «وقائع جلسات الأكاديمية البريطانية» عام ١٩١٤ (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن الحقيقة النهائية، أى القالب الأساسى لكل الأشياء، هو المكان - الزمان. وعندما نتساءل كيف وصل «ألكسندر» بدقة إلى هذه الفكرة، فإنه يصعب أن نجيب عن هذا السؤال. إنه يذكر، مثلاً، أن فكرة عالم يوجد فى زمان ومكان صاغها «ه. منكوفسكى» H. Minkowski عام ١٩٠٨. ويشير إلى «لورنتس» Lorentz و«إينشتين» Einstein وفضلاً عن ذلك، فإنه يتحدث باستحسان عن تصور «برجسون» للزمان الحقيقى، مع أنه لا يتحدث باستحسان عن إخضاع الفيلسوف الفرنسى المكان للزمان. وعلى أية حال، إن فكرة «ألكسندر» عن المكان - الزمان من حيث إنه الحقيقة النهائية تعارض، بوضوح، إنزال «برادلى» المكان والزمان إلى مجال الظاهر، وتعارض نظرية «مكتجارت» عن عدم حقيقة الزمان. يهتم «ألكسندر» بتكوين ميتافيزيقا طبيعية أو وجهة نظر عن العالم، ويبدأ بما يكون بالنسبة له المرحلة النهائية، البدائية لعملية التطور، عندما يُنظر إليها فى ذاتها بصورة خالصة.

إن الطريقة الساذجة لتصور المكان والزمان هى تصورهما بوصفهما موضعين، أو حاويين. والمصحح الطبيعى لهذه الصورة الفجة هى تصورهما بوصفهما علاقيتين بين كيانات فردية؛ علاقة المعية والتعاقب. بيد أن وجهة النظر هذه تستلزم، بوضوح، أن الكيانات الفردية تسبق، من الناحية المنطقية، المكان والزمان، فى حين أن الفرض الذى اعتنقه «ألكسندر» هو أن المكان والزمان يكونان «القوام أو القالب (أو القوالب) التى صنعت منها الأشياء أو الأحداث، أى الوسيط الذى تُرتب فيه وتتبلور»^(١). إذا نظرنا إلى المكان أو الزمان فى ذاتهما، فإننا لا نستطيع أن نميز عناصرهما أو أجزاءهما. بيد أن «كل نقطة من المكان تحددها وتميزها لحظة فى الزمان، وكل لحظة من الزمان يحددها ويميزها موضعها فى المكان»^(٢). وبمعنى آخر، يكون كل من المكان والزمان

(١) Ibid, 1, p. 38.

(٢) Ibid, 1, p. 60.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إنها ذاتية أو من حيث إنها غير واقعية. فهي تنبثق بوصفها خصائص واقعية للكون، على الرغم من أنها لا تنبثق بوصفها كذلك إلا بالنسبة لأذهان أو ذوات واعية. إنها، باختصار، «تحديدات ذات - موضوع»^(١)، «تستلزم دمج الموضوع بالتقدير الإنساني له»^(٢).

ومع ذلك، فإن العلاقة بين الذات والموضوع ليست ثابتة. ففي حالة الصدق، مثلاً، يحدد الموضوع تقدير الذات. لأنه في المعرفة، تُكتشف الحقيقة، ولا تُصنع. ولكن في حالة الخير، تحدد الذات كيفية كون الشيء خيراً؛ أعني أن الغرض، أو الإرادة، هي التي تحدد ذلك. ومع ذلك، هناك عامل مشترك لا بد أن يُلاحظ، وأعني أن تقدير القيم بوجه عام ينشأ في سياق اجتماعي، بعيداً عن مجموعة الأذهان. فأننا، على سبيل المثال، أعي أن قضية تكون كاذبة، من جهة حكم الآخرين، وأتمثل ما أستطيع أن أسميه بالعقل الجمعي في أحكامي عن الصدق أو الكذب «إن الاتصال الاجتماعي هو الذي يجعلنا، بالتالي، على وعي بأن هناك واقعاً يتكون من ذواتنا والموضوع، ويكون الموضوع في هذه العلاقة خاصة لا يمتلكها إلا بالنسبة لهذه العلاقة»^(٣).

وتمكّن نظرية الانبثاق هذه عن كيفيات الدرجة الثالثة ألكسندر من أن يصر على أن التطور يهتم بالقيم. «يُعتقد، أحياناً، أن مذهب دارون لا يبالى بالقيمة. مع أنه، في حقيقة الأمر، تاريخ كيف خرجت القيم إلى حيز الوجود في عالم الحياة»^(٤). وهكذا، تكون لدينا الصورة العامة لعملية التطور التي تنبثق فيها مستويات مختلفة لوجود متناه؛ لكل مستوى خاصيته التجريبية المميزة. «والخاصية العليا من هذه الخصائص التجريبية التي نعرفها هي العقل أو الوعي»^(٥). وتظهر كيفيات الدرجة الثالثة أو القيم

(١) Ibid, 11, p. 238.

(٢) Ibid, (٢)

(٣) Space, Time and Diety, 11, p. 240.

(٤) Ibid, 11, p. 309.

(٥) Ibid, 11, 345.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«العاطفة الموجودة فينا التي ننجذب نحوها (أى الله)، وتعلق بمستوى أعلى من الوجود في حركة العالم»^(٧).

وإذا سلّمنا بمقدمات ألكسندر، فإننا نستطيع أن نفهم موقفه. فإذا كانت الألوهية، من جهة، خاصة لمستوى مستقبلي من الوجود، وإذا كان يمكن توحيد الله بالحامل الفعلي لهذه الخاصية، فإنه يكون متناهيًا، ومن جهة أخرى، يتطلب الوعي الدينى، كما يسلم ألكسندر، إلهاً ليس موجوداً فحسب، بل غير متناه أيضاً. وهكذا لابد أن يتحد الله بالكون اللامتناهى من حيث إنه يجاهد من أجل خاصية الألوهية. بيد أن قول ذلك، لا يعدو أن يكون، فى الحقيقة، سوى انطباق كلمة «الله» على الكون المتطور، أى الزمان - المكان المتصل. حقاً، إن هناك تشابهاً ما بين وجهة نظر «ألكسندر» ووجهة نظر «هيجل». وفى الوقت نفسه يُعرّف المطلق عند «هيجل» بأنه الروح، بينما يُعرّف المطلق عند «ألكسندر» بأنه المكان - الزمان. وذلك يجعل كلمة «الله» غير ملائمة بصورة كبيرة. فما هو ملائم هو وصف الدين بأنه «عاطفة». لأن هذا هو ما يكون عليه الدين، بدقة، فى الفلسفة الطبيعية؛ أعنى نوعاً من الانفعال الكونى.

٧- لم يكن هناك سوى انتباه قليل إلى فلسفة ألكسندر^(٨)، بسبب تطور وانتشار تيار من التفكير صاحبه عدم ثقة ملحوظة بكل وجهات النظر الشاملة عن العالم. وعلى أية حال، لقد حجبت شهرة «ألفرد نورث وايتهيد» A.N. Whitehead (١٨٦١ - ١٩٤٧)، الفيلسوف الميتافيزيقى الإنجليزى العظيم منذ برادلى، من شهرته فى ميدان الفلسفة النظرية التأملية. والواقع أنه يصعب، بالفعل، الزعم بأن تأثير «وايتهيد»، بوصفه فيلسوفاً نظرياً تأملياً على الفلسفة البريطانية الراهنة شامل أو عميق. فإذا سلّم المرء بالمناخ المهيمن لتفكير فلسفى، فإنه قلما يتوقعه أن يكون. لقد كان تأثير وايتهيد،

(٧) Ibid, 11, p. 429.

(٨) لقد أهمل ألكسندر فى كتاب ج وارنوك G.J. Warnock الصغير المتنازع «الفلسفة الإنجليزية منذ عام ١٩٠٠» (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يفترض أيضاً أن نمط تفكيره قد يكون «تحويلاً لبعض نظريات المثالية الرئيسية لكي تقوم على أساس واقعي»^(١).

لكن على الرغم من أن فلسفة وايتهد، من حيث إنها تقوم على ما يسميه بالأساس الواقعي، تستحق، بالتأكيد، أن نلتفت إليها في هذا الفصل، فإنها مركبة إلى حد أننا لا نستطيع أن نلخصها في فقرات قليلة. وقد قرر كاتب هذه السطور، بعد نظر وتأمل، أن لا يقوم بهذه المحاولة. ومع ذلك، تجدر الملاحظة أن وايتهد مقتنع بحتمية الفلسفة النظرية التأملية، أو الفلسفة الميتافيزيقية. أعني، إذا لم يفصل الفيلسوف بترو، عند لحظة معينة عملية فهم العالم وعملية التعميم، فإنه ينقاد لا محالة إلى «السعى إلى صياغة نسق متماسك، ومنطقي، وضروري من أفكار عامة يمكن بواسطتها تفسير كل عنصر من تجربتنا»^(٢). وفضلاً عن ذلك، فإنها ليست ببساطة مسألة تأليف العلوم. لأن تحليل أية واقعة جزئية، وتحديد حالة أي كيان يتطلبان، على المدى البعيد، رؤية للمبادئ العامة والمقولات التي تجسدها الواقعة، ورؤية لحالة الكيان في الكون كله. وإذا تحدثنا من الناحية اللغوية، فإن كل قضية تقرر واقعة جزئية تتطلب لتحليلها الكامل عرضاً للطابع العام للكون من حيث إنه متمثل في هذه الواقعة. وإذا تحدثنا من الناحية الأنطولوجية، فإن «كل كيان محدد يتطلب كوناً نسقياً لكي يدعم حالته الضرورية»^(٣). وبالتالي، حيثما بدأنا، فإننا ننقاد إلى الميتافيزيقا، شريطة أن لا نوقف عملية الفهم في الطريق.

وتفترض وجهة النظر هذه، بالتأكيد، أن الكون نسق عضوي. وهذه هي محاولة وايتهد الدائمة لكي يبين أن الكون هو، في الحقيقة، عملية ديناميكية موحدة، أي أنه كثرة - في وحدة يجب تفسيرها بأنها تقدم خلاق في الحداثة، التي تكون مذهب

Process and Reality, p. viii. (١)

Ibid, p. 4. (٢)

Ibid, p. 17. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يأخذ العالم كما وجده وكما تقدمه العلوم. لقد بدا أنه متحرر، تماماً، من استياء برادلي من طرقنا العادية لتصوير العالم، ولم يَتَّقْ إلى طريقة أسمى للنظر إليه. ومع ذلك، فقد اهتم بالمشكلات التي اهتم بها «كيركجور»، و«ياسبرز» و«كامي» Camus، وأمثال هؤلاء المفكرين. وأصبح «مور» في الوقت نفسه مهتماً بالأشياء الغريبة التي قالها الفلاسفة عن العالم والعلوم؛ مثل القول بأن الزمان غير حقيقي، أو أن المعرفة العلمية ليست، في الحقيقة، معرفة. وتحول من الكلاسيكيات إلى الفلسفة، تحت تأثير معاصره الأصغر سناً «برتراند رسل».

ومنح «مور» درجة الزمالة في عام ١٨٩٨ في «كلية ترنتي»، بكمبردج. وفي عام ١٩٠٣ نشر كتابه «مبادئ الأخلاق». وبعد غياب عن «كمبردج» عُيِّن مدرساً في علم الأخلاق عام ١٩١١، ونشر في عام ١٩١٢ عمله الصغير علم الأخلاق، في سلسلة مكتبة الجامعة الداخلية. وخلف «ج. ف. ستوت» G.F. Stout محرراً لمجلة «مايند» Mind عام ١٩٢١، وفي عام ١٩٢٢ نشر كتابه «دراسات فلسفية»، الذي يتكون، في الأغلب من مقالات أُعيدت طباعتها من جديد. وانتخب «مور» لكرسي الفلسفة في جامعة «كمبردج» عام ١٩٢٥ بعد أن أُحيل «جيمس وارد» J. Ward إلى التقاعد. ومنح في عام ١٩٥١ «وسام الشرف»، ونشر كتابه «بعض المشكلات الأساسية في الفلسفة» في عام ١٩٣٣. وظهر كتابه «أوراق فلسفية» عُفْلاً عام ١٩٥٩؛ وهو مجموعة مقالات أعدها «مور» نفسه للنشر، بينما نُشر «كتابه المألوف» عام ١٩٦٢، وهو انتقاء من ملاحظاته ومذكراته.

٢- لقد قاد «مور» فيما يرى «برتراند رسل» العصيان والتمرد على المذهب المثالي. ويمكن أن نوضح واقعية «مور» المبكرة بالرجوع إلى مقال عن طبيعة الحكم، الذي نشره في مجلة «مايند» Mind عام ١٨٩٩.

يأخذ «مور» في هذا المقال تقرير «برادلي» أن الصدق والكذب يعتمدان على العلاقة بين الأفكار والواقع على أنه نصه، ويشير باستحسان إلى تفسير «برادلي» الذي يقول إن لفظ «أفكار» لا يعني حالات ذهنية، وإنما يعني، بالأحرى، معاني

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

واقعية موضوعية، كما هي عند «مينونج» Meinong. وفضلاً عن ذلك، فإنه يجب أن «ننظر إلى العالم على أنه مكون من تصورات»^(١). أعنى أن شيئاً موجوداً هو مركب من تصورات، من كليات مثل البياض مثلاً «يرتبط بعلاقة فريدة بتصوير الوجود»^(٢). وقول ذلك لا يعنى رد عالم الأشياء الموجود إلى حالات ذهنية. فهو، على العكس، يستبعد التعارض بين التصورات والأشياء. والقول بأن التصورات هي موضوعات المعرفة هو القول بأننا نعرف الواقع مباشرة. وبالتالي، عندما يقول «مور» عن التصورات إنها يجب أن تكون شيئاً قبل أن تستطيع أن تدخل في علاقة مع ذات عارفة، وأنها «لا تهتم بطبيعتها سواء فكر أى شخص فيها أم لا»^(٣)، فإننا نستطيع أن نعرف ما يقصده. فهو يقول إن المعرفة لا تختلف عن الموضوع. إنها، بلاشك، تمتلك عللها ومعلولاتها، بيد أن «هذه العلل والمعلولات لا توجد إلا في الذات»^(٤). إن بناء الموضوع ليس، بالتاكيد، أحد معلولات المعرفة.

إذا كانت القضية تتكون من تصورات ترتبط بعلاقة محددة بعضها ببعض، وإذا كانت التصورات تتحد مع الحقائق الواقعية المدركة، فإنه ينجم عن هذا، بوضوح، أن القضية الصادقة لابد أن تتحد مع الحقيقة الواقعية التي يُنظر إليها بوجه عام على أنها تمثيلها، والتي يقال بوجه عام إنها تناظرها. ولم يتردد «مور» في مقال عن الصدق^(٥) في التاكيد أن القضية التي تقول «أنا موجود» لا تختلف عن الحقيقة الواقعية لـ «وجودي بالفعل».

(١) Mind, vol. 8, p. 182.

(٢) Ibid, p. 183.

(٣) Ibid, p. 179.

(٤) Ibid, (٤)

(٥) In Baldwin's Dictionary of philosophy and psychology.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويعنى آخر، الشيء هو ما عساه أن يكون، ولا يمكن تعريفه عن طريق علاقاته بأى شيء آخر. ولذلك، لا تستطيع طبيعة النسق الذى ينتمى إليه شيء ما أن تكون طبيعته؛ ويفقد المذهب الواحدى المثالى، بالتالى، أساساً من أسسه الرئيسية.

إن مقال «مور» الذى عنوانه «بحض المثالية» هو، بالتأكيد، نقده الأكثر شهرة للمثالية^(١). يؤكد فيه أن المثالية الحديثة إذا صاغت تأكيداً عاماً عن الكون، فإن الكون يكون روحياً. بيد أنه ليس جلياً على الإطلاق ماذا يعنى هذا التأكيد. ومن الصعب تماماً، بالتالى، مناقشة التساؤل ما إذا كان الكون روحياً أم لا. ومع ذلك، عندما نفحص المسألة، فإننا نجد أن هناك عدداً هائلاً من قضايا مختلفة يتحتم على الفيلسوف المثالى أن يبرهن عليها إذا كان يجب عليه أن يبرهن على صدق نتيجته العامة. ويمكننا أن نبحث أهمية حججه. ويتضح أن القضية التى تقول إن الكون روحى فى طابعه قد تظل صحيحة حتى إذا كانت كل الحجج التى يقدمها الفلاسفة المثاليون للبرهنة على صحتها باطلة. إن بيان أن الحجج باطلة هو، فى الوقت نفسه، بيان أن النتيجة العامة لم يبرهن عليها تماماً.

إن كل حجة تُستخدم للبرهنة على أن الواقع روحى تمتلك، كما يرى مور، القضية التى تقول «الوجود هو كونه مدركاً *Esse est Percipi*»: أى أن الوجود هو الإدراك من حيث إنها إحدى مقدماتها. ورد فعل المرء الطبيعى على هذا الزعم هو أن يعلق بالقول إن الاعتقاد فى صدق «الوجود هو كونه مدركاً» هو خاصية لمثالية باركلى، وأنه يجب ألا يُنسب إلى هيجل، مثلاً، أو إلى برادلى. غير أن «مور» يفهم لفظ «مُدْرَك» بأنه يشمل «ذلك النمط الآخر من الواقع ذهنى، الذى يُسمى «بالتفكير»^(٢)، ويأتى يعنى، بوجه عام،

Mind, vol. 12 (1903) reprinted in philosophical studies. (1)

Philosophical studies, p. 7. (2)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن يوجد بدون الوعي. وإذا قلنا إن القضية: اللون الأزرق موجود، والقضية: اللون الأزرق يلزم الوعي، لهما، بدقة، نفس المعنى، فإن هذا القول ليس له معنى.

وقد يُعترض على أنه باستخدام لفظ «موضوع» بدلاً من لفظ «مضمون»، فإن هذا الخط من الحجة يحتج بالحجة التي هي موضع خلاف. إن اللون الأزرق هو، في حقيقة الأمر، مضمون إحساس اللون الأزرق، وليس موضوعه. وأى تمييز نقوم به بين عناصر المضمون والشعور أو الوعي هو نتيجة عملية تجريد تُجرى على وحدة عضوية.

ومع ذلك، فإن لجوءاً إلى مفهوم الوحدة العضوية هو، عند مور، هو بمثابة محاولة للجمع بين خيارين. أعني أن تمييزاً يكون مسموحاً وممنوعاً في نفس الوقت. وعلى أية حال، لم يكن «مور» على استعداد لأن يسلم بأن «المضمون» لفظ أكثر ملاءمة من «الموضوع». فمن المشروع أن نتحدث عن اللون الأزرق من حيث إنه جزء من مضمون وحدة زرقاء، غير أن إحساساً باللون الأزرق ليس بذاته أزرق؛ وإنما هو شعور أو وعي باللون الأزرق من حيث إنه موضوع. وهذه «العلاقة هي تماماً ما نعينه في كل حالة «بالمعرفة»^(١). فلكي نعرف اللون الأزرق أو نعيه، فإن ذلك لا يعنى امتلاك صورة تمثيلية في الذهن يكون اللون الأزرق مضموناً لها أو جزءاً من المضمون؛ إنه يجب أن نعي، مباشرة، موضوع «اللون الأزرق».

ولذلك، فإن الوعي الذي يتضمن في الإحساس هو، عند مور، نفس العلاقة الفريدة التي تشكل، أساساً، كل نوع من المعرفة. ومشكلة التخلص من المجال الذاتي أو دائرة الإحساسات، والصورة والأفكار، هي مشكلة زائفة. فلكي «نمتلك إحساساً فقط، يجب أن نكون خارج هذه الدائرة. إنه يجب أن نعرف شيئاً لا يكون بحق، وبالفعل، جزءاً من تجربتي، مثل أى شيء أستطيع أن أعرفه»^(٢).

ibid. p. 25. (١)

ibid. p. 27. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وجهة نظر الحس المشترك عن العالم. وينجم عن ذلك، كما يرى مور، أنها صادقة. قد يكون هناك، بالفعل، اختلافات الرأي عما إذا ما كانت قضية معينة تنتمي أو لا تنتمي إلى وجهة نظر الحس المشترك عن العالم. لكنها لو كانت تنتمي، فإنها تكون صادقة. وإذا عرفنا أنها تنتمي، فإننا نعرف أنها صادقة. ونعرف أنها صادقة بسبب الأسباب التي تكون لدينا بالفعل لتقرير أنها صادقة، لا بسبب أي أسباب أفضل قد يزعم الفلاسفة أنهم يستطيعون تقديمها.

لقد أشرنا إلى دفاع «مور» عن الحس المشترك هنا كمثال على جانب من جوانب واقعيته. ولابد أن نعود إلى الموضوع الخاص بتصوره للتحليل. ويمكننا، في الوقت نفسه، أن نلقى نظرة على بعض أفكاره الأخلاقية، التي تبدو، بمعزل عن أهميتها الذاتية، أن توضح الواقعة التي تقول إن واقعته ليست واقعية «طبيعية».

٣- يرى «مور» أن بعض فلاسفة الأخلاق نظروا بصورة كافية إلى وصف الأخلاق بأنها تهتم بما يكون خيراً وبما يكون شراً في السلوك البشري. وهذا الوصف هو، في حقيقة الأمر، ضيق للغاية. لأن الأشياء الأخرى بجانب السلوك البشري يمكن أن تكون خيرة، ويمكن أن توصف الأخلاق بأنها «البحث العام فيما هو خير»^(١). وعلى أية حال، قبل أن نسأل السؤال «ما الخير؟»؛ بمعنى «ما الأشياء وما أنواع السلوك التي تمتلك خاصية الخير؟»، فإنه يبدو من المناسب، من الناحية المنطقية، أن نسأل السؤال «ما الخير؟» ونجيب عنه؛ بمعنى «كيف يمكن تعريف الخير؟»، «ما الخير ذاته؟». لأنه إذا لم نعرف الإجابة عن هذا السؤال، فإنه قد يُثار السؤال: كيف نستطيع أن نميز بين السلوك الخير والسلوك الشرير، ونقول ما الأشياء التي تمتلك خاصية الخير؟

(١) Principia Ethica. p. 2, s. 2 (1959 reprint).

يعنى حرف (S) القسم، عندما نشير إلى هذا العمل (المؤلف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مثل ما يكون لاذًا. لأنه حتى إذا سلّمنا، من أجل الحجة، بأن كل تلك الأشياء التي تمتلك خاصية الخير تمتلك أيضاً صفة كونها لاذة، فإن اللذة لا تكون، ولا يمكن أن تكون، هي نفسها الخير. وأى شخص يتخيل أنها هي الخير أو يمكن أن تكون الخير، فإنه يقع في «المغالطة الطبيعية»^(١).

وبالتالي، فإن المغالطة التي نتحدث عنها هي، أساساً، «الإخفاق في أن نميز بوضوح تلك الصفة الفريدة التي لا يمكن تعريفها والتي نعني بها الخير»^(٢). وأى شخص يوحد الخير بصفة أخرى، أو بشيء آخر، سواء أكان اللذة، أو الإدراك الذاتي، أو الفضيلة، أو الحب، قائلًا: إن هذا هو ما يعنيه «الخير»، يقع في هذه المغالطة. وقد تمتلك هذه الأشياء، تمامًا، صفة الخير: بمعنى، مثلاً، أن ما هو لاذ يمتلك أيضاً صفة كونه خيراً. لكن لا ينجم عن ذلك القول بأن ما يكون لاذًا يكون خيراً أكثر مما ينجم، على افتراض أن كل الزهور صفراء، أن وجود زهرة وكونها صفراء هما شيء واحد.

بيد أنه قد نتساءل: لماذا توصف هذه المغالطة بأنها «طبيعية»؟ إن السبب الحقيقي الوحيد لهذا الوصف هو، بوضوح، الاعتقاد بأن الخير ليس «صفة طبيعية». وإذا سلّمنا بهذا الافتراض، فإنه ينجم عن ذلك أن أولئك الذين يوحّدون الخير بصفة «طبيعية» يقعون في مغالطة طبيعية. لكن على الرغم من أن «مور» لا يؤكد، بالفعل، في كتابه

ibid, p. 10, s. 10. (١)

(*) «المغالطة الطبيعية Naturalistic Fallacy» سبق أن أطلقها النقاد على مغالطة «مل» الأخلاقية التي تذهب إلى أنه يمكن تعريف الخير بالاستناد إلى ما يرغب فيه الناس «بالفعل» وحتى لو سلّمنا بأن الناس يرغبون دائماً فيما هو خير (وليس ذلك صحيحاً دائماً) فإن هذه الواقعة لا تمثل ما نعني بقولنا عن شيء ما إنه خير «فعلاً». لأن كلمة «مرغوب فيه» التي استخدمها مل تعني ما يمكن أن يرغب فيه الناس لكنه يستخدمها بمعنى ما ينبغي أن يرغب فيه الناس - راجع كتابنا «فلسفة الأخلاق» ص ٢١٢ (المراجع).

Principia Ethica. p. 59, s. 36. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إذن، بالقول بأن الخير يمكن أن يكون، ويكون بالفعل، خاصية غير طبيعية على الأقل لبعض الموضوعات الطبيعية؟

والإجابة التي يقدمها في كتابه «مبادئ الأخلاق» إجابة غريبة إلى حد كبير. إذ إن خاصية طبيعية، أو على الأقل صفات طبيعية، يمكن أن توجد بذاتها في الزمان، في حين أن الخير لا يمكن أن يوجد بذاته في الزمان. «هل نستطيع أن نتخيل أن «الخير» يوجد بذاته في الزمان، ولا يوجد بوصفه فحسب خاصية لموضوع ما طبيعي؟»^(١). كلا، لا نستطيع، بيقين، أن نتخيل ذلك. لكننا لا نستطيع أن نتخيل أن صفة طبيعية، مثل الشجاعة، توجد بذاتها في الزمان. وعندما بين البرفسور «برود» C.D. Broad، على سبيل المثال، ذلك، قال «مور» إنه يوافق تماماً. ولذلك، ليس من المدهش أن نجده يسلم تماماً في النهاية بأنه لا يقدم في كتابه «مبادئ الأخلاق» أى تفسير مقبول لما يعنيه بالقول بأن «الخير» ليس خاصية طبيعية.

يقدم «مور» في مقاله عن تصور القيمة الذاتية في كتابه «دراسات فلسفية» تفسيراً آخر للتمييز بين خصائص طبيعية وخصائص غير طبيعية. وسلم مؤخراً بأن هذا التفسير هو، في الحقيقة، تفسيران! غير أنه يرى أن أحدهما قد يكون صحيحاً. فإذا نسب المرء إلى شيء ما صفة طبيعية ذاتية، فإنه يصفه باستمرار إلى حد ما. لكن إذا نسب المرء إلى شيء ما صفة ذاتية غير طبيعية، فإنه لا يصف الشيء مطلقاً.

ويتضح أنه إذا كان الخير صفة ذاتية غير طبيعية، وإذا كان عزو هذه الصفة إلى موضوع، ليس هو وصف الموضوع بأية طريقة على الإطلاق، فإن الإغراء ينشأ مباشرة لاستنتاج أن لفظ «خير» يعبر عن موقف قيمى، إن جاز التعبير، ووصف شيء ما بأنه خير هو تعبير عن هذا الموقف، ورغبة، في الوقت نفسه، في أن يشارك الآخرون في هذا

In "A Reply to my critics" contained in the Philosophy of G.E. Moore, edited by (١) P.A. Schilpp, p. 582 (New York, 1952, 2nd edition).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يكون إذا تمت تأدية فعل آخر، وعلى أية حال، المسألة التي يجب ملاحظتها هي أن «مور» لم ينظر إلى نظريته عن الخير بوصفه خاصية غير طبيعية لا يمكن تعريفها بأنها لا تطابق، بأية طريقة، وجهة نظر غائية عن الأخلاق، تفسر الواجب عن طريق إنتاج الخير؛ أعنى عن طريق إنتاج أشياء أو تجربة تمتلك الصفة الذاتية للخير. ولا يبدو، فى حقيقة الأمر، أن هناك أى عدم تطابق.

ومع ذلك، لا ينجم عن هذه النظرية عن الواجب أننا نكون ملزمين أخلاقياً، فى أية مجموعة من الظروف أياً كانت، على القيام بفعل معين. لأنه قد يكون هناك إعلان ممكن أو أكثر ينتجان، بقدر ما يمكننا أن نرى، الخير بصورة متساوية. ونستطيع، من ثم، أن نصف هذين الفعلين بأنهما صواب، أو مسموح بهما أخلاقياً، لكن لا نصفهما بأنهما ملزمان أخلاقياً، حتى على الرغم من أننا نكون ملزمين بتأدية الفعل الأول أو الثانى.

يسلم «مور» بالتأكيد، ويشير إلى أنه إذا أجاز شخص حكماً أخلاقياً معيناً، أو فعلاً، فإن قوله، منظوراً إليه بدقة على أنه حكم أخلاقى، يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً. خذ، على سبيل المثال، القضية التى تقول من الصواب أن «بروتس» Brutus طعن «يوليوس قيصر». فإذا قُصدت هذه القضية بمعنى أخلاقى محدد، فإنه لا يمكن ردها إلى القضية التى تقول إن المتحدث موقفاً ذاتياً من الاستحسان تجاه فعل «بروتس»، ولا إلى القضية التى تقول إن «بروتس» طعن «يوليوس قيصر» حقيقة تاريخية. ولا تكون صادقة أو كاذبة فى طابعها الأخلاقى الذى لا يمكن رده. ولذلك، فإن النزاع بين الشخص الذى يقول إن فعل «بروتس» صواب، والشخص الذى يقول إنه خطأ، هو نزاع حول صدق أو كذب قضية أخلاقية.

ومع ذلك، عندما واجه «مور» نظرية الأخلاق المسماة بالنظرية الانفعالية، فإنه شعر بشك فى صدق الموقف الذى قبله حتى الآن. لقد سلم، كما يمكن أن نرى من مقاله «رد على نقادى»، بأن البرفسور تشارلز ستيفنسون C.L. Stevenson^(١)

(١) تشارلز ليسلى ستيفنسون C. L. Stevenson (١٩٠٨ - ١٩٧٩) فيلسوف أمريكى كان أستاذاً (بجامعة ييل) من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٩ ثم أستاذاً بجامعة ميتشجان. أسهم فى تطوير المذهب الانفعالى فى الأخلاق. (المترجم)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بصورة أكثر وضوحاً. ومع ذلك، عندما يكون النقد جوهرياً ولا يكون، ببساطة، ثمار سوء فهم، فإن عاداته أن يعطى اعتباراً لملاحظات الناقد، ويعطى أهمية كبيرة لوجهة نظره. لم يفترض «مور» مطلقاً أن ما يقوله لابد أن يكون صادقاً، وما يقوله الزميل الآخر لابد أن يكون كاذباً. ولم يتردد في تقديم تفسير صريح وواضح لتأملاته وإرباكاته. وبالتالي، يجب علينا أن نتذكر أنه يفكر بصوت جهير، إن جاز التعبير، وأن تردداته يجب ألا تؤخذ، بالضرورة، على أنها ارتداد محدد عن آرائه السابقة، لقد انشغل بورن وجهة نظر جديدة، أوحى بها ناقد إليه، وانشغل بمحاولة تقدير قدر الصدق فيها. وعلاوة على ذلك، فقد كان صريحاً، كما رأينا، إلى حد كبير في انطباعاته الذاتية، سامحاً لقرائه أن يعرفوا، بدون أية محاولة للإخفاء، أنه يميل إلى قبول وجهة النظر الجديدة، بينما يميل في الوقت نفسه إلى المحافظة على وجهة النظر السابقة. لم يشعر «مور» على الإطلاق بأنه يتقيد بماضيه الخاص بصورة لا مرد لها؛ أعني يتقيد بما قاله في الماضي. وعندما يصبح مقتنعاً بأنه مخطئ، فإنه يقول ذلك بوضوح.

ومع ذلك، بالنسبة لسألة ما إذا كان الصدق والكذب يمكن أن يكونا، بصورة مشروعة، محمولين للأحكام الأخلاقية، فإنه ليس لنا الحق أن نقول إن مور «أصبح مقتنعاً بأن رأيه السابق كان خاطئاً». على أية حال، الموضوعات الأخلاقية التي ترتبط دوماً باسمه هي تلك الموضوعات الخاصة بعدم إمكان تعريف الخير، منظوراً إليه على أنه صفة ذاتية غير طبيعية، وبالحاجة إلى تجنب أية صورة مما يسمى بالمغالطة الطبيعية. ويمكن القول بأن موقف «مور»، بصفة خاصة كما تطور في كتابه «مبادئ الأخلاق» واقعي، ولكنه ليس طبيعياً؛ وهو واقعي بمعنى أن الخير يُنظر إليه على أنه صفة موضوعية باطنية يمكن معرفتها، وليس طبيعياً بمعنى أن هذه الصفة توصف بأنها غير طبيعية. بيد أن مور لم ينجح على الإطلاق في أن يفسر، بصورة مرضية، ماذا يُعنى بالقول، مثلاً، أن الخير صفة غير طبيعية لموضوعات طبيعية. ومن المفهوم أن النظرية الانفعالية في الأخلاق وصلت، في الغالب، إلى القمة في النقاش الفلسفي. ومع ذلك، تستطيع هذه النظرية ذاتها أن تدعى التخلص من «المغالطة الطبيعية»، وتستطيع أن تستخدم هذا الادعاء كسلاح لتوجيه ضربة قاصمة إلى النظريات

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تفاهم، فإن السبب قد يكون، أحياناً، هو أن المسألة موضع النقاش لا تكون مسألة واحدة، وإنما تكون عدة مسائل. وليس لهذه الافتراضات أية صلة على الإطلاق بأية عقيدة عامة عن خلو مشكلات فلسفية من المعنى. فهي تمثل لجوءاً إلى الوضوح والدقة منذ البداية، لجوءاً يحث عليه حس مشترك مستتير. إنها تعبر، بالتأكيد، عن الاتجاه التحليلي الذي يغلب على ذهن «مور»، بيد أنها لا تجعله فيلسوفاً وضعياً، فهو لم يكن كذلك بالتأكيد.

ومع ذلك، عندما نتصور فكرة «مور» عن التحليل الفلسفي، فإننا نتصوره، بوجه عام، فيما يتعلق بزعمه أن هناك قضايا للحس المشترك نعرف كلنا أنها صادقة. وإذا عرفنا أنها صادقة، فمن الخلف بالنسبة للفيلسوف أن يحاول أن يبين أنها ليست صادقة. لأنه يعرف جيداً أنها صادقة. وليس من مهمة الفيلسوف، كما يرى مور، أن يحاول البرهنة، مثلاً، على أن هناك أشياء مادية خارج الذهن. لأنه لا يوجد سبب جيد لافتراض أن الفيلسوف يستطيع أن يقدم أسباباً أفضل من تلك التي نمتلكها من قبل للقول بأن هناك أشياء مادية خارج الذهن. ومع ذلك، فإن ما يستطيع أن يقوم به الفيلسوف هو أن يحلل قضايا، يبرهن على صدقها أو كذبها عن طريق حجة غير الحجة الفلسفية بوجه خاص. إن الفيلسوف يستطيع، بالتأكيد، أن يحاول توضيح الأسباب التي تكون لدينا من قبل من قبول بعض قضايا الحس المشترك. غير أن ذلك لا يحول الأسباب إلى أسباب فلسفية بوجه خاص؛ بمعنى أن الفلاسفة يضيفونها، كما هي، إلى مخزوننا الخاص بالأسباب^(١).

(١) يؤكد برفسورد «ن. مالكولم» في مقال شهير عن «مور واللغة العادية» (فلسفة جورج إدوارد مور، حرره P.A. Schilpp، الفصل الثالث عشر) أن طريقة مور في البرهنة على إنكار أن قضايا الحس المشترك كاذبة هي لجوء إلى اللغة العادية. ويسلم مور نفسه (Ibid. pp. 668-9) بأنه ينظر إلى نوع الحجة التي يشير إليها «مالكولم» على أنها حجة جيدة، وأنه هو نفسه قال إن هذا النوع من الحجج يعد بعضاً للقضية «ليست هناك أشياء مادية». ومع ذلك، يضيف أنه في حالة قضية كهذه مثل «لا نعرف بيقين أن هناك أشياء مادية»، يكون هناك شيء أكثر مطلوباً إذا كان يجب البرهنة على أن القضية كاذبة. لأن كثيراً من الفلاسفة تمسكوا، في الحقيقة، بأننا لا نعرف أن هناك أشياء مادية أكثر من تمسكهم بأنه ليست هناك، بالفعل، أشياء مادية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فالقول مثلاً، ولنقدم مثلاً استخدمه مور نفسه، أن «س شقيق ذكر» هو تحليل لـ«س شقيق». إنها ليست مسألة استبدال تعبير لفظي فحسب بتعبير لفظي آخر بالمعنى الذى يمكن أن نستبدل فيه لفظ "brother" (الإنجليزى - أخ) بلفظ "Fratello". (الإيطالى - أخ) إن تعبير «شقيق ذكر» هو، فى الحقيقة، تعبير لفظي مختلف عن «شقيق»، لكنه يذكر فى الوقت نفسه، بوضوح، تصوراً لم يذكر، بوضوح، فى القول «س شقيق».

ومع ذلك يُسَلَّم مور، بالتأكيد، بأنه إذا كان التحليل صحيحاً، فإن التصورات فى المحلل والمحلل، فى القضية التى تُحلل وفى تحليلها، لابد أن يكونا بمعنى ما نفس الشيء. لكن بأي معنى؟ إذا كانا نفس الشيء بمعنى أنه لا يمكن أن يكون هناك تمييز بينهما إلا عن طريق تعبير لفظي، فإن التحليل يبدو أنه يهتَم، ببساطة، باستبدال تعبير لفظي بتعبير آخر. غير أن «مور» يقول إن الأمر ليس كذلك. ولذلك تواجهه مهمة تفسير بأي معنى لابد أن يكون به المحلل والمحلل نفس الشيء إذا كان يجب أن يكون التحليل صحيحاً، وبأي معنى لابد أن يتميزا به إذا كان يجب أن يكون التحليل أكثر من مجرد استبدال تعبير لفظي مرادف بتعبير لفظي معين. بيد أن «مور» لم يشعر بأنه يستطيع أن يقدم تفسيراً واضحاً بالفعل.

من السهل إلى حد كبير، بصفة عامة، تقديم قيمة - منصرفة لفكرة التحليل الفلسفى. صحيح إذا أخبرنا بأن «س شقيق ذكر» هى تحليل لـ«س شقيق»، فإننا قد نميل إلى التساؤل ما الصلة الفلسفية الممكنة التى يمكن أن يمتلكها تحليل من هذا النوع؟ لكن انظر إلى اللافيلسوف الذى يعرف تماماً كيف يستخدم تعبيرات عليّة فى سياقات عينية. فإذا أخبره شخص ما أن طريقة الباب أحدثتها عاصفة رياح مفاجئة من النافذة المفتوحة، فإنه يعرف تماماً ماذا تعنى. إنه يستطيع أن يميز

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ليس قصد كاتب هذه السطور أن يدافع عن هذه الفكرة «اللغوية» عن التحليل. إذ إن تعاطفه، بالأحرى، مع الفكرة القديمة عن التحليل الفلسفي، شريطة أن تتجنب، بالتأكيد، مغالطة «الكلمة الواحدة» أى المعنى الواحد. كما أن فكرة التحليل التصورى ليست واضحة على الإطلاق كما قد تبدو لأول وهلة. وتنشأ صعوبات تحتاج إلى نظر، ولا بد من مواجهتها، إذا كان ذلك ممكناً. غير أننا لا نستطيع أن نجد أية إجابات كافية عن هذه الصعوبات فى تفسير «مور» للتحليل.

ومع ذلك، ليس هذا أمراً غريباً. لأن الحقيقة هى أن «مور» كرس نفسه، إلى حد كبير، لممارسة التحليل الفلسفي. أعنى أنه اهتم بتحليل قضايا معينة بدلاً من أن يهتم بتحليل مفهوم التحليل. وعندما طُلب منه أن يقدم تفسيراً مجرداً لمنهجه وأهدافه، شعر بأنه يستطيع أن يزيل بعض سوء الفهم، لكنه لا يستطيع أن يجيب عن كل أسئلة على النحو الذى يرضيه. وبأمانته المميزة، لم يتردد فى أن يقول ذلك بصراحة.

ويتضح، من ثم، أنه لكى نحصل على فكرة معينة عما يعنيه «مور» بالتحليل، فإنه يجب علينا أن ننظر أولاً إلى ممارسته الفعلية. لكن قبل أن نتجه إلى خط من خطوط التحليل التى شغلت قدراً كبيراً من اهتمامه، فإن ثمة مسألتين لابد من تأكيدهما والتشديد عليهما. أولهما لم يقل على الإطلاق، ولم يقصد أن يقول، إن الفلسفة والتحليل هما نفس الشئ، وإن الفيلسوف لا يمكن أن يفعل شيئاً سوى تحليل القضايا أو التصورات. وعندما تُنسب وجهة النظر هذه إلى «مور»، فإنه يرفضها بوضوح. والواقع أن ميله الفكرى تحليلى بصورة أساسية. غير أنه لم يضع على الإطلاق أية عقيدة عن حدود الفلسفة. وقد يفعل أناس آخرون ذلك، لكن «مور» لم يفعل ذلك. وثانيهما: أنه لم يفترض على الإطلاق أنه يمكن تحليل كل التصورات. فلقد رأينا، مثلاً، أن مفهوم الخير، عنده، بسيط ولا يمكن تحليله. ويمكن أن يقال الشئ نفسه عن مفهوم المعرفة.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

حقيقة ضرورية. ولذلك من العبث أن نبحث عن نوع الدليل أو البرهان الذي تصر على طلبه». وتلك، بوضوح وجهة نظر معقولة.

والآن، كما رأينا، بينما يعتقد «مور» أن مهمة الفيلسوف ليست أن يحاول أن يبرهن عن طريق وسائل خاصة من عنده على صدق قضية كهذه مثل «هناك أشياء مادية» أو «هناك أشياء ليست فيزيائية - ذهنية»، فإنه يعتقد أن تحليل هذه القضايا لا تشكل جزءاً من مهمة الفيلسوف. لأنه بينما قد تكون حقيقة قضية ما يقينية، فإن تحليلها الصحيح قد لا يكون يقينياً على الإطلاق. غير أن التحليل الصحيح لهذه القضايا العامة مثل القضايا التي ذكرناها توأ «يعتمد على مسألة كيف يجب تحليل قضايا من نوع آخر وأكثر بساطة»^(١). ومن أمثلة القضايا البسيطة قولي «إننى أدرك يداً بشرية».

ومع ذلك، فإن هذه القضية هي نفسها استنباط من قضيتين بسيطتين يمكن التعبير عنهما كالآتي «إننى أدرك هذه»، و«هذه يد بشرية». لكن ماذا تكون هذه؟ إنها معطى حسى من وجهة نظر مور. أعني أن ما أعيه مباشرة عندما أدرك يداً بشرية هو معطى حسى. ولا يمكن أن يتوحد المعطى الحسى، حتى إذا افترضنا أنه جزء من يد بشرية، مع اليد. لأن اليد هي، على أية حال، أكثر مما أراه بالفعل فى لحظة معينة. وهكذا يشتمل التحليل الصحيح للقضية «إننى أدرك يداً بشرية» على تحليل واحد فى تحديد طبيعة المعطى الحسى وعلاقته بالموضوع الفيزيائى الذى يتصل به.

يؤكد «مور» فى بحث عنوانه «طبيعية موضوعات الإدراك وحقيقتها» ألقاه فى الجمعية الأرسطية عام ١٩٠٥ أنه إذا نظرنا إلى كتاب أحمر وإلى كتاب أزرق يوجدان بجوار بعضهما البعض على رف الكتب، فإن ما نراه بالفعل هو بقع حمراء وزرقاء من اللون ذات حجوم معينة وأشكال معينة، «يمتلكان العلاقة المكانية بعضهما ببعض

Philosophical papers, p. 53. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«الرؤية» يمكن أن توجد عندما لا نرى موضوعاً حسيّاً. بيد أنه ليس من الصواب أن نسأل ما إذا كان اللون يوجد عندما لا يدرك. وإذا وُصفت المعطيات الحسية، بالتأكيد، بأنها توجد «فى الذهن»، فإنه قلّما يكون من الصواب أن نسأل ما إذا كانت توجد غير مدركة. غير أن «مور» لم يرغب فى وصف المعطيات الحسية بهذه الطريقة؛ أعنى بأنها توجد «فى الذهن».

لكن إذا لم توجد المعطيات الحسية «فى الذهن»، فإين توجد؟ إذا افترضنا أن المعطيات الحسية توجد، ولكنها لا توجد فى الذهن، فإن السؤال ينشأ عما إذا كانت لا توجد عندما لا تكون موضوعاً للإدراك. فهل توجد، إذن، فى مكان فيزيائى عام؟ إن ثمة صعوبة فى قول ذلك وهى أنه عندما ينظر شخصان إلى مظهر أبيض، فإننا نقول، بوجه عام، إنهما يريان الموضوع نفسه. غير أنه يجب أن يكون هناك معطيان حسيان وفقاً لنظرية المعطى الحسى. وعلاوة على ذلك، لا يبدو شكل معطى حسى لشخص ما وعلاقاته المكانية أتهما، بدقة، نفس الشيء مثل شكل معطى حسى لشخص آخر وعلاقاته المكانية. وبالتالي إذا افترضنا أن شكل موضوع فيزيائى يوجد فى مكان عام وحجمه وعلاقاته المكانية هى نفسها بالنسبة للجميع، أفلا يجب علينا أن لا نقول إن المعطى الحسى عند شخص ما يوجد فى مكان ما خاص ويوجد المعطى الحسى لشخص آخر فى مكان آخر خاص؟

وفضلاً عن ذلك، ما العلاقة بين معطى حسى والموضوع الفيزيائى الذى يتصل به؟ فإذا نظرت، مثلاً، إلى عملة من زاوية للرؤية حتى إن سطحها يبدو لى إهليجياً، فهل يكون المعطى الحسى جزءاً من العملة بوصفه موضوعاً فيزيائياً، نأخذ سطحه لأن يكون دائرياً تقريباً؟ إن اللغة العادية تفترض أنه كذلك. لأننى أقول عادة إننى أرى العملة. لكن إذا نظرت إلى العملة فى لحظة أخرى من وضع مختلف، أو إذا نظر شخص آخر إلى العملة نفسها فى نفس اللحظة كما أقول أنا، فإنه ستكون هناك معطيات حسية مختلفة. وهى لا تختلف فحسب من الناحية العددية، وإنما أيضاً من ناحية الكيف أو فى المضمون. فهل كل هذه المعطيات الحسية أجزء للموضوع

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

استعداد لأن يتخلى عما يسميه، في مقاله «دفاع عن الحس المشترك» «بوجهة نظر الحس المشترك عن العالم»^(١). ونجد في محاضرة عنوانها «أربع صور للمذهب الشكي»، التي ألقاها مور في مناسبات متنوعة في الولايات المتحدة أثناء الفترة ١٩٤٠ - ١٩٤٤، إنكاراً مميزاً لادعاء «رسل» الذي يقول «لا أعرف بيقين أن هذا قلم أو أنك تعي»^(٢). وإننى أصف الإنكار بأنه مميز لهذا السبب. ويلاحظ «مور» أن ادعاء «رسل» يبدو أنه يقوم على فروض أربعة متميزة؛ وهي: لا يعرف المرء هذه الأشياء (أى هذا قلم أو أنك تعي) بصورة مباشرة، وأنها لا تنتج منطقياً من أى شئ يعرفه المرء مباشرة، وأن معرفة المرء أو اعتقاده في القضايا موضع الاهتمام، لا بد أن يقوم، في هذه الحالة، على حجة استقرائية أو حجة تعتمد على المائلة، وأنه لا يمكن لحجة كهذه أن تقدم معرفة يقينية. ثم ينتقل «مور» إلى القول بأنه يوافق على أن الفروض الثلاثة الأولى صادقة. وفي الوقت نفسه «لا أشعر بأن فرضاً حتى هذه الفروض الثلاثة يقيني، مثلما أعرف بيقين أن هذا قلم. لا بل: لا أعتقد أنه من المعقول أن نكون على يقين من أية قضية من هذه القضايا الأربع، مثلما أكون على يقين من القضية التي تقول إننى أعرف أن هذا قلم»^(٣).

ومن المسموح، بالتأكيد، لأى شخص أن يقول إن نظرية المعطى الحسى كما يعرضها «مور»، تؤدي في رأيه من الناحية المنطقية إلى المذهب الشكي، أو على الأقل إلى المذهب للأدرى بالنسبة للعالم الفيزيائى من حيث إنه يتميز عن المعطيات الحسية. غير أنه ليس صحيحاً، بالتأكيد، أن يتحدث مور بوصفه فيلسوفاً شاكاً. فهو لم يكن كذلك. فقد بدأ، كما رأينا، بالافتراض الذى يقول إننا نعرف بيقين أن هناك موضوعات فيزيائية خارجية أو أشياء مادية، غير أنه كان يشك في التحليل الصحيح لقضية كهذه.

Philosophical Papers, p. 45. (١)

Ibid, p. 226. (٢)

Ibid, (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ملائنة، فإنه يمكن وصف مسألة علاقتها بالموضوعات الفيزيائية بأنها مسألة أنطولوجية. وفضلاً عن ذلك، فإن مور يهتم بمسائل ابستمولوجية؛ أعنى كيف نعرف هذا أو ذاك؟

غير أن جزءاً من هذا النشاط، على الأقل، يمكن أن يوصف بأنه وصف فينومنولوجي أفضل من أن يوصف بأنه تحليل لغوي. وعلى الرغم من أن مخزون نظرية المعطى الحسي قد سقط بصورة كبيرة في السنوات الراهنة^(١). فإن حكم دكتور رودلف ميتس ليس معقولاً تماماً، ذلك الحكم الذي يقول إنه بمقارنة تحليل مور الفينومنولوجي المفرط للإدراك «تبدو كل الدراسات الأولى للمشكلة غثة وابتدائية»^(٢).

(١) يجب علينا أن نفكر، مثلاً، في هجورم ج. ل. أوستن على النظرية (المؤلف).

(٢) AHundred years of British philosophy, p. 547 (London, 1938).

وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور قواد زكريا تحت عنوان «الفلسفة الإنجليزية في مائة عام» وراجع الدكتور زكي نجيب محمود، وصدر عن دار النهضة العربية عام ١٩٦٢ في مجلدين (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

للنزعة الإنسانية الليبرالية، وبطلاً لأولئك الذين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم عقليون، تحرر من قيود العقيدة الدينية والميتافيزيقية، مع إنه كان مخلصاً، في نفس الوقت، لقضية الحرية البشرية، من حيث إنها ضد الشمولية، ولقضية التقدم الاجتماعي والسياسي وفقاً لمبادئ عقلية. كما نستطيع أن نذكر التزامه الذاتي النشط في فترات متنوعة من حياته بجانب معين، وأحياناً بجانب لا يروق لعامة الناس، في قضايا ذات اهتمام عام وأهمية عامة. لقد كانت لديه شجاعة في نشر معتقداته باستمرار. ولقد كان لربط الكاتب المقالى الفولتيرى، الفيلسوف، الأرستقراطي، والجندي المتحمس أثر، بصورة طبيعية، على خيال العامة.

لا داعى للقول بأن شهرة الفيلسوف إبان حياته ليست دلالة أكيدة على قيمة تفكيره، لاسيما إذا كانت شهرته ترجع، بوجه عام، إلى كتاباته الأكثر زوالاً، وعلى أية حال، فإن الطابع المتنوع لكتابات رسل تخلق صعوبة خاصة في تقدير حالته بوصفه فيلسوفاً، فمن جهة، اشتهر تماماً بعمله في مجال المنطق الرياضى. بيد أنه ينظر إلى هذا الموضوع على أنه ينتمى إلى الرياضيات وليس إلى الفلسفة. ومن جهة أخرى، ليس من المنصف لرسل أن يقدّر حالته بوصفه مفكراً عن طريق كتاباته الشعبية في قضايا أخلاقية ملموسة، أو في موضوعات اجتماعية وسياسية. لأنه على الرغم من أنه يعرف أنه يجب عليه أن يتنازل عن امتلاك كتاباته الأخلاقية التي توصف بأنها أعمال فلسفية بالنظر إلى وجهة النظر العامة والتقليدية عن كلمة «فلسفة»، فإنه يقول إن الموضوع الأخلاقى الوحيد الذى ينظر إليه على أنه ينتمى، بصورة ملائمة، إلى الفلسفة هو تحليل القضية الأخلاقية من حيث هى كذلك. إنه يجب استبعاد الأحكام الملموسة عن القيمة، إذا تحدثنا بصورة دقيقة، من الفلسفة. وإذا عبرت هذه الأحكام، كما يعتقد رسل أنها تفعل ذلك، عن اتجاهات انفعالية أساسية، فإنه يكون من حقك بدون شك أن يعبر عن اتجاهات الانفعالية الخاصة بحدة لا تليق في مناقشة مشكلات يمكن، على الأقل من حيث المبدأ، حلها عن طريق حجة منطقية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

شعر به بالنسبة لبرادلي. واستمر من عام ١٨٩٤، العام الذي ترك فيه جامعة «كمبردج»، حتى عام ١٨٩٨، في الاعتقاد أن الميتافيزيقا تستطيع أن تبرهن على معتقدات عن الكون، قاده الشعور «الديني» لأن يعتقد أنها مهمة^(١).

عمل رسل ملحقاً شرفياً في السفارة البريطانية في باريس لمدة قصيرة عام ١٨٩٤. وفي عام ١٨٩٥ كرس نفسه لدراسة الاقتصاد والديمقراطية الاجتماعية الألمانية في «برلين». وكانت النتيجة هي أنه نشر مؤلفه «الديمقراطية الاجتماعية الألمانية» عام ١٨٩٦ كانت معظم مقالاته الأولى، بالفعل، عن الرياضيات وموضوعات منطقية، لكن مما يستحق الذكر أن كتابه الأول اهتم بالنظرية الاجتماعية.

يخبرنا رسل أنه تأثر في هذه الفترة بكل من كانط وهيجل، لكنه انحاز إلى هيجل عندما كان يحدث صراع بينهما^(٢). لقد وصف بحثاً عن علاقته العدد والكم الذي نشره في مجلة «مايند» عام ١٨٩٦ بأن «هيجل غير واضح»^(٣). وقال عن «مقال في أسس الهندسة» (عام ١٨٩٧)، وهو تكملة لرسالة الزمالة في «كلية ترفتي»، بجامعة كمبردج، أن نظرية الهندسة التي قدمها كانت «كانطية أساساً»^(٤) على الرغم من أن نظرية النسبية لأنشتين أبطلتها فيما بعد.

(١) تخلى هيجل عن الإيمان بالله في سن الثامنة عشرة. بيد أنه استمر في الاعتقاد، لبضع سنوات، أن الميتافيزيقا يمكن أن تقدم تبريراً نظرياً للاتجاهات الانفعالية عن الرهبة والإجلال تجاه الكون (المؤلف).

(٢) عما إذا كان رسل لديه معرفة عميقة بمذهب هيجل العام هو، بالتأكيد، مسألة أخرى (المؤلف) والدليل على ذلك أنه كتب في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية ١٤ صفحة عن هيجل وبطريقة هزلية ساخرة في حين أنه كتب عن فولتير حوالى أربعين صفحة : (المراجع).

(٣) My Philosophical Development, p. 40.

له ترجمة عربية بقلم عبد الرشيد الصديق ، ومراجعة د. زكى نجيب محمود تحت عنوان «فلسفتي كيف تطورت» نشرتها مكتبة الأنجلو بالقاهرة (المراجع)

Ibid, (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يعرف آنذاك عمل «فريجه»، الذي حاول أن يرد الحساب إلى المنطق. غير أن كتابات «بيانو» زودته بالدافع لأن يلم بالموضوع من جديد. وكانت النتيجة المباشرة لتأملاته كتابه «مبادئ الرياضيات»، الذي ظهر عام ١٩٠٣.

بيد أن هناك أعشاباً ضارة في الحديقة الرياضية. لقد أنهى رسل المسودة الأولى لكتابه «مبادئ الرياضيات» في نهاية عام ١٩٠٠، وفي أوائل عام ١٩٠١ وقع على ما يبدو له أن يكون نقيضة أو مفارقة في منطق الفئات. فمن حيث إنه يعرف العدد عن طريق منطق الفئات، ويعرف العدد الأصلي بأنه «فئة كل الفئات التي تشبه فئة معينة»^(١)، فإن النقيضة تؤثر في الرياضيات بصورة واضحة. ويتحتم على رسل إما أن يحلها، أو أن يسمح بنقيضة لا يمكن حلها داخل الميدان الرياضي.

ويمكن توضيح النقيضة على هذا النحو. من الواضح أن فئة الخنازير ليست هي نفسها خنزيراً. أعني إنها ليست عضواً في ذاتها. لكن انظر إلى فكرة فئة كل الفئات التي لا تكون أعضاء في ذاتها. دعنا نسمى هذه الفئة (س)، ونسال عما إذا كانت (س) عضواً في ذاتها أم لا. يبدو، من جهة، أنها لا يمكن أن تكون عضواً في ذاتها. لأننا إذا افترضنا أنها كذلك، فإنه يترتب على ذلك منطقياً أن (س) يكون لها الخاصية المحددة لأعضائها. وهذه الخاصية المحددة هي تلك التي تكون أية فئة منها خاصية لا تكون عضواً لنفسها. ولذلك لا يمكن أن تكون (س) عضواً في ذاتها. ويبدو، من جهة أخرى، أن (س) يجب أن تكون عضواً في ذاتها. لأننا إذا بدأنا بافتراض أنها ليست عضواً في ذاتها، فإنه ينجم عن ذلك منطقياً أنها لا تكون عضواً لتلك الفئات التي لا تكون أعضاء في ذاتها. وقول ذلك يعني القول أن (س) عضو في ذاتها. ولذلك، سواء بدأنا بافتراض أن (س) عضو في ذاتها، أو أنها ليست عضواً في ذاتها، فإنه يبدو أننا نقع، في الحالتين، في تناقض ذاتي.

(١) The Principles of Mathematics, p. 115 (2nd edition, 1937)

يقال إن فئتين «متشابهتان» عندما «يكون لهما نفس العدد» (Ibid, p. 113).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولكى يعالج رسل صعوبات أخرى، قدّم نظرية «متفرعة» أو متشعبة عن الأنماط. بيد أننا لا نستطيع أن نناقشها هنا. وبدلاً من ذلك، فإننا نوجه الانتباه إلى هذه المسألة. بعد أن بيّن رسل أن فئة من الأشياء لا تكون هي نفسها شيئاً، يمضي في كتابه «برنكيبيا ماثماتيكا» إلى ما يسمه «بإبطال الفئات»^(١). أعنى أنه يفسر الفئات بأنها «ليست سوى وسائل رمزية أو لغوية»^(٢)؛ بوصفها رموزاً ناقصة. ولا غرابة أن نجده فيما بعد يقبل موقفاً متعاطفاً نحو تفسير لغوى لنظرية الأنماط، والقول مثلاً، إن «اختلاف النمط يعنى اختلاف الوظيفة النحوية»^(٣)؛ وبعد أن أشار رسل إلى أن الاختلافات بين الأنماط هي اختلافات بين أنماط الكيانات، أدرك أن الاختلافات تكمن بين أنماط مختلفة من الرموز، «تكتسب حالتها - النمطية عن طريق القواعد النحوية التي تخضع لها»^(٤). وعلى أية حال، من المأمون أن نقول إن إحدى المؤثرات العامة على نظرية الأنماط عند رسل الإيمان الشجاع بصلة الفلسفة «بالتحليل اللغوي».

إن لنظرية الأنماط، بالتأكيد، صنوفاً من التطبيقات الممكنة ولذلك يفترض رسل، في مقدمته لمؤلف لدفيج فتنجشتين «رسالة منطقية فلسفية» التي كتبها عام ١٩٢٢، أن صعوبة فتنجشتين الخاصة بعدم قدرته على أن يقول أى شيء داخل لغة معينة عن بناء هذه اللغة، يمكن مواجهتها عن طريق فكرة الترتيب الهرمي للغات. ولذلك حتى إذا لم

(١) The Principles of Mathematics, p. x (Introduction to the 2nd edition).

(٢) Principia Mathematica 1, p. 72.

(٣) The Philosophy of Bertrand Russell. edited by P.A. Schilpp, p. 692.

كما يلاحظ رسل في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه «مبادئ الرياضيات»، أنه افترض بكتاب رامزي «أسس الرياضيات» (١٩٣١) بأن هناك نوعين من المفارقات. بعضها منطقي خالص، أو رياضي، ويمكن توضيحها عن طريق النظرية البسيطة للأنماط. وبعضها الآخر لغوي، مثل المفارقة التي تنشأ من القول «إنني أكذب». ويمكن توضيح هذه المفارقات عن طريق اعتبارات لغوية (المؤلف).

Ibid, (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كيانات أخرى. ومن هذه الناحية، تشبه الرموز بالنسبة للفئات «رموز الأوصاف»^(١). ولا بد أن يقال شيء ما، عن نظرية رسل عن الأوصاف، التي طورها بين كتابة مؤلفه «مبادئ الرياضيات»، ونشر مؤلفه «برنكييا ماثماتيكا»^(٢).

دعنا ننظر إلى العبارة التي تقول «الجبل من ذهب عال جداً». إن عبارة «جبل من ذهب» تقوم بوظيفة من حيث إنها الموضوع النصوى للجملة. وربما يبدو أنه بقدر ما نستطيع أن نقول شيئاً عن جبل من ذهب؛ أعنى أنه عال جداً، فإن العبارة لابد أن تدل على كيان من نوع ما. إنها لا تدل، بالفعل، على أى كيان موجود. لأنه على الرغم من أنه لا يكون مستحيلًا من الناحية المنطقية أن يكون هناك جبل من ذهب، فإنه لا يكون لدينا دليل على أن هناك جبلاً من ذهب. ومع ذلك حتى لو قلنا إن «الجبل من ذهب لا يوجد»، فإنه يبدو أننا نقول شيئاً معقولاً عنه؛ أعنى أنه لا يوجد. ويبدو في هذه الحالة أنه ينتج أن عبارة «جبل من ذهب» لابد أن تدل على كيان، ليس، كياناً موجوداً بالفعل، لكنه على الرغم من ذلك حقيقة من نوع ما.

ويمكن أن ينطبق هذا الخط من البرهان، بالتأكيد، على الموضوعات النحوية فى عبارات مثل «ملك فرنسا أصلح» (تُتلق أو تُكتب عندما لا يكون هناك ملك لفرنسا)، أو «يرتدى شيرلوك هولمز قبعة صياد الطباء». وهكذا يجب علينا أن نحصل على نوع الكون المزدحم بالسكان، أو على الأقل المأهول بالسكان جسداً، الذى آمن به رسل، أصلاً، فى عنفوان رد فعله الواقعى ضد الطريقة التى يصف بها فلاسفة مثاليون مثل برادلى، وماكتجارت بأنها عوامل عديدة غير واقعية فى الكون الذى ينظر إليه الحس المشترك، بصورة تلقائية، على أنه حقيقى. وبالتالي، يكون مفهوماً أن رسل كرس نفسه لدراسة «مينونج»، الذى قبل أيضاً كوناً غزيراً يُفسح فيه المجال لكيانات لا توجد

(١) Ibid.

(٢) وجدت النظرية تعبيراً تمهيدياً فى مقال رسل "on Denoting" فى مجلة «مايند» عام ١٩٠٥

(المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويختفى معها، الإغراء على التسليم بكيان دائم غير فعلى. لأننا لم نعد نقع فى الموقف الحرج الذى ينشأ بالنسبة للواقعة التى تقول إن الجملة «جبل من ذهب لا وجود له»، يمكن أن تحدث على السؤال «ما الذى لا يوجد؟»، ونعنى ضمناً أن جبل من ذهب لابد أن يكون له نوع من الحقيقة الواقعية إذا استطعنا أن نقول عنه، بصورة لها مغزى، إنه لا يوجد.

وربما يقال إن ذلك كله حسن للغاية، لكن من الغريب إلى حد كبير الادعاء، من جهة الأوصاف بوجه عام، أنه لا يكون لها معنى عندما تؤخذ بذاتها. ويبدو، بالفعل، أنه صحيح أن عبارة «جبل من ذهب» لا تعنى شيئاً شريطة أن يعنى المرء بالمعنى الدلالة على كيان. لكن ماذا عن عبارة مثل «مؤلف ويفرلى؟». إنها وصف وفقاً لما يراه رسل، وليست اسم علم. لكن أليس واضحاً أنها تعنى سكوت؟

إذا كان مؤلف «ويفرلى» تعنى سكوت، فإن رسل يرد بالقول إن عبارة «سكوت هو مؤلف ويفرلى» ستكون تحصيل حاصل، معلناً أن سكوت هو سكوت. بيد أنها ليست، بوضوح، تحصيل حاصل. ومع ذلك، إذا كانت عبارة «مؤلف ويفرلى» تعنى أى شىء آخر غير سكوت، فإن عبارة «سكوت هو مؤلف ويفرلى» تكون كاذبة. إن الشىء الوحيد الذى يقال، بالتالى، هو أن عبارة «مؤلف ويفرلى» لا تعنى شيئاً. ويمكن أن تصاغ العبارة «سكوت هو مؤلف ويفرلى» من جديد على نحو حتى إنه يتم حذف عبارة «مؤلف ويفرلى». فالبنسبة لجميع قيم «س»، تكافئ العبارة «س كتب ويفرلى» العبارة «س هو سكوت»^(١).

يبدو، بالفعل، أننا نستطيع أن نقول بصورة حسنة للغاية إن عبارة «مؤلف ويفرلى هو اسكتلندى»، ونصف فى هذه الحالة كياناً بمحمول، وهو كونه اسكتلندياً؛ أى مؤلف

Introduction to Mathematical philosophy, p. 177. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فيها عبارة «ملك فرنسا» على أى شخص، لكن يمكن، أيضاً وعلى حد سواء، أن تكون هناك جمل تدل فيها على شخص ما.

ويبدو لكاتب هذه السطور أن «مور» يلجأ فى نقده لنظرية رسل فى الأوصاف إلى الاستخدام اللغوى العادى. وهذا هو، بالتأكيد، قوة نقده. ومع ذلك، لم يهتم رسل نفسه كثيراً بتصوير لغة عادية مثلما اهتم بتكوين نظرية تحرم أساسها اللغوى من الفكرة التى تقول إنه من الضرورى التسليم بكيانات غير موجودة، ولكن بكيانات حقيقية مثل «جبل من ذهب»، و«ملك فرنسا»، (عندما لا يكون هناك ملك لفرنسا)، وهكذا. ويبدو لى أنه نقد مشروع أن نعترض على أن النظرية تتضمن تأويلاً لهذه العبارات التى تكون ضيقة حتى إننا لا نعدّل استخداماً لغوياً فعلياً^(١). غير أنه من المهم كثيراً فى هذا السياق أن نلفت الانتباه إلى هدف رسل، أى إلى ما يعتقد أنه يحققه عن طريق هذه النظرية.

من الخطأ الجسيم، بصورة واضحة، أن نفترض أن رسل يتصور أن ترجمة عبارة «جبل من ذهب عال جداً» إلى جملة لا ترد فيها الجملة الوصفية التى تقول «جبل من ذهب» تبرهن على أنه ليس هناك جبل من ذهب. وعما إذا كان هناك جبل من ذهب فى العالم أم لم يكن هو سؤال تجريبي، ورسل على وعى تام بهذه الواقعة. وإذا كانت الترجمة التى تبرهن الإشارة إليها على أنه لا يوجد، فى الواقع، جبل من ذهب، فإن الواقعة التى تقول إن «مؤلف كتاب مبادئ الرياضيات إنجليزي» يمكن إعادة صياغتها على نحو حتى إن العبارة الوصفية التى تقول «مؤلف كتاب مبادئ الرياضيات» تختفى، تبرهن على أنه ليس هناك برتراند رسل.

(١) قد يرغب بعض الفلاسفة التحليليين أن يقولوا إن رسل حاول أن «يصلح» اللغة، أى حاول أن يجد لغة مثالية. غير أنه لم يقصد، بالتأكيد، أن يحرم الناس من أن يقولوا ما اعتادوا أن يقولوه. (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إذا لم يفهموا هذه الواقعة. لكن على الرغم من أن رسل قد يعمم هذه الفكرة، فإنه لا يكفي من الناحية التاريخية افتراض أنه هو الرجل الأول الذي توصل إلى هذا الكشف^(١). ففي القرن الثاني عشر ذهب القديس أنسلم، مثلاً إلى القول بأن الله خلق العالم من العدم، لا يعني القول أن العالم خُلِق من عدم بوصفه نوعاً من مادة موجودة من قبل. إنه يجب القول إن الله لم يخلق العالم من أي شيء؛ أي من أية مادة موجودة من قبل.

(د) ظهرت المجلدات الثلاثة من كتاب «برنكييا ماثماتيكا»، التي كانت ثمرة العمل المشترك لرسل ونورث ألفرد وايتهد، عام ١٩١٠-١٩١٣. إن المسألة التي أثارت معظم الاهتمام هي محاولة بيان أنه يمكن رد الرياضيات إلى المنطق؛ بمعنى أنه يمكن بيان أنه لا يمكن أن ينتج من مقدمات منطقية خالصة سوى تصورات يمكن أن تُعرَّف بالفاظ منطقية^(٢). ولا يمكننا، من الناحية العملية، بالتأكيد، أن نأخذ، ببساطة، صياغة رياضية مركبة بدون قصد ونعبر عنها بدون عناء كبير بالفاظ منطقية خالصة. غير أن الرياضيات البحتة كلها يمكن، من حيث المبدأ، أن تُستمد، أساساً، من مقدمات منطقية، وهي أن الرياضيات، كما يرى رسل، هي رجولة المنطق.

وكما يعتقد رسل أنه برهن على صدق هذا الموضوع في كتابه «برنكييا ماثماتيكا»، فإنه يعتقد أنه قدم دحضاً حاسماً للنظريات الكانطية عن الرياضيات. فإذا كانت الهندسة مستمدة من مقدمات منطقية خالصة مثلاً، فإن التسليم ببيان حدث قبلي للمكان، يكون أمراً زائداً وليس ضرورياً.

(١) فُهمت هذه الحقيقة هذه الأيام. أما في الماضي فقد صيغت، أحياناً، عبارات تقول أو تتضمن أن رسل هو مكتشف هذا التمييز بين صورة نحوية وصورة منطقية (المؤلف).

(٢) غير رسل من خيبة أمله في أن اهتماماً قليلاً نسبياً وُجِه إلى الأساليب الرياضية التي طُوِّرت أثناء العمل (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

كانت فترة متأخرة بصورة كبيرة حتى حازت الدراسات الرياضية الألمانية على معرفة عامة في إنجلترا.

وفي إيطاليا، حاول «بيانو» والمشترون معه في أعمال أن يبينوا في مؤلفهم «تقعيد الرياضيات» (١٨٩٥ - ١٩٠٨)، أن الحساب والجبر يمكن أن يستمدا من أفكار منطقية معينة، مثل فكرة الفئة، وعضوية الفئة، وثلاثة تصورات رياضية أولية وست قضايا أولية. تعرّف رسل، كما رأينا، على عمل بيانو في عام ١٩٠٠. واستخدم هو ووايتهد الرمزية المنطقية الموجودة عند بيانو، أو الإشارات في بناء كتاب «برنكيبيا ماثماتيكا» الذي تجاوز عمل كل من بيانو وفريجه.

إن كاتب هذه السطور ليس مؤهلاً لأن يصدر أى حكم على مضامين كتاب «برنكيبيا ماثماتيكا». ويكفى القول إنه على الرغم من أن موضوع إمكان رد الرياضيات إلى المنطق لم يكتسب على الإطلاق موافقة كل الرياضيين^(١)، فإنه لم يشك أحد في الأهمية التاريخية للعمل في تطوير المنطق الرياضى. إنه يفوق كل الإسهامات الإنجليزية الأخرى بالنسبة للموضوع^(٢). وعلى أية حال، على الرغم من أن رسل نفسه قد يندم على أن انتباهاً كبيراً لم يوجه إلى الأساليب الرياضية المطورة في العمل، فإن الهدف الرئيسى للكاتب الحالى في توجيه الانتباه هنا إلى كتاب «برنكيبيا ماثماتيكا» هو أن يبين الخلفية لتصوير رسل للتحليل الردى. فالقول، مثلاً، إنه يمكن رد الرياضيات إلى المنطق لا يعنى، بوضوح، أنه لا يوجد شيء مثل الرياضيات.

(١) لقد رفض ذلك كل من «الصوريين» مثل ديفيد هيلبرت (١٨٦٢ - ١٩٤٣) و«الحدسيين» الذين تابعوا Brouwer, L. (ولد عام ١٨٨١) (المؤلف). وتوفي عام ١٩٦٦ وهو فيلسوف وعالم رياضيات هولندى (المراجع).

(٢) إنها واقعة سيئة أنه منذ نشر كتاب «برنكيبيا ماثماتيكا»، قد وُجه انتباه ضئيل نسبياً إلى المنطق الرمزى في إنجلترا. ولا يعنى هذا أنه لم يُقدم عمل جيد في إنجلترا في النظرية المنطقية فيما بعد. ولكن بوجه عام، تركز اهتمام الفلاسفة بالأحرى على «اللغة العادية». وكان المناطقة الأمريكان والبولنديون أكثر شهرة في ميدان المنطق الرمزى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

فئة الرموز بأنها رموز ناقصة، ليسا ضروريين للنظر إلى الأعداد الأصلية على أنها كيانات من أى نوع. بيد أنه تتبقى النقاط، والآتات، والجزيئات، بوصفها عوامل فى العالم الفيزيائى. وقد صُوِّرت هذه العوامل فى كتاب «مشكلات الفلسفة» (١٩١٢)، التى يمكن أن يقال إنها تمثل اجتياح رسل للميدان الفلسفى العام، من حيث إنه يتميز عن الميدان الأكثر تحديداً للنظرية المنطقية والرياضية. ومع ذلك، أيقظه وايتهد من «سباته الدجماطيقى» عن طريق اختراع طريقة لبناء نقاط، وآتات، وجزيئات بوصفها مجموعات من أحداث، أو بوصفها بناءات منطقية من مجموعة من أحداث^(١).

ينظر رسل إلى أسلوب التحليل الردى كما هو موضح فى حالة النقاط، والآتات، والجزيئات على أنه تطبيق للمنهج الذى استخدمه فى كتابه «برنكيبيا ماشماتيكا». فالمهمة فى هذا العمل هى إيجاد مفردات أقل ما يكون للرياضيات لا يمكن فيها تعريف رمز عن طريق رموز أخرى. ونتيجة البحث هى نتيجة تقول إن المفردات القليلة للرياضيات هى نفسها بالنسبة للمنطق. وبهذا المعنى نجد أنه يمكن رد الرياضيات إلى المنطق. ويعتقد رسل أنه إذا انطبق أسلوب مشابه على اللغة التى تُستخدم فى وصف العالم الفيزيائى، فإننا نجد أن النقاط، والآتات، والجزيئات لا تظهر فى المفردات القليلة.

إن الحديث عن إيجاد مفردات قليلة يميل، من ثم، إلى افتراض أن العملية التى نتحدث عنها لغوية خالصة، بمعنى أنها لا تهتم إلا بكلمات. فقدل. لكن إيجاد مفردات قليلة فى سياق قضايا عن العالم الفيزيائى يعنى بالنسبة لرسل اكتشاف، عن طريق التحليل، الكيانات التى لا يمكن استبعادها، والتى يمكن بواسطتها تعريف كيانات يُستدل عليها. فإذا وجدنا، مثلاً، أنه يمكن تعريف الكيان اللاتجريبي المستدل عليه، أو الكيان المتعارف عليه، فإنه يمكن تعريف (س) عن طريق سلسلة من كيانات، تجريبية

See My Philosophical Development, p. 103 and the Principles of Mathematica, (١) p. xi (in the Introduction to the second edition).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

المشترك بوصفها دالات لمعطيات حسية، وتُفسر المعطيات الحسية الممكنة، إذا وضعنا المسألة بطريقة أخرى، بوصفها فئات لمظاهرها.

ومع ذلك، فإن ثمة صعوبة رئيسية في التسليم بأن المعطيات الحسية الممكنة، على نفس المستوى، معطيات حسية فعلية، إن جاز التعبير. لأن برنامج رسل يتطلب أنه يجب أن تُفسر الموضوعات الفيزيائية للحس المشترك وللعلم، إذا كان ذلك ممكناً، بأنها بناءات منطقية من كيانات تجريبية خالصة وليست بناءات تم الاستدلال عليها. أما المعطيات الحسية الممكنة فهي كيانات تم الاستدلال عليها. ولا يتصل بالكيانات التي تم الاستدلال عليها إلا المعطيات الحسية الفعلية. ولذلك ليس من المستغرب أن نجد رسل يقول، في بحثه عن علاقة المعطيات الحسية بالفيزياء، أن «تطبيقاً كاملاً للمنهج الذي يستبدل بناءات باستدلالات يوضح المسألة تماماً عن طريق معطيات حسية، وقد تضيف بل وحتى عن طريق المعطيات الحسية لشخص واحد؛ لأنه لا يمكن معرفة المعطيات الحسية للآخرين بدون عنصر ما من الاستدلال^(١)». غير أنه يمضى ليضيف أن تنفيذ هذا البرنامج صعب للغاية، وأنه يقترح التسليم بنوعين من الكيانات التي تم الاستدلال عليها وهما: المعطيات الحسية للأشخاص الآخرين، والمعطيات الحسية الممكنة.

يصور رسل في كتابه «معرفة العالم الخارجي» (١٩١٤) الموضوعات الفيزيائية الحس المشترك والعلم بأنها بناءات منطقية من معطيات حسية فعلية، أي معطيات حسية أو معطيات حسية ممكنة تُعرّف بالإشارة إليها. وعلى أية حال «إننى أعتقد أنه ربما يُسلم تماماً ويوجه عام بأنه من حيث إنه يمكن التحقق من الفيزياء أو الحس المشترك، فإنه يجب تفسيرها عن طريق المعطيات الحسية فقط^(٢)». ومع ذلك، يلاحظ رسل في محاضرة عن المكونات البعيدة للمادة ألقاها في عام ١٩١٥ أنه بينما تكون

Mysticism and Logic, p. 157. (١)

Our Knowledge of the External world, pp. 88 - 9. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أعنى أن ذاتاً توجد في الإحساس تعي موضوعاً ما. ويُعبر عن هذا الإيمان، مثلاً، في كتاب «مشكلات الفلسفة» (١٩١٢). ففي هذا الكتاب يسلم رسل، حتى إن كان على سبيل التجربة، بأن الذات يمكن أن تُعرف عن طريق الاتصال المباشر. ولا ينجم عن هذا، بالطبع، أنه يقبل فكرة جوهر عقلي دائم. غير أنه يقرر، على الأقل، أننا نتعرف على ما قد يسميه المرء بالذات المؤقتة؛ أي الذات من حيث إنها تعي موضوعاً في فعل معين للوعي. وبمعنى آخر، إنها مسألة تحليل فينومنولوجي للوعي وليست مسألة نظرية ميتافيزيقية.

ومع ذلك، عندما نتجه إلى مقال عن طبيعة الاتصال المباشر، الذي كتبه رسل عام ١٩١٤، فإننا نجده يعبر عن اتفاقه مع هيوم في أن الذات لا تعرف نفسها. ولا يعرف الاتصال المباشر، بالفعل، بأنه «علاقة مزبوجة بين ذات وموضوع لا تتطلب صلة بالطبيعة»^(١). لكن لفظ «ذات» يصبح وصفاً، بدلاً من أن يدل على كيان نستطيع أن نعرفه. وبمعنى آخر، تصبح الذات أو الذهن بناءً منطقيًا. وفي عام ١٩١٥ يفترض رسل وهو يتكلم عن المكونات البعيدة للمادة أننا «قد ننظر إلى الذهن على أنه تجمع من جزئيات؛ أعنى ما يُسمى «بحالات الذهن» تنتمي إليه كلها عن طريق خاصية مشتركة محددة. والخاصية المشتركة لكل حالات العقل هي الخاصية التي تُسمى بكلمة «ذهني»^(٢). ولم يقدم هذا الافتراض، بالفعل، إلا في سياق مناقشة لنظرية، رفضها رسل، تذهب إلى أن المعطيات الحسية توجد في الذهن». بيد أنه جلي أن الذات، منظوراً إليها على أنها كيان واحد، تصبح فئة من الجزئيات. وتمتلك هذه الجزئيات في الوقت نفسه خاصية تميزها من حيث إنها ذهنية. وبمعنى آخر، لا يزال رسل يبقى على عنصر من الثنائية. فهو لم يقبل الواحدية المحايدة بعد، التي سنقول عنها شيئاً ما الآن.

Logic and Knowledge, p. 127. (١)

Mysticism and Logic, pp. 131 - 2. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الأساس للتسليم بكيانات زائدة غير ضرورية، غير أنه يدعى فى تطبيقه على الموضوعات الفيزيائية للحس المشترك والعلم أنه يكتشف المكونات البعيدة لهذه الموضوعات. وبمعنى آخر، إنه يدعى أنه لا يزيد فهمنا للغة فحسب، وإنما لحقيقة خارج اللغة. صحيح أن رسل يعبر، أحياناً، عن وجهة نظر خاصة جداً عن المعرفة التى يمكن بلوغها بالفعل فى الفلسفة. غير أنه هدفه هو بلوغ حقيقة ليست شخصية، والمنهج الأساسى لتحقيق ذلك عنده هو التحليل. ولذلك، فإن وجهة نظره تتناقض وجهة نظر برادلى، الذى اعتقد أن التحليل، الذى يقسم كلاً إلى عناصره التى يتكون منها، يشوه الواقع، ويبعدنا عن الحقيقة التى هى الكل، كما يقول هيجل. وكان رسل على استعداد، فيما بعد، خاصة عندما عالج علاقة الفلسفة بالعلوم التجريبية، لأن يشدد على دور التركيب؛ دور فروض جريئة ورحبة عن الكون. غير أن التشديد على التحليل كان فى الفترة التى نكتب عنها. ومن المضلل، إلى حد كبير، أن نصف التحليل، كما مارسه رسل، بأنه «لغوى» خالص.

كما يمكن توضيح هذه المسألة على النحو التالى. قبل رسل فى كتابه «مشكلات الفلسفة» الكليات بأنها مكونات تصورية بعيدة للواقع؛ كليات يقال إنها «تدوم أولها وجود، حيث تقابل الكينونة Being «الوجود الفعلى» existence من حيث إنه زائل وغير دائم»^(١). وعلى الرغم من أنه جرد عالم الجزئيات بصورة تدريجية، فإنه لم يرفض، مطلقاً، وجهة نظره الأولى. لأنه لم يستمر فى الاعتقاد، فحسب، فى أن مفردات قليلة لوصف العالم تستلزم لفظاً كلياً أو ألفاظاً كلية، وإنما استمر فى الاعتقاد أيضاً أن هذه الواقعة تبين شيئاً ما عن العالم نفسه، حتى إذا انتهى بأنه ليس متاكداً مما تبينه بصورة دقيقة.

The Problems of philosophy, p. 156. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

رسل فى السنوات التى انقطع فيها عن الاتصال بصديقه وتلميذه السابق^(١). لقد صدر، بالفعل، محاضراته التى ألقاها فى عام ١٩١٨ عن فلسفة الذرية المنطقية بملاحظة هى أنها تهتم اهتماماً كبيراً بأفكار تعلمها من قنجنشتين.

أما بالنسبة للفظ «الذرية» فى «الذرية المنطقية»، فإن رسل يقول إنه يرغب فى أن يصل إلى العناصر البعيدة المكونة للواقع بطريقة تماثل الطريقة التى عمل بها فى كتابه «برنكيبييا ماثماتيكا» مرتداً من «النتيجة» إلى «المقدمات» المنطقية التى لا يمكن استبعادها. غير أنه يبحث، بالتأكيد، عن ذرات منطقية، لا عن ذرات فيزيائية. ولذلك، كان استخدام لفظ «منطقى»، «إن المسألة هى أن الذرة التى أريد أن أصل إليها هى ذرة التحليل المنطقى، لا ذرة التحليل الفيزيائى»^(٢). إن ذرة التحليل الفيزيائى (أو بصورة أكثر دقة ما يأخذه العلم الفيزيائى فى زمن معين لأن يكون المكونات الفيزيائية للمادة) هى نفسها تخضع للتحليل المنطقى. لكن على الرغم من أن رسل يحول ما يسميه، فى محاضراته الأخيرة عن الذرية المنطقية، بتدليل إلى ميتافيزيقا، ويدخل فكرة البناء المنطقية، أو كما يسميها اختلاقات منطقية، فإنه يهتم أساساً بمناقشة قضايا ووقائع.

ويمكننا، بالتأكيد، أن نفهم معنى قضية ما دون أن نعرف ما إذا كانت صادقة أو كاذبة. غير أن القضية التى تؤكد أو تنكر واقعة Fact لا تكون صادقة أو كاذبة؛ وعلاقتها بواقعة هى التى تجعلها صادقة أو كاذبة^(٣). وكما رأينا، قد تختلف الصورة

(١) التحق قنجنشتين، الذى كان لا يزال مواطناً نمساوياً، بالجيش النمساوى، وكان سجيناً من سجناء حرب الإيطاليين فيما بعد (المؤلف).

(٢) Logic and Knowledge, p. 179. (٣)

(٣) يلاحظ رسل أن قنجنشتين هو أول من لفت الانتباه إلى حقيقة تقول إن القضايا ليست أسماء لوقائع لأن كل قضية يناظرها قضيتان على الأقل، إحداهما صادقة، والثانية كاذبة. تناظر القضية الكاذبة واقعة بمعنى أنها علاقتها بالواقعة التى تجعلها كاذبة (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نفترض، مثلاً، أن القضية «إما أن يكون اليوم هو يوم الأحد، أو أنني أخطأت في الحضور إلى هنا» هي قضية ذرية. فهل يكون هناك معنى لأن نتحدث عن واقعة منفصلة؟ وعلى الرغم من أن رسل يعبر عن شك ما في الوقائع الجزئية، فإنه يسلم «بوقائع عامة». فإذا استطعنا أن نقوم بإحصاء كل الوقائع الذرية في العالم، مثلاً، فإن القضية «هذه هي كل الوقائع الذرية الموجودة» تعبر عن واقعة عامة. كما أن رسل على استعداد لأن يسلم بوقائع سلبية، حتى مع تردد ما. فهو يفترض، مثلاً، أن «سقراط ليس حياً» تعبر عن واقعة سلبية موضوعية، أعني خاصية موضوعية للعالم.

وليس في إمكاننا أن نشير إلى كل الموضوعات التي يذكرها رسل في محاضراته عن الذرية المنطقية. غير أن هناك مسألتين يمكن أن نلفت إليهما الانتباه بصورة ملائمة. الأولى: هي النظرية التي تقول إن كل جزئ حقيقي يقوم بذاته تماماً؛ بمعنى أنه مستقل من الناحية المنطقية عن كل جزئ آخر. «ليس هناك سبب لماذا لا يكون لديك كون يتكون من جزئ واحد، ولا شيء آخر»^(١). حقاً، إنها واقعة تجريبية أن نقول إن هناك كثرة من جزيئات. بيد أنه ليس ضرورياً من الناحية المنطقية أن الأمريكيين هكذا. ولذلك، لن يكون ممكناً، إذا سلّمنا بمعرفة جزئ واحد، أن نستنبط منه نسق العالم كله.

أما المسألة الثانية فهي تحليل رسل لقضايا الوجود الفعلي. إنني أعرف، مثلاً، أن «هناك أناساً في كانتون»^(٢)، لكنني لا أستطيع أن أذكر أي فرد يعيش هناك. ولذلك، يبرهن رسل على أن القضية «هناك أناس في كانتون» لا يمكن أن تكون عن أفراد فعليين. «إن الوجود هو، أساساً، خاصية لدالة قضية»^(٣). فإذا قلنا «هناك أناس»

(١) Logic and Knowledge, p. 202.

(٢) «كانتون Canton» مدينة ومركز صناعي في الجزء الشمالي الشرقي في ولاية أوهايو الأمريكية. لكن يبدو أن «كانتون» التي يشير إليها رسل هي عاصمة مقاطعة كوانتتونج في الجزء الشرقي من الصين لأنه يقول إنه لا يستطيع أن يذكر أي فرد يعيش هناك (المراجع)

(٣) Ibid, p. 232.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يعني كل دارس للفلسفة البريطانية الحديثة أن رسل أظهر نقصاً ملحوظاً للتعاطف مع أفكار فتنجشتين المتأخرة، كما عبر عنها فضلاً عن ذلك في كتابه «بحوث فلسفية». غير أنه أعجب «بالرسالة»، وعلى الرغم من المسائل المهمة التي لا يتفق فيها مع مؤلفها، فإن ذريته المنطقية تأثرت، كما رأينا، بأفكار فتنجشتين. ومع ذلك، لا ينجم أن منظوري الرجلين كانا، بصورة دقيقة، نفس الشيء. فلقد تصور فتنجشتين نفسه بأنه يكتب، ببساطة، بوصفه منطقياً. لقد اعتقد أن التحليل المنطقي يتطلب قضايا أولية، ووقائع ذرية، والموضوعات البسيطة التي تدخل في وقائع ذرية، وتسمى بقضايا أولية^(١). غير أنه لم يعتقد أن مهمته من حيث إنه منطقى أن يقدم أية أمثلة من موضوعات بسيطة، وقائع ذرية أو قضايا أولية. ولم يقدم أى مثال. ومع ذلك، بينما اقترب رسل من التحليل عن طريق المنطق الرياضى وليس من وجهة نظر المذهب التجريبي الكلاسيكي، فإنه سرعان ما أصبح مهتماً باكتشاف المكونات البعيدة الفعلية للعالم. ولم يتردد، كما رأينا، في أن يقدم أمثلة لوقائع ذرية. إن القضية «هذا أبيض» هي مثال، عندما تعني كلمة «هذا» معطى حسياً فعلياً. وعلى نحو مشابه، بينما يصف فتنجشتين في «الرسالة» علم النفس بأنه علم طبيعى، ويأثّر لا يرتبط بالتالى، بالفلسفة، فإن رسل لا يطبق، في محاضراته عن الذرية المنطقية، التحليل الردي على الموضوعات الفيزيائية للحس المشترك والعلم فحسب، وإنما على الشخص البشرى أيضاً. «إن الشخص هو سلسلة معينة من خبرات»^(٢)، وأعضاء السلسلة يمتلكون علاقة معينة (ص) بينهم، حتى

(١) يرى كاتب هذه السطور أن النظرية عن العالم الموجودة في بداية «الرسالة» لا ترتبط بالميتافيزيقا الاستقرائية. فالعالم، كما يرى فتنجشتين، لا يوجد بالنسبة لنا إلا من حيث إنه يمكن وصفه، من حيث إننا نستطيع أن نتكلم، بصورة لها معنى، عن حالات من الأمور في العالم، ونظرية الوقائع الذرية والموضوعات البسيطة هي، في واقع الأمر، إجابة على السؤال: ما الذى يجب أن يشبهه العالم (أى عالم) بوصفه شرطاً ضرورياً للغة وصفية لها معنى؟ إن المنظور هو، بمعنى آخر، قبلى. فنظرية العالم ليست استقراء من ملاحظة موضوعات بسيطة ووقائع ذرية (المؤلف).

Logic and Knowledge, p. 277. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عندما اعتنق رسل مذهب التعدد والكثرة في عام ١٩١٨، قبل موقفاً ثنائياً. وتمسك بهذا الموقف وأيده، كما رأينا، فترة من الوقت، حتى إن كان في صورة مخففة ضعيفة. لقد تعرف رسل، بالفعل، على نظرية وإيم جيمس عن الواحدية المحايدة، التي وفقاً لها يتركب ما هو ذهنى وما هو فيزيائى من نفس المادة، إن جاز التعبير، ولا يختلفان إلا في الترتيب والسياق^(١). بيد أنه في مقالته التي كتبها عن طبيعة الاتصال المباشر عام ١٩١٤، اقتبس في البداية عبارات من «ماخ» وجيمس، ثم عبر عن عدم اتفاقه مع الواحدية المحايدة من حيث إنها تستطيع أن تفسر ظاهرة الاتصال المباشر، التي تتضمن علاقة بين الذات والموضوع.

وعلى أية حال، لقد تلاشت حدة فض رسل للواحدية المحايدة إلى حد كبير في محاضرات عام ١٩١٨ عن الذرية المنطقية. فهو يؤكد مراراً، بالفعل، أنني «أشعر بأننى أميل أكثر وأكثر إلى الاعتقاد بأنها قد تكون صحيحة»^(٢). لقد كان، بالفعل، على وعى بالصعوبات في قبول وجهة نظر لا تميز بين جزئى وخبرته *experiencing*. ولم يعد متأكد في الوقت نفسه أنه يمكن التغلب على الصعوبات. وواضح أنه بينما لم يعتنق الواحدية المحايدة بعد، فإنه أحب أن يتمكن من أن يفعل ذلك.

ولذلك لا داعى للدهشة عندما نجد رسل في كتابه «تحليل الذهن» يعلن تحوله إلى الواحدية المحايدة^(٣)، التي تتصور بأنها تقدم انسجاماً لميلين متعارضين في الفكر

(١) كما يلاحظ رسل، هذه هي نفس وجهة النظر التي اعتنقها إرنست ماخ (انظر: المجلد السابع من كتابنا هذا عن تاريخ الفلسفة، ص ٣٤٩) المؤلف.

(٢) Logic and Knowledge, p. 279.

(٣) ليس ضرورياً أن تبين أن الواحدية المحايدة ليست المعارض لمذهب الكثرة والتعدد. فهي «واحدية» بمعنى أنها لا تسلم باختلاف محدد بعيد بين طبائع الجزئيات الذهنية والفيزيائية، أو الأحداث. فهذه الجزئيات، في ذاتها، لا تكون ذهنية ولا فيزيائية أو مادية بصورة محددة. ولذلك جاء لفظ «محايدة» (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الحسي، بقعة من اللون مثلاً، هو شيء فيزيائي، وليس شيئاً سيكولوجياً أو ذهنياً. بيد أنه يؤكد الآن أن «بقعة اللون قد تكون فيزيائية وسيكولوجية»^(١)، وأن «بقعة اللون وإحساسنا في رؤيتها هما نفس الشيء»^(٢).

والآن: كيف يتم التمييز بين مجالي الفيزياء وعلم النفس؟ إحدى الطرق للقيام بذلك هي عن طريق التمييز بين مناهج مختلفة لجزئيات مترابطة. فنحن نستطيع، من جهة، أن نربط أو نجمع كل تلك الجزئيات معاً التي ينظر إليها الحس المشترك على أنها مظاهر لشيء فيزيائي في أماكن مختلفة. ويؤدي هذا إلى تكوين موضوعات فيزيائية بوصفها مجموعات من هذه المظاهر. ونستطيع، من جهة أخرى، أن نربط أو نجمع كل الأحداث معاً في مكان معين، أعني الأحداث التي ينظر إليها الحس المشترك على أنها مظاهر موضوعات مختلفة من حيث إنه يُنظر إليها من مكان معين. ويعطينا ذلك منظوراً. والربط بناءً على منظورات هو الذي يرتبط بعلم النفس. فعندما يكون المكان الذي نهتم به هو المخ البشري، فإن المنظور «يتكون من كل إدراكات شخص معين في زمن معين»^(٣).

لقد تحدثنا، بالتالي، عن «تحول» رسل إلى الواحدة المحايدة. ومع ذلك، لا بد أن يُضاف أن هذا التحول لم يكن تاماً. فعندما يقبل رسل، مثلاً، الفكرة التي تقول إنه يمكن وصف الإحساس عن طريق مادة محايدة لا تكون في ذاتها ذهنية ولا مادية، فإنه يضيف أن من وجهة نظره «لا تنتمي الصور images إلا إلى العالم الذهني، في حين أن تلك الأحداث (إن كانت هناك أية حادثة) التي لا تكون جزءاً من أية «تجربة» لا تنتمي إلا إلى العالم الفيزيائي»^(٤). لم يقل رسل بالفعل، أنه «سعيد لأن يقتنع بأنه يمكن

Ibid, p. 143. (١)

Ibid (٢)

Ibid, p. 105. (٣)

Ibid, p. 25. (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويشير هذا، بصفة خاصة، إلى المخ، والتعريف هو نفسه بصورة كبيرة أو قليلة مثل التعريف المؤقت الذي قدمه رسل عام ١٩٢٧ في كتابه «موجز الفلسفة»^(١). لكن على الرغم من أن الأذهان والموضوعات الفيزيائية تُفسر بأنها بناءات منطقية من أحداث، فإن الأذهان تتكون من إحساسات وصور، في حين أن الموضوعات الفيزيائية هي بناءات من إحساسات وأحداث غير مُدركة^(٢). ولقد رأينا أن رسل يجد صعوبة في النظر إلى الصور على أنها لا تكون شيئاً سوى أنها ذهنية خالصة، والنظر إلى الأحداث غير المدركة على أنها لا تكون شيئاً سوى أنها فيزيائية خالصة.

وعندما راجع رسل مجرى تأملاته في كتابه «تطورى الفلسفى» (١٩٥٩)، لاحظ أنه «تخلّى، بوضوح، في كتابه تحليل الذهن (١٩٢١) عن «المعطيات الحسية»^(٣). أعنى أنه تخلّى عن النظرية العلانقية عن الإحساس، التى وفقاً لها يكون الإحساس فعلاً معرفياً، أى أن المعطيات الحسية تكون موضوعات فيزيائية لوعى سيكولوجى. وذلك يعنى أنه لا توجد نفس الحاجة كما كان من قبل للنظر إلى الأحداث الفيزيائية والسيكولوجية على أنها تختلف بصورة أساسية، واستطاع إلى هذا الحد أن يعتنق الواحدية المحايدة. ومع ذلك، فإنه يضيف أنه عندما يتم التخلص من الثنائية فى مسألة ما، فإنه يكون من الصعب جداً عدم إدخالها من جديد فى مسألة أخرى، ومن الضرورى تفسير هذه الألفاظ وتعريفها من جديد مثل: «الوعى»، «والاتصال المباشر»، و«التجربة». وهناك محاولة فى هذا الاتجاه تمت فى كتاب «بحث فى المعنى والصدق» (١٩٤٠)^(٤)، غير أن رسل لا يزعم أنه حل كل مشكلاته. ولذلك ليس من الدقة تماماً أن

(١) P. 300.

(٢) On unperceived events, see the Analysis of Matter, pp. 215 - 16.

(٣) My philosophical Development, p. 135.

(٤) فى هذا العمل حل مصطلح «ملاحظة» محل لفظ «الاتصال المباشر» Cf. pp. 49 F.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن يلجأ إلى استدلال على. لكن حتى هذا الاستدلال لا يستطيع، على أحسن تقدير، أن يقدم يقيناً برهانياً، ولا يستطيع، بالتالي، أن يبين أنه لا يمكن الدفاع عن مذهب الأنا وحدية تماماً.

ومع ذلك، على الرغم من أن مذهب الأنا وحدية قد يكون ممكناً من الناحية المنطقية، فإنه يصعب أن نتق به. فإذا أخذ على أنه يتضمن التأكيد الدجماطيقى «أنتى أوجد وحدى»، فإنه لا أحد يعتقد فيه بالفعل. أما إذا أخذ على أنه يعنى، ببساطة، أنه لا يوجد سبب صحيح لتأكيد أو إنكار أى شىء سوى تجارب المرء الخاصة، فإن الاتساق يستلزم أنه يجب على المرء أن يشك فيما إذا كان للمرء ماضٍ، أو فيما إذا كان له مستقبل. لأنه لا يكون لدينا سبب للاعتقاد أن لدينا تجارب فى الماضى أفضل من السبب الذى يكون لدينا للاعتقاد فى موضوعات خارجية. إن كلا الاعتقادين يعتمدان على الاستدلال. وإذا شككتنا فى الاعتقاد الثانى، فإننا نشك أيضاً فى الاعتقاد الأول. لكن «لم يذهب واحد من أنصار مذهب الأنا وحدية إلى مثل هذا»^(١). وبمعنى آخر، لم يكن هناك واحد من هؤلاء متسقاً.

والبديل لما يسميه رسل «بمذهب الأنا وحدية اللحظى»^(٢)، أى الزعم الذى يقول إن كل معرفتى تنحصر فيما ألاحظه الآن فى هذه اللحظة، هو الفرض الذى يقول إن هناك مبادئ لاستدلال غير استقرائى تبرر إيماننا بوجود العالم الآخر والأشخاص الآخرين. وعندما يُقدم هذان البديلان بوضوح، فإنه لن يختار أى شخص، بأمانة وإخلاص، كما يرى رسل، مذهب الأنا وحدية. إنه على حق بدون شك. بيد أنه فى هذه الحالة يصبح فحص مبادئ الاستدلال التى لها علاقة بالموضوع مسألة ذات أهمية^(٣).

(١) Ibid.

(٢) Human Knowledge, Its scope and Limits (1948), p. 197.

(٣) يتضح أن مشكلة مذهب الأنا وحدية تفترض الأطروحات الأبيستمولوجية التى تحدثها. وتعليق المرء الطبيعى هو أنه يجب فحص هذه الأطروحات من جديد بصورة جيدة. لكن ليس ذلك هو الطريق الذى اختاره رسل (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وقوع أى حدث آخر، أو مجموعة من أحداث. إذ إن الاستدلال البرهانى ينتمى إلى المنطق والرياضيات البحتة، ولا ينتمى إلى العلوم التجريبية. ويظهر على ما يبدو أنه ليس لدينا، بالفعل، أساس حقيقى لتكوين أية استدلالات على الإطلاق فى العلم. ونحن جميعاً مقتنعون، فى الوقت نفسه بأنه يمكن تكوين استدلالات صحيحة تؤدي إلى نتائج لها درجات متنوعة من الاحتمال، على مستوى الحس المشترك وفى العلم. صحيح إن الاستدلالات ليست كلها صحيحة. إذ يجب استبعاد كثير من الفروض العلمية. بيد أن ذلك لا يغير الواقعة التى تذهب إلى أنه لا يوجد شخص حكيم يشك، على العموم، فى أن العلم زاد ويزيد، المعرفة البشرية. وبناء على هذا الفرض، ينشأ، بالتالى، تساؤل هو: كيف يمكن تبرير الاستدلال العلمى من الناحية النظرية؟

قد يقول بعض الفلاسفة، ومن المحتمل أن يميل الإنسان الساذج إلى أن يتفق معهم، إن الاستدلال العلمى لا يحتاج إلى تبرير سوى تبرير برجماتى؛ أعنى نجاحه. إذ يستطيع العلماء أن يقوموا بتنبؤات ناجحة. إن العلم يعمل Work. والفيلسوف الذى يبحث عن تبرير أبعد يبحث عما لا يمكن أن يكون مطلوباً، ولا يكون، على أية حال، مطلوباً.

يرادف هذا الموقف، من وجهة نظر رسل، إعاقاة البحث منذ البداية. فهو، بغير شك يعنى تماماً مثل أى شخص آخر، بوجه عام، أن العلم يفى بوعده غير أنه، يعنى أيضاً الواقعة التى تقول إن مقدمات تجريبية خالصة تؤدي إلى نتيجة مؤداها أن النجاح الفعلى للاستدلال العلمى هو ببساطة عرضى وعن طريق الصدفة. ومع ذلك لا يعتقد شخص، بالفعل، أن الأمر كذلك. ولذلك، يجب علينا أن نبحث عن تبرير ما لاستدلال علمى غير نجاحه الفعلى. إن محاولة إعاقاة البحث منذ البداية أمر لا يليق بالفيلسوف الحقيقى. وإذا أدى بنا البحث إلى نتيجة هى أن المذهب التجريبى الخالص هو نظرية ناقصة للمعرفة، فإنه يجب علينا أن نقبل الحقيقة ولا نغلق أعيننا عنها.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يجد رسل خمسة مبادئ أو مقدمات للاستدلال العلمى. غير أنه يشدد، بوجه خاص، على المبدأ الخامس. إنه يرى، بالفعل، أن المبادئ التى يصرح بها كافية؛ غير أنه يقر بإمكان تقليل العدد. وفضلاً عن ذلك، فإنه لا يصر على صياغته الفعلية للمبادئ^(١). إذ إن دقة أعظم قد تكون ممكنة تماماً. ومع ذلك، يجب أن نلاحظ أن كل المبادئ لا تقرر سوى احتمالات، ولا تقرر صنوفاً من التاكيد، وأنها تُتصور بوصفها تضى احتمالاً متناهياً سابقاً على أنواع معينة من الاستدلال الاستقرائى.

يقرر المبدأ الأول، الذى يصفه رسل بأنه مسلمة شبه دائمة *quasi-permanence*، أنه: إذا أُعطينا الحدث (أ)، فإنه يحدث غالباً أن حدثاً مشابهاً جداً لـ (أ) يحدث فى مكان قريب وزمان قريب. وهذه المسلمة تمكنا من أن نعمل - مثلاً - بتصورات الحس المشترك للشخص أو الشيء. نون أن ندخل المفهوم الميتافيزيقى للجوهر. لأنه يمكن النظر إلى الحدث «المشابه تماماً» على أنه جزء من تاريخ سلسلة الأحداث التى تكون الشخص أو الشيء.

أما المبدأ الثانى، أو مسلمة الخطوط العلوية القابلة للفصل *Separable Causal Lines*، فيقرر أنه: من الممكن فى الغالب أن تكون سلسلة من الأحداث بحيث يمكن أن نستدل من عضو واحد أو عضوين فى السلسلة على شيء عن الأعضاء الأخرى. وهذا المبدأ، أو المسلمة، ضرورى، بصورة واضحة، للاستدلال العلمى. لأنه على أساس فكرة الخطوط العلوية فقط، نستطيع أن نستدل على أحداث بعيدة من أحداث قريبة.

وينكر المبدأ الثالث، أو مسلمة الاتصال المكاني - الزمان *spatio-temporal continuity*، الذى يفترض المبدأ الثانى ويشير إلى خطوط علوية، الفعل من بعد، ويقرر أنه عندما يوجد ارتباط على بين أحداث غير متصلة، فإنه ستُكتشف حلقات متوسطة فى السلسلة.

(١) من أجل معرفة صياغة رسل للمبادئ الخمسة، يجب على القارئ أن يرجع إلى كتابه «المعرفة البشرية» ص ٥٠٦ وما بعدها (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يمكن استنباطها من هذه الحقائق. ولا يمكن، في الوقت نفسه، البرهنة عليها، ولا أن تصبح محتملة عن طريق حجج تجريبية. لأنها مبادئ خالصة، تقوم عليها صحة هذه الحجج. وإذا حاولنا أن نبررها عن طريق اللجوء إلى استدلال علمي، فإننا ندور في حلقة مفرغة. ولذلك، يجب وصف المبادئ، بالضرورة، بأنها «مسلمات» للاستدلال العلمي.

ولما كانت هذه المسلمات لا يمكن البرهنة عليها، ولا أن تصبح محتملة عن طريق حجة تجريبية، فإن رسل يسلم، بوضوح، بإخفاق المذهب التجريبي؛ بمعنى أنه لا يكفي من حيث إنه نظرية للمعرفة، ولا يستطيع أن يبرر القروض التي تعتمد عليها كل المعرفة التجريبية التي يُستدل عليها لصلاحيتها. ولذلك قيل، أحياناً، إن رسل يقترب من موقف كانط. غير أن التشابه محصور في معرفة عامة مشتركة بحدود المذهب التجريبي الخالص. إن رسل بعيد جداً عن تطوير نظرية عما هو قبلي على خطوط نقد كانط الأول. فهو يسير بدلاً من ذلك، إلى تقديم تفسير بيولوجي - سيكولوجي لأصول مسلمات الاستدلال غير البرهاني. فإذا كان لدى حيوان، مثلاً، عادة من نوع ما حتى إنه في وجود مثال من أمثلة (أ) يسلك بطريقة يسلك بها، قبل اكتساب العادة، في وجود مثال من أمثلة (ب)، فإنه يمكن أن يقال إنه «يستدل» و«يعتقد» أن كل مثال من أمثلة (أ) يتبعه، عادة، مثال من أمثلة (ب). وهذه بالتأكيد، طريقة تشبيهية من الكلام. إذ إن الحيوان لا يكون استدلالاً بصورة واعية. ومع ذلك، يوجد شيء مثل الاستدلال الحيواني وهو خاصية لعملية التكيف مع البيئة، وثمة اتصال بينه وبين الاستدلال في الإنسان. أعني أن «معرفةتنا» بمبادئ، أو مسلمات الاستدلال غير البرهاني لا توجد في البداية إلا في صورة ميل إلى استدلال من النوع الذي تبرره^(١). إن الإنسان، خلافاً للحيوان يستطيع أن يتأمل أمثلة هذه الاستدلالات، يستطيع أن يجعل المسلمات واضحة جلية، ويستطيع أن يستخدم أساليب منطقية لتطوير أسسها. بيد أنه يمكن توضيح

Human Knowledge, p. 526. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

محتملة^(١). ونسق العلم كله، أو المعرفة الاحتمالية، التي تقوم على مسلمات، هو، في الوقت نفسه، مؤيد ذاتي، أي مبرر ذاتي بالمعنى البرجماتي. ولذلك يستطيع رسل أن يقول إنه بينما لا يقبل نظرية التماسك المثالي عن الصدق، فإن هناك، بمعنى مهم، نظرية تماسك صحيحة عن الاحتمال^(٢).

وفي هذه الحالة، قد نميل إلى أن نسأل: لماذا لم يقبل رسل منذ البداية موقف أولئك الذين يزعمون أن الاستدلال العلمي يُبرر عن طريق نتائجه بصورة كافية، أي عن طريق الواقعة التي تؤدي إلى تنبؤات يمكن التحقق منها. بيد أن رسل ربما يرد بأن اقتناع المرء بهذا الموقف منذ البداية يرادف إخفاء مشكلة حقيقية، أي أنه يرادف إغفال المرء لها. إن النظر في المشكلة وتأملها يؤدي إلى معرفة مسلمات الاستدلال العلمي التي لا يمكن البرهنة عليها، ويؤدي بالتالي إلى معرفة حدود المذهب التجريبي الخالص وعدم كفايته من حيث إنه نظرية للمعرفة. ومعرفة هذه الوقائع مكسب عقلي حقيقي، ولا يمكن الحصول عليها إذا مُنعت المحاولة لاكتشاف تبرير نظري لاستدلال غير البرهاني منذ البداية.

وقد يكون هناك تعليق، بالتأكيد، وهو أنه على الرغم من أن هذا الموقف معقول إلى حد كبير عندما يُنظر إليه داخل إطار تحليل رسل التجريبي العام للعالم، فإن الواقعة تظل قائمة وهي أنه بينما يعرف بوضوح حدود المذهب التجريبي الخالص من حيث إنه نظرية للمعرفة، فإنه لم يتجاوزه، بالفعل. ويمكن أن يُنظر إلى تفسيره البيولوجي لأصل الميل إلى تكوين استدلالات بناء على مسلمات ضمنية معينة على أنه استمرار وتطوير نظرية هيوم عن الاعتقادات الطبيعية. لكن تجاوز المذهب التجريبي، بمعنى استبداله بنظرية غير تجريبية بصورة حقيقية عن المعرفة، يتطلب، بوضوح، مراجعة جذرية لآرائه بصورة أكبر مما كان رسل على استعداد لأن يتكفله أو يعرفه من حيث إنه مُبرر.

Human Knowledge p. 526. (١)

CF. My philosophical Development, p. 204. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لو كانت مستقلة بذاتها، أى كما لو كانت كياناً مكتفياً بذاته، يمكن دراستها بصورة ملائمة عن طريق الفيلسوف دون رجوع إلى علاقتها بواقع غير لغوى^(١).

لقد أشرنا من قبل إلى فكرة رسل عن الترتيب الهرمى (أو التصاعدي) للغات، وهى فكرة ترتبط بنظرية الأنماط. إنه يفترض فى كتابه «بحث فى المعنى والصدق» هذه الفكرة ويذهب إلى أنه على الرغم من أن الترتيب الهرمى يمتد إلى أعلى بصورة لا محدودة، فإنه لا يمكن أن يمتد إلى أسفل بصورة لا محدودة. وبمعنى آخر، لا بد أن يكون هناك نمط - لغة أساسى أو أدنى. وينتقل رسل إلى مناقشة صورة ممكنة من هذه اللغة، على الرغم من أنه لا يدعى أنها الصورة الوحيدة الممكنة.

واللغة الأساسية، أو الأولية، التى يفترضها رسل هى لغة - الموضوع، أعنى أنها تتكون من كلمات - الموضوع. ويمكن تعريف كلمة من هذا النوع بطريقتين. فهى من الناحية المنطقية كلمة لها معنى منعزل. ولذلك، فإن طائفة كلمات - الموضوع لا تتضمن ألفاظاً مثل «أو». وكلمة - الموضوع هى، من الناحية السيكلوجية، كلمة يمكن تعلم استخدامها بدون أن تكون ضرورية لأن تتعلم من قبل استخدامات، أو معانى، كلمات أخرى. أعنى أنها كلمة يمكن تعلم معناها عن طريق تعريف ظاهر Ostensive، كما هى الحال عندما يقول شخص لطفل كلمة «خنزير»، بينما يشير إلى مثال من هذا النوع لحيوان.

ومع ذلك، لا ينبج عن هذا أن اللغة - الشينية من هذا النوع تنحصر فى الأسماء، لأنها تسلم بأفعال مثل «يجرى» و«يضرب»، وبصفات مثل «أحمر» و«صلب».

(١) إشارة رسل الشهيرة إلى نوع من التحليل اللغوى، الذى «هو، فى أحسن الأحوال، مساعدة طفيفة لواضعى المعاجم، وفى أسوأ الأحوال، نسبية شاي طاولة لا فائدة منه» (My Philosophical Development, p. 217). تبعث، بوضوح، على الشك، وتكون مفالة إذا نُظر إليها على أنها وصف «لفلسفة أكسفورد» كلها، غير أنها توضح، فى الوقت نفسه، بواسطة طريقة التناقض، اتجاه اهتمامه الخاص: أعنى باللغة بوصفها أداة فى فهم العالم (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«بحث في المعنى والصدق» أن العبارات الخبرية أو الإخبارية «هي التي تكون وحدها صادقة أو كاذبة»^(١)، على الرغم من أنه يخبرنا فيما بعد بأن «الصدق والكذب، من حيث إنهما عامان، محمولان للعبارات، سواء في العبارات الإشارية أو في العبارات الذاتية أو الشرطية»^(٢).

إننا ننسب، من ثم، «المعنى» إلى الكلمات الشبئية وإلى جمل، غير أن رسل يعيل، بدون اتساق منتظم، إلى أن يحصر لفظ «المعنى» في الكلمات الشبئية، ويتحدث عن الجمل من حيث إن لها «دلالة». ونستطيع أن نقول إنه «على الرغم من أن المعاني لا بد أن تُستمد من التجربة، فإن الدلالة لا تُستمد من التجربة»^(٣). أعني: أننا نستطيع أن نفهم دلالة جملة تشير إلى شيء لم نخبره مطلقاً، شريطة أننا نعرف معاني الكلمات، وأن الجملة تراعى قواعد التركيب.

يدل المعنى، عندما يُنسب إلى الكلمات الشبئية، على إشارة. ويُقال إنه أساسي، لأنه عن طريق معاني الكلمات الشبئية، التي نتعلمها عن طريق التجربة، «ترتبط اللغة بأحداث غير لغوية على نحو يجعلها قادرة على أن تعبر عن صدق تجريبي أو كذب»^(٤). لكن في حين أننا قد نتوقع تعريفاً منطقياً خالصاً بهذا المعنى، فإن رسل يدخل اعتبارات سيكولوجية تقوم على ما يعتقد أنه الطريقة التي يكتسب بها الطفل، مثلاً، عادة استخدام كلمات معينة بطريقة صحيحة. وهكذا نُخبر أنه يفترض أن الكلمة تعني موضوعاً، «إذا سبب الوجود المحسوس للموضوع منطوق الكلمة، وكان لسماع الكلمة آثار تماثل، في نواح معينة، الوجود المحسوس للموضوع»^(٥).

Inquiry, p. 30. (١)

Human Knowledge, p. 127. (٢)

Inquiry, p. 193. (٣)

Ibid, p. 29. (٤)

Human Knowledge, p. 85. (٥)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إن إصرار رسل على دراسة اللغة في سياق الحياة البشرية مسئول إلى حد كبير، بدون شك، عن إدخاله عدد من اعتبارات سيكولوجية ربما تكون غامضة إلى حد ما. بيد أنه يمكن تبسيط القضية الأساسية على هذا النحو. إن دلالة جملة ما هي تلك التي تكون مشتركة بالنسبة لجملة في لغة ما وترجمتها إلى لغة أخرى. فعلى سبيل المثال الجملة: «أنا جائع» I'm Hungry في الإنجليزية، والجملة «أنا جائع» J'ai Faim في الفرنسية تمتلكان عنصراً مشتركاً يكوّن دلالة الجملة. وهذا العنصر المشترك هو «القضية». ولذلك، لا يمكن أن نسأل إذا كانت القضية ذات دلالة. لأنها هي الدلالة. لكن في حالة الجمل الخبرية أو الإخبارية، نستطيع، بصورة ملائمة، أن نسأل ما إذا كانت الجملة صادقة أو كاذبة. وهكذا، فإن الدلالة تستقل عن الصدق.

لقد لاحظنا، من ثم، إصرار رسل على أننا نستطيع، إذا سلّمنا بشروط معينة، أن نفهم دلالة تقرير يشير إلى شيء لم نخبره شخصياً. ويمكن أن نضيف، بالتالي، أنه لا يرغب في أن يربط دلالة التقارير، أو العبارات حتى بما يمكن أن نخبره. ويؤدي به هذا، بصورة طبيعية، إلى أن يقبل موقفاً نقدياً تجاه المعيار الوضعي المنطقي للمعنى. فهو ينظر، بالفعل، في بعض النواحي، إلى الوضعية المنطقية بعين أريحية، ربما بسبب تفسيرها للمنطق والرياضيات البحتة، واهتمامها الجاد بالعلم التجريبي. لكن على الرغم من أنه يتفق مع الوضعيين في رفض فكرة «المعرفة التي لا نستطيع أن نصفها»^(١)، فإنه يرفض بصورة متسقة، أن يقبل معيار المعنى، الذي بناء عليه يتوحد معنى القضية الفعلية بحالة تحققها.

يبرهن رسل، بوجه عام، على أن المعيار الوضعي للمعنى يتضمن شيئين، الأول: أن ما لا يمكن التحقق منه، أو تكذيبه ليس له معنى. والثاني: القضيتان اللتان نتحقق منهما عن طريق نفس الأحداث يكون لهما نفس المعنى أو الدلالة. «أنا أرفض

(١) لا تتوحد «المعرفة التي لا يمكن وصفها» بمعرفة ما يجاوز تجربتنا (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ولاعتقادات. غير أنه لا ينتج عن ذلك، بالتأكيد، أن كل طرق الحديث هذه تكون متطابقة بصورة متبادلة. فدلالة جملة هي قضية، لكن القضايا، كما يرى رسل، تعبر عن حالات الاعتقاد. ولذلك يمكن أن نقول «إن الاعتقادات صادقة أو كاذبة في واقع الأمر، أما الجمل فإنها لا تصبح كذلك إلا عن طريق الواقعة التي تقول إنها يمكن أن تعبر عن اعتقادات^(١)». وعلى أية حال، الخطوط الرئيسية لنظرية رسل عن الصدق واضحة إلى حد كبير.

يرفض رسل، من ناحية، التفسير المثالي للصدق من حيث إنه تماسك. إذ يبرهن في مقال من مقالاته الأولى على أنه إذا لم يكن كل حكم جزئياً صادقاً، عندما يُعزل عن نسق الصدق كله، إلا من بعض الوجوه، وإذا كان ما يُسمى، في العادة، بالأحكام الكاذبة صادقة من بعض الوجوه، وكان لها مكانها في النسق الكامل للصدق، فإنه ينجم عن ذلك أن العبارة التي تقول «الأسقف ستبز أعدم شنقاً بسبب جريمة قتل»^(٢) ليست كاذبة تماماً، وإنما تكون جزءاً من الصدق كله^(٣). غير أن ذلك لا يُصدق. ويوجه عام، تطمس نظرية التماسك، ببساطة، التمييز بين الصدق والكذب.

ويرفض رسل، من ناحية ثانية، النظرية البرجماتية عن الصدق. فعندما حلل عبارة «الصدق هو أي شيء يدفع إلى الاعتقاد»، اتهم بسوء تفسير كبير. ومع ذلك، يرد رسل بأن تفسير جيمس للمعنى الحقيقي للعبارة أسخف مما يقصد هو أن تعنيه. إن رسل يدين، بالفعل، بعدد من الأفكار المهمة لجيمس؛ لكنه لا يتعاطف مع تفسير الفيلسوف الأمريكي للصدق.

(١) Human Knowledge, p. 129.

(٢) وليم ستبز W. Stubbs (١٨٢٥ - ١٩٠١) مؤرخ إنجليزي وكاهن عالي المنزلة، كان قسيساً في إحدى مقاطعات اسكس (١٨٥٠ - ١٨٦٦) نشر كتابه الرئيسي «التاريخ الدستوري لإنجلترا ابتداء من عام ١٨١٥، وشريعة القديس بولس عام ١٨٧٩، وأصفق شستر عام ١٨٨٤ وإكسفورد عام ١٨٨٩» (المراجع)

(٣) CF. Philosophical Essays, p. 156.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

تحقق الاعتقاد الذي يقول إن هناك وقائع لا أستطيع أن أتخيلها. وذلك يكفي لأن يجعل العبارة معقولة، ويمكن أن تكون صادقة أو كاذبة. وعما إذا كانت صادقة أو كاذبة، فإن ذلك يعتمد، مع ذلك، على علاقة مستقلة عن معرفتي بها. ويلغة عامة، إما أن تناظر العبارة، أو لا تناظر الوقائع. ولا تتأثر العلاقة التي تبلغها بالفعل بمعرفتي بها أو عدم معرفتي بها.

لا تنطبق نظرية الصدق من حيث إنها تناظر مع الواقع، بالتاكيد، على القضايا التحليلية للمنطق والرياضيات البحتة. لأن حالة صدقها «تنتج من الجملة»^(١). لكن يمكن أن يقال في تطبيقها على عبارات تجريبية أو تقارير أن النظرية تمثل موقف الحس المشترك، إذ إن الإنسان العادي يبرهن، بالتاكيد، على أن عبارة فعلية تجريبية تكون صادقة أو كاذبة عن طريق علاقتها بواقعة أو بوقائع^(٢). لا تنشأ الصعوبة إلا عندما نحاول أن نقدم تفسيراً دقيقاً وكافياً لفكرة التناظر في هذا السياق. فما الذي تعنيه بصورة دقيقة؟ لقد كان رسل على وعى بهذه الصعوبة. غير أنه يخبرنا بأن «كل اعتقاد لا يكون سوى دافع لفعل يكون في شكل صورة، ترتبط بالشعور، أو بانعدام الشعور؛ في حالة الشعور تكون «صادقة»، إذا كانت هناك واقعة تمتلك بالنسبة للصورة نوع التشابه الذي يمتلكه نموذج يتصوّر ما Image ؛ أما في حالة انعدام الشعور لا فإنها تكون «صادقة» إذا لم توجد هذه الواقعة. ويوصف الاعتقاد الذي لا يكون صادقاً بأنه «كاذب»، وهو تعريف «الصدق» و«الكذب»^(٣).

(١) Ibid, p. 128.

(٢) ليس من الضروري أن تكون الوقائع خارج اللغة. لأننا نستطيع، بالتاكيد، أن نكون عبارات عن الكلمات، التي تكون صادقة أو كاذبة عن طريق علاقتها بوقائع لغوية. ويتضح أن ذلك لا ينطبق، مثلاً، على تعريفات شرطية. غير أن عادة رسل الخاصة بأن يجعل الصدق والكذب محمولين للاعتقادات تستبعد هذه التعريفات، لأنه لا يمكن وصف تصريح محض يقول إن المرء يقصد أن يستخدم كلمة معينة بمعنى بأنه اعتقاد (المؤلف).

(٣) Human Knowledge, p. 170.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

اللغة والأشياء. وفي تاريخ متأخر، في كتابه «بحث في المعنى والصدق» ربط نفسه بوضوح بأولئك الفلاسفة الذين «يستدلون على خصائص العالم من خصائص اللغة»^(١)، ويؤكد اعتقاده قائلاً: «إننا نستطيع، من بعض الوجوه، أن نصل إلى معرفة معقولة عن بناء العالم عن طريق دراسة التركيب اللغوي»^(٢). ويقتبس، فضلاً عن ذلك، في كتابه «تطورى الفلسفى» الفقرة التى يوجد بها هذا التأكيد الأخير مع تأكيد «أنه لا يوجد عندى شىء أضيفه إلى ما قلته هناك»^(٣).

من الواضح أن رسل لا يعنى ، أننا نستطيع أن نستدل، بدون ضجة، على خصائص العالم من صياغات نحوية كما توجد فى اللغة العادية. وإذا استطعنا أن نفعل ذلك، فإننا نستطيع أن نستدل على الميتافيزيقا العرضية - الجوهرية من صورة الموضوع - المحمول لجملة، فى حين أننا نرى رسل يستبعد تصور الجوهر عن طريق تحليل ردى^(٤). ولا يعنى رسل أننا لا نستطيع أن نستدل من الواقعة التى تقول إنه يمكن استبعاد لفظ بمعنى أنه يمكن ترجمة الجمل التى يوجد فيها هذا اللفظ إلى جمل ذات قيمة صدق مكافئة لا يوجد فيها اللفظ، نقول لا نستطيع أن نستدل على أنه لا يوجد كيان يناظر اللفظ الذى نتحدث عنه. إن الواقعة التى تذهب إلى أنه يمكن استبعاد لفظ «جبل من ذهب» كما لاحظنا من قبل، لا تبرهن على أنه لا يوجد جبل من ذهب. فهى قد تبين أننا لا نحتاج إلى أن نسلّم بهذا الجبل. لكن أسس تفكيرنا التى تقول إنه لا يوجد بالفعل جبل كهذا هى أسس تجريبية، وليست لغوية. وعلى نحو مماثل، إذا تم استبعاد «التشابه» فإن ذلك لا يبرهن بذاته على أنه لا يوجد كيان يناظر

(١) P. 341.

(٢) P. 347.

(٣) P. 173.

(٤) يرى رسل أنه إذا فكر أرسطو وكتب بلغة صينية بدلاً من اللغة اليونانية، فإنه كان سيقدم فلسفة مختلفة إلى حد ما (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ومع ذلك، إذا كان الزعم الذى يقول إننا نستطيع أن نستدل على خصائص العالم من خصائص اللغة يعنى، ببساطة، أنه إذا وجدنا أنه من الضروري أن نتحدث عن الأشياء بطرق معينة، فإن هناك، على الأقل، افتراضاً يذهب إلى أن هناك سبباً قوياً يوجد فى الأشياء نفسها لهذه الضرورة، أى أن الزعم يبدو معقولاً. لقد تطورت اللغة خلال القرون استجابة لتجربة الإنسان وحاجاته. وإذا وجدنا، مثلاً، أننا لا نستطيع أن نسردون أن تكون لدينا القدرة على أن نقول عن شيئين أو أكثر إنهما متشابهان - أو متماثلان، فمن المحتمل أن تكون بعض الأشياء من نوع ما، بالفعل، حتى إنه يمكن أن توصف بصورة ملائمة بأنها متشابهة أو متماثلة، وأن العالم لا يتكون، ببساطة، من جزئيات مختلفة تماماً وغير مترابطة. لكن، على المدى البعيد، يكون السؤال عما إذا كانت توجد، بالفعل، أشياء يمكن وصفها، بصورة ملائمة، على هذا النحو، سؤالاً يجب تقريره تجريبياً.

وربما يعترض على أننا لا نستطيع أن نتحدث عن «الأشياء»، على الإطلاق، دون أن نشير ضمناً إلى التشابه. لأنه إذا كانت هناك أشياء، فإنها تكون متشابهة، بالضرورة، فى كونها أشياء أو موجودات. وهذا صحيح بدون شك. ويمكننا أن نستدل من اللغة على أن التشابه خاصية للعالم. بيد أن ذلك لا يغير الواقعة التى تذهب إلى أننا نستطيع، عن طريق التجربة، وليس من اللغة، أن نعرف أن هناك أشياء. إن التأمل فى اللغة يستطيع، بدون شك، أن يخدم فى زيادة وعينا بواقع خارج اللغة، ويجعلنا نلاحظ، ربما، ما لم نلاحظه من قبل. بيد أنه يبدو أن تلك اللغة التى يمكن أن تخدم بوصفها مقدمة بعيدة لاستدلال خصائص العالم، موضع شك وخلاف.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عندما دبر الشيوعيون تولى - السلطات فى عدد من البلاد، نقد بشدة بعض الجوانب غير المرضية بصورة كبيرة من السياسة الشيوعية والسلوك الشيوعى. وبمعنى آخر، انسجمت أقواله هذه المرة مع الموقف الرسمى لبلده. وفى عام ١٩٤٩ نال درجة الاستحقاق من الملك جورج السادس^(١). وفى سنوات أكثر حداثة، لم يشارك فى إدخال نسق من حكومة عالمية فحسب، وإنما تكفل، أيضاً بحركة نزع السلاح النووى. ولقد مارس، بالفعل، تعهده إلى حد أنه لعب دوراً شخصياً فى حركة العصيان المدنى. ولأنه رفض أن يدفع الغرامة المفروضة، فإن هذا النشاط أدخله فى السجن لمدة أسبوع أو أكثر^(٢). وهكذا استمر رسل، حتى فى سن متقدمة، فى القتال من أجل خير البشرية، كما يراها. واتهامه بأنه «فيلسوف يعيش فى برج عاج» ليس اتهاماً صحيحاً بصورة واضحة.

وعلى أية حال، سنهتم فى هذا الفصل بالجوانب النظرية بصورة كبيرة من فكر رسل الأخلاقى والسياسى. لقد كان شهيراً، بالتأكيد، بالنسبة للعامة بكتابه عن قضايا ملموسة وعينية. لكن لا يليق فى تاريخ الفلسفة أن تناقش آراء رسل عن الجنس^(٣)، أو نزع السلاح النووى، خاصة أنه لم ينظر إلى مناقشة هذه القضايا الملموسة على أنها تخص الفلسفة بمعنى دقيق.

٢- أخذ الفصل الأول فى كتاب رسل «مقالات فلسفية» (١٩١٠) عنوان «مبادئ الأخلاق»، ويمثل خلطاً لمقال عن الحتمية والأخلاق ظهر فى «مجلة هيبيرت»

(١) لا أقصد أن أشير، بالطبع، إلى أن هذا الشرف العظيم لم يكن تقديراً لشهرة رسل كفيلسوف (المترجم).

(٢) قضيت الفترة القصيرة فى سجن دار العجزة، وليس فى الحالات العادية لسجن الحياة (المؤلف).

(٣) قد تلاحظ عرضاً، أن تعيين رسل فى كلية مدينة نيويورك ألغى بسبب آرائه عن الزواج والسلوك الجنسى. صحيح، أنه شغل كرسيّاً فى مؤسسة باريس، وفيلاديلفيا، غير أن هذا التمييز لم يستمر إلا حتى عام ١٩٤٣، وقد أدى حادث نيويورك إلى معالجة جيدة لجدال لاذع، لا يشعر كاتب هذه السطور بأنه مطلوب منه أن يعلق عليه (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وعلى الرغم من أن الخير خاصية موضوعية لأشياء معينة، فإنه لا يمكن تعريفهما. ولذلك لا يمكن أن يتوحدا، مثلاً، مع ما هو لاذ. إن ما يعطى لذة قد يكون خيراً، بيد أنه إذا كان كذلك، فإن ذلك يرجع إلى أنه يمتلك، فضلاً عن اللذة، خاصية الخير التي لا يمكن تعريفها. إن الخير لا يعنى «ما هو لاذ» أكثر مما يعنى «ما هو موجود».

وإذا افترضنا، بالتالى، أن الخير خاصية ذاتية، ولا يمكن تعريفها، لأشياء معينة، فإنه لا يمكن إدراكه إلا بصورة مباشرة ولا يكون الحكم الذى يُعبر عنه بهذا الإدراك قابلاً للبرهان. ومن ثم يثار التساؤل عما إذا كانت الاختلافات بين هذه الأحكام لا تُضعف، أو حتى تُقوض، الأطرحة التى تقول إنه يمكن أن تكون هناك معرفة بما هو خير. ولا ينكر رسل، بوضوح، أن هناك أحكاماً مختلفة عن ما هى الأشياء التى تكون خيرة وشريرة. وفى نفس الوقت ليست هذه الاختلافات، من وجهة نظره، كبيرة وليست منتشرة بصورة تجبرنا على أن نتخلى عن فكرة المعرفة الأخلاقية. فالاختلافات الحقيقية بين أحكام الأشخاص المختلفين من جهة الخير والشر الذاتيين هى، فى حقيقة الأمر، كما اعتقد، نادرة جداً بالفعل^(١). وحيثما توجد، فإن العلاج الوحيد هو ضرورة النظر إليها بإمعان.

إن الاختلافات الحقيقية فى الآراء لا تنشأ، من وجهة نظر رسل، كثيراً بالنسبة للخير والشر الذاتيين، كما هى الحال بالنسبة لصواب الأفعال وخطئها. لأن الفعل يكون صواباً من الناحية الموضوعية «عندما يكون، من بين كل الأفعال الممكنة، الفعل الذى له أفضل النتائج»^(٢). ويتضح أن الناس قد يصلون إلى نتائج مختلفة عن الوسائل، حتى عندما يتفقون فى الغايات. وفى هذه الظروف يفعل الكائن الأخلاقى وفقاً للحكم الذى يصل إليه بعد قدر التأمل الذى يكون مناسباً فى حالة معينة.

Ibid, p. 53. (١)

Ibid, p. 30. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الأول، غير واعية. ويصر رسل في كتابه «تحليل الذهن»، تحت تأثير النظرية التحليلية السيكولوجية، على أن «كل رغبة بدائية غير واعية»^(١).

إن تعبير الدافع الطبيعي هو في ذاته شيء جيد: لأن الناس يمتلكون «مبدأً محورياً للنمو، أي إلحاحاً غريزياً يقودهم في اتجاه معين، مثلما تبحث الأشجار عن الضوء»^(٢). بيد أن هذا الاستحسان للدافع الطبيعي، الذي يذكرنا «بروسو»، يحتاج إلى تعديل. فإذا اتبعنا الدافع الطبيعي وحده، فإننا نظل أسرى له، ولا نستطيع أن نتحكم في بيئتنا بطريقة بناءة. والعقل، أي التفكير الموضوعي غير الشخصي، هو الذي يمارس وظيفة نقدية بالنسبة للدافع والغريزة، ويمكننا من أن نقرر ما هي الدوافع التي يجب قمعها وإخمادها أو تحويلها إلى اتجاه آخر؛ لأنها تعارض دوافع أخرى، أو لأنه يتعذر على البيئة أن تشبعها، أو لا ترغب في إشباعها. كما أن العقل هو الذي يمكننا من أن نتحكم في بيئتنا إلى حد معين بطريقة بناءة. ولذلك عندما يصر رسل على مبادئ «الحيوية»، فإنه لا يعطى استحساناً شاملاً للدافع.

رأينا أن رسل يرجع الأنشطة البشرية إلى مصدرين هما الدافع والرغبة، ويرجعها فيما بعد إلى «الغريزة»، والعقل، والروح^(٣). فالغريزة هي مصدر الحيوية، بينما العقل يمارس وظيفة نقدية بالنسبة للغريزة. والروح هي مبدأ المشاعر غير الشخصية، وتمكننا من أن نجاوز البحث عن إشباع شخصي خالص عن طريق الشعور بنفس الاهتمام بفرح الأشخاص الآخرين ومتاعبهم كما توجد فينا نحن، وعن طريق تحقيق سعادة الجنس البشري كله، وعن طريق تحقيق غايات تفوق ما هو بشري بمعنى ما، مثل الصدق، أو الجمال، أو الله، في حالة الأشخاص المتدينين.

p. 76. (١)

Principles of Social Reconstruction; p. 24. (٢)

Ibid, p. 205. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«رياح المذهب» (١٩٢٦). ومن ثم يؤكد أن الخير والشر «مستمدان من الرغبة»^(١). واللغة هي، بالتأكيد، ظاهرة اجتماعية، ونحن نتعلم، إذا تحدثنا بوجه عام، تطبيق كلمة «خير» على الأشياء التي نرغبها مجموعة اجتماعية ننتهي إليها. غير أننا نسمى، أساساً، شيئاً «خيراً» عندما نرغبه، ونسمى شيئاً «شراً» عندما يكون لدينا نفور منه^(٢).

ومع ذلك، إذا لم نقل شيئاً أكثر من هذا، فإنه يجب أن نقدم تفسيراً مبسطاً للغاية لموقف رسل الأخلاق. فمن ناحية ظل العنصر النفعي في أفكاره الأخلاقية الأولى، أعنى عنصراً يشترك فيه هو ومور، ثابتاً لم يتغير. أعنى أنه استمر في أن ينظر إلى تلك الأفعال التي تنتج نتائج خيرة على أنها صواب، وإلى تلك الأفعال التي تنتج نتائج شريرة على أنها خاطئة. والمعرفة ممكنة في هذا المجال المقيد. فإذا اتفق شخصان، مثلاً، على أن غاية معينة، ولتكن (س) مرغوب فيها، وأنها خيرة بالتالي، فبأنهما يستطيعان تماماً أن يقدموا حججاً على ما هو الفعل الممكن، أو سلسلة الأفعال، التي من المحتمل بصورة كبيرة أن تبلغ هذه الغاية. ويستطيعان، من حيث المبدأ، أن يصلوا إلى نتيجة متفق عليها تمثل معرفة محتملة^(٣). لكن على الرغم من أن السياق يكون أخلاقياً، فإن المعرفة التي يتم بلوغها تختلف بصفة خاصة، بأية طريقة، عن معرفة الوسائل الملائمة لبلوغ غاية معينة في سياق غير أخلاقي. وبمعنى آخر، إنها لن تكون قضية نوع خاص من معرفة تُسمى «أخلاقية» أو «خلقية».

ومع ذلك، عندما نتجه من فحص الوسائل الملائمة لبلوغ غاية معينة إلى أحكام - القيمة عن الغايات نفسها، فإن الموقف يختلف. لقد رأينا أن رسل ذهب مرة إلى أن اختلافات الرأي عن القيم ليست كبيرة حتى إنه يكون من غير المعقول أن نؤكد أنه

An outline of Philosophy, p. 238. (١)

Ibid, p. 242. (٢)

(٣) إنها ليست معرفة يقينية أو برهانية. ولكن المعرفة العلمية ليست معرفة يقينية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

«س خير» معناه «ليت أن كل شخص يرغب س»، والقول «ص شر» معناه القول «ليت أن كل شخص يشعر بنفور من ص»^(١). وإذا قُبل هذا التحليل، يتضح أن القول «القسوة شر»، عندما يؤخذ على أنه يعنى «ليت أن كل شخص لديه نفور من القسوة» لا يمكن وصفه بأنه صادق أو كاذب أكثر من القول «ليت أن كل شخص يقدر النبذ الجيد». ولذلك، لا مشاحة في أن البرهنة على أن الحكم «القسوة شر» يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً.

يتضح أن رسل كان على وعى تام بأن هناك معنى يصح فيه القول إنه لا يهم كثيراً إذا قدر شخص ما النبذ الجيد أم لا، في حين أنه يهم كثيراً جداً ما إذا كان الناس يستحسنون القسوة أم لا. غير أنه ينظر إلى هذه الاعتبارات العملية على أنها لا تتعلق بالسؤال الفلسفى الخالص عن التحليل الصحيح لحكم القيمة. إذا قلت «القسوة شر»، فإننى لا أفعل شيئاً، بوضوح، يكمن فى قدرتى على أن أرى أن التربية، مثلاً، تسير بحيث إنها تشجع على الاعتقاد بأن القسوة شيء يبعث على الإعجاب. لكنى إذا قبلت تحليل رسل الخاص بحكم - القيمة، فإنه يجب على أن أسلم بأن تقييمى الخاص للقسوة ليس مستحسنًا من الناحية النظرية.

لقد تعرض رسل لانتقادات أحياناً، لأنه قدم تعبيراً عن اعتقاداته الأخلاقية الخاصة، على الرغم من أن ذلك لا يتسق مع تحليله لحكم - القيمة. غير أنه يستطيع، وقد استطاع، أن يقدم الرد الواضح وهو أن أحكام القيمة تعبر، فى رأيه، عن رغبات، ولأن لديه رغبات قوية، فإنه لا يوجد اتساق فى إعطائها تعبيراً عنيفاً. ويبدو أن هذا الرد صحيح تماماً إلى حد ما ذهب إليه.

(١) يقول رسل فى «ردود على النقد»: «لا أعتقد أن الحكم الأخلاقى لا يعبر إلا عن رغبة؛ وأنفق مع كانط أنه يمتلك عنصراً من الكلية (المولف)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

العادية ومضامينها، ومع ذلك يكف عن إدخال خاصية مور غير الطبيعية والتي لا يمكن تعريفها من جديد.

٥- هناك، على الأقل، جزء واحد من الأخلاق ينظر إليه رسل إلى أنه ينتمى إلى الفلسفة بمعنى دقيق، وهو تحليل حكم القيمة، أى النظرية القائلة إنه لكى يبين المرء الصورة المنطقية لهذه الأحكام، يجب عليه أن يعبر عنها بصيغة التمنى، لا بصيغة الإشارة. غير أن رسل ينظر إلى النظرية الاجتماعية والسياسية على أنها تقع، تماماً، خارج ميدان الفلسفة بالمعنى الصحيح. ولذلك، على الرغم من أنه قد يكون غريباً أن لا نقول عنها شيئاً، فإنه لا يوجد مبرر للاعتذار عن معالجتها بطريقة مختصرة جداً وبإيجاز.

يتحدث رسل فى مقال شهير كتبه عام ١٩٠٢ عن «طغيان السلطة غير البشرية»^(١)، أى عدم الاكتراث الغالب للطبيعة بالقيم والمثل البشرية، كما أنه يزدري عبادة السلطة المجردة، وعبادة القوة وعقيدة المذهب المادى. ويتصور الإنسان مديراً ظهره لسلطة غير عاقلة، ويخلق ميدانه الخاص لقيم مثالية، حتى إذا حكم على هذا الميدان فى النهاية بأنه انقراض تام. ولذلك، قد يكون مدهشاً إلى حد ما، لأول وهلة، أن تجد رسل يقول فى عام ١٩٣٨ إن هؤلاء الاقتصاديين الذين يعتقدون أن المصلحة الذاتية هى الدافع الأساسى فى الحياة الاجتماعية، وأن المفهوم الأساسى فى العلم الاجتماعى هو مفهوم السلطة^(٢) مخطئون. لكن إذا فُسرت كلمة «سلطة» بنفس المعنى الذى ازدري به رسل السلطة فى عام ١٩٠٢، فإنه يبدو أنه أعقب ذلك أنه غير أراءه تماماً فى عام ١٩٣٨، أو أنه حث الناس على أن يديروا ظهورهم لحياة اجتماعية وسياسية، أى لشيء بعيد جداً عن أن يكون مقصده.

(١) . (Mysticism and Logic, p. 49 (also philosophical Essays, p. 62).

(٢) . CF. Power: A New social Analysis (1938), p. 10. This work will referred to simply as power.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إذا عُرِفَت السلطة بأنها إنتاج الآثار المقصودة، وعُرِفَ حب السلطة بأنه الرغبة في إنتاج هذه الآثار، فإنه يترتب على ذلك، بوضوح، أن السلطة ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لبلوغ غايات غير ذاتها. ويرى رسل أن «الهدف الأقصى لأولئك الذين يمتلكون السلطة (وكلنا نمتلك بعضها) هو تطوير التعاون الاجتماعي، ليس في مجموعة واحدة من حيث إنها ضد مجموعة أخرى، وإنما في الجنس البشري كله»^(١). وتعتقد الديمقراطية بوصفها ملاذاً ضد الممارسة التعسفية للسلطة^(٢). ويتصور مثال التعاون الاجتماعي في الجنس البشري كله بأنه يؤدي إلى مفهوم حكومة عالمية تمتلك السلطة والقدرة على منع اندلاع العداء بين الأمم^(٣). ويساعد العلم في توحيد العالم بناء على خطة تكنولوجية. غير أن السياسة تأخرت عن اللحاق بالعلم؛ ولم نحقق نظاماً عالمياً فعلاً بعد يستطيع أن يستفيد من الفوائد التي حققها العلم، ويستطيع في الوقت نفسه أن يمنع الشرور التي جعلها العلم ممكنة.

ولا ينجم عن ذلك، بالتأكيد، أن التنظيم الاجتماعي هدف مفيد للحياة بالنسبة لرسل. إذ إنه، في واقع الأمر، وسيلة وليس غاية؛ وسيلة لتحقيق الحياة الخيرة. إن الإنسان يمتلك دوافع جشعة وضارة، ومن الوظائف الجوهرية للدولة أن تضبط التعبير عن هذه الدوافع في الأفراد والمجموعات، تماماً كما تكون وظيفة الحكومة العالمية أن تضبط تعبيرها من حيث إنها تتجلى عن طريق الدول. غير أن الإنسان يمتلك أيضاً

(١) Power, p. 383.

(٢) يمكن أن يوصف رسل بأنه «اشتراكي»، لكنه شدد على أخطار الاشتراكية عندما انفصلت عن الديمقراطية الفعالة (المؤلف).

(٣) لغت رسل انتباهاً كبيراً، في هذه السنوات، إلى الاشتراك في التخلص من السلاح النووي أكثر من الاشتراك في حكومة عالمية، وذلك بلاشك لأن توقع تحقيق حكومة عالمية فعالة عن طريق اتفاق بينو أمراً بعيداً إلى حد ما، في حين أن حرباً عالمية انتحارية يمكن أن تنشب في أي وقت (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وقادر على كل شيء، فإنه لا يزعم أنه يمكن البرهنة على عدم وجود موجود إلهي يجاوز العالم. ولذلك، وإذا استخدمنا مصطلحاً فنياً قلنا إنه لا أدري، وهو لا يعتقد، في نفس الوقت، أن هناك أي دليل حقيقي على وجود إله، وواضح، بالفعل، من الطابع العام لفلسفته أن الحجج التقليدية على وجود الله مستبعدة. وبناءً على تحليل ظاهري للعلية، لا يمكن أن يكون هناك سبب مشروع على موجود يجاوز ما هو ظاهري. وإذا «كان النظام، والوحدة، والاتصال، اختراعات بشرية تماماً مثلما تكون الفهارس ودوائر المعارف»^(١). فإننا لا نستطيع أن نحصل على حجة تقوم على النظام والغائية في العالم. ، وبالنسبة للحجج التي يذكرها العلماء المحدثون، فإنه لا يوجد شيء في التطور، مثلاً، يضمن صحة الفرض القائل بأنه يُظهرنا على غاية إلهية. وحتى إذا أدت حالة إلى الأطروحة التي تقول إن العالم له بداية في الزمان، فإنه ليس من حقنا أن نستدل على أنه مخلوق لأنه قد يبدأ بصورة تلقائية. وقد يبدو غريباً أنه بدأ كذلك؛ «غير أنه ليس هناك قانون من قوانين الطبيعة يقول إن الأشياء التي تبدو غريبة بالنسبة لنا يجب ألا تحدث»^(٢).

ومع ذلك، على الرغم من أن رسل لم يعتقد أن هناك أي دليل على وجود الله، فإنه بين أن الإيمان بالله، مأخوذاً بذاته، لا يثير عداؤه أكثر من الإيمان بالعرفان أو بالجان. إنه، ببساطة، نموذج لإيمان مريح، لكنه غير مُدعم، بكيان مفترض، لا يجعل الإنسان، بالضرورة، مواطناً أسوأ مما يكون خلافاً عليه. إن هجمات رسل موجهة أساساً ضد المجموعات الدينية المسيحية، التي تضر، بوجه عام، أكثر من أن تفعل الخير، وضد اللاهوت من حيث إنه يُلجأ إليه في تدعيم الاضطهاد والحروب الدينية، وبوصفه كفيلاً لمنع أخذ الوسائل إلى غايات معينة يعتبرها رسل مرغوباً فيها.

The scientific Outlook, p. 101. (١)

Ibid, p. 122. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يجمع كل الخيوط معاً، ويبين بالتفصيل كيف تتفق معاً، أى كيف تكون نموذجاً معقولاً. لقد كان مهتماً للغاية بالانسجام مع الموضوع الذى هو فى المتناول، وليس من الصعب جداً، فى نفس الوقت، كما أعتقد، أن نفهم كيف وصل إلى التعبير عن وجهات نظر مختلفة نسبياً عن طبيعة مجال الفلسفة، وليس من الصعب جداً أن نكتشف عناصر دائمة فى تصويره للفلسفة.

ومن حيث إن دافع الفلسفة الأساسى هو المهم، فإن الفلسفة هى عند رسل، باستمرار، سعى وراء المعرفة، أى وراء الحقيقة الموضوعية. ويعبر عن اقتناعه بأن إحدى المهام الأساسية للفلسفة هى فهم العالم وتفسيره، حتى اكتشاف الطبيعة القصوى للواقع بقدر المستطاع. إن رسل يعتقد، بالفعل، أن الفلاسفة يشرعون، من الناحية العملية، فى البرهنة على اعتقادات متصورة من قبل، ويشير إلى قول «برادلى» الشهير وهو أن الميتافيزيقا هى إيجاد أسباب سببية لما يعتقد المرء بالغريزة. كما أنه مقتنع بأن بعض الفلاسفة استخدموا، من الناحية العملية، التفكير والحجة فى البرهنة على اعتقادات مريحة تبدو لهم أنها تمتلك قيمة برجماتية. وفضلاً عن ذلك، عندما يقارن أهداف الفلسفة وطموحاتها بالنتائج الفعلية المتحققة، فإنه يتحدث، فى الغالب، كما لو كان العلم الوسيلة الوحيدة لبلوغ أى شىء يمكن أن يُسمى، بصورة ملائمة، بالمعرفة. بيد أن كل ذلك لا يغير الواقعة التى تقول إنه بالنسبة لما ينبغى أن يكون عليه موقف الفيلسوف، ودافعه، وأهدافه، فإن رسل يؤيد ما يمكن أن نصفه، بصورة معقولة، بأنه وجهة نظر تقليدية. ويتضح ذلك فى كتاباته الأولى، كما أنه يتضح فى هجومه المتأخر على الفلسفة «اللغوية»، أى على الفلسفة من حيث إنها تهتم، بصفة خاصة، بتخطيط ما يُسمى باللغة العادية، لأن الفلاسفة الذين يمثلون هذا الميل يتخلون عن المهمة الهامة لتفسير العالم^(١).

CF. My philosophical Development, p. 230. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللادرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ملائمة، مشكلة فلسفية بالفعل على الإطلاق، أو لا تكون، أيضاً، مشكلة منطقية؛ بمعنى أنها تكون مشكلة تحليل منطقي^(١). لقد أوحى مبدأ الاقتصاد، أو «نصل أوكام»^(*) بهذا التحليل، وأدى إلى الذرية المنطقية.

لقد لاحظنا، مع ذلك، كيف أن رسل تحول إلى نظرية فتجنشتين عن قضايا المنطق الصوري والرياضيات البحتة بوصفها «تحصيل حاصل»، وإذا نظرنا إلى المسألة من وجهة النظر هذه، فإنه يكون من المفهوم، تماماً، أنه شدد على الاختلاف بين المنطق والفلسفة. فالمنطق، مثلاً، كما أرى، ليس جزءاً من الفلسفة^(٢). لكن القول بأن المنطق الصوري، بوصفه نسقاً من تحصيل حاصل، يقع خارج الفلسفة، لا يتطابق، بالتأكيد، مع إصرار على الأهمية في فلسفة التحليل المنطقي؛ أى التحليل الردي الذي يميز تفكير رسل. ويقدر تراجع عمل رسل المبكر في المنطق الرياضي، أصبح أقل وأقل ميلاً إلى أن يتحدث عن المنطق من حيث إنه جوهر الفلسفة. وكلما شدد على الطابع التجريبي للفروض الفلسفية، جعل الهوة أكثر اتساعاً بين الفلسفة والمنطق بالمعنى الدقيق. ولذلك، لا مشاحة في القول بأنه ليس هناك تغيير في موقف رسل. ومع ذلك، فإنه بعد أن قال ذات مرة إن المنطق هو جوهر الفلسفة، أعلن في تاريخ متأخر أن المنطق ليس جزءاً من الفلسفة على الإطلاق. ويجب علينا، في الوقت نفسه، أن نتذكر أنه عندما صاغ العبارة الأولى من هذه العبارات التي كان يقصدها، فإن منهج الفلسفة يكون، في بعض منه على الأقل، أو ينبغي أن يكون منهج التحليل المنطقي. ولم يتخل مطلقاً، عن الإيمان بقيمة هذا المنهج.

(١) CF. Ibid, p. 42.

(*) ينسب هذا المبدأ إلى «وليم أوكام» (١٢٨٥ - ١٣٤٧) الفيلسوف اللاهوتي الإنجليزي وصيغته «لا ينبغي أن نكثر من افتراض وجود كائنات بغير مبرر» (المترجم).

(٢) Human Knowledge, p. 5.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

قال رسل: إن الجزء الأكثر أهمية من الفلسفة يكمن في نقد وتوضيح أفكار من شأنها أن يُنظر إليها على أنها قصوى ويجب أن تُقبل بطريقة غير نقدية^(١). وربما يشمل هذا البرنامج الفحص النقدي و«التبرير» للاستدلال العلمى الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق. غير أنه يشمل أيضاً نقد وتوضيح تصورات أساسية مفترضة مثل تصور الأذهان والموضوعات الفيزيائية. ويؤدى تحقيق هذه المهمة مع رسل، كما رأينا، إلى تفسير الأذهان والموضوعات الفيزيائية بأنها بناءات منطقية من أحداث. غير أننا رأينا أيضاً أن رسل لا ينظر إلى التحليل الردى فى هذا السياق على أنه، ببساطة، مسألة لغوية، أعنى على أنه، ببساطة، مسألة إيجاد لغة بديلة للغة الأذهان والموضوعات الفيزيائية. إن التحليل يُتصور، بمعنى حقيقى، بأنه يهدف إلى معرفة المكونات القصوى للكون. وتُفسر كيانات العلم الفيزيائى، والذرات، والالكترونات... إلخ، بوصفها بناءات منطقية. ولذلك لا يجاوز التحليل الفلسفى العلم؛ بمعنى أنه يحاول أن يوضح مفاهيم غامضة يفترضها العلم. ومفهوم الذرة على المستوى العلمى ليس غامضاً. أو أنه إذا كان كذلك، فليس من مهمة الفيلسوف أن يوضحه. إن الفلسفة تجاوز العلم بمعنى أنها تقدم فروضاً أنطولوجية أو ميتافيزيقية.

ولذلك ليس من المدهش أن يؤكد رسل أن إحدى وظائف الفلسفة أن تفترض فروضاً جريئة عن الكون. بيد أن تساؤلاً يثار فى الحال؛ وهو: هل يُنظر إلى هذه الفروض، بالتحديد، على أنها فروض ليس فى مقدور العلم أن يؤكدّها أو يدحضها، على الرغم من أنه يستطيع أن يفعل ذلك من حيث المبدأ؟ أو هل من حق الفيلسوف أن يفترض فروضاً لا يمكن التحقق منها، من حيث المبدأ، عن طريق العلم؟ وبمعنى آخر، هل يوجد لدى الفلسفة، أو لا يوجد لديها، مشكلات عن الكون تكون هى مشكلاتها الخاصة؟

(١) Contemporary British Philosophy, First, erus p.379 and logic end knowledge 0741.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أنه نسي أنه يصعب بناء على نظريته عن مسلمات الاستدلال العلمى التى لا يمكن البرهنة عليها أن نرى كيف يمكن التأكيد بثقة أن العلم يزود بمعرفة محددة، على الرغم من أننا نعتقد، بالتأكيد، أنه يستطيع أن يفعل ذلك.

ومع ذلك، فإن هذا الموقف الوضعى لا يمثل سوى جانب واحد من تصور رسل لمشكلات الفلسفة. لأنه تصور الفيلسوف أيضاً بأنه ينظر فى مشكلات لا يمكن، من حيث المبدأ، أن تلقى حلولاً علمية. حقاً، إنه يبدو، بوجه عام، أنه يشير إلى الفلسفة بالمعنى العادى أو بالمعنى التاريخى. غير أنه يلاحظ، بالتأكيد، أن «كل التساؤلات ذات الأهمية العظيمة للعقول النظرية المتأملة هى، فى الغالب، كذلك حتى إن العلم لا يستطيع أن يقدم لها إجابة»^(١). وفضلاً عن ذلك، من مهمة الفلسفة أن تدرس هذه التساؤلات، مثل مشكلة غاية أو غايات الحياة، حتى إن لم تستطع أن تقدم لها إجابة. ويتضح أن هذه المشكلات هى مشكلات فلسفية أساساً. وحتى إذا شك رسل فى قدرة الفلسفة على أن تقدم لها إجابة، فإنه لا ينظر إليها، بالتأكيد، على أنها تخلو من المعنى. فعلى العكس «من وظائف الفلسفة أن تظل تهتم بهذه التساؤلات»^(٢).

هناك فى الواقع شىء من الحيرة فى العبارات المتصارعة المتجاورة فى كتابات رسل، ففي الفقرة التى يقول فيها، مثلاً، إن «الفلسفة تجعلنا نعرف غايات الحياة»^(٣)، يقرر أيضاً أن «الفلسفة نفسها لا يمكن أن تحدد غايات الحياة»^(٤). كما أنه بعد أن قال، كما ذكرنا من قبل، إن الفلسفة يجب أن تواصل الاهتمام بمشكلات مثل عما إذا

Ibid, (١)

Unpopular Essays, p. 41. (٢)

An Out line of philosophy, p. 312. (٣)

Ibid, (٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

سلفاً أو مريحة، أو أن تخدم بوصفها طريق الخلاص^(١). ويجب أن تُستبعد الأحكام العينية عن القيمة، والتأملات التي تعتمد على هذه الأحكام، من الفلسفة «العلمية».

ومن جهة أخرى، لم يكن رسل على وعى تام فحسب بأن «الفلسفة» بالمعنى العام والتاريخي للفظ تشمل قدراً أكبر مما يسمح به مفهوم الفلسفة «العلمية»، وإنما كان يشعر، أيضاً، بأن هناك تساؤلات مهمة لا يستطيع أن يجيب العلم عنها، ولكن الوعي بها يوسع آفاقنا الذهنية. إنه يرفض أن يحكم على هذه التساؤلات بأنها تخرج من المعنى. وحتى إذا اعتقد أن «ما لا يستطيع أن يكتشفه العلم، لا يستطيع البشرية أن تعرفه»^(٢)، فإنه مقتنع أيضاً بأنه إذا كان لابد من إغفال هذه المشكلات «فإن الحياة البشرية تنعدم»^(٣)، أى إذا أظهرت حدود المعرفة العلمية فقط. وبمعنى آخر، يوازن تعاطف معين مع الوضعية بمعنى عام شعوراً بأن للعالم جوانب مبهمة، ورفض معرفتها هو التعبير إما عن دجماطيقية ليس لها ما يبررها، أو عن مذهب مادي ضيق الأفق.

ويمكن أن نعبر عن المسألة على هذا النحو. إن رسل نفسه يعترف بأن أحد مصادر اهتماماته الأصلية بالفلسفة بناء على زعمه الخاص الرغبة في أن يكتشف ما إذا كانت الفلسفة تستطيع أن تزودنا بأى دفاع عن نوع ما من الاعتقاد الدينى^(٤). كما أنه ينظر إلى الفلسفة على أنها تزوده بمعرفة معينة. ولقد شعر بخيبة أمل بناء على الاعتبارين. فقد وصل إلى نتيجة هي أن الفلسفة لا تستطيع أن تقدم أساساً عقلياً للاعتقاد الدينى، أو تقدم يقيناً فى أى مجال. إن هناك، بالتأكيد، الرياضيات، غير أن الرياضيات ليست فلسفة. ولذلك وصل رسل إلى نتيجة تقول إن العلم، مهما قد تكن

(١) لا تشرع الفلسفة فى ذاتها فى حل همومنا. ولا أن تنقذ أنفسنا». حكمة الغرب (١٩٥٩) ص٦ (المؤلف).

(٢) Religion and science, p. 243.

(٣) Unpopular Essays, p. 44.

(٤) Cf. My Philosophical Development, p.II.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ويصفه خاصة في ألمانيا، إلى استبعاده بوصفه «فيلسوفاً تجريبياً» قام بعمل جيد في الرياضيات في أيامه الأولى. غير أنه ناقش مشكلات فلسفية ذات فائدة وأهمية، مثل أسس الاستدلال العلمي، وطبيعة حكم القيمة. وعلى الرغم من أن بعض المدافعين عن عقيدة اللغة العادية قد وجهوا نقداً إلى التحليل الردي عند رسل، فإن هذا النقد من وجهة نظر كاتب هذه السطور ليس كافياً تماماً إذا صيغ بالفاظ لغوية. فإذا أخذ التحليل الردي، مثلاً، ليعنى من حيث المبدأ أن الجملة «روسيا غزت فنلندا»^(١) يمكن أن تُترجم إلى عدد من الجمل لا يظهر فيها لفظ «روسيا»، ولكن يُذكر فيها أفراد فقط^(٢)، فإن العلاقة بين الجملة الأصلية، والترجمة تكون على نحو هو أنه إذا كانت الجملة الأولى صادقة (أو كاذبة)، فإن الثانية تكون صادقة (أو كاذبة) والعكس صحيح؛ أي أن المضمون الأنطولوجي يكون هو أن الدولة ليست كياناً على الإطلاق يجاوز أعضائها. ويبدو النقد غير كاف تماماً إذا بين، ببساطة، أننا لا نستطيع أن نسير وننتقد في اللغة العادية دون أن نستخدم هذه الألفاظ مثل «روسيا». إن ذلك صحيح إلى حد كبير. بيد أننا نريد أن نعرف، بالتالي، ماذا عساه أن يكون المضمون الأنطولوجي لوجهة النظر هذه. هل يجب علينا أن نقول إن الدولة هي شيء يجاوز أعضائها؟ وإذا لم تكن كذلك، فكيف يمكن توضيح مفهوم الدولة؟ هل عن طريق أفراد يرتبطون بطرق معينة؟ بأية طرق؟ قد يقال إنه يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بالنظر إلى الطرق التي تُستخدم بها ألفاظ بالفعل مثل «الدولة». بيد أنه يبدو واضحاً أننا نجد أنفسنا أثناء النظر تشير إلى عوامل خارج اللغة. وعلى نحو مماثل، لا يكفي أن ننقد القول، مثلاً، إن العالم فئة من أشياء على أساس أننا لا نستطيع أن نسير دون أن نستطيع أن نشير إلى

(١) فنلندا Finland جمهورية في الجزء الشمالي من أوربا تحدها النرويج شمالاً وخليج فنلندا جنوباً استولى عليها الروس عام ١٩٠٨ (المراجع)

(٢) الأفراد الذين نظموا الغزو، أي الذين خططوا له، والذين شاركوا فيه بأية طريقة عن طريق الحرب، وعن طريق تجهيز العتاد الحربي، والعمل كاطباء... إلخ (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وربما يكون ذلك صحيحاً على الرغم من أن كاتب هذه السطور ينظر إلى التحليل الردي على أنه المنهج الفلسفي، لكنه لا يتفق مع بعض تطبيقات رسل له، ومع ذلك، فإن ذلك هو انطباع خاطئ، إنني أعتقد أن التحليل الردي له استخداماته. إنني لا أرى كيف يمكن أن يُنظر إلى الاستثناء على أنه منهج ممكن. غير أنني لا أعتقد، بالتأكيد، أنه المنهج الفلسفي الوحيد. وذلك لأننا نعي الأنا - الذات، أي الأنا الترنسندنتالية، عن طريق منهج التأمل الترنسندنتالي، وليس عن طريق التحليل الردي. صحيح إنني أفترض أن فشل التحليل الردي لاستبعاد الأنا - الذات قد يخدم في لفت الانتباه إلى الذات. غير أن الفشل لا يخدم، في حقيقة الأمر، هذا الغرض إلا إذا حث على انتقال إلى الفينومولوجيا؛ أي إلى تأمل ترنسندنتالي. ويتركنا الفشل، ببساطة، من حيث هو كذلك في حيرة، كما فعل هيوم. والسبب آخر هو أنه إذا تم التسليم بأن التحليل الردي هو المنهج الفلسفي، فإن ذلك يبدو أنه يفترض مسبقاً ميتافيزيقا، أعني «ميتافيزيقا ذرية» تعارض الميتافيزيقا «الواحدية» عند المذهب المثالي المطلق. وإذا قلنا إن اختيار المرء لمنهج يفترض مقدماً ميتافيزيقا ما، فإنه لن يكون رزماً جيداً أن هذه الميتافيزيقا تكون هي الميتافيزيقا «العلمية» الوحيدة، ما لم تكن ناجحة باطراد في تفسير التجربة، بينما لا تنتج المناهج الأخرى في ذلك.

ولنعد إلى مسألة أخرى. لقد رأينا أن رسل شرع في تحصيل اليقين. وقال إن «الفلسفة تنشأ من محاولة صلبة بصورة غير عادية للوصول إلى معرفة حقيقية»^(١). وذلك يفترض مسبقاً أن هذا الواقع، أعني الكون، معقول^(٢). غير أننا أخبرنا منذ سنوات قليلة متأخرة أن «النظام، والوحدة، والاتصال، اختراعات بشرية»^(٣). وبمعنى آخر، إن معقولية الكون يفرضها الإنسان؛ يفرضها العقل البشري. ويساعد ذلك رسل

An Outline of philosophy, p. 1. (١)

(٢) تجدر الملاحظة إلى أن البحث يفترض أيضاً حكم قيمة، عن حكم الحقيقة من حيث إنها هدف للعقل البشري (المؤلف).

The Scientific Outlook, p. 101. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وفى مجال الفلسفة العامة يكون تطويره للمذهب التجريبي بمساعدة التحليل المنطقي، بالإضافة إلى معرفته لحدود المذهب التجريبي بوصفه نظرية عن المعرفة، حقبة مهمة فى التفكير الفلسفى البريطانى. أما بالنسبة لكتابات العامة فى ميدان الأخلاق، والسياسة، والنظرية الاجتماعية، فإنها لا يمكن أن توضع، بوضوح، على مستوى واحد مع كتاب مثل «المعرفة البشرية»، الأقل كثيراً من كتابه «برنكيبيأ ماثماتيكا». وعلى الرغم من أنها تكشف، بالتأكيد، عن شخصية مهمة، شخصية إنسانية تقول، مثلاً، إن الذهن أدى به إلى نتيجة هى أنه لا يوجد شىء فى الكون أسمى من الإنسان، على الرغم من أن انفعالاته تثور بصورة عنيفة، إنه يسلم بأنه أراد باستمرار أن يجد فى الفلسفة تبريراً ما «للانفعالات غير الشخصية». وحتى إذا كان قد فشل فى أن يجده، «فإن أولئك الذين يحاولون أن يصنعوا ديانة المذهب الإنسانى، لا تعرف شيئاً أعظم من الإنسان، لا يشبعون انفعالاتي»^(١). قد يكون رسل الراعى العظيم لنزعة إنسانية لا دينية فى بريطانيا العظمى فى القرن الحالى، غير أنه كانت لديه تحفظاته، على المستوى الانفعالى على الأقل.

ولذلك يصعب أن نصنف رسل بطريقة واضحة؛ بوصفه «تجريبياً»، مثلاً، أو بوصفه «فيلسوفاً إنسانياً علمياً». لكن لماذا نريد أن نفعل ذلك؟ ومع ذلك، فإنه برتراند رسل، الفرد المتميز، وليس، ببساطة، عضواً فى فئة. وإذا أصبح فى شيخوخته مؤسسة قومية، فإن ذلك لا يرجع، ببساطة، إلى كتابته الفلسفية، وإنما يرجع أيضاً إلى شخصيته المركبة والقوية؛ الأرستقراطى، والفيلسوف، والديمقراطى، والمنظم لأسباب فى سبب واحد. من الطبيعى حقاً، أن أولئك الذين يتمسكون منا باعتقادات صارمة تختلف تماماً عن اعتقاداته، والتي هاجمها، يتحسرون على جوانب معينة من تأثيره. غير أن ذلك لا يجعل المرء يغفل الواقعة التى تقول إن رسل واحد من الرجال الإنجليز الأكثر شهرة فى هذا القرن.

The philosophy of Bertarand Rusell, edited by P.A. schiipp. p. 19. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عن طريق نظرية واضحة، عن وجهة النظر التي تقول إن المهمة الأولى للفيلسوف هي تحليل اللغة العادية.

ومع ذلك لابد أن نعود إلى فثجنشتين، من أجل تأكيد دجماطيقى واضح عن طبيعة الفلسفة ومجالها. فلقد لاحظنا أن فثجنشتين هو الذى جعل رسل يتحول إلى وجهة النظر التي تقول إن قضايا المنطق، والرياضيات البحتة هي «تحصيل حاصل». لقد فسر فثجنشتين فى مؤلفه «رسالة منطقية فلسفية»^(١) أن ما يقصده بتحصيل الحاصل هو قضية تكون صادقة بالنسبة لكل الحالات الممكنة، وتمتلك، بالتالى، تناقضاً بوصفه نقيضها، لا يكون صادقاً بالنسبة لحالات ممكنة. ولذلك لا يقدم لنا تحصيل الحاصل معلومات عن العالم، بمعنى أنه يقول إن الأشياء طريقة ما عندما يمكن أن تكون طريقة أخرى. ومع ذلك، فإن «القضية»، من حيث إنها تتميز عن تحصيل الحاصل، هي صورة أو تمثل لواقعة ممكنة أو لأمر من الأمور فى العالم. إن القضية تكون بهذا المعنى إما صادقة أو كاذبة، غير أننا لا نستطيع أن نعرف طريق فحص معناها ما إذا كانت صادقة أو كاذبة. ولكى نعرف ذلك يجب علينا أن نقارنها، من حيث هي كذلك، بالواقع، أى بالوقائع التجريبية^(٢). ولذلك يكون لدينا، من جهة، تحصيل حاصل المنطق والرياضيات البحتة التي تكون صادقة بالضرورة، لكنها لا تعطينا معلومات واقعية عن العالم، بينما هناك، من جهة أخرى، قضايا، أى عبارات تجريبية، تقول شيئاً ما عن كيف تكون الأشياء فى العالم، ولكنها لا تكون صادقة على الإطلاق بالضرورة.

(١) ظهر النص الأصلي لهذا العمل فى عام ١٩٢١ فى Ostwald's Annalen der Philosophie. ونُشر العمل لأول مرة ككتاب، مع مقابلة نصوص ألمانية وإنجليزية، عام ١٩٢٢. (وطبع من جديد مع تصحيحات جديدة عام ١٩٢٢). ونُشرت طبعة مع ترجمة جديدة، وقام بنشرها B.P. Mc Guinness, D.F. Pears عام ١٩٦٦ (المؤلف).

(٢) القضية المركبة هي، بالنسبة لفتجنشتين، دالة صدق لقضايا أولية. فالقضية س، مثلاً، دعنا نفترض، تكون صادقة إذا كانت القضية أ، ب، ج صادقة. وليس من الضروري فى هذه الحالة أن نتحقق من س بصورة مباشرة لكى نعرف ما إذا كانت صادقة أو كاذبة. لكن يجب أن يكون، من وجهة نظر ما، تحقق، تأكيد من القضية أو القضايا عن طريق وقائع تجريبية (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بصورة مباشرة كيف، وبأى معنى، يستطيع الفيلسوف أن يفعل ذلك. وعلاوة على ذلك، على الرغم من أن الوضعيين المناطقة من دائرة فينا ينسبون إلى الفلسفة وظيفة متواضعة من حيث إنها خادمة للعلم^(١)، فإنه يبدو مما يقوله فتجنشتين في موضع آخر في «الرسالة» أنه يفكر، أساساً، في نوع من العلاج اللغوي، الهدف منه بيان الغموض المنطقي وتوضيحه. فمثلاً في اللغة العادية، كما يشير رسل كثيراً ما، تُخفي الصورة النحوية لعبارة ما، الصورة المنطقية. ولذلك ينشأ لدى الفيلسوف الإغراء لأن يصوغ عبارات «ميثافيزيقية» (فالعبارات التي تقول مثلاً «جبل من ذهب» لابد أن يكون لها نوع خاص من الحالة الأتولوجية في المنتصف بين الوجود الفعلي واللاكيان) تكون نتيجة عدم الفهم لمنطق لغتنا. إن الفيلسوف الذي يرى ذلك، يستطيع أن يبين الغموض في ذهن زميله عن طريق صياغة العبارة المضللة من جديد، لكي يبين صورتها المنطقية، بناء على خطوط نظرية رسل عن الأوصاف. كما أنه إذا حاول شخص ما أن يقول شيئاً «ميثافيزيقياً» فإنه يمكن أن يُبين له أنه أخفق في أن يقدم أى معنى محدد (إشارة) للفظ أو أكثر. والمثال الذي يقدمه فتجنشتين، وهو يقتصد في الأمثلة في «الرسالة» إلى حد كبير، هو «سقراط هو هو». لأن كلمة «هو هو» ليس لها معنى عندما تُستخدم بهذه الطريقة من حيث إنها صفة. غير أن ما يجب على فتجنشتين أن يقوله، ينطبق بدون شك، وفق شروط معينة، على سؤال مثل «ما علّة العالم؟». لأننا إذا سلّمنا بأن العلّية تعنى علاقة بين ظواهر، فإنه لن يكون هناك معنى لأن نسال عن علّة كل الظواهر. وقضلاً عن ذلك، لا نستطيع بناء على مقدمات فتجنشتين، أن نتحدث عن العالم ككل^(٢).

(١) تصور الوضعيون المناطقة من دائرة فينا الفيلسوف بأنه يهتم بلغة العلم، ويأنه يحاول أن يكون لغة عامة تخدم في توحيد العلوم الجزئية، مثل الفيزياء وعلم النفس (المؤلف).

(٢) يُستبعد هذا الحديث، بوضوح، إذا كانت كل قضية صورة أو تمويراً لأمور ممكنة في العالم. ويتحدث فتجنشتين، بالفعل، عن العالم ككل. غير أنه على استعداد تام لأن يسلم بأن فعل ذلك، هو محاولة قول ما لا يمكن أن يُقال (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وعلى أية حال، حتى إذا كان أولئك، الذين يعتقدون أن المعيار الوضعي للمعنى متضمن، بصورة ضمنية، في «الرسالة» على حق، فإنه يبدو أن يكون هناك اختلاف ملحوظ من المناخ بين هذا العمل، والموقف النمطي للوضعيين المناطقية في عنفوان حماسهم المبكر. لقد سلم الوضعيون، بالفعل، بأن العبارات الميتافيزيقية يمكن أن يكون لها دلالة انفعالية - مثيرة^(١)، غير أن بعضهم، على الأقل، بينوا أن الميتافيزيقا، من وجهة نظرهم، مجموعة من اللغو بالمعنى العادي، وليس ببساطة، بالمعنى الفني. ومع ذلك، إذا نظرنا إلى ما يقوله قُتجنشتين عن الذات^(٢) الميتافيزيقية، فإننا نستطيع أن نميز جدية معينة، وعمقا للتفكير. إن محاولة أن نقول شيئا ما عن الذات الميتافيزيقية، أي الآن - الذات من حيث إنها مركز الوعي، يعنى أننا نردها لا محالة إلى حالة موضوع ما. إن كل العبارات عن الذات الميتافيزيقية هي، من ثم، محاولات لقول ما لا يمكن أن يقال. وتُظهر الذات الميتافيزيقية، في الوقت نفسه، بمعنى حقيقي، نفسها من حيث إنها حد «عالمى» بوصفها المتضاييف للموضوع. وحتى ذلك لا يمكن أن يقال، إذا تحدثنا بصورة دقيقة. ومع ذلك، يمكن أن تيسر محاولات فعل ذلك محاولتنا بمعنى «رؤية» ما لا يمكن أن يقال. بيد أن «التصوف» الذى يظهر عرضاً في «الرسالة» لا يلائم الوضعيين المناطقية.

لقد أُدخلت الوضعية المنطقية، تقريباً، فى إنجلترا عن طريق نشر كتاب «ألفرد آير» (المولود عام ١٩١٠)^(*) «اللغة، والحقيقة، والمنطق»^(٣) عام ١٩٣٦. وقد حقق هذا

(١) يقال إن عبارة ما لها دلالة انفعالية - مثيرة إذا عبرت عن موقف انفعالي، ويكون الهدف منها، ليس عن طريق قصد واع بطبيعتها، أن تثير موقفاً انفعالياً مشابهاً فى الآخرين (المؤلف).

(٢) CF. Tractatus, 5.62. 641. CF. also Notebooks, 1914 - 1916 (Wxford, 1961) pp. (٢)

79-80، حيث يتضح تأثير معين عن طريق شوينهور (المؤلف).

(*) توفي آير عام ١٩٨٩ (المراجع)

Second Edition, 1946. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

نظر واضحة عن اللغة الفعلية من حيث إنها ظاهرة حيوية مركبة، أى بوصفها شيئاً يكون له فى سياق الحياة البشرية وظائف أو استخدامات كثيرة. وقد لازم هذا الفهم تغيراً جذرياً فى تصور قُتجنشتين للمعنى. فقد أصبح المعنى استخداماً، أو وظيفة، ولم يعد يتوحد مع «التصوير».

إذا طبقنا هذه الأفكار على الوضعية المنطقية، فإن النتيجة ستكون هى عزل لغة العلم عن مكانة لغة متميزة فريدة. لأن الوضعية المنطقية تعنى، فى واقع الأمر، اختيار لغة العلم من حيث إنها نموذج اللغة، إن معيارها للمعنى، من حيث إنه يُطبق على قضايا تركيبية بوجه عام، هو نتيجة امتداد لتحليل معين للعبارة العلمية؛ أعنى من حيث إنه تنبؤ بتجارب محسوسة معينة ممكنة. وبغض النظر عن السؤال عما إذا كان هذا التحليل للعبارة العلمية مقبولاً أم لا، فإن عزل اللغة العلمية من حيث إنها اللغة النموذجية يتضمن التخلي عن المعيار الوضعى المنطقى الخاص بالمعنى، إذا نظرنا إليه على أنه معيار عام. ولذلك، مهما تصور المرء العلاقة الدقيقة بين «الرسالة» والوضعية المنطقية، فإن أفكار قُتجنشتين المتأخرة عن اللغة لا تطابق، بالتأكيد، الوضعية المنطقية الدجماطيقية.

وفى الوقت نفسه لم يكن لدى قُتجنشتين النية لأن يُحيى فكرة الفيلسوف التى استبعدتها «الرسالة»؛ أعنى فكرة الفيلسوف من حيث إنه يستطيع أن يمد معرفتنا الفعلية بالعالم عن طريق التفكير الخالص، أو عن طريق تأمل فلسفى. إن الاختلاف بين مفهوم وظيفة الفلسفة التى قدمها قُتجنشتين فى الرسالة والوظيفة التى قدمها فى «بحوث فلسفية» ليس اختلافاً بين مفهوم ثورى ومفهوم تقليدى. إذ ينظر قُتجنشتين إلى نفسه على أنه يحاول فى «الرسالة» أن يصلح اللغة، أى أن يعارض استخدامها الفعلى عن طريق المساواة بين القضية والعبارة الوصفية، وإذا أخذنا، بالفعل، بصورة حرفية، توحيد كل القضايا بكل العلوم الطبيعية، أى بالعبارة العلمية. ومع ذلك، فإننا نُخبر فى «بحوث فلسفية» بأن «الفلسفة لا تعارض، على الإطلاق، الاستخدام الفعلى للغة؛ فهى

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الجنائية، غير أن مجرى القانون لا يُعرف، بوجه عام، بوصفه لعبة، وبمعنى آخر، الإجابة الوحيدة الملائمة لسؤالك الأصلي هو أن نذكرك بكيف تُستخدم كلمة «لعبة» في اللغة الفعلية. ربما لا تقتنع. لكنك في هذه الحالة لاتزال تعمل فيها، بوضوح، وفق الفكرة الخاطئة التي تقول يجب أن يكون هناك معنى واحد! أى ماهية واحدة، تناظر كل كلمة عامة. وإذا أصررت على أنه يجب علينا أن نجد معنى أو ماهية، فإنك تصر، بالفعل، على إصلاح اللغة، أو على معارضتها.

وباستخدام هذا النوع من المماثلة، يتصور فتجنشتين، بوضوح، محاولته في «الرسالة» أن يبحث ماهية القضية، بينما هناك، في حقيقة الأمر، أنواع كثيرة من القضايا، وأنواع كثيرة من الجمل، وأنواع كثيرة من العبارات الوصفية، والأوامر، والنواهي .. وهكذا^(١). غير أن وجهة نظره تمتك مجالاً متسعاً من التطبيق. افترض مثلاً، أن فيلسوفاً وحد «الأنا» أو النفس بالذات الخالصة، أو بالجسم بالمعنى الذى نستخدم به، فى العادة، لفظ «الجسم»، فهل هو قَدَم ماهية «الأنا»، ماهية الذات؟ قد يبين فتجنشتين أن تفسير الضمير «أنا» لا يتطابق مع الاستخدام الفعلى للغة. فتوحيد «الأنا»، مثلاً، بالذات الميتافيزيقية لا يتطابق مع هذه العبارة «أنا أتمشى». ولا يتطابق توحيد «الأنا» مع الجسم بالمعنى العادى مع هذه الجملة «أنا أنظر إلى تولستوى على أنه كاتب أعظم من إيثيل م. ديل»^(٢).

ويضيف فتجنشتين هذه الطريقة للتخلص من نظريات فلسفية مغالى فيها، وتُفسر بأنها محاولات «إصلاح» اللغة، أى تُفسر بأنها محاولات رد كلمات «من استخدامها

(١) CF. philosophical Investigations, 1, s. 23.

(٢) إيثيل ماري ديل (١٨٨١ – ١٩٢٩) روائية إنجليزية كتبت العديد من الروايات الرومانسية منها «طريق الشر» عام ١٩١٢، و«مصباح فى الصحراء» عام ١٩١٩ و«الفارس الأسود» ١٩٢٦ و«مذبح الشرق» ١٩٢٩ و«جدران السجن» عام ١٩٣٢ .. الخ (المراجع)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يستطيع أن يعتقد أن للفلسفة مهمة أكثر جلالاً وعظمة. وعلى أية حال، إذا نظر المرء إلى كتابات هؤلاء الفلاسفة البريطانيين الذين تعاطفوا مع أفكار فتنجشتين المتأخرة، فإنه يستطيع أن يرى أنهم كرسوا أنفسهم لتنفيذ البرنامج الإيجابي «لوصف» الاستخدام الفعلي للغة بدلاً من أن يكرسوا أنفسهم للمهمة السلبية لاستبعاد صنوف من الغموض أو الصعوبات.

ويمكن أن يأخذ تنفيذ البرنامج الإيجابي صوراً متعددة. أعني، أن التركيز يكون بصورة مختلفة. فمن الممكن، مثلاً، التركيز على بيان الخصائص المعينة للأنواع المختلفة للغة بالمعنى الذي تكون به لغة العلم، ولغة الأخلاق، ولغة الوعي الديني، ولغة الاستطيقا أنواعاً مختلفة، ويستطيع المرء أن يقارن نوعاً من أنواع اللغة بنوع آخر. وعندما حول الوضعيون الناطقة اللغة العلمية إلى لغة نموذجية، فإنهم مالوا إلى أن يجمعوا عدداً من أنواع مختلفة أخرى من قضايا من حيث إنها ليست لها سوى دلالة انفعالية - مثيرة. ومع ذلك، فإن عزل اللغة العلمية عن مكانة اللغة النموذجية، إلا من أجل أغراض معينة مثلاً، يشجع، بصورة طبيعية على فحص أكثر دقة لأنواع أخرى من اللغة، مأخوذة بصورة منفصلة. وقد تم القيام بقدر كبير من العمل في مجال لغة الأخلاق^(١). كما أن هناك قدراً ذا قيمة من مناقشة لغة الدين. وإذا أردنا، مثلاً، أن نحدد مدى معنى لفظ «الله»، فإنه ليست هناك فائدة كبيرة لأن نقول إنه «يخلو من المعنى»، لأنه ليس لفظاً علمياً. إنه يجب علينا أن نفحص استخداماته ووظائفه في اللغة التي تكون، كما يرى فتنجشتين «موطنه الأصلي»^(٢). وعلاوة على ذلك، يستطيع المرء أن

CF. For example, the Language of Morals (oxford, 1952) and Freedom and Reason (oxford 1963) by R.M. Hare.

Philosophical Investigations, 1, s, 116. (٢)

يقول فتنجشتين: «ينبغي على الإنسان أن يسأل نفسه: هل تستخدم الكلمة بالفعل دائماً بالفعل على هذا النحو في «العبارة زائفة» التي تكون بمثابة موطنها الأصلي؟» بحوث فلسفية ترجمة د. عزمي إسلام ص ١٠٨ (المراجع).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لها فائدة يلعبها عدد من أساتذة الجامعة والمحاضرين، لكن على الرغم من أن ممارسي تحليل اللغة العادية، وبصفة خاصة «أوستن» قد اختاروا، عن عمد، أمثلة من الجمل التي تجعل أولئك الذين اعتادوا أن يتحدثوا عن الوجود يظهرون دهشتهم، فإن هذا التحليل ليس له فائدة على الإطلاق، من وجهة نظر كاتب هذه السطور. ففي تطوير اللغة، مثلاً، عبّرت الموجودات البشرية، استجابة للتجربة، بطريقة عينية عن كثرة من التمييزات بين درجات متنوعة من المسؤولية. ويمكن أن يكون نشاط التأمل في هذه التمييزات وتنظيمها ذا فائدة ملحوظة. فهو، يخدم، من جهة، غرض جذب انتباهنا إلى العوامل التي يجب أن توضع في الاعتبار في أية مناقشة كافية للمسئولية الأخلاقية. ويجعلنا من جهة أخرى، نأخذ حذرنا عندما تقابلنا نظريات فلسفية تبطش، في اتجاه ما أو آخر، بالتمييزات التي تجد التجربة البشرية أنه يجب التعبير عنها. وقد يُعترض، بالفعل، على أن اللغة العادية ليست معياراً معصوماً من الخطأ يُحكم عن طريقه على نظريات فلسفية. غير أن «أوستن» لم يقل إنها كذلك. وربما مال إلى أن يفعل كما لو اعتقد ذلك. لكنه، باختصار، تنصل، على الأقل، من أية دجماطيقية كهذه، ملاحظاً، ببساطة، أنه عند الصراع بين النظرية واللغة العادية ربما تكون اللغة العادية صحيحة أكثر من النظرية، وأن الفلاسفة، عندما يصوغون نظرياتهم، يغفلون أن اللغة العادية تكون معرضة للخطر^(١). وعلى أية حال، حتى إذا اعتبرنا أنه قد غولى في أهمية اللغة، فإنه لا ينجم عن ذلك، بالضرورة، أنه يجب علينا أن ننظر إلى فحص لهذه اللغة على أنه بدون فائدة، أو لا يمت إلى الفلسفة بصلة.

وربما يمكن أن تتضح المسألة أكثر عن طريق الرجوع إلى كتاب البرفسور «ج. راييل» الشهير وهو «مفهوم الذهن» (لندن ١٩٤٩). فهو من وجهة نظر ما، تحليل

(١) يحاول «أوستن» في كتابه «الحس والمحسوسات» (أكسفورد ١٩٦٢)؛ وهو عمل نُشر بعد وفاته ويمثل مجموعة من المحاضرات، أن يتخلص من نظرية فلسفية معينة؛ وهي نظرية المعطى الحسى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

لا داعي للقول بأن ذلك ليس اكتشافاً للكاتب هذه السطور. لأنها مسألة معرفة مشتركة^(١). ولذلك يجب ألا نتوقع سوى أن مفهوم الفلسفة في العصور الحديثة يميل إلى أن يتسع، حتى داخل الحركة التحليلية نفسها. وأحد التعبيرات عن هذه العملية، في دوائر معينة على الأقل، هو استبدال التقييد الدجماطيقي لطبيعة الفلسفة ومجالها، الذي يميز فتنجشتين، بموقف التسامح الذي يريد أن يعطي فرصة حتى للميتافيزيقي المعترف به لكي نستمع إليه، شريطة أنه يكون على استعداد لأن يفسر لماذا يقول ما يفعله. بيد أنها ليست، ببساطة، مسألة تسامح، أي مسألة نموروح أكثر «شمولاً». كما أن هناك أيضاً علامات لاقتناع واضح بأن التحليل ليس كافياً. فقد لاحظ البرفسور «ستيوارت هامبشير» S. Hampshire في كتابه «التفكير والفعل»^(٢) أنه لا يمكن معالجة لغة الأخلاق بصورة كافية إذا لم يتم فحصها على هدى وظيفة هذه اللغة في الحياة اليومية. وتنشأ، من ثم، حاجة إلى الأنثربولوجيا الفلسفية.

ومع ذلك، لا يمثل التركيز على اللغة العادية، الذي ينسجم مع الأفكار التي عرضها فتنجشتين في كتابه «بحوث فلسفية» إلا ميلاً، حتى إن كان ميلاً بارزاً، في الحركة التحليلية كلها. لأنه عُرف منذ وقت طويل أن قدراً كبيراً مما يُسمى، بوجه عام، «بالتحليل اللغوي»، يوصف جيداً بأنه «تحليل تصوري ويمكن أن تفتح فكرة تحليل المفاهيم والتصورات منظورات واسعة. فقد تحدث مستر ب. ف. سترأوسون P. F. Strawson فيلسوف أكسفورد، مثلاً، في كتابه الشهير «الأفراد: مقال في الميتافيزيقا الوصفية»^(٣)، عن ميتافيزيقا وصفية من حيث إنها تكشف عن البناء الفعلي

(١) انظر، مثلاً: محاضرة البرفسور ألفرد أير الافتتاحية في أكسفورد، التي تكيّف الفصل الأول في كتابه «مفهوم الشخص»، لندن ١٩٥٩ (المؤلف).

(٢) London, 1959.

(٣) London 1959.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

عن تساؤلات تنشأ من «سحر ذكائنا عن طريق اللغة»^(١) وهذه مسألة تحتاج إلى فحص مُفصّل. ويتضح، فضلاً عن ذلك، أن الدافع إلى تطوير تفسير موحد للعالم عن طريق مجموعة من المفاهيم والمقولات ليس شيئاً غير ملائم ويستحق اللوم. صحيح، أننا لم نستطع منذ عصر كانط، أن نقبل الفكرة التي تقول إن الفيلسوف يستطيع أن يستنبط وجود أى كيان بطريقة قبلية. وعلاوة على ذلك، قبل أن نحاول أن نكون صنوّفاً من التركيب واسعة المدى، فمن الحكمة أن نقوم بعمل تمهيدى أكثر بالعكوف على أسئلة دقيقة بصورة منفصلة. وتميل المشكلات الفلسفية، في الوقت نفسه، إلى أن تتلاحم وتتشابك، وسيكون من الخلف، على أية حال، أن نحاول منع التركيب الميتافيزيقى. إن وجهة النظر عن العالم، أو الرؤية، هى نشاط يختلف، بالفعل، إلى حد ما عن وجهة النظر الخاصة بمحاولة الإجابة عن تساؤلات معينة يمكن أن تُقدم لها، من حيث المبدأ، إجابات محددة تماماً. لكن عندما يكون المطلب الذى يقول إن الفلاسفة الذين يهتمون بتعقب النوع الثانى من النشاط يجب أن يكرسوا أنفسهم للتركيب غير مبرر، فإن ازدياداً عاماً للتركيب الميتافيزيقى يكون غير معقول أيضاً.

وإلى هذا الحد، يكون هذا النمو لموقف أكثر تسامحاً من صور الفلسفة غير التحليل الدقيق الذى يمتلك خاصية بارزة من خصائص التفكير البريطانى الحديث، شيئاً مقبولاً ويُرحب به. ومع ذلك، إذا أخذ بذاته، فإنه يترك أسئلة جيدة كثيرة بدون إجابة. افرض أننا قبلنا، من أجل الحجة، حصر المجال فى توضيح قضايا ليست قضايا فلسفية، فإن الحصر هو الذى تم فى كتاب «رسالة»، إن الفرض واضح إلى حد كاف، أعنى أن الفلسفة ليست علماً ذا موضوع خاص به، توضع إلى جانب العلوم

(١) Philosophical Investigations, I, s, 109.

تبين الواقعة التي تقول إن بعض الكتاب لجأوا إلى التحليل النفسى من حيث إنه يستطيع أن يشرح تكرار نوع معين من الميتافيزيقا، مثل الذرية. أنهم ينظرون إلى الميتافيزيقا على أنها تمتلك جذوراً تذهب أعمق من الفروض اللغوى أو المنطقى (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

إلى ذلك. فعلى العكس، يمكن تمييز اتجاهات عديدة مختلفة نسبياً، وواضح بدرجة كافية من فحص لكتاباتهم أن عدداً من الفلاسفة الذين يُصنفون، بوجه عام، بوصفهم «تحليليين» يقومون بشيء يختلف تماماً عما يمكن أن يوصف، بدقة، بأنه «محلل لغوي». ومن الأفضل بالنسبة لهم جميعاً أن نقول إنهم يعملون «بالفلسفة». ولا شك أنهم كذلك. لكن: ماذا عساها أن تكون الفلسفة بهذا المعنى الواسع؟ ما طبيعتها بصورة دقيقة، وما وظيفتها، ومجالها؟ وبالنسبة لوجهة نظر أصدقائهم البريطانيين عن هذه المسائل العامة، فإن الفيلسوف الأوروبي ذا التراث المختلف على استعداد لأن يجد نفسه، بلا أمل، في حيرة.

ربما تكون النتيجة التي نصل إليها هي أن ما يُسمى بالثورة في الفلسفة قد فقد أى شكل محدد بصورة واضحة، ولا يأخذ مفهوم واضح عن طبيعة الفلسفة مكان التعريفات المحددة المتنوعة التي يفترضها الوضعيون المناطقة، عن طريق «الرسالة»، ثم عن طريق «بحوث فلسفية». ولا يمنع ذلك، بوضوح، الفلاسفة البريطانيين من أن يقوموا بعمل ذي قيمة في موضوعات معينة. بيد أنه يعني أن الملاحظ الخارجي قد يُترك، تماماً متسائلاً: ما اللعبة الخاصة التي تُلعب، ولماذا؟ وما علاقة الفلسفة بالحياة؟ ولماذا يُعتقد أنه من الضروري أن تكون هناك كراس للفلسفة في الجامعات؟ وربما تكون هذه الأسئلة ساذجة، غير أنها تحتاج إلى إجابة.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بحوثه التاريخية عن آباء الكنيسة ونظريته في تطور العقيدة المسيحية أن المثل الأعلى عند الكنيسة الإنجاليكانية ووسائلها *Via Media* - كان وهماً! وفي عام ١٨٤٥ قبل في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ثم رُسِّم قسيساً فيها عام ١٨٤٧

وناضل نيومان خلال السنوات (١٨٥١ - ١٨٥٨) ليكون خطيباً في الجامعة الكاثوليكية الجديدة في أيرلندا إلا أن القوى السياسية كانت ضده، وعن حطام المعركة كتب كتابه التربوي الرئيسى «فكرة الجامعة» عام (١٨٥٢ - ١٨٥٩) الذى تطلع فيه إلى مركب من الدراسات العلمية والإنسانية واللاهوتية الجديدة، لقد دافع نيومان عن نزاهته الدينية وهو ما عبّر عنه فى كتابه «دفاع عن دعوى حيوية *Apologia Provita Sua*» مستعيناً بعلاقته بالقراء المثقفين فى إنجلترا! ..

هذا هو «نيومان» عالم اللاهوت الذى قالت عنه الموسوعة الفلسفية» (فى مجلدها الخامس ص ٤٨١) إن نيومان ينتمى إلى تراث الكنيسة البريطانية التى أمدّها ببعض الفكر الفلسفى عندما عالج مشكلات معينة ذات طبيعة دينية ولاهوتية. وهو يُقرأ جيداً مع مصادر التنوير فى هذه الحقبة: ديفيد هوم، وفولتير، وتوماس بين *T. Paine* .. الخ وكان صاحب وعى مبكر بالصعوبات الفلسفية الحديثة ضد الديانة المسيحية. وتحت ضغط هؤلاء النقاد وجد أن عليه أن يغربل الأسس التى يقوم عليها إيمانه المسيحى ومذهب التآليه. كما قام بدراسة وثيقة للدفاع العقلى الذى استخدمه عالمان لاهوتيان من قبل هما: «وليم بيللى» (١٧٤٣ - ١٨٠٥)، و«ريتشارد وتيللى» (١٧٨٧ - ١٨٦٣) دفاعاً عن وجود الله والبنود الأساسية فى العقيدة المسيحية.

هذه نبذة موجزة أظنّها ضرورية لتفسير وربما تبرير أيضاً ما قام به «الأب كويلستون» من حشر العالم اللاهوتى الجليل «جون هنرى نيومان» ثم أترك القارئ مع الأب من جديد^(١).

(١) اعتمدت فى هذه النبذة على:

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أفكاراً فلسفية. ويمكن أن نضع المسألة في صورة أخرى، فنقول إن محاولته لبيان عدم كفاية المذهب العقلي المعاصر، ونقل معنى الرؤية المسيحية عن الوجود البشرى قد أدى به إلى أن يصور خطوط التفكير التى، بينما لم يكن المقصود منها، بالتأكيد، أن تمثل مضمون الإيمان المسيحى من حيث إنه مجموعة من نتائج مستنبطة، منطقيًا، من مبادئ واضحة بذاتها، فإنه كان يُقصد منها أن تبين لأولئك الذين يرون أن الإيمان المسيحى ليس هو التعبير عن موقف لا عقلى، أو ليس هو فرض تعسفى خالص. وحتى إذا تضمن إتلاقاً معيناً لتفكيره ككل، فإننا نستطيع أن نميز، هنا، لاعتبار مختصر بعض خطوط التفكير التى يمكن أن توصف، بصورة معقولة، بأنها فلسفية.

هناك، بالتالى مدافعون عن الدين أو علماء كلام (بالمعنى الإسلامى) لا يهتمون كثيراً بالأسباب التى تكون لدى الناس بالفعل للإيمان مثلما يهتمون بتطوير حجج تُقنع، فى رأيهم، أذهان غير المؤمنين الذين ليس فى إمكانهم أن يفهموا المصطلحات المستخدمة، على الرغم من أن المؤمن العادى ربما لا يفكر، مطلقاً، فى هذه الحجج، وحتى ربما لا يستطيع أن يفهمها ويقدرها إذا قُدمت له. ومع ذلك فإن نيومان أكثر اهتماماً ببيان معقولية الإيمان كما يوجد بالفعل عند الجمهور الفقير من المؤمنين، ولا يعرف معظمهم شيئاً عن الحجج الفلسفية المجردة. ويحاول أن يوضح ما يبدو له على أنه الأساس الرئيسى الذى يكون لديه ولدى الآخرين لإيمان حى بالله^(١). وبمعنى آخر، يحاول أن يقدم تحليلاً فينومولوجياً للحركة التلقائية للعقل التى تبلغ ذروتها فى قبول وجود الله من حيث إنه حقيقة موجودة. كما أنه لا يقصد، فى الوقت نفسه، بوضوح، أن يكتب، ببساطة، بوصفه سيكولوجياً يصف أسباباً متعددة تبين لماذا يؤمن الناس بالله، حتى إذا بدا له أن بعض هذه الأسباب أو كلها تعجز عن أن تبرر قبول وجود الله. فعلى العكس، يبرهن نيومان على أن الأساس التجريبي الرئيسى الذى يقوم عليه الإيمان هو أساس كاف.

(١) لا يستبعد نيومان، بالتأكيد، نور النعمة الإلهية. بيد أنه يصرف الانتباه عنها عندما يحاول أن يبين أن أساساً كافياً للإيمان بالله فى متناول الجميع (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وإذا سلّمنا بهذا المنظور، فلن يكون غريباً أن اسم نيومان قد ارتبط، في الغالب، باسم «بسكال» Pascal. فكلاهما اهتم بعلم الكلام المسيحي، وكلاهما ركز اهتمامه على إيمان فعال، وعلى الطريقة التي يفكر بها الناس بالفعل ويبرهنون بها على قضايا عينية لا على نموذج رياضي من البرهان. إن «روح الهندسة» كانت غريبة على عقليهما. وشدد كلاهما على الشروط الأخلاقية الخاصة بتقدير قوة الحجج التي تحبذها المسيحية. ولذلك إذا استبعد المرء «بسكال» من فئة الفلاسفة لأنه مدافع خاص، فمن المحتمل أن يدرس نيومان بنفس الطريقة. وعلى العكس، إذا عرف المرء بسكال بوصفه فيلسوفاً، فمن المحتمل أن يقر بمعرفة مشابهة بنيومان^(١).

ومع ذلك، فإن خلفية نيومان الفلسفية تختلف تماماً عن خلفية بسكال. لأن هذه الخلفية شكلتها الفلسفة البريطانية إلى حد كبير. اكتسب نيومان معرفة ما بأرسطو عندما كان طالباً. وعلى الرغم من أنه لا أحد يصفه بأنه أرسطي، فإن الفيلسوف اليوناني كان له أثر، بالتأكيد، على تفكيره. أما بالنسبة للأفلاطونية، التي وجدها ملائمة في نواح معينة، فإنه يبدو أن معرفة نيومان بها قد جاءت، أساساً، من كتاب مسيحيين أوائل معينين ومن آباء الكنيسة. كما درس من الفلاسفة البريطانيين، بالتأكيد، فرنسيس بيكون، وعرف شيئاً ما عن هيوم؛ الذي نظر إليه على أنه حاد وخطير، غير أنه يؤكد في «الدفاع» أنه لم يدرس باركلي على الإطلاق. أما بالنسبة للوك فإنه ترك احتراماً عميقاً. فهو يخبرنا بوضوح أنه ترك هذا الاحترام «بالنسبة لشخصية لوك وقدرته؛ أي بالنسبة لبساطة تفكيره، وصراحته الجريئة»^(٢)، ويضيف أن هناك الكثير في ملاحظاته على الاستدلال والبرهان الذي أتفق معه فيه تماماً، وأثنى

(١) يجب أن نتذكر جيداً أن مؤسسي المذاهب الميتافيزيقية الأصلية استخدموا، في الغالب، حجة اللثاء على وجهات نظر عن الواقع ماثلة لأذهانهم، على الأقل بصورة مجعلة، مع إن هذه الواقعة لا تبين بذاتها أن حجة معينة تخلو من القوة. وعلى نحو مماثل، لا تستلزم الواقعة التي تقول إن نيومان كتب بوصفه مؤمناً مسيحياً النتيجة التي تقول إن تأملاته الفلسفية ليس لها قيمة (المؤلف).

(٢) An Essay in Aid of a Grammar of Assent (3rd edition, 1870), p. 155.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

قيمة إلى البابا، مع إنه لم يرسل إليه. غير أنه واضح، بإنصاف، من الخطاب أن ما كان يدور بخلد هو إحياء الحياة العقلية في الكنيسة، في اتصال مع فكر آباء الكنيسة ومعلميها، أكثر من المذهب التومائى على وجه التحديد. وعلى أية حال، فقد كان من الصعب على نصوص الكتب العتيقة للمذهب التومائى أن تكون ملائمة لتفكير نيومان، صحيح أن عدداً من الفلاسفة المدرسين قاموا منذ وفاته بقبول أو بتعديل خطوط من التفكير الذى تفترضه كتاباته، واستخدموها فى تكملة حجج تقليدية. لكن لاداعى للقول إن هذه الواقعة لم تقدم سبباً كافياً لبيان أن نيومان كان إسكولائياً «بالفعل». إذ إن منظوره يختلف أتم الاختلاف، على الرغم من أنه كان يريد أن يسلم، تماماً، بأن المنظورات الأخرى لها استخداماتها.

(٢) أصر نيومان فى موعظة جامعية ألقاها فى جامعة أكسفورد عام ١٨٣٩ على أن الإيمان «هو، بالتأكيد، ممارسة للعقل»^(١) لأن ممارسة العقل تكمن فى «تأكيد شئ ما بسبب شئ آخر»^(٢). ويمكن أن يُرى فى امتداد معرفتنا وراء الموضوعات المباشرة للإدراك الحسى، والاستبطان^(٣)، كما يمكن أن يُرى فى الإيمان الدينى أو الإيمان، من حيث إن هذا «قبول الأشياء من حيث إنها واقعية، لا تنقلها الحواس، بناء على أسس معينة سابقة»^(٤). وبمعنى آخر، لأن نيومان لا يسلم بأية ملكة لمعينة intuit الله (أو أى موجود خارجى غير مادى)، فلا بد أن يسلم، بمعنى ما على الأقل، بأن وجود الله أمر نستدل عليه.

Oxford University Sermons (Fifteen Sermons Preached be For the University of Oxford) (3rd Edition , 1872), p. 207.

ونشير إلى هذا العمل على بهذه الرموز: OUS. ويعنى نيومان بوضوح أن الإيمان يفترض ممارسة للعقل (المؤلف).

Ibid. (٢)

(٢) يمكن أن نرى هنا انعكاساً لوجهة النظر التجريبية (المؤلف).

Ous, p. 229.(٤)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

ليست إلا فروضاً مسبقة من طبيعة مخالفة... إنه ينظر إلى المذهب الدينى على أنه غير ملائم، حتى إنه لا يستمع إلى البرهان عليه، أو إذا استمع، فإنه يستخدم نفسه فى أن يفعل ما يستطيع أن يفعله المؤمن، إذا اختار، أيضاً.. أعنى فى بيان أن الدليل قد يكون أكثر كمالاً مما هو عليه^(١)، إن الشكاك لا يقررون بالفعل، بناء على الدليل، لأنهم يصممون فى البداية ثم يسلّمون بالدليل، أو يرفضونه بناء على فرضهم الرئيسى. ويقدم هيوم نموذجاً رائعاً لهذا عندما ذهب إلى أن استحالة إمكان المعجزات دحض كاف لشهادة الشهود. أعنى، أن عدم الاحتمال السابق هو دحض كاف للدليل^(٢).

يبدو أن نيومان كان على حق تماماً عندما ذهب إلى أن غير المؤمنين كثيراً ما يسيرون، وفقاً لفروض، وأنهم يتأثرون بالميل والمزاج مثلهم مثل أى شخص آخر. لكن على الرغم من أن هذه مسألة جدلية ذات قيمة ما، فإنها لا تبين، بوضوح، أن الإيمان الذى يُنظر إليه على أنه ممارسة للعقل كما يسميه نيومان، لا يبلغ المعيار الذى يتطلبه الفيلسوف العقلى، إذا فهم هذا المعيار على أنه معيار البرهان المنطقى الدقيق من مبادئ واضحة بذاتها. ومع ذلك، فإن نيومان لم يقصد أن يزعم أن الموضوع على هذا النحو. فهو يبرهن، بدلاً من ذلك، على أن التصور العقلى للبرهان ضيق جداً، ولا يناسب الطريقة التى يفكر بها الناس بالفعل، وبصورة مشروعة، فى قضايا عينية ويبرهنون عليها. ولا بد أن نتذكر أنه يزعم أن الإيمان معقول، ولا يزعم أن مضمونه يمكن استنباطه منطقياً بناء على نموذج البرهان الرياضى.

إنها ليست حجة صحيحة ضد معقولية الإيمان الدينى أن تقول إنه يفترض أن ما يُحكم عليه هو احتمالات سابقة. لأننا جميعاً نجد أنفسنا مجبرين على أن نصوغ افتراضات، إذا كان يجب علينا أن نعيش. فنحن لا نستطيع أن نعيش، ببساطة، بما

ibid, p. 230. (١)

ibid, p. 231. (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الناس، إيماناً طبيعياً بالوجود الموضوعى المتصل للأجسام حتى عندما لا تُدرك. ولا يستطيع العقل أن يبرهن على حقيقة هذا الإيمان. بيد أن الإيمان معقول على الرغم من ذلك. إن الإنسان الذى لا يُحكّم العقل هو الذى يحاول أن يعيش شاكاً ولا يفعل بناءً على أى فرض لا يمكن البرهنة عليه.

صحيح أن الناس لا يستطيعون أن يؤمنوا، بصورة جلية وبالفعل، بوجود عالم خارجي عام^(١). ومن غير المعقول أن يحاولوا أن يفعلوا بناءً على أى فرض آخر. فإذا رفضنا أن نفعل بناءً على أى شيء سوى نتائج مبرهن عليها منطقياً، فإننا لا نستطيع أن نعيش مطلقاً. فكما لاحظ لوك، بكفاءة، إذا رفضنا أن نأكل حتى نبرهن على أن الطعام يَغذيّنا، فإننا لن نأكل على الإطلاق. غير أنه يمكن الاعتراض على أن الإيمان بالله ليس إيماناً طبيعياً يمكن أن نقارنه بالإيمان بوجود عالم خارجي. فنحن لا نستطيع أن نؤمن، من الناحية العملية، بأن أجساماً توجد باستقلال عن إدراكنا، غير أنه لا يبدو أن هناك أية ضرورة عملية للإيمان بالله.

إن خط الحجة الموجود عند نيومان هو أن هناك شيئاً، وهو الضمير، ينتمى إلى الطبيعة البشرية كما تنتمى قوتنا الإدراك والاستدلال، ويميل إلى الإيمان بالله؛ بمعنى أنه يحمل معه «توجساً» بالوجود الإلهي. وهكذا فإن الإيمان بالله الذى يقوم على الضمير لا يقوم، ببساطة، على خاصية مزاجية لأفراد معينين، وإنما يقوم، بالآخرى، على عامل في الطبيعة البشرية من حيث هى كذلك، أو على الأقل على عامل في كل طبيعة بشرية ليس عاجزاً من الناحية الأخلاقية، أو معطلاً. إن صوت الضمير لا يحمل معه، بالفعل، أى برهان على أوراق اعتماده الخاصة. وبهذا المعنى، فإنه «فرض». غير أنه يُظهر وجود إله متعالى؛ وقبول وجود الله من حيث إنه متجل وظاهر كهذا أمر معقول.

(١) ليس لدى كاتب هذه السطور نية لأن يلزم نفسه وجهة النظر التى تقول إننا لا نستطيع أن نعرف، بصورة ملائمة، أن هناك عالماً خارجياً. فإذا عرفنا المعرفة، بالتأكيد، بأن قضايا المنطق والرياضيات هى وحدها التى نعرف بأنها صادقة، فإنه يترتب على ذلك أننا لا نعرف أن الأشياء توجد عندما لا ندركها. لكن لأن كلمة «يعرف» تُستخدم فى اللغة العادية، فإننا نستطيع أن نعرفها تماماً (المؤلف).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

وينجم عن هذا أنه يجب علينا، أيضاً، أن نميز بين نوعين من التصديق. التصديق الذي يُعطى لقضية نعيمها من حيث إنها عقلية، أى أننا نعى أنها تهتم بأفكار مجردة أو بحدود كلية، هو تصديق عقلي، بينما التصديق الذي يُعطى لقضايا نعيمها من حيث إنها واقعية؛ أى من حيث إنها تهتم مباشرة بأشياء أو بأشخاص، هو تصديق واقعي حقيقي.

ومن ثم يرى نيومان أن الأشياء والأشخاص، سواء أكانت موضوعات للتجربة الفعلية أم تتمثل بصورة خيالية في الذاكرة، تؤثر على الذهن بصورة أكثر قوة وحيوية من الأفكار المجردة. وبالتالي، فإن الوعي الحقيقي «أقوى من الوعي؛ لأن الأشياء التي تكون موضوعه، تكون أكثر تأثيراً وفاعلية، بدون شك، من الأفكار، التي تكون موضوعاً (للوعي) التصوري. إن التجارب وصورها تؤثر على الذهن وتشغله، أما التجريدات وارتباطاتها لا تؤثر عليه ولا تشغله^(١). وعلى نحو مماثل، على الرغم من أن كل تصديق، كما يرى نيومان، متشابه في أنه ليس مشروطاً^(٢)، فإن أفعال التصديق «تظهر بصورة أكثر إخلاصاً وقوة عندما تؤدي بناء على وعي حقيقي يمتلك أشياء لموضوعاته، أكثر مما تؤدي عن طريق أفكار ووعي تصوري»^(٣). وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن التصديق الحقيقي لا يؤثر بالضرورة على السلوك، فإنه يميل إلى أن يفعل ذلك بطريقة لا يفعل بها التصديق التصوري الخالص^(٤).

وكذلك يسمى نيومان التصديق الحقيقي بالإيمان. ويتضح أن الإيمان بالله الذي يهتم به، أساساً، بوصفه متكلاً مسيحياً تصديق واقعي حقيقي بالله من حيث إنه

(١) Ibid, p. 35.

(٢) ما يُسمى بالتصديق المشكوك فيه مشروط عند نيومان بالمعارة التي تقول إن صدق قضية معينة أمر مشكوك فيه (المؤلف).

(٣) GA, p. 17.

(٤) CF. Ibid, p. 87.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

٤- لقد رأينا أنه حتى معتقداتنا اللاهوتية تقوم، كما يرى نيومان، على الأقل على فروض كامنة^(١)، فإن شيئاً ما يُسلم به، سواء بصورة واضحة أم بصورة ضمنية. إن هناك نقطة ما للانطلاق تؤخذ من حيث إنها مُعطاة، بدون برهان. وفي حالة الإيمان بالله، تكون نقطة الانطلاق هذه: أى الأساس المعطى لحركة الذهن، هي الضمير. فالضمير عنصر في الطبيعة البشرية، في الأفعال العقلية المركبة «مثل فعل التذكر، والبرهان، والتخيل، أو مثل الإحساس بالجميل»^(٢). وهو «المبدأ الأساسى وتصديق الذهن على وجود الدين»^(٣).

ومع ذلك، يمكن أن يُنظر إلى الضمير من جانبيين، ومع إنهما ليسا منفصلين في الواقع، فإنه يمكن التمييز بينهما. إذ يمكن أن ننظر إليه، من الناحية الأولى، على أنه قاعدة للسلوك الصحيح: أى على أنه يحكم على صواب أو خطأ أفعال معينة. وإنها لواقعة تجريبية أن أناساً مختلفين يصنعون أحكاماً أخلاقية مختلفة. إذ إن مجتمعات ما، مثلاً، تستحسن سلوكاً تزدريه مجتمعات أخرى. ونستطيع، من الناحية الثانية، أن ننظر إليه، أى إلى الضمير، ببساطة، على أنه صوت السلطة، أعنى، على أنه إلزام مفروض. ومعنى الإلزام هو، بصورة أساسية، نفسه في كل أولئك الذين يمتلكون ضميراً. فحتى إذا اعتقد (أ) أنه ينبغي عليه أن يفعل بطريقة ما، بينما اعتقد (ب) أنه ينبغي عليه أن يفعل بطريقة أخرى، فإن الوعي بالإلزام، منظوراً إليه في ذاته، يكون متشابهاً في كلا الشخصين.

(١) بالنسبة للاستدلال البرهاني الصوري، فإن نيومان يصر على أنه مشروط. أعنى أن صدق النتيجة مرهون بحالة المقدمات التي تكون صادقة. وعلى الرغم من أن نيومان لا ينكر أن هناك مبادئ واضحة بذاتها، فإنه يشير إلى أن ما هو واضح بذاته بالنسبة لشخص ما لا يبدو أنه واضح بذاته بالنسبة لشخص آخر. وعلى أية حال، فإن إمكان البرهان الصحيح مفترض. فإذا حاولنا أن نبرهن على كل شيء، ولا نصوغ فرضاً ثباتاً كان، فإننا لا نحصل عليه في أى مكان على الإطلاق (المؤلف).

GA, p. 102. (٢)

Ibid, p. 18. (٣)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الضمير أن ينتج وعياً «خيالياً» بإله مطلوب من أجل التصديق الواضح الذي تم الاستدلال عليه من قبل.

ما يقوله نيومان في هذه المسألة يتم التحقق منه، بدون شك، في حالته الخاصة. فعندما يتحدث عن ذهن طفل يعرف الإلزام، ويتجنب المؤثرات المدمرة لـ «غرائزه الدينية»^(١)، وذلك عندما يصل إلى «توجس قوى لفكرة حاكم أخلاقي، يسيطر عليه، عاقل، وعادل»^(٢)، فإننا قد نميز جيداً تعميماً من تجربته الخاصة. وعلاوة على ذلك، إذا نظرنا إلى ما يجب أن يقوله من حيث إنه تفسير هدام لأساس التصديق الواقعي الحقيقي بالله، فإنه يتم التحقق منه، بدون شك، في حالات أخرى كثيرة. لأنه مما هو عرضة للخلاف أن احترام تعاليم الضمير هو، عند مؤمنين كثيرين، ذو تأثير قوى في إبقاء الوعي بالله من حيث إنه حقيقة واقعية موجودة. صحيح، إنه يمكن إغفال تعاليم الضمير وعدم طاعتها ونؤمن مع ذلك، بالله، غير أنه ربما يكون صحيحاً أيضاً أنه إذا لم يستمع المرء باستمرار لصوت الضمير، حتى إنه يصبح مبهماً وغامضاً، فإن الإيمان بالله، إذا بقي، يميل إلى أن ينحط إلى ما يسميه نيومان بالتصديق الفكري الخالص، وبمعنى آخر، إن لتفسير نيومان للعلاقة بين الضمير والإيمان بالله، أو التصديق الواقعي الحقيقي به، قيمة لا يمكن الشك فيها، من وجهة النظر الفينومولوجية. وهناك بالفعل عوامل أخرى يجب النظر إليها في التحليل الفينومولوجي للإيمان بالله. غير أن نيومان يوضح، بالتأكيد، جانباً واحداً من المسألة.

لا يهتم نيومان، في الوقت نفسه، ببساطة، بوصف الطريقة التي يؤمن بها الناس، من وجهة نظره، بالله، على الرغم من أن الإيمان يكون، أو يمكن أن يكون، في نفس

Ibid, p. 109. (١)

Ibid, (٢)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

بصورة مشروعة من الإحساس بالإلزام. وإذا استهان بوجهات نظر تختلف عن وجهة نظره الخاصة، فإنه يتضح، بإنصاف، أنه لا يهتم كثيراً، بالفعل، باستدلال على فرض مُفسر، يشبه استدلالاً علياً في العلم، مثل دعوة مستمعيه أو قرائه أن يدخلوا إلى دواتهم، ويتأملوا مسألة عما إذا لم يكونوا على وعى، بمعنى ما، بالله من حيث إنه يتجلى في صوت الضمير .

وبمعنى آخر، يبدو أن «نيومان» يهتم، أساساً، بالاستبصار الشخصي في «دلالة» أو «مضامين» الوعى بالإلزام بمعنى هذين اللفظين اللذين يصعب تعريفهما. ويبدو أن خط تفكيره يشبه التحليلات الفينومولوجية التي قام بها، في أيامنا، جبريل مارسل، أكثر من الحجج الميتافيزيقية ذات النوع التقليدي. ويسلم نيومان، بالفعل، بأن حجة استقرائية معممة ممكنة. وكما أننا نتنقل من انطباعات حسية «لكى نصل إلى النتيجة العامة التي تقول إن هناك عالماً خارجياً شاسعاً»^(١)، فكذلك نستطيع أن نصل عن طريق الاستقراء من أمثلة جزئية لوعى يأمر داخلي، أعني وعياً يؤدي بالعقل إلى التفكير في الله، نقول نستطيع أن نصل إلى «الوجود في كل مكان لسيد أسمى واحد»^(٢). غير أن تصديق نتيجة حجة استقرائية معممة، هو تصديق تصوري، عند نيومان. ولذلك، يبدو أن حجة من هذا النوع تندرج في نفس الفئة مثل الحجج من الطبيعة على الله، التي يقول عنها في موضع ما إنه بينما لا تكون لديه نية الشك في جمالها وقوتها، فإنه يشك، بالتأكيد، «فيما إذا كانت تجعل الناس، مسيحيين بالفعل»^(٣) ولكى تكون هذه الحجة «فعالة»، أى تسبب قبولاً حقيقياً، لابد أن «نطبق معرفتنا العامة على مثال جزئى من هذه المعرفة»^(٤) أعني أنه من أجل قبول نتيجة حجة أخلاقية معممة

(١) Ibid, pp. 60 - 1.

(٢) Ibid, p. 61.

(٣) Sermons Preached on Various Occasions, p. 98.

(٤) GA, p. 61.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

يمكن استخدام الاستدلال البرهاني الصوري، بالتأكيد، داخل اللاهوت، لكي يبين مضامين العبارات. غير أنه عندما ننظر إلى الأدلة على المسيحية في المقام الأول، فإننا نهتم، إلى حد كبير، كما يرى نيومان، بمسائل تاريخية، بمسائل الواقع. وتنشأ في الحال، صعوبة. فمن ناحية، تتمتع نتائجنا، في البرهنة على مسائل الواقع، وليس على العلاقات بين أفكار مجردة، بدرجة من الاحتمال، ربما درجة عالية جداً، غير أنها تظل احتمالاً فقط. ومن ناحية أخرى، كل تصديق غير مشروط، كما يصر نيومان، فكيف يمكن إذن أن نكون على حق في تقديم تصديق غير مشروط، مثل التصديق المطلوب للمسيحي، على قضية لا تكون صادقة إلا بصورة احتمالية؟

وللإجابة عن هذا الاعتراض، يستخدم نيومان أفكاراً موجودة عند «بسكال»، و«لوك» و«بطلر»، ويبرهن على أن تراكمًا من احتمالات مستقلة، تتجه نحو نتيجة عامة، يمكن أن يجعل هذه النتيجة يقينية. ونقول بكلماته الخاصة، حيثما يكون هناك تراكم من احتمالات، مستقلة عن بعضها البعض، تنشأ من طبيعة الحالة التي تكون موضع نظر وظروفها؛ فإنه يكون هناك احتمالات ضئيلة حتى إنها لا تفيد بصورة منفصلة، وغامضة لافتة حتى إنها لا تتحول إلى أقيسة، وكثيرة العدد ومتنوعة من أجل هذا التحول، حتى لو كانت ممكنة التحول^(١)، لكنها تتجه كلها، مأخوذة معا إلى نتيجة يقينية، ويمكن أن تكون هذه النتيجة يقينية.

ويمكن التسليم بدون شك بأننا نأخذ، في الغالب، تلاقى الاحتمالات بوصفه دليلاً كافياً على صدق قضية ما. بيد أنه يمكن مع ذلك الاعتراض على نيومان بأنه لا يمكن تقديم قاعدة محددة لتحديد متى يكون صدق نتيجة معينة هو التفسير العقلي الوحيد الممكن على تلاقى معين. ولذلك، على الرغم من أنه قد يكون لدينا الحق تماماً في افتراض صدق النتيجة بالنسبة لكل الأغراض العملية، فإن تصديقاً غير مشروط،

AG, p. 281. (١)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمى بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللادرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

الذى يعطيها تصديقها»^(١). فنحن إما أن «نرى» أو لا نرى أن قياساً معيناً صحيح. وعلى نحو مماثل، إما أن نرى، أو لا نرى أن التفسير العقلي لتراكم معين لتتلاقى احتمالات مستقلة هو صدق النتيجة التي تتلاقى فيها. وبطبيعة الحال، لا يمكن أن يكون هناك معيار آخر للحكم سوى تقدير العقل للدليل في حالة معينة.

قد يبدو أن نيومان يشدد على الحالات الذاتية أو السيكولوجية. فهو يقول، مثلاً، إن «اليقين حالة ذهنية: لأن اليقين خاصية للقضايا. والقضايا التي أصفها بأنها يقينية، هي تلك التي أكون متيقناً منها»^(٢). وقد يعطى هذا انطباعاً مؤداه أن أية قضية تكون، في رأيه، صادقة، بالتأكيد، إذا أحدثت الشعور بأنها يقينية في موجود بشري. غير أنه يمتضى ليقول إن اليقين في المسائل العينية ليس «انطباعاً سلبياً يؤثر على العقل من الخارج... ولكنه معرفة نشطة بقضايا بوصفها صادقة...»^(٣). ولأن «كل شخص يفكر في مركزه الخاص»^(٤)، فإنه لا يمكن أن يكون هناك معيار آخر للدليل أو صحة الاستدلال في مسائل الواقع العينية سوى رؤية أن الدليل يكفي، أو أن الاستدلال صحيح. لم تكن لدى نيومان نية لأن ينكر موضوعية الصدق. فهو يعنى، بالأحرى، أنه إذا اعتقدنا أن تفكير الإنسان في مسائل الواقع خاطئ، فإننا لا يمكن إلا أن نسأله أن ينظر مرة ثانية إلى الدليل، وإلى عملية التفكير. وإذا أعترض على أنه يمكن أن يكون هناك «منطق للكلمات»^(٥)؛ أعنى نوع الاستنباط الذى يمكن أن تؤديه الآلة، فإن نيومان

Ibid, p. 352 (١)

المعنى الاستدلالي هو «قوة الحكم الخاصة بالصدق والخطأ في مسائل عينية» (Ibid, p. 346) المؤلف.

Ibid, p. 337. (٢)

Ibid, (٣)

Ibid, p. 338. (٤)

Ibid, (٥)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

أن نيومان لم يعرف أى شيء على الإطلاق عن المفكر الدينامركى، أو حتى عن وجوده. لكن على الرغم من أن نيومان لم يمض، بالتأكيد، بعيداً كما فعل كيركجور في وصف الصدق بأنه ذاتى، فإن هناك على الرغم من ذلك، درجة معينة من التشابه الروحى بين الرجلين.

أما بالنسبة لإصرار نيومان على الشروط الأخلاقية للتعقب المثمر للصدق فى البحث الدينى، فإن ذلك أصبح عاماً ومألوفاً لعلم الكلام المسيحى الأكثر حداثة، مثلما يمتلك منظور نيومان، بالفعل، من داخل النفس، بدلاً من الطبيعة الخارجية. وبمعنى آخر، هناك تشابه، على الأقل، بين منظور نيومان لعلم الكلام والمنظور الذى يرتبط فى الأزمنة الحديثة باسم «بلوندل» M. Blondel (١٨٦١ - ١٩٤٩) (*).

وهدف هذه الملاحظات هو الآتى. إذا أخذنا نيومان، ببساطة، كما يبقى، فإن هناك أسئلة كثيرة جيدة يرغب مناضقون بريطانيون محدثون فى أن يسألوها، واعتراضات يشعرون بأنهم يميلون إلى إثارتها. بيد أنه يبدو أنه من المأمون أن نقول إن نيومان لا يُنظر إليه، الآن، إلا ربما عن طريق مناصرين قليلين، على أنه فيلسوف، يقبل المرء تفكيره، أو يرفضه، حسبما تكون الحالة. ولا أعنى بالقول بأنه لا يُنظر إليه الآن، أن أشير إلى أنه يُنظر إليه باستمرار بناء على هذا. فأتأعنى، بالأحرى، أن نمو الاهتمام بفكره الفلسفى، وأسلوب علم كلامه يتفق مع انتشار حركات فى الفلسفة، وفى علم الكلام، ينظر إليها على أنه تتشابه مع عناصر فى تأملات نيومان. ولذلك، يميل أولئك الذين يهتمون بتأملاته الفلسفية إلى أن ينظروا إليها على أنها مصدر للدافع والإلهام وليس بوصفها مذهباً نسقياً جامداً، لم يقصد نيومان، بالتأكيد، أن تكون كذلك على الإطلاق. وفى هذه الحالة يبدو النقد التفصيلى لمسائل معينة متخذة بالضرورة، ويبدو، لأولئك الذين يقيمون منظور نيومان العام، أنه ليس فى محله بصورة كبيرة أو قليلة.

(*) موريس بلوندل (١٨٦١ - ٤١ وأحياناً ١٩٤٩) فيلسوف فرنسى، من أسرة كاثوليكية. من أهم كتبه: «الفعل، الخواطر، الوجود، الفلسفة والروح المسيحى». (المترجم).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Muelder, W. E. and Sears, L. *The Development of American Philosophy*. Boston, 1940.
- Muirhead, J. H. (editor). *Contemporary British Philosophy: Personal Statements*. 2 vols. London, 1924-5. (The first volume includes statements by, for example, Bosanquet, McTaggart, Bertrand Russell and Schiller, the second by James Ward and G. E. Moore.)
- Passmore, J. *A Hundred Years of Philosophy*. London, 1957. (A useful account of philosophy, mainly but not exclusively British, from J. S. Mill, with a concluding chapter on existentialism.)
- Riley, I. W. *American Thought from Puritanism to Pragmatism and Beyond*. New York, 1923 (2nd edition).
- Schneider, H. W. *A History of American Philosophy*. New York, 1946.
- Seth (Pringle-Pattison), A. *English Philosophers and Schools of Philosophy*. London, 1912. (From Francis Bacon to F. H. Bradley.)
- Warnock, G. J. *English Philosophy Since 1900*. London, 1958. (A clear and succinct account of the development of the modern analytic movement.)
- Warnock, M. *Ethics Since 1900*. London, 1960.
- Werkmeister, W. H. *A History of Philosophical Ideas in America*. New York, 1949.

Part I: Chapters I-V

I. General Works Relating to the Utilitarian Movement.

- Albee, E. *A History of English Utilitarianism*. London, 1902.
- Davidson, W. L. *Political Thought in England: Bentham to J. S. Mill*. London, 1950.
- Guyau, J. M. *La morale anglaise contemporaine*. Paris, 1904 (5th ed.).
- Halévy, E. *The Growth of Philosophic Radicalism*, translated by M. Morris, with a preface by A. D. Lindsay. London, 1928.
- Laski, H. J. *The Rise of European Liberalism*. London, 1936.
- Leslie, S. W. *Political Thought in England. The Utilitarians from Bentham to Mill*. London and New York, 1947.
- Mondolfo, R. *Saggi per la storia della morale utilitaria*. 2 vols. Verona and Padua, 1903-4.
- Plamentaz, J. *The English Utilitarians*. Oxford, 1949.
- Stephen, L. *The English Utilitarians*. 3 vols. London, 1900. (The volumes are devoted respectively to Bentham, James Mill and J. S. Mill.)

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Everett, C. W. *The Education of Jeremy Bentham*. New York, 1931.
- Jones, W. T. *Masters of Political Thought: From Machiavelli to Bentham*. London, 1947.
- Keeton, G. W. and Schwarzenberger, G. (editors). *Jeremy Bentham and the Law*. London, 1948.
- Laski, H. J. *Political Thought in England: Locke to Bentham*. London, 1950.
- Mack, M. P. *Jeremy Bentham: An Odyssey of Ideas, 1748-1792*. London, 1962.
- Mill, J. S. *Mill on Bentham and Coleridge*, edited by F. R. Leavis. London, 1950.
- Quintodamo, N. *La morale utilitaristica del Bentham e sua evoluzione nel diritto penale*. Naples, 1936.
- Stephen, L. *The English Utilitarians: Vol. I, Jeremy Bentham*. London, 1900.

3. James Mill Texts

- History of India*. 3 vols. London, 1817. (4th edition, 9 vols., 1848; 5th edition, with continuation by M. H. Wilson, 10 vols., 1858.)
- Elements of Political Economy*. London, 1821 (3rd and revised edition, 1826).
- Analysis of the Phenomena of the Human Mind*, edited by J. S. Mill, with notes by A. Bain, A. Findlater and G. Grote. 2 vols. London, 1869.
- A Fragment on Mackintosh*. London, 1835.

Studies

- Bain, A. *James Mill, A Biography*. London 1882.
- Bower, G. S. *Hartley and James Mill*. London, 1881.
- Hamburger, J. *James Mill and the Art of Revolution*. Yale, 1964.
- Ressler, A. *Die Beiden Mill*. Cologne, 1929.
- Stephen, L. *The English Utilitarians: Vol. II, James Mill*. London, 1900.

4. J. S. Mill Texts

- Collected Works of John Stuart Mill*, general editor F. E. L. Priestley. Toronto and London. Vols. XII-XIII, *The Earlier Letters, 1812-*

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Britton, K. *John Stuart Mill*. Penguin Books, 1953.
- Casellato, S. *Giovanni St. Mill e l'utilitarismo inglese*. Padua, 1951.
- Castell, A. *Mill's Logic of the Moral Sciences: A Study of the Impact of Newtonism on Early Nineteenth-Century Social Thought*. Chicago, 1936.
- Courtney, W. L. *The Metaphysics of John Stuart Mill*. London, 1879.
- Cowling, M. *Mill and Liberalism*. Cambridge, 1963.
- Douglas, C. J. S. *Mill: A Study of His Philosophy*. London, 1895.
- Ethics of John Stuart Mill*. Edinburgh, 1897.
- Grude-Oettli, N. *John Stuart Mill zwischen Liberalismus und Sozialismus*. Zürich, 1936.
- Hippler, F. *Staat und Gesellschaft bei Mill; Marx, Lagarde*. Berlin, 1934.
- Jackson, R. *An Examination of the Deductive Logic of John Stuart Mill*. London, 1941.
- Kantzer, E. M. *La religion de John Stuart Mill*. Caen, 1914.
- Kennedy, G. *The Psychological Empiricism of John Stuart Mill*. Amsterdam, 1928.
- Kubitz, O. A. *The Development of John Stuart Mill's System of Logic*. Urbana (Ill.), 1932.
- McCosh, J. *An Examination of Mr. J. S. Mill's Philosophy*. New York, 1890 (2nd edition).
- Mueller, I. W. *John Stuart Mill and French Thought*. Urbana (Ill.), 1956.
- Packe, M. St. John. *The Life of John Stuart Mill*. New York, 1954.
- Pradines, M. *Les postulats métaphysiques de l'utilitarisme de Stuart Mill et Spencer*. Paris, 1909.
- Ray, J. *La méthode de l'économie politique d'après John Stuart Mill*. Paris, 1914.
- Roerig, F. *Die Wandlungen in der geistigen Grundhaltung John Stuart Mills*. Cologne, 1930.
- Russell, Bertrand. *John Stuart Mill*. London, 1956. (Bristol Academy Lecture.)
- Saenger, S. *John Stuart Mill, Sein Leben und Lebenswerk*. Stuttgart, 1901.
- Schauchet, P. *Individualistische und sozialistische Gedanken im Leben John Stuart Mills*. Giessen, 1926.
- Stephen, L. *The English Utilitarians: vol. III, John Stuart Mill*. London, 1900.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Fiske, J. *Outlines of Cosmic Philosophy*. 2 vols. London, 1874. (These lectures are critical as well as expository of Spencer's thought.)
- Gaupp, O. *Herbert Spencer*. Stuttgart, 1897.
- Guthmann, J. *Entwicklung und Selbstentfaltung bei Spencer*. Ochsenfurt, 1931.
- Häberlin, P. *Herbert Spencers Grundlagen der Philosophie*. Leipzig, 1908.
- Hudson, W. H. *Introduction to the Philosophy of Herbert Spencer*. London, 1909.
- Jarger, M. *Herbert Spencers Prinzipien der Ethik*. Hamburg, 1922.
- Macpherson, H. *Herbert Spencer, The Man and His Work*. London, 1900.
- Parisot, E. *Herbert Spencer*. Paris, 1911.
- Parker-Bowne, B. *Kant and Spencer*. New York, 1922.
- Ramlow, L. A. *Riehl und Spencer*. Berlin, 1933.
- Royce, J. *Herbert Spencer: An Estimate and Review with a chapter of Personal Reminiscences by J. Collier*. New York, 1904.
- Rumney, J. *Herbert Spencer's Sociology: A Study in the History of Social Theory*. London, 1934.
- Sergi, G. *La sociologia di Herbert Spencer*. Rome, 1903.
- Sidgwick, H. *Lectures on the Ethics of T. H. Green, Mr. Herbert Spencer, and J. Martineau*. London, 1902.
- Solari, G. *L'opera filosofica di Herbert Spencer*. Bergamo, 1904.
- Stadler, A. *Herbert Spencers Ethik*. Leipzig, 1913.
- Thompson, J. A. *Herbert Spencer*. London, 1906.
- Tillett, A. W. *Spencer's Synthetic Philosophy: What It is All About. An Introduction to Justice, 'The Most Important Part'*. London, 1914.

Part II: Chapters VI-X

I. General Works Relating to British Idealism

- Abbagnano, N. *L'idealismo inglese e americano*. Naples, 1926.
- Cunningham, G. W. *The Idealistic Argument in Recent British and American Philosophy*. New York, 1933.
- Dockhorn, K. *Die Staatsphilosophie des englischen Idealismus, ihre Lehre und Wirkung*. Pöppinghaus, 1937.
- Haldar, H. *Neo-Hegelianism*. London, 1927.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Green, J. H. *Spiritual Philosophy, Founded on the Teaching of the late S. T. Coleridge*. 2 vols. London, 1865.
- Hanson, L. *Life of S. T. Coleridge Early Years*. London, 1938.
- Kagey, R. *Coleridge: Studies in the History of Ideas*. New York, 1935.
- Lowes, J. L. *The Road to Xanadu: A Study in Ways of the Imagination*. London, 1927 (revised edition 1930).
- Muirhead, J. H. *Coleridge as Philosopher*. London, 1930.
- Richards, I. A. *Coleridge on Imagination*. London, 1934.
- Snyder, A. D. *Coleridge on Logic and Learning*. New Haven, 1929.
- Wellek, R. *Immanuel Kant in England*. Princeton, 1931. (Only partly on Coleridge.)
- Winkelmann, E. *Coleridge und die kantische Philosophie*. Leipzig, 1933.
- Wunsche, W. *Die Staatsauffassung S. T. Coleridge's*. Leipzig, 1934.

3. Carlyle Texts

- Works*, edited by H. D. Traill. 31 vols. London, 1897-1901.
- Sartor Resartus*. London, 1841, and subsequent editions.
- On Heroes, Hero-Worship and the Heroic in History*. London, 1841.
- Correspondence of Carlyle and R. W. Emerson*. 2 vols. London, 1883.
- Letters of Carlyle to J. S. Mill, J. Sterling and R. Browning*, edited by A. Carlyle. London, 1923.

Studies

- Baumgarten, O. *Carlyle und Goethe*. Tübingen, 1906.
- Fermi, L. *Carlyle*. Messina, 1939.
- Garnett, R. *Life of Carlyle*. London, 1887.
- Harrold, C. F. *Carlyle and German Thought, 1819-34*. New Haven, 1934.
- Hensel, P. *Thomas Carlyle*. Stuttgart, 1901.
- Lammond, D. *Carlyle*. London, 1934.
- Lea, F. *Carlyle, Prophet of Today*. London, 1944.
- Lehman, B. H. *Carlyle's Theory of the Hero*. Duke, 1939.
- Neff, E. *Carlyle and Mill: Mystic and Utilitarian*. New York, 1924.
- Carlyle*. New York, 1932.
- Seillière, E. *L'actualité de Carlyle*. Paris, 1929.
- Storrs, M. *The Relation of Carlyle to Kant and Fichte*. Bryn Mawr, 1929.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

Studies

Jones, H. and Muirhead, J. H. *The Life and Philosophy of Edward Caird*. London, 1921.

6. Bradley

Texts

The Presuppositions of Critical History. London, 1874.

Ethical Studies. London, 1876 (2nd edition, 1927).

Mr. Sidgwick's Hedonism. London, 1877.

The Principles of Logic. London, 1883 (2nd edition with Terminal Essays in 2 vols, 1922.)

Appearance and Reality. London, 1893 (2nd edition with Appendix, 1897).

Essays on Truth and Reality. London, 1914.

Aphorisms. Oxford, 1930.

Collected Essays. 2 vols. Oxford, 1935. (This work includes *The Presuppositions of Critical History*.)

Studies

Antonelli, M. A. *La metafisica di F. H. Bradley*. Milan, 1952.

Campbell, C. A. *Scepticism and Construction. Bradley's Sceptical Principle as the Basis of Constructive Philosophy*. London, 1931.

Chappuis, A. *Der theoretische Weg Bradleys*. Paris, 1934.

Church, R. W. *Bradley's Dialectic*. London, 1942.

De Marneffe, J. *La preuve de l'Absolu chez Bradley. Analyse et critique de la méthode*. Paris, 1961.

Kagey, R. *The Growth of Bradley's Logic*. London, 1931.

Keeling, S. V. *La nature de l'expérience chez Kant et chez Bradley*. Montpellier, 1925.

Lomba, R. M. *Bradley and Bergson*. Lucknow, 1937.

Lofthouse, W. F. F. *H. Bradley*. London, 1949.

Mack, R. D. *The Appeal to Immediate Experience. Philosophic Method in Bradley, Whitehead and Dewey*. New York, 1945.

Ross, G. R. *Scepticism and Dogma: A Study in the Philosophy of F. H. Bradley*. New York, 1940.

Schüring, H.-J. *Studie zur Philosophie von F. H. Bradley*. Meisenheim am Glan, 1963.

Segerstedt, T. T. *Value and Reality in Bradley's Philosophy*. Lund, 1934.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

religieuse du néo-hégélien anglais Bernard Bosanquet.
Paris, 1954.

Muirhead, J. H. (editor). *Bosanquet and His Friends: Letters Illustrating Sources and Development of His Philosophical Opinions*. London, 1935.

Pfannenstil, B. *Bernard Bosanquet's Philosophy of the State*. Lund, 1936.

8. McTaggart

Texts

Studies in the Hegelian Dialectic. Cambridge, 1896 (2nd edition 1922).
Studies in the Hegelian Cosmology. Cambridge, 1901 (2nd edition, 1918).

Some Dogmas of Religion. London, 1906, (2nd edition, with biographical introduction by C. D. Broad, 1930).

A Commentary on Hegel's Logic. Cambridge, 1910 (new edition, 1931).

The Nature of Existence. 2 vols. Cambridge, 1921-7. (The second vol. is edited by C. D. Broad.)

Philosophical Studies, edited, with an introduction by S. V. Keeling, London, 1934. (Mainly a collection of published articles, including that on the unreality of time.)

Studies

Broad, C. D. *Examination of McTaggart's Philosophy*. 2 vols. Cambridge, 1933-8.

Dickinson, G. Lowes. *McTaggart, a Memoir*. Cambridge, 1931.

Part III: Chapters XI-XIII

I. General Works Relating to Idealism in America

Abbagnano, N. *L'idealismo inglese e americano*. Naples, 1926.

Adams, G. P. *Idealism and the Modern Age*. New Haven, 1919.

Barrett, C. and Others. *Contemporary Idealism in America*. New York, 1932.

Cunningham, G. W. *The Idealistic Argument in Recent British and American Philosophy*. New York, 1933.

Frothingham, O. B. *Transcendentalism in New England*. New York, 1876.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Hopkins, V. C. *Spires of Form: A Study of Emerson's Aesthetic Theory*. Cambridge (Mass.), 1951.
- James, W. *Memories and Studies*. New York, 1911. (Includes an address on Emerson.)
- Masters, E. L. *The Living Thoughts of Emerson*. London, 1948.
- Matthiessen, F. O. *American Renaissance: Art and Expression in the Age of Emerson and Whitman*. London and New York, 1941.
- Michaud, R. *Autour d'Emerson*. Paris, 1924.
La vie inspirée d'Emerson. Paris, 1930.
- Mohrdieck, M. *Demokratie bei Emerson*. Berlin, 1943.
- Paul, S. *Emerson's Angle of Vision*. Cambridge (Mass.), 1952.
- Perry, B. *Emerson Today*. New York, 1931.
- Reaver, J. R. *Emerson as Myth-Maker*. Gainesville (Flor.), 1954.
- Rusk, R. L. *The Life of Ralph Waldo Emerson*. New York, 1949.
- Sahmann, P. *Emersons Geisteswelt*. Stuttgart, 1927.
- Sanborn, F. B. (editor). *The Genius and Character of Emerson*. Boston, 1885.
- Simon, J. R. W. *Emerson in Deutschland*. Berlin, 1937.
- Whicher, S. B. *Freedom and Fate: An Inner Life of Ralph Waldo Emerson*. Philadelphia, 1953.

3. Royce Texts

- The Religious Aspect of Philosophy*. Boston, 1885.
- California: A Study of American Character*. Boston, 1886.
- The Spirit of Modern Philosophy*. Boston, 1892.
- The Conception of God: A Philosophical Discussion concerning the Nature of the Divine Idea as a Demonstrable Reality*. New York, 1897. (This work, by several authors, includes Royce's intervention at a philosophical discussion in 1895.)
- Studies of Good and Evil*. New York, 1898.
- The World and the Individual*. 2 vols. New York, 1900-1.
- The Conception of Immortality*. Boston, 1900.
- The Philosophy of Loyalty*. New York, 1908.
- Race Questions, Provincialisms and Other American Problems*. New York and London, 1908.
- William James and Other Essays on the Philosophy of Life*. New York, 1911.
- The Sources of Religious Insight*. Edinburgh, 1912.
- The Problem of Christianity*. 2 vols. New York, 1913.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- Chiocchetti, E. *Il pragmatismo*. Milan, 1926.
- Hook, S. *The Metaphysics of Pragmatism*. Chicago, 1927.
- Kennedy, G. (editor). *Pragmatism and American Culture*. Boston, 1950.
- Lamanna, E. P. *Il pragmatismo anglo-americano*. Florence, 1952.
- Leroux, E. *Le pragmatisme américain et anglais*. Paris, 1922.
- Mead, G. H. *The Philosophy of the Present*. Chicago, 1932.
- Moore, A. W. *Pragmatism and Its Critics*. Chicago, 1910.
- Moore, E. C. *American Pragmatism: Peirce, James and Dewey*. New York, 1961.
- Morris, C. W. *Six Theories of Mind*. Chicago, 1932.
- Murray, D. L. *Pragmatism*. London, 1912.
- Perry, R. B. *Present Philosophical Tendencies*. New York, 1912.
- Pratt, J. B. *What is Pragmatism?* New York, 1909.
- Simon, P. *Der Pragmatismus in der modernen französischen Philosophie*. Paderborn, 1920.
- Spirito, U. *Il pragmatismo nella filosofia contemporanea*. Florence, 1921.
- Stebbing, L. S. *Pragmatism and French Voluntarism*. Cambridge, 1914.
- Sturt, H. (editor). *Personal Idealism*. London, 1902.
- Van Wessepe, H. B. *Seven Sages: The Story of American Philosophy*. New York, 1960. (Includes Chapters on James, Dewey and Peirce.)
- Wahl, J. A. *Les philosophies pluralistes d'Angleterre et d'Amérique*. Paris, 1920.
- Wiener, P. P. *Evolution and the Founders of Pragmatism*. Cambridge (Mass.), 1949.

2. Peirce

Texts

Collected Papers of Charles Sanders Peirce. 8 vols. Cambridge, Mass. Volumes I–VI, edited by C. Hartshorne and P. Weiss and first published 1931–5, have been re-issued in 1960 as three volumes. Volumes VII–VIII, edited by A. W. Burke, were published in 1958.

There are also some books of selections, such as:

Chance, Love and Logic, edited by M. R. Cohen, with a supplementary essay by J. Dewey, New York, 1923.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

- The Meaning of Truth*. New York and London, 1909.
A Pluralistic Universe. New York and London, 1909.
Some Problems of Philosophy. New York and London, 1911.
Memories and Studies. New York and London, 1911.
Essays in Radical Empiricism. New York and London, 1912.
Collected Essays and Reviews. New York and London, 1920.
The Letters of William James, edited by H. James. 2 vols. Boston, 1926.
Annotated Bibliography of the Writings of William James, edited by R. B. Perry. New York, 1920.

Studies

- Bixler, J. S. *Religion in the Philosophy of William James*. Boston, 1926.
 Blau, T. *William James: sa théorie de la connaissance et de la vérité*. Paris, 1933.
 Boutroux, E. *William James*. Paris, 1911. (English translation by A. and B. Henderson, London, 1912.)
 Bovet, P. *William James psychologue: l'intérêt de son oeuvre pour les éducateurs*. Saint Blaise, 1911.
 Busch, K. A. *William James als Religionsphilosoph*. Göttingen, 1911.
 Carpio, A. P. *Origen y desarrollo de la filosofía norteamericana. William James y el pragmatismo*. Buenos Aires, 1951.
 Castiglioni, G. *William James*. Brescia, 1946.
 Compton, C. H. (compiler). *William James: Philosopher and Man*. New York, 1957. (Quotations and References in 652 books.)
 Cugini, U. *L'empirismo radicale di W. James*. Naples, 1925.
 Kallen, H. M. *William James and Henri Bergson*. Chicago, 1914.
 Knight, M. *William James*. Penguin Books, 1950.
 Knox, H. V. *The Philosophy of William James*. London, 1914.
 Le Breton, M. *La personnalité de William James*. Paris, 1929.
 Maire, G. *William James et le pragmatisme religieux*. Paris, 1934.
 Menard, A. *Analyse et critique des 'Principes de la Psychologie' de William James*. Paris, 1911.
 Morris, L. *William James*. New York, 1950.
 Nassauer, K. *Die Rechtsphilosophie von William James*. Bremen, 1943.
 Perry, R. B. *The Thought and Character of William James*. 2 vols. Boston, 1935. (This is the standard biography.)
The Thought and Character of William James. Briefer

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

edited by J. H. Muirhead. London, 1924.
Tantalus, or The Future of Man. London, 1924.
Eugenics and Politics. London, 1926.
Pragmatism, in *Encyclopædia Britannica*, 14th edition, 1929.
Logic for Use: An Introduction to the Voluntarist Theory of Knowledge. London, 1929.
Social Decay and Eugenical Reform. London, 1932.
Must Philosophers Disagree? and Other Essays in Popular Philosophy.
 London, 1934.

Studies

Abel, R. *The Pragmatic Humanism of F. C. S. Schiller*. New York
 and London, 1955.
 Marett, R. *Ferdinand Canning Scott Schiller*. London, 1938. (British
 Academy lecture.)
 White, S. S. *A Comparison of the Philosophies of F. C. S. Schiller and
 John Dewey*. Chicago, 1940.

5. Dewey

Texts

Psychology. New York, 1887 (3rd revised edition, 1891).
*Leibniz's New Essays Concerning the Human Understanding. A
 Critical Exposition*. Chicago, 1888.
The Ethics of Democracy. Ann Arbor, 1888.
Applied Psychology. Boston, 1889.
Outlines of a Critical Theory of Ethics. Ann Arbor, 1891.
The Study of Ethics: A Syllabus. Ann Arbor, 1894.
*The Psychology of Number and Its Applications to Methods of Teach-
 ing Arithmetic* (with J. A. McLellan). New York, 1895.
The Significance of the Problem of Knowledge. Chicago, 1897.
My Pedagogic Creed. New York, 1897.
Psychology and Philosophic Method. Berkeley, 1899.
The School of Society. Chicago, 1900 (revised edition, 1915).
The Child and the Curriculum. Chicago, 1902.
The Educational Situation. Chicago, 1902.
Studies in Logical Theory (with Others). Chicago, 1903.
Logical Conditions of a Scientific Treatment of Morality. Chicago, 1903.
Ethics (with J. H. Tufts). New York, 1908.
How We Think. New York, 1910.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

Dewey's writings, such as:
Intelligence in the Modern World: John Dewey's Philosophy, edited by
J. Ratner. New York, 1939.

Dictionary of Education, edited by R. B. Winn. New York, 1959.
Dewey on Education, selected with an introduction and notes by
M. S. Dworkin. New York, 1959.

For fuller bibliographies see:

A Bibliography of John Dewey, 1882-1939, by M. H. Thomas and
H. W. Schneider, with an introduction by H. W. Schneider.
New York, 1939.

The Philosophy of John Dewey, edited by P. A. Schilpp. New York,
1951 (2nd edition).

Studies

Baker, M. *Foundation of John Dewey's Educational Theory*. New
York, 1955.

Baumgarten, E. *Der Pragmatismus: R. W. Emerson, W. James,
J. Dewey*. Frankfurt, 1938.

Bausola, A. *L'etica di John Dewey*. Milan, 1960.

Brancatisano, F. *La posizione di John Dewey nella filosofia moderna*.
Turin, 1953.

Buswell, J. O. *The Philosophies of F. R. Tennant and J. Dewey*. New
York, 1950.

Child, A. *Making and Knowing in Hobbes, Vico and Dewey*. Berkeley,
1953.

Corallo, G. *La pedagogia di Giovanni Dewey*. Turin, 1950.

Crosser, P. K. *The Nihilism of John Dewey*. New York, 1955.

Edman, I. *John Dewey, His Contribution to the American Tradition*.
Indianapolis (Ind.), 1955.

Feldman, W. T. *The Philosophy of John Dewey. A Critical Analysis*.
Baltimore, 1934.

Fleckenstein, N. J. *A Critique of John Dewey's Theory of the Nature
and the Knowledge of Reality in the Light of the Principles of
Thomism*. Washington, 1954.

Geiger, G. R. *John Dewey in Perspective*. London and New York, 1938.

Gillio-Tos, M. T. *Il pensiero di John Dewey*. Naples, 1938.

Grana, G. *John Dewey e la metodologia americana*. Rome, 1955.

Gutzke, M. G. *John Dewey's Thought and Its Implications for
Christian Education*. New York, 1956.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

Part V: Chapters XVII-XXI¹

I. Some general works describing or illustrating recent philosophy, especially in Great Britain.

Adams, G. P. and Montague, W. P. (editors). *Contemporary American Philosophy*. 2 vols. New York, 1930.

Ayer, A. J. and Others. *The Revolution in Philosophy*. London, 1956. (Broadcast Talks.)

Black, M. *Language and Philosophy*. Ithaca and London, 1949.

Problems of Analysis: Philosophical Essays. Ithaca and London, 1954.

Blanshard, B. *Reason and Analysis*. London and New York, 1962. (A critical discussion of linguistic philosophy.)

Boman, L. *Criticism and Construction in the Philosophy of the American New Realism*. Stockholm, 1955.

¹ No bibliography has been supplied for Wittgenstein, as his philosophical ideas have been mentioned only in general discussion or incidentally.

Charlesworth, M. *Philosophy and Linguistic Analysis*. Pittsburgh and Louvain, 1959. (Critical as well as historical.)

Drake, D. and Others. *Essays in Critical Realism*. New York and London, 1921.

Flew, A. G. N. (editor). *Logic and Language* (first series). Oxford, 1951.

Logic and Language (second series). Oxford, 1955.

Essays in Conceptual Analysis. Oxford, 1953.

New Essays in Philosophical Theology. London, 1955.

Gellner, E. *Words and Things*. London, 1959. (A very critical treatment of linguistic philosophy in England.)

Ginestier, P. *La pensée anglo-saxonne depuis 1900*. Paris, 1956.

Holt, E. B. and Others. *The New Realism*. New York, 1912.

Kremer, R. P. *Le néo-réalisme américain*. Louvain, 1920.

La théorie de la connaissance chez les néo-réalistes anglais. Louvain, 1928.

Lewis, H. D. (editor). *Contemporary British Philosophy* (third series). London, 1956.

Linsky, L. (editor). *Semantics and the Philosophy of Language*. Urbana (Ill.), 1952.

Mace, C. A. (editor). *British Philosophy in the Mid-Century*. London, 1957.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

German Social Democracy. London and New York, 1896.
An Essay on the Foundations of Geometry. Cambridge, 1897.
A Critical Exposition of the Philosophy of Leibniz. Cambridge, 1900.
The Principles of Mathematics. Cambridge, 1903.
Principia Mathematica (with A. N. Whitehead). 3 vols. Cambridge, 1910-13 (2nd edition, 1927-35).
Philosophical Essays (reprinted articles). London and New York, 1910.
The Problems of Philosophy. London and New York, 1912.
Our Knowledge of the External World as a Field for Scientific Method in Philosophy. London and Chicago, 1914 (revised edition, 1929).
The Philosophy of Bergson (controversy with Professor H. W. Carr). London, Glasgow and Cambridge, 1914.
Scientific Method in Philosophy. Oxford, 1914.
War, the Offspring of Fear (pamphlet). London, 1915.
Principles of Social Reconstruction. London, 1916 (2nd edition, 1920).
Policy of the Entente, 1904-1914: A Reply to Professor Gilbert Murray (booklet). Manchester and London, 1916.
Justice in War-Time. London and Chicago, 1916 (2nd edition, 1924).
Political Ideals. New York, 1917.
Mysticism and Logic and Other Essays (reprinted essays). London and New York, 1918.
Roads to Freedom: Socialism, Anarchism and Syndicalism. London, 1918.
Introduction to Mathematical Philosophy. London and New York, 1919.
The Practice and Theory of Bolshevism. London and New York, 1920 (2nd edition, 1949).
The Analysis of Mind. London, 1921; New York, 1924.
The Problem of China. London and New York, 1922.
Free Thought and Official Propaganda (lecture). London and New York, 1922.
The Prospects of Industrial Civilization (with D. Russell). London and New York, 1923.
The ABC of Atoms. London and New York, 1923.
Icarus, or the Future of Science (booklet). London and New York, 1924.
How To Be Free and Happy (lecture). New York, 1924.
The ABC of Relativity. London and New York, 1925 (revised edition, 1958).

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

Why I am not a Christian, and Other Essays. London and New York, 1957.
My Philosophical Development. London and New York, 1959.
Wisdom of the West. London, 1959.
Has Man a Future? Penguin Books, 1961.
Fact and Fiction. London, 1961.

Studies

- Clark, C. H. D. *Christianity and Bertrand Russell.* London, 1958.
 Dorward, A. *Bertrand Russell.* London, 1951. (A booklet written for the British Council and the National Book League.)
 Feibleman, J. K. *Inside the Great Mirror. A Critical Examination of the Philosophy of Russell, Wittgenstein and their Followers.* The Hague, 1958.
 Fritz, C. A. *Bertrand Russell's Construction of the External World.* New York and London, 1952.
 Götlind, E. *Bertrand Russell's Theories of Causation.* Upsala, 1952.
 Jourdain, P. E. B. *The Philosophy of Mr. Bertrand Russell* (satire). London and Chicago, 1918.
 Leggett, H. W. *Bertrand Russell* (pictorial biography). London, 1949.
 Lovejoy, A. O. *The Revolt Against Dualism.* Chicago, 1930. (Chapters 6-7 treat of Russell's theory of mind.)
 McCarthy, D. G. *Bertrand Russell's Informal Freedom.* Louvain, 1960 (doctorate dissertation).
 Riveroso, E. *Il pensiero di Bertrand Russell.* Naples, 1958.
 Santayana, G. *Winds of Doctrine.* London, 1913. (Includes a study of Russell's philosophy.)
 Schilpp, P. A. (editor). *The Philosophy of Bertrand Russell.* New York, 1946 (2nd edition).
 Urmson, J. O. *Philosophical Analysis. Its Development between the Two World Wars.* Oxford, 1956. (Includes a critical discussion of Russell's reductive analysis. Russell's reply, together with replies to criticisms by G. J. Warnock and P. F. Strawson, is reprinted in chapter 18 of *My Philosophical Development*.)
 Wood, A. *Bertrand Russell, The Passionate Sceptic* (biographical). London, 1957.
 Russell's Philosophy: A Study of Its Development (an

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

مقدمة المراجع

إذا كان فردريك كوبلستون قد عرض فى الجزء السابع من موسوعته الكبرى « تاريخ الفلسفة » للفلسفة الألمانية بعد كانط فى ثلاثة أجزاء تشتمل على ثلاثة وعشرين فصلاً، تبدأ من المذاهب الفلسفية بعد كانط وتنتهى عند فردريك نيتشه - فإنه فى هذا المجلد الثامن يواصل مسيرته الطافرة فيتحدث عن الفلسفة الإنجليزية والأمريكية فى خمسة أجزاء تقع فى واحد وعشرين فصلاً فلنتتبع بعض خيوط هذه المسيرة على عجل:

يبدأ كوبلستون الحديث فى الجزء الأول عن «المذهب التجريبي البريطانى» فيتناول فى الفصل الأول الحركة النفعية بصفة عامة: جيرمي« بنتام وكتاباتة، ومبادئ مذهب المنفعة عنده، وقل مثل ذلك بالنسبة لجيمس مل (أو مل الأب صديق بنتام) وهجومه على ماكنتوش، ثم آراء مل عن الذهن والجانب الاقتصادى عند بنتام.

أما فى الفصل الثانى فيتحدث عن جون ستيوارت مل: حياته العجيبة ، وكتاباتة أولاً، وتطويره للأخلاق النفعية بعد ذلك.

أما الفصل الثالث ففيه عرض لمنطق «مل» ومذهبه التجريبي منتهياً بأرائه فى الدين واللاهوت الطبيعى، يجعل الفصل الرابع يدور حول (بقايا المذهب التجريبي فى الفلسفة الإنجليزية ومنهم هنرى سدجويك والمذهب الحدسى، ودارون وفلسفة التطور، وهكسلى والمذهب اللأدرى. والملاحظ أن الأب كوبلستون لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتى عليها فحتى المذاهب الفرعية الصغيرة فى الفترة التى يؤرخ لها يتناولها بالشرح والتحليل وأحياناً بالنقد وبعض الملاحظات الختامية.

المترجم فى سطور :

محمود سيد أحمد

يعمل أستاذًا للفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة الكويت وطنطا.

من أهم مؤلفاته :

- مفهوم الغائية عند كانط.
- الأخلاق عند هيوم.
- الاعتقاد الدينى عند هيوم.
- البرجماتيقا عند هابرماس.
- الحضارة والدين عند هوكنج.
- دراسات فى فلسفة كانط السياسية
- فلسفة الحياة دلتاى نموذجاً.
- له مجموعة من البحوث والترجمات.

تاريخ الفلسفة

المجلد الثامن

من ينتم إلى رسل

فردريك كوبلستون

ترجمة : محمود سيد أحمد

مراجعة وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٠٩



هذا هو المجلد الثامن من موسوعة كوبلستون الكبرى فى تاريخ الفلسفة الغربية، ويتناول الفلسفة الغربية ابتداء من بتنام حتى رسل فى خمسة أجزاء؛ يتناول الجزء الأول التجريبية الإنجليزية: الحركة النفعية، التجريبيون، الوضعيون، هيربرت سبنسر. ويتناول الجزء الثانى الحركة المثالية فى بريطانيا العظمى: تطور المذهب المثالى، المثالية المطلقة عند برادلى، وبوزانكيث. ويتناول الجزء الثالث المذهب المثالى فى أمريكا: رويس، المثالية الشخصية. ويتناول الجزء الرابع الحركة البرجماتية: بيرس، وليم جيمس، شيللر، ديوى. ويتناول الجزء الأخير الثورة على المذهب المثالى: المذهب الواقعى فى بريطانيا وأمريكا، جورج مور، رسل، فتنجنشتين، وينتهى المجلد بخاتمة عن جون هيرمان نيومان.